بحوث مؤتمر العمل الخيري

مقاصده وقواعده وتطبيقاته

حقوق الطبع محفوظة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مقاصده وقواعده وتطبيقاتها

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

العمل الخيري
وأثره في الإصلاح النّفسي والتّربوي
من منظور قرآني

بحث مشترك بين

د. فاطمة عبد الله عبد اللطيف صالح
و
د. زينب الأحمدي عبد الفتاح

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده،

تناول بحث "العمل الخيري وأثره في الإصلاح النّفسي والتّربوي من منظور قرآني"، من خلال الدراسة، أثر العمل الخيري في تربية النفس وتطهيرها من العلائق والأدران التي نالتها، حتىٰ خلصت من الأنانية، وطهرت من الشح والبخل، وتعويدها علىٰ البذل والعطاء، كما أنه يثري الكثير من القيم الإنسانية بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ فيلطف من الحقد والحسد، وكافة النوازع السيئة، ويقلل من آثارها المدمرة؛ فالزكاة – مثلا – ليست ممارسات شخصية بحتة، وإنما نظام اقتصادي متكامل، يؤثر عليه ويوجهه نحو الأفضل؛ مما يشيع جواً من الحب والرحمة بين أفراد المجتمع، ويعود بالنفع العام علىٰ الإنسانية.

كما تناول البحث دور العمل الخيري في الإصلاح التربوي؛ فهو حلقة من حلقات تربية النفس وتزكيتها؛ إذ يبعث روح الألفة والإحساس بالانتماء للمجتمع، ويجلب السعادة للآخرين بإخراج الزكاة والصدقات وفضائل الأموال. ودور العمل الخيري في الإصلاح التربوي يرتكز علىٰ قيم التدرج في عملية التغيير، ويجعل النقلة من ظلمات الجهل إلىٰ نور الهداية أمراً محققـًا، فالمنهج القرآني دعوة متكاملة لإصلاح الفرد تربويـًا، وتعديل سلوكه ومعتقداته، والتقليص من كافة الانحرافات السلوكية لديه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوىٰ، وقدر فهدىٰ، والصلاة والسلام علىٰ نبي الرحمة، وقائد الأمة، الذي بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة؛ فكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل الله حتىٰ أتاه اليقين، ورضي الله عن صحابته الأبرار الأخيار، وعلىٰ من اتبع نهجه وسلك طريقه إلىٰ يوم الدين.

فللعمل الخيري دور بارز في إصلاح النفس وتربيتها، والعمل علىٰ تزكيتها، والقرآن الكريم بمثابة البلسم الشافي والدواء الكافي لعلاج ما علق من اعوجاج في النفس، ورفع مكانتها بالطاعات وفعل الخيرات لأعلىٰ درجات التكريم والتزكية، فتزكية النفس قيمة عليا لا تنفك عن قيمة التوحيد وقيمة العمران، وبين هذه القيم الثلاث: التوحيد والتزكية والعمران، من وشائج التداخل والتكامل ما يقدم للإنسان صورة عن نفسه تمتلئ بالثقة والقدرة علىٰ تحقيق مقاصد الحق من الخلق. والمقصد الأعظم من التشريع الرباني لحياة الإنسان في هذا العالم، هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده؛ فهو المسيطر علىٰ هذا العالم، وصلاح أحواله صلاح أحوال العالم، فعن التزكية التي يتحقق بها الإنسان في عقله ونفسه تنبثق سائر أفعاله وتصرفاته وأساليب حياته، ودون هذه التزكية يختل بناء العمران البشري كما أراده الله، وتتوجه حركة الحياة والحضارة في اتجاهات تصادم فطرة الإنسان، وينتشر الفساد، ويسود الظلم، وتنعدم العدالة، فتزكية النفس يترتب عليها فلاح الإنسان وصلاحه في

الكون والحياة، وفساد النفس يترتب عليه الخسران والبوار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وعليه، فالعمل الخيري له دور بارز في إصلاح النفوس وتربيتها وتزكيتها؛ فيسعد الإنسان في دنياه وآخراه، وتغدو روح الأخوة والمحبة والإيثار عالية في المجتمع المسلم. وهذا ما سوف نوضحه - بإذن الله - تعالىٰ - - من خلال هذا البحث المقدم بعنوان: "العمل الخيري وأثره في الإصلاح النّفسي والتربوي من منظور قرآني".

وقد اخترت العمل في هذا البحث للأسباب الآتية:

١-كون العمل الخيري يجسد صورة الإسلام الحقيقية.

٢- وهو أساس التعايش المجتمعي.

٣- يعمل علىٰ خلق فرص عمل جديدة تستوعب طاقة الشباب.

٤- يحد من البطالة المسببة لكثير من الأمراض الاجتماعية.

والهدف من وراء ذلك:

١-الحد من النزوع إلىٰ الفردية، وتنمية الحس الاجتماعي.

٢-مجاهدة النفس بفعل الخيرات وترك المنكرات.

٣-الوقاية من آفة اعوجاج النفوس، وإعطاء الصورة المشرقة لها بالتخلص من الأنانية وحب الذات.

٤-تسليط الضوء علىٰ طبيعة النفس الإنسانية وآفاتها، وعلاجها من خلال

آيات القرآن الكريم.

٥-الكشف عن أسرار ومعاني النفس الإنسانية، وعناية القرآن بها.

ومنهجي في البحث يقوم علىٰ المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وتتضح خطوات المنهج من خلال النقاط الآتية:

* قمت بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعلق بموضوع البحث.

* شرح الآيات القرآنية شرحًا موضوعيًا، مع الاستشهاد ببعض الأحاديث المتعلقة بعناصر البحث.

* عزو الآيات القرآنية.

* تخريج الأحاديث من كتب السنة، والحكم عليها.

هذا، وقد اشتمل البحث علىٰ: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة. أما المقدمة، فبيّنت فيها أسباب اختياري للموضوع، والهدف من وراء اختياره، والمنهج الذي سرت عليه في هذا البحث. وأما التمهيد، فيدور حول "دلالة العمل الخيري".

وجاء المبحث الأول تحت عنوان: "دور العمل الخيري في الإصلاح النّفسي"، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تزكية النفس وتطهيرها.

المطلب الثاني: دور العمل الخيري في إثراء القيم الإنسانية.

وأما المبحث الثاني، فقد جاء تحت عنوان: "دور العمل الخيري في الإصلاح

التربوي"، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دور التربية الإيمانية في غرس قيم الإنفاق.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي.

وأما الخاتمة، ففيها أهم النتائج المستخلصة من البحث، وبعض التوصيات.

هذا، وسوف استقي بحثي - بإذن الله - من مصادر تفسيرية، ومن كتب الحديث، وأخرىٰ معاصرة.

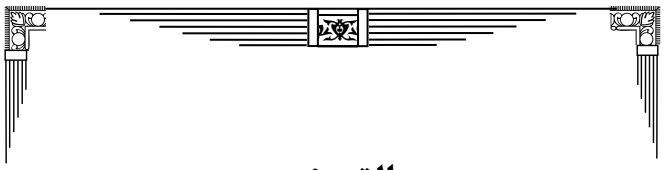

التمهيد

دلالة العمل الخيري

يشمل العمل الخيري كل طاعة لله، أمرنا بها القرآن، وحث عليها الإسلام، قال - تعالىٰ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ تعميم بعد تخصيص؛ إذ فعل الخير يشمل كل قول وعمل يرضي الله - تعالىٰ -: كإنفاق المال في وجوه البر، وصلة الرحم، والإحسان إلىٰ الجار، وغير ذلك من الأفعال التي حضت عليها تعاليم الإسلام"[(١)].

قال ابن عاشور: "أمر بإسداء الخير إلىٰ الناس من الزكاة، وحسن المعاملة كصلة الرّحِم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق"[(٢)].

فالآية الكريمة ذكرت أسباب الفلاح الأساسية، وهي: الركوع، والسجود، وعبادة الله، ثم فعل الخيرات. ففعل الخير مراتب، أولها وأولاها إصلاح ما بين العبد وربه من صلاة وسائر العبادات، ثم إصلاح ما بينه وبين الخلق من الإحسان

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٩/ ٣٤٦، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ.

(٢) التحرير والتنوير:١٧/ ٣٤٦ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ط: ١٩٨٤ هـ.

لهم، والشفقة عليهم في كل أعمال البر.

قال الرازي: "والوجه عندي في هذا الترتيب أن الصلاة نوع من أنواع العبادة، والعبادة نوع من أنواع فعل الخير؛ لأن فعل الخير ينقسم إلىٰ خدمة المعبود، الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله، وإلىٰ الإحسان، الذي هو عبارة عن الشفقة علىٰ خلق الله، ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة علىٰ الفقراء وحسن القول للناس، فكأنه – سبحانه – قال: كلفتكم بالصلاة، بل كلفتكم بما هو أعم منها وهو العبادة، بل كلفتكم بما هو أعم من العبادة وهو فعل الخيرات"[(١)].

فالعبد يصلح ما بينه وبين ربه؛ حتىٰ يتسنىٰ له قبول أعماله الصالحة، فصلاح الاعتقاد يترتب عليه قبول الأعمال الخيرية.

قال ابن عاشور: "وفي هذا الترتيب إيماء إلىٰ أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدم علىٰ الاشتغال بإصلاح الأعمال". [(٢)]

وطرق العمل الخيري كثيرة، وأبوابه متنوعة ومتعددة، وأعمال الخير والبر لا تفتح كلها للإنسان الواحد في الغالب، إن فتح له في شيء منها لم يكن له في غيرها، وقد يفتح لقليل من الناس أبواب متعددة. وليس أدل علىٰ ذلك من حديث أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه –: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالُوا له: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ

(١) مفاتيح الغيب للرازي:٢٣/ ٢٥٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠هـ

(٢) التحرير والتنوير: ١٧ / ٣٤٦.

صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» (١).

ووجه الدلالة في هذا الحديث: ظن الفقراء أن العمل الخيري مقصور علىٰ بذل المال وإخراجه، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرَهم النبيّ - ﷺ - أنّ جميعَ أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة.

فالعمل الخيري واسعُ الميادين، شامل المفاهيم، يتسع ليشمل جميع الأعمال، سواء أعمالَ القلوب والجوارح من الأقوال والأعمال والمقاصد، في الظاهر والباطن، قال – تعالىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

فخشية الله – تعالىٰ -، والإيمان به، ووجل القلوب، أعمال قلبية، يتنافس عليها أهل الخير من المؤمنين الصادقين، الذين وصفهم الله بهذه الصفات الحميدة.

والعمل الخيري يعود أثره وفضله علىٰ أهل الفضل والعطاء، قال – تعالىٰ -: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

قال ابن عاشور: "والرجاء المستفاد من ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٦٩٧، ح ١٠٠٦، كتاب الزكاة، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[البقرة:١٨٩] مستعمل في معنىٰ تقريب الفلاح لهم إذا بلغوا بأعمالهم الحدّ الموجب للفلاح فيما حدّد الله - تعالىٰ -، فهذه حقيقة الرجاء" [١].

(١) التحرير والتنوير: ١٧ / ٣٤٦.

المبحث الأول

دور العمل الخيري في الإصلاح النّفسي

وفيه مطلبان

❁ المطلب الأول: تزكية النفس وتطهيرها

❁ المطلب الثاني: دور العمل الخيري في إثراء القيم الإنسانية

المطلب الأول

تزكية النفس وتطهيرها

لم تختلف الرؤىٰ حول أمر من الأمور مثلما اختلفت حول النفس البشرية، وربما كان من نافلة القول أن عقيدة الإسلام تجاوزت العلم النظري إلىٰ تفاعل نفسي واجتماعي، وحولت المفاهيم والأفكار إلىٰ حركة وأفعال؛ فنظرت للنفس نظرة حية تلامس الواقع المتجدد، فأقرت اختلافها، وبينت أنواعها، وفصلت طرق معالجتها وترقيتها، والأهم أنها أنهت الخلاف المستمر حول إمكانية تغيير الطباع، فأكدت بما لا يدع – لمنحرف الفكر أو مقلد – اعتراضا علىٰ أن التسامي بالنفس إلىٰ الأحسن أمر ممكن؛ قال – تعالىٰ –: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس:٧-٨]. فقد بين الله – تعالىٰ– بهاتين الآيتين أن الإنسان مفطور علىٰ معرفة الخير والشر، وعلىٰ التمييز بينهما، "حيث ألهم كل نفس الفجور والتقوىٰ، ومعنىٰ ألهمها: عرفها حالها من الحسن والقبح، وما يؤدي إليه كل منهما، ومكنها من اختيار أيهما شاءت، ثم ذكر ما تلقاه جزاء علىٰ كل منهما، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون:١] ، أي: قد ربح وفاز وظفر ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] أي: من زكىٰ نفسه ونماها وطهرها من المخالفات الشرعية، عقداً وخلقـًا وعملاً وقولاً، حتىٰ بلغت ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي؛ فتثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها، وخاب وخسر نفسه، وأوقعها في التهلكة، من "دساها"، من حال بين نفسه وبين فعل الخير، وأخفاها بالفجور

ومجانبة البر والقربات"[1].

ولا شك أنه لا فوز أعظم من فوز النفس، ولا خسران أكبر من خسرانها، فكان من عظيم دعائه - ﷺ -: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[2].

لقد أقسم - تعالىٰ - سبع مرات علىٰ فلاح من زكىٰ نفسه؛ ترغيبا في تزكيتها، فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس:١-٧]، ولا يكون ذلك إلا بمجاهدتها وترويضها علىٰ مكارم الأخلاق، قال الإمام الراغب: "إن الله – تعالىٰ - خلق الأشياء علىٰ ضربين: أحدهما: بالفعل، ولم يجعل للعبد فيه عملا، كالسماء والأرض والهيئة والشكل، والثاني: خلقه خلقة ما، وجعل فيه قوة، ورشح الإنسان لإكماله وتغيير حاله، وإن لم يرشحه لتغيير ذاته، كالنواة التي فيها قوة النخل، وسهل للإنسان سبيلا إلىٰ أن يزرعه – بعون الله تعالىٰ - نخلة، أو أن يفسده إفسادا، والخلق من الإنسان يجري هذا المجرىٰ في أنه لا سبيل لإنسان إلىٰ تغيير القوة التي هي السجية، وجعل له سبيلا إلىٰ إسلاسها "[3].

ومثل الإمام الغزالي بالغضب والشهوة "لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية، حتىٰ لا يبقىٰ لهما أثر، لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بذلك، وصار ذلك سبب نجاتنا

(١) حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٤٢:٤٥.

(٢) صحيح مسلم: ٤ /٢٠٨٨ ح ٢٧٢٢، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، ط: دار إحياء التراث العربي: بيروت.

(٣) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني، ١٢٥.

ووصولنا إلىٰ الله – تعالىٰ –، فمن أراد – مثلا – أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقته أن يتكلف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطلب نفسه، ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه، حتىٰ يصير ذلك طبعا له، ويتيسر عليه؛ فيصير به جوادا، وكذا جميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بطريق المجاهدة"[1].

ولأن النفوس ليست علىٰ درجة واحدة، وقد جاءت في القرآن الكريم علىٰ ثلاثة أنواع: الأولىٰ: النفس المطمئنة في قوله – تعالىٰ –: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠]،

مطمئنة "أي: هادئة موقنة بوجود الله ووحدانيته، مصدقة لما جاء به القرآن، عاملة له"[2]؛ الثانية: النفس اللوامة، قال – تعالىٰ –: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة:١ -٢]، تلوم علىٰ ما فات وتندم علىٰ الشر لم فعلته؟ وعلىٰ الخير لِمَ لَمْ تستكثر منه[3]، وأخرج ابن أبي الدنيا قال: "المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، ولا تراه إلا يعاتبها، أما الفاجر فلا يعاتب نفسه"[4]؛ و الثالثة: النفس الأمارة بالسوء، قال – تعالىٰ –: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٤٨.

(٢) ينظر الماوردي، ٦/ ٢٧٢، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، التحرير والتنوير ٣٠ / ٣٤٢، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤.

(٣) البحر المحيط، ١٠ / ٣٤٣، ط: دار الفكر – بيروت.

(٤) التفسير بالمأثور للسيوطي، ٨ / ٣٤٣ ط: دار الفكر – بيروت.

مَا رَحِمَ رَبِّيۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، الأمارة بالسوء المشتهية له[١]، وصاحبها يستجيب فيصير الشيطان قرينًا له، يحبب إليه المعاصي، ويكره له الإيمان.

والنفوس في تلك المنازل تتأرجح ولا تثبت علىٰ حال، إلا إذا أراد الله لها الثبات، فاليوم نفس أمارة بالسوء، وغداً نفس مطمئنة، فهي بين هبوط وصعود حسب استعدادها، عن ابن عباس و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: "الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ"[٢]، وهذا يجزم بإمكان تغير الطباع والعادات إذا ما توافرت الأسباب الداعية لذلك، وفي مقدمة هذه الأسباب العمل الخيري، ويتضح هذا من خلال دوره في:

❁ أولا: الوفاء بمتطلبات النفس:

لقد كانت دعوة إبراهيم – عليه السلام – وهو يضع قدمه في أرض الحرم، تاركًا ولده وزوجته وديعة به: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]. دعا – عليه السلام – بمجتمع تتوافر للإنسان فيه وسائل العيش الكريم، من غذاء وكساء وسكن وتزاوج، وقد تكفل – تعالىٰ – بتوفير هذه المطالب فقال – عز شأنه –: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود:٦].

---

(١) القرطبي: ٩/ ٢١١ ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

(٢) سنن ابن ماجه: ١/ ٢٨ ح ٧٤، باب في الإيمان، وقال الألباني: ضعيف جدا، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

والدابة: اسم لكل حيوان ذي روح، ذكراً كان أو أنثىٰ، عاقلاً أو غيره، مأخوذ من الدبيب، وهي في الأصل: المشي الخفيف(١).

والرزق: كلمة عامة تعني العطاء، والعطاء الجاري، أو هو كل ما ينتفع به (٢) من طعام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة:١٦٨]. نادىٰ الله الناس جميعاً بأن يأكلوا مما في الأرض من لحم، وخضر، وفاكهة؛ لبناء أجسامهم ونقائها، وجعل حصول ذلك أمراً متيسرا لا صعوبة فيه، فالزارع يضع الحبة في الأرض ويتعاهدها، فإذا هي تنمو وتكثر بإذن الله ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤]. كما نوع مصادره لضمان وفرته؛ فهذه ثروة زراعية ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢]، وهذه حيوانية ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [النحل:٥]، وتلك مائية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ [النحل:١٤]. ومن المقومات الرئيسة الكساء، وهو لستر العورة والتجمل، والحماية من الحر والبرد، قال - تعالىٰ -: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾. وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل:٨١]. أما السكن، فقد بين الله - تعالىٰ - حاجة الإنسان إليه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:٨٠]. وقد تعددت صوره؛ نظراً لضرورته، فمنه الجبال ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ [النحل:٨١]،

(١) روح المعاني ١٢/ ٣.

(٢) المعجم الوسيط ١ / ٣٤٢.

والكهوف ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]، ومنه الملاجئ والمغارات ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٧]، ومنه النفق ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:٣٥]، ولا يستغنىٰ عنه في السفر ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:٨٠]. وصور - تعالىٰ - حاجة الإنسان إلىٰ الزواج وبناء الأسرة فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ﴾ [النساء:٢٥]، "فقد رخص الله - تعالىٰ - للأحرار، الذين يخشون الزنا، ولا يجدون ما يتزوجون به الأحرار، رخص لهم بالزواج من الإماء، وأرشدهم بألا يمنعهم من نكاحهن خوف المَعَرَّة، فإنما هم في النهاية جنس واحد ودينهم واحد"[(١)]، وهذا يؤكد علىٰ ضرورة إشباع هذه الحاجة؛ انطلاقا من كونها أحد الدوافع المساهمة في الحفاظ علىٰ الفرد المسلم وبقائه حيًا قادراً علىٰ القيام بدوره المنوط به، وهذا ما جعل فقهاء المسلمين يعدونه من صلب حاجات الكفاية وتمامها؛ ركونا إلىٰ قوله - ﷺ -: «من ولي لنا فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة، ومن لم يكن له سكن فليتخذ سكنا، ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركبا، ومن لم يتخذ له خادما فليتخذ خادما»[(٢)].

---

(١) البحر المديد: ٢/ ٣١، ٣٢ بتصرف.

(٢) مسند أحمد: ٢٥/ ٥٤٦، ح ١٨٠١٧، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - =

"من الرائع حقاً أن يلتفت علماء المسلمين إلىٰ أن الطعام والشراب واللباس، ليست من حاجات الإنسان فحسب، بل في الإنسان دوافع وغرائز أخرىٰ تدعوه وتلح عليه، وتطالبه بحقها من الإشباع، ومن ذلك غريزة النوع أو الجنس، التي جعلها الله سوطاً يسوق الإنسان إلىٰ تحقيق الإرادة الإلهية في عمارة الأرض، وبقاء هذا النوع الإنساني فيها إلىٰ ما شاء الله. ولا عجب إذا قال العلماء أن من تمام الكفاية ما يأخذه الفقير ليتزوج به إذا لم تكن له زوجة واحتاج للنكاح [(١)].

ويؤكد هذا الحكم فعل النبي - ﷺ - وتحمله لنفقة الزواج حين جاءه رجل فقال: «إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ -: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا». قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا. قَالَ: «عَلَىٰ كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قَالَ: عَلَىٰ أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ -: «عَلَىٰ أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَىٰ أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ». قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَىٰ بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ"[(٢)].

وهذا دليل واضح علىٰ وجوب إعانة الدولة أفرادها علىٰ الزواج، وقد فعل ذلك عمر - رضي الله عنه - في خلافته" [(٣)]، وكذلك فعل عمر بن عبدالعزيز ذلك عندما أمر عماله بأن يصدقوا علىٰ كل من يريد الزواج ولا يملك الصداق[(٤)].

= ٢٠٠١ م.

(١) فقه الزكاة، ٢ / ٦٥٨.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٤٠ ح ١٤٢٤، كتاب النكاح، بَابُ نَدْبِ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ الْمَرْأَةِ وَكَفَّيْهَا لِمَنْ يُرِيدُ تَزَوُّجَهَا.

(٣) الأموال لأبي عبيد القاسم، ٤١٩.

(٤) السابق،٣٢٠.

وجدير بالذكر أن دعوة الإسلام بتوفير هذه الحاجات هي دعوة عامة للناس جميعـًا، المؤمن والكافر، المطيع والعاصي، يقول - تعالىٰ -: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠]، فلم يحرم الكافر من الرزق مع غضبه عليه، ولم يخص به المؤمن مع حبه له، بل رزق الجميع، ولذلك حين دعا إبراهيم - عليه السلام - ربه أن يخص المؤمن من ساكن البلد الحرام بالأمن والثمرات، جاءه الجواب الإلهي أن هذا ليس حكراً علىٰ المؤمنين، وإنما يتمتع به الكافرون مدة بقائهم في الدنيا، ثم يجزون علىٰ كفرهم في الآخرة، قال - تعالىٰ -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]. وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار النبي - ﷺ - بقوله: «الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلأ »[(١)]، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «الناس» ولم يقل «المؤمنون»؛ حتىٰ لا يحجب الكافرين، كما أفاد الحديث أن الشراكة بين الناس ليست وقفـًا علىٰ هذه الثلاث، "فالإشارة إلىٰ الموارد الثلاثة بالأسماء الواردة في الحديث، إنما هي إشارة إلىٰ مقومات الحياة الرئيسة في تلك البيئة الصحراوية في تلك المرحلة من تاريخ المجتمع الإسلامي. فإذا تبدلت البيئة، وتطورت المرحلة، انسحب حكم الشراكة علىٰ - مقومات الحياة الرئيسة - للعيش فيها أيضا"[(٢)].

---

(١) الحارث في المسند ١/ ٥٠٨ ح ٤٤٩، كتاب البيوع، باب الناس شركاء في ثلاث، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة
الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ -١٩٩٢.

(٢) أهداف التربية الإسلامية، ٢٨٠، المؤلف: د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم.

وفي أيامنا هذه، وبالدخول في الألفية الثالثة، لاحظنا تغيراً أفرزته ظروف البلاد الاقتصادية؛ فعدد العاطلين منهم بالملايين، وكثير من العاملين منهم قلما يعمل بتخصصه، علاوة علىٰ ما قذفت به الحضارة من أنواع الأمراض المختلفة والأوباء التي لم نسمع عنها من قبل، وإذا كان من فضل هذا الزمن ما اكتشفه العلم من ألوان التغذية والعلاجات، فإن ما رمىٰ به من متطلبات الحياة قلبت كماليات الأمس لضرورات، فلم تعد المستشفيات المجهزة بأحدث الأجهزة والصيدليات الممتلئة بمختلف الأدوية، واستخدام وسائل التواصل الحديثة، وأخذ حصة كافية من الإنترنت، علاوة علىٰ امتلاك الأجهزة المتجددة، والتعليم بكافة أنواعه وأحدث تخصصاته، وكذلك مجاراة الزمان في الأكسية والأبنية والانتقالات، لم يعد ذلك ولا غيره – وهو كثير – فضلا يمكن التغاضي عنه، وإنما أصبح من أساسيات المعيشة التي لا يستغنىٰ عنها ومن الضرورات الواجب الوفاء بها، فالضرورات هي التي تتطلب الجهد الجاهد في تحصيل أسبابها، فإذا أخفق الإنسان فيما حاوله من الظفر بما يبتغيه منها فقد سعادته، وتنغصت معيشته؛ كل ذلك استوجب التعاون بين أفراد المجتمع، والتكافل فيما بينهم؛ فالحكومات كاهلها مثقل، ولا تستطيع الوفاء بحاجات المحتاجين، ومن ثم فالعمل الخيري قد بلغت أهميته مبلغاً عظيماً، حتىٰ إنه لتقام له المؤتمرات، وتوضع له الملصقات، وتصور له الإعلانات بكل ما تحمله من إبهار؛ لفتاً للأنظار، وتنبيها للأخيار، وما أبدعه – ﷺ – حين قال: «أَعْطُوا السَّائِلَ، وَإِنْ جَاءَ عَلَىٰ فَرَسٍ»[1].

(١) موطأ الإمام مالك، ٢/ ١٧٥ ح ٢١٠٢، كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة، ط: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢ هـ.

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٨٦) من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي =

أي: لا يمنعكم حسن مظهر السائل، وما يبدو عليه من مظاهر النعيم، أن تعطوه بما جادت به أنفسكم، فنحن نعلم قيمة الفرس في عهده - ﷺ - ودلالته علىٰ الثراء، فهو يعادل "سيارة" جيدة توحي بيسر صاحبها، فكأنه يقول: إن المحتاج ليس هو دائما من تراه مرقع الثوب أو حافي القدمين.. وفخر لديننا أن ينظر هذه النظرة الصائبة؛ ليسع مفهوم المحتاج فيه من يمتلك الركوبة والمسكن الذي يأويه، لكن لا تجاري معيشته الزمن الذي يحياه، فالعامل، طبيباً أو أستاذاً أو نجاراً أو حداداً، ولا يكفي ما يأخذه ليحيىٰ وأسرته في مستوىٰ يتناسب واحتياجات بيئته، هو في الإسلام يستحق البر به، والمحتاج في دول أوربية ليس كالمحتاج في دول عربية أو أفريقية؛ إذ مستوىٰ الحاجة يحدده مستوىٰ معيشة الغالبية، إذن، فالمستفاد بمفهوم الحديث وفقه الواقع أن الزمان يتغير ويتغير معه مساكينه.

❁ ثانيا: دور العمل الخيري في القيام بواجبات النفس:

اتفقت الرسالات السماوية جميعًا علىٰ ضرورة التوجه إلىٰ الله بالعبادة الخالصة، والعبادات هي الهدف من وراء الخلق ودعوة الرسل، قال - تعالىٰ -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. وتأمين العمل الخيري

= صالح عن أبي هريرة به، ثم قال عقبه: ولعبد الله بن زيد بن أسلم من الحديث غير ما ذكرت قليل ليس بالكثير، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، علىٰ أنه قد وثقه غير واحد، وقال السخاوي في المقاصد (١/ ٥٣٧): وعبد الله بن زيد ضعيف.(ينظر التنوير شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ٢/ ٤٧٧ح ١١٥٧، لمؤلفه: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، ط: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).

١ - الذاريات: ٥٦.

لحاجات النفس يمكن من العبادة وحسن الطاعة لله، قال – تعالىٰ – علىٰ لسان سيدنا إبراهيم – عليه السلام –:﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ – ﷺ – إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَيُحَدِّثُنَا، فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: « إِنَّ اللهَ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ »[(١)].

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب مفسراً الآية: "الدعوة الثالثة، التي تمسك الإيمان في القلوب، وتمكّن له في النفوس، وهي لقمة العيش، التي إن لم يجدها الإنسان؛ هلك، وطار صوابه، وذهب إيمانه. فقول إبراهيم – عليه السلام – ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: لكي تنتظم حياتهم، وتطمئن قلوبهم، ويؤدّوا ما فرض الله عليهم من فرائض، كانت دعوة إبراهيم ربّه أن يجعل قلوب الناس تميل إلىٰ هذا المكان، وتنجذب إليه، وتتعاطف مع ساكنيه، فيكون لهم من ذلك رزق يرزقونه من تلك الأمم التي تجيء إليهم، وتلتقي بهم. ومضىٰ يقول: "وفي المجتمع الذي تتوافر للإنسان فيه وسائل العيش، ويجد في كنفه الأمن والسلام، في هذا المجتمع تخصب العواطف، وتزدهر المشاعر، وتتفتح البصائر إلىٰ كثير

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦/ ٢٣٧ح ٢١٩٠٦، وقال شعيب الأرنؤوط: وهذا سند ضعيف، هشام بن سعد ضعيف عند المخالفة، قال أحمد: لم يكن بالحافظ، وضعفه يحيىٰ بن معين وابن سعد والنسائي وغيرهم، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقوله: "إن الله – عز وجل – قال"، لا يدل علىٰ قرآنية هذا الكلام، وإنما هو من الأحاديث القُدسية التي يرويها النبي – ﷺ – عن ربه – عز وجل –. (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٤٥٣ المحقق: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة).

من حقائق الوجود. وهنا يجد الإنسان وجوده الذي يستطيع أن يصله بالله، وأن يوثق صلته به، حين يجد الجو الذي يسمح له بالنظر والتأمل، وهو مجتمع النفس، مطمئن القلب. ومن هنا - أيضا - يستقيم للإنسان دينه، فيؤدي ما لله عليه من حقوق، لا تشغله عنها شواغل الحياة، ولا تذهله عنها مطالب العيش الملحّة، المهددة للحياة، ففي قول إبراهيم ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ تعليل كاشف عن أن إقامة الصلاة، وما معها من واجبات مفترضة علىٰ المؤمن، إنما تجىء بعد أن يجد الإنسان وجوده علىٰ هذه الأرض، ويضمن لهذا الوجود بقاء واطمئنانا...!

فالإنسان مع الحرمان الشديد، ومع الجوع المهدد بالهلاك، لا يجد العقل الذي يعقل، ولا القلب الذي يخفق خفقات الوجد والشوق... فإذا عبد الله في تلك الحال، عبده وهو شارد اللّب خامد الشعور، ومثل هذه العبادة لا يجد فيها العابد ريح ربّه، ولا ينسم أنسام جلاله وعظمته"[1]. وذكر الإمام الرازي هذا المعنىٰ بقوله: "فَإِذَا كَانَ الْبَلَدُ آمِنًا، وَحَصَلَ فِيهِ الْخِصْبُ؛ تَفَرَّغَ أَهْلُهُ لِطَاعَةِ اللهِ - تعالىٰ -، وَإِذَا كَانَ الْبَلَدُ عَلَىٰ ضِدِّ ذَلِكَ؛ كَانُوا عَلَىٰ ضِدِّ ذَلِكَ"[2]، "هذا وليست كثرة المال ووفرة المتاع، بالتي تقيم الإنسان دائما علىٰ طريق مستقيم مع الله؛ إذ كثيرا ما يكون المال ووفرته سببًا في صرف الإنسان عن طريق الحق، وركوبه

(١) التفسير القرآني للقرآن، ٧/ ١٩٣:١٩٢ المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ٤٨/٤، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

طرق الغواية والضلال. ولكن الفقر القاهر والحاجة القاسية، أكثر صرفاً للإنسان عن الطريق السّويّ، إلا من عصم الله، وأمده بأمداد الحق والصبر"[1].

من هنا ندرك الحكمة في توفير ضرورات المعيشة للكافر؛ ذلك لأن توفيرها يهيئ له أن يتفرغ للتأمل في آيات الله وآثار قدرته؛ مما يكون سببا لهدايته، قال - تعالىٰ -: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]، وقال - سبحانه -: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، فالناظر بعين الفكر لنفسه وما حوله سيصل إلىٰ حقيقة واحدة مفادها وجود خالق عظيم، وسيزداد المرء إيمانا بتقلب النظر ومعاودته المرة تلو الأخرىٰ. والإيمان وتعميق الشعور هو زاد النفس وجلاؤها، وطريقها إلىٰ الله والإقبال عليه، وسبيل انطلاقها من أسر الجسد وما ينوء بحمله من ماديات، فتحلق في ملكوت الله، وترتقي في مجال المعرفة والعبودية، وتلك غايتها.

والمتدبر للعبادات عموما، الواجبة منها والنافلة، يدرك أن أعظم أسرارها هو تربية النفس وتطهيرها من العلائق والأدران التي نالتها، والأعمال الخيرية لا تعين علىٰ أداء العبادات فحسب، وإنما تقوي علىٰ التمسك بها، وتحسن من أدائها، فلا ترىٰ قاضيا لحوائج الناس ممتنعاً أو متأففاً من إعطاء الزكاة، وإنما يخرجها بيسر وبوجه بشوش؛ إذ قد عوده العمل الخيري علىٰ البذل والعطاء والكرم والجود والقناعة والرحمة، حتىٰ خلصت نفسه من الأنانية، وطهرت من الشح والبخل.

(١) التفسير القرآني للقرآن، ٧/ ١٩٤.

❁ ثالثاً: دور العمل الخيري في وقاية النفس من الانحراف الفكري والعقدي والسلوكي:

الفقر علة العلل؛ فما من مصيبة كائنة أو تكون إلا والفقر أساسها والأصل فيها، فلا يسرق السارق، ولا يقتل القاتل – غالبا – إلا لدفع غائلة الفقر، وإذا درت بنظرك يمينا وشمالا، وبحثت عن أسباب الانحرافات السلوكية والقلبية، لوجدت الفقر أساسها والداعي إليها، ومن ثم لا تستغرب استعاذة النبي – ﷺ – منه، والإكثار من الاستجارة بالله من ضره، حتىٰ قرنه بالكفر، فعَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»(١).

وقيام العمل الخيري بتأمين حاجات الإنسان الضرورية خير معين علىٰ مكافحة الجريمة، واجتثاث بذور التطرف الفكري والفساد الأخلاقي، وليس أدل علىٰ ذلك من قصة المتصدق الذي وقعت صدقته في يد من لا يستحقها في نظره ونظر المجتمع، فبين أرحم الخلق محمد – ﷺ – مدىٰ التأثير الإيجابي لتلك الصدقة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَىٰ زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ،

(١) مسند أحمد: ٢٤/ ٥٢ح ٢٠٤٠٩، صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٦٧ ح ٧٤٧، بَابُ التَّعَوُّذِ بَعْدَ السَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وقال الأعظمي: إسناده صحيح.

عَلَىٰ سَارِقٍ وَعَلَىٰ زَانِيَةٍ وَعَلَىٰ غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَىٰ سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ»[1].

والمجتمع الذي يعف أصحابه عن الفاحشة، ويتعاون أبناؤه علىٰ الخير، مجتمع تنتعش فيه النفس وتصفو، لذلك أوجب الله في الدين ما يحقق ذلك، فجعل للفقراء حقـًا في مال الأغنياء يأخذونه في حينه، قال – تعالىٰ – ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [المعارج:٢٤] حق يطالب الفقير به الغني كما يطالب بدين استحقه علىٰ غريمه، وليس فضلاً يتفضل به عليه، ويأخذه الفقير بمنة ومراآة... هذا الشكل الذي انتظمت به العلاقة بين الفقير والغني في الإسلام جدير بأن يقضي علىٰ بذور التطرف، ويحقق التوازن المنشود بين طبقتي المجتمع، ويضعف من الصراع القائم بينهما؛ فيسلم المجتمع من الأفكار الهدامة، ويُحمىٰ من السلوكات المنحرفة والنفوس المشوهة.

(١) صحيح البخاري: ٢/ ١١٠ ح ١٤٢١، كتاب الزكاة ، بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ عَلَىٰ غَنِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، وأخرجه مسلم، ٢ / ٧٠٩ ح ١٠٢٢، بَابُ ثُبُوتِ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا.

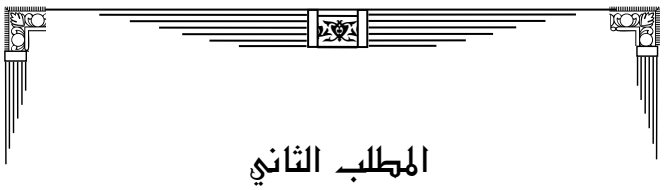

المطلب الثاني

دور العمل الخيري في إثراء القيم الإنسانية

لا تكاد تخلو جاهلية من الجاهليات القديمة أو المعاصرة من قيم إنسانية، يحرص أبناؤها علىٰ الاستفادة منها، ويتوارثونها جيلاً بعد جيل، والإسلام بواقعيته الملموسة وعقلانيته لم يهمل دروس السابقين لاختلاف المنهج وغلبة الأخطاء، وإنما أخذ محاسنهم وألقىٰ بمساوئهم، فحلف الفضول، الذي تم في الجاهلية، وكان هدفه مواساة الفقير ومناصرة المظلوم والإتيان بحقه، لم يكتف الإسلام بالإشادة به، وإنما جعل للفقير حقاً يؤخذ من خير مال القادر، وهو فرض يتعبد الغني بفعله، لا يخضع لهواه أو لمستوىٰ علاقته، قال - تعالىٰ -: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. فمهما يكن من عداوة أو إيذاء تسبب فيه الفقير، فليس للغني الحق أن يمنعه حقه، وإنما يدفعه إليه بكرامة، ودون أن يسأل الفقير أو يمد يداً، قال - تعالىٰ -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨]. فالإسهام الرئيس للإسلام ليس بناء وعي الإنسان بقيمة الزكاة، وإنما في صرف الزكاة صرفاً سليماً بتجفيف منابع الشبهات التي تقضي علىٰ منعها أو النقص منها، وبانشراح الصدر لها والإقبال عليها، وبتصور حصادها في الآخرة. هذه الهيئة، التي اختارها الإسلام وأقرها،

تساهم بشكل فعال في إثراء القيم الإنسانية، والتي تظهر ابتداء من مسمياته وانتهاء بمضامينه، حيث سماه الله – تعالىٰ – صدقة، قال – تعالىٰ –: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]؛ تعبيراً عن صدق باذلها، وإعلانـاً بعدم قبولها مالم يرجو من إخراجها سوىٰ وجهه – تعالىٰ –، وسماها زكاة قال – تعالىٰ –: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل:٢٠]؛ للتأكيد أنها سببٌ لنماء المال وصيانته، لا سببـاً لفساده ونقصه، وسماها إحسانا؛ ليتفق الشكل مع المضمون، قال – تعالىٰ –: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. فحتىٰ يكتمل الثواب لا بد وأن تكون من أحسن المال وأطيبه، وبالطريقة التي ترضي آخذها، فالإحسان وصف للهيئة التي تخرج بها الصدقة، يقال: "أحسن الشيء: أجاد صنعه، والإحسان ضد الإساءة "[(١)]. ثم سماها خيراً؛ باعتبار ما ينتج عنها، قال – تعالىٰ –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. فالصدقة متىٰ استوفت شروطها، وخرجت بالصورة التي أراد الله – تعالىٰ – أن تكون عليها؛ لا بد وأن ترجع بالنفع العام، وتحقق السعادة والتواصل بين المرء وإخوانه، "فالخير: هو الحسن لذاته، وما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة"[(٢)]. أما مضامينه، فكثيرة نذكر منها:

١- أنه يلطف من الحقد والحسد وكافة النوازع السيئة، ويقلل من آثارها المدمرة، فمهما حاول البعض من رصد فضائل للفقر، كحمله علىٰ التواضع

(١) المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، ص ١٥١.

(٢) المرجع السابق: ٢١٦.

وضعف المحاسبة، إلا أن القرآن الكريم قد حكم أنه بلاء، وأن الغنىٰ نعمة يمتن الله بها علىٰ عباده، قال - تعالىٰ -: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وقال - سبحانه -: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦].

ومنطوق الكلمة يعلن هذا بوضوح؛ حيث يدور معناها حول الكسر والنقص والاحتياج والعوز، "فَقُرَ الرجل ونحوه فَقْراً: كسر فقار ظهره، وافتَقَر إلىٰ الأمر: احتاج إليه "[1]، وحكماء العالم الحديث عندما حصروا أمهات الرّزايا ذكروا أنها الفقر والجهل والمرض، وإن كانت كلمة الفقر بمجردها تدل علىٰ الجهل والمرض، ويغني ذكرها عن التصريح بها، بخلاف ما تتضمنه من مساوئ أخرىٰ من الحسد والكذب والغيبة والنميمة والرياء واليأس والسرقة والقتل والذل والهوان، وصولاً للكفر ومخالفة الفطرة، فالفقر عامل رئيس في الوصول لكل ذلك، ولا ننكر أن تلك الصفات صفات بشرية توجد بنسب مختلفة في الخلق جميعاً؛ بحسب تكوينهم المادي والروحي الذي هو مناط التكليف، إلا أن الملتزم بشريعة الإسلام يمكنه تفادىٰ العديد منها، وعلىٰ أقل تقدير يعالج ما يحدث منها ويخفف من وطأتها؛ لأن الإسلام تفرد برسم المنهج الملائم لطبيعة الجسم والروح وواقع الحياة بلا تصادم، قال - تعالىٰ -:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. وقد أخبرنا ربنا - تبارك تعالىٰ - أنه خلق الناس طبقات، قال - تعالىٰ -: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٤٣، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢].

ويعلم أثر المال وفقده علىٰ كليهما، فالمال يمنح صاحبه عزة وكرامة وقوة، بخلاف الراحة وكثرة الأصحاب وتعظيم الناس، لكن يصاحبه شح وتقتير؛ خوف نفاده، أما قلته فإنها تثير العين وتهيج الحسد، وتنمي الغيبة والنميمة، وتدفع للكذب والنفاق والقتل والبغاء، إلا أن إيمان الغني بأن المال ليس خالصا له، وإنما هو مستخلف عليه، وإيمانه بأن لغيره حقًا فيه، وأن الإخلال بهذا الحق يعرضه للهلاك، وإيمان الفقير بأن ما يأخذه ملكًا مكتوبًا له، وليس في استرداده خجلاً أو فضلاً لأحد عليه؛ كل ذلك يجعل الغني حريصًا أن يرضىٰ عنه الفقير، وأن يقبل زكاته، ويجعل الفقير يأخذها بكل شموخ؛ لأنها إحدىٰ طرق الرزق الحلال التي كتبها الله له، هذا هو الشكل الوحيد الذي يجعل الود موصولاً بين الطرفين، فمن أين يأتي الحسد؟ وهو انفعال يشعر فيه الإنسان أن شخصًا آخر يمتلك شيئًا ما يتمنىٰ هو أن يمتلكه؛ حتىٰ يدفعه ذلك إلىٰ تمني وقوع الأذىٰ بالمحسود، كيف يتأتىٰ ذلك والفقير مؤمن بأن ما يحسده هو جزء من ماله؟ وكيف يظهر الرياء والنفاق والكذب، والفقير في قرارة نفسه وبحكم من دينه يطالب بملكه وليس بمعونة؟ ومن أين تتفشىٰ الجرائم، وتزكىٰ الفواحش، والغني يكفي الفقير ويسد رمقه، ويحافظ علىٰ حرمته؟ لا شك أن الإنفاق بهذا الشكل الذي وضعه الإسلام يلطف من الانفعالات السيئة، ويضعف من آثارها علىٰ السلوك، ويعالج ما ترسب بالنفس منها.

٢- يعلي قيمة العمل والإخلاص فيه؛ مما يدفع بعجلة التنمية إلىٰ الأمام، قال - تعالىٰ -: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾. أشار - تعالىٰ - بهذه الآية إلىٰ غريزة التملك والاقتناء، وهي من أقوىٰ الغرائز في الإنسان، وسبيل التملك في الإسلام، وإن تعدد، فإن العمل أشهر طرقه، والحافظ الأمين عليه، وطبيعي أن يعمل الإنسان بإخلاص فيما يملكه أو فيما له به شراكة، ويجتهد في الإبقاء عليه وتنميته.

ولما اقتضت حكمة الله - تعالىٰ - في تعمير الكون أن تختلف طبقات الناس، من غني إلىٰ فقير، قال - تعالىٰ -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]. فقد لزم ذلك بعض الحواجز النّفسية، التي تجعل أغلب العمال من الطبقات الفقيرة يهملون ولا يخلصون لصاحب العمل، خاصة إذا اتسم بالأنفة والجحود، إلا أن الإيمان بالقانون الذي وضعه الإسلام، والعمل به، يحول صفة الإهمال والتكاسل واللامبالاة إلىٰ العمل والجد والإخلاص، فالفقير متىٰ علم أن المال الذي بيد الغني له فيه شراكة، وأنه كلما زاد زادت حصته فيه، طابت نفسه، واستحالت نظرته من الغل والحسد إلىٰ الرضا والاطمئنان، وأصبح لزاما عليه مراعاة المال بإنمائه وحفظه من الهلاك.

هذا النظام هو الوحيد الذي من شأنه أن يحدث التوازن المطلوب بين طبقات المجتمع، وأن يحافظ عليه من التفكك والانفلات. ولقد أدرك المسلمون الأوائل قيمة هذا النظام، فما انتفع الإسلام بشخص بعد رسول الله - ﷺ - أفضل من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في صدقه وإيمانه ونفاذ بصيرته، قال - ﷺ

-: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، بل بشيء وقر في صدره»[1]. فقد كان – رضي الله عنه – أصلب الناس فيما أمر الله، وهو في غير ذلك أرفق الناس بالناس، أعلنها حربًا علىٰ من امتنعوا عن أداء الزكاة، لا لشيء إلا لارتباطها بنظام مجتمعي ينهار إذا ما انهارت. ولقد استمر الأمر كذلك، وسار الخلفاء علىٰ نهجه؛ حتىٰ آتت الزكاة أُكُلَها في عهد عمر بن عبدالعزيز؛ فزالت المسكنة، وذابت الفوارق، حتىٰ كان الغني يخرج بزكاته فلا يجد من يأخذها منه. إن فريضة الإنفاق في الإسلام هي وصفة المسلمين للتعافي واستعادة العزة، وإن روحانية الإسلام لن تتضح ما لم يوجد عمل اقتصادي عادل، تتشارك فيه طبقتا المجتمع، فتنصهر أسباب الفرقة والتمايز بينهم. وهذا ما تحققه قوانين الإنفاق؛ فللمال – وخاصة أموال الصدقات – استراتيجية محكمة في الإسلام، وأوجه صرف محددة تتسم بالمرونة، وتخضع للتغيير حسب مقتضيات الزمان والمكان وحالة الأفراد، فالزكاة ليست ممارسات شخصية بحتة، وإنما نظام اقتصادي متكامل، يؤثر عليه ويوجهه نحو الأفضل، ومن ثم فإن رؤية الإسلام للواقع المعاصر لا تقبل بفوضىٰ الزكاة، وحرية الأفراد في التصرف فيها، وإنما الأولىٰ عنده أن تجمع الصدقات من الأفراد والمؤسسات، ومجموعها سيمثل رقمًا صعبًا، يستطيع المعنيون من المسلمين بالاقتصاد استخدامه في إنشاء المشاريع الضخمة ذات الأولوية الإنسانية والحضارية، التي بها يتغير وجه الحياة.

٣- يشيع جو من الحب والرحمة بين أفراد المجتمع؛ مما يعود بالنفع العام

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٤/ ١٤٤ح ٤٨٢١، لمؤلفه: زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ط: المكتبة التجارية الكبرىٰ – مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥٦هـ.

علىٰ الإنسانية، والسؤال الذي يطرح نفسه علىٰ الساحة الآن: كيف تتضاعف أعداد الداخلين في الإسلام، والمفكرين والباحثين في شؤونه، رغم انكسار شوكة المسلمين وتفرقهم وهوانهم علىٰ القاصي والداني؟ والإجابة ترجع إلىٰ روح الدين وأخلاقياته؛ فهو في حقيقته رحمة ومحبة، رحمة كتبها الله علىٰ نفسه في الأزل للناس جميعا: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:٥٨]، وألزمها عبادة، وجعل نية الخير هي مؤشر الصلاح وقبول العمل، ومن اليقين أن الإنسان باستطاعته أن يعيش بلا تقنيات، بلا فضائيات، بلا طائرات، بلا مصاعد، بلا كهرباء، يستطيع أن يعيش بدائيا ، لكن لا يمكنه أن يعيش بلا أخلاق، بلا تضحية، بلا إخلاص، بلا ود، وبلا رحمة.. ويشتد احتياجه للحب والمودة وسعة الصدر كلما توغل في الحضارة، وأغرقت المادية تفاصيل حياته، وغشىٰ ضبابها حيزه الضيق، حتىٰ ضاقت روحه، وأصبح الود والإحسان منقذه، والإسلام أخص ما يميزه أنه أحيا الحرية والعدل، ونشر الرحمة والإحسان في كل ميدان من ميادين الحياة، نشرها مرتبطة بالمسؤولية: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، ليست مسؤولية واحدة بل ثلاث: (الوحي والضمير والمجتمع).

فالمؤمن – حقيقة – عليه رقابة من دينه وضميره ومجتمعه، فإذا أخطأته واحدة فلن تخطئه الأخرىٰ، وهذا يفسر الإخفاق الشديد في تطبيق العدالة الاجتماعية، وهو المصطلح الذي شاع مؤخراً علىٰ ألسنة المثقفين، وتردد علىٰ ألسنتهم في كل ناد، باعتبارها الحل الأمثل لمشكلة الفقر، وما يترتب عليها من مشكلات، فعلىٰ الرغم من وجاهة الفكر وسلامة المنطق، إلا أن المشكلة قائمة، بل وتتفاقم يومـًا بعد يوم؛ لأن حلولهم لها حلول منسلخة عن الروحانية، بعيدة عن الأخلاق، فالفقر عندهم يعطل المسيرة الحضارية. أما الإسلام، فيعتبرها

مشكلة تؤرق الإنسانية، وشتان بين الفكرين وما ينبثق عنهما من حلول، فلا يكفي في الإسلام – مثلا – أن تظهر الود للضعيف، وتولي بمالك عنه، أو تتحدث في كل ساحة معبراً عن آلامهم، أو تعقد المؤتمرات لعرض مشاكلهم، أو تسود الصفحات تعبيراً عن معاناتهم، لكن لا بد أن تتألم لحاجتهم، وتجاهد يدك بعطائهم، ولسانك بالمعروف إليهم، وقلبك بالرحمة بهم، وهذا يفسر عدم التزام المسلم بإخراج ربع العشر عند الأزمات، بل يزيد عليها وقت الضرورة وانتشار الفقر. هذه هي حلول الإسلام، وهي في مجملها الأخلاق التي دعا لالتزامها، والتحلي بها، حتىٰ مع الأعداء، يقول – تعالىٰ – مبيناً أثر التعامل بالحسنىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، فالإحسان من شأنه تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وإحلال روح المحبة والود بدلا من التباغض والحقد والحسد، ومنح الأفراد والجماعات السعادة والأمن والاستقرار، وهي مطالب حياتية، ونحو هذه الآية قوله – سبحانه –: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، فمقابلة السيئة بالحسنة تكسر شر النفوس المليئة بالحقد والكراهية، وتقلب العداوة والبغضاء إلىٰ محبة ووئام؛ مما يزيد في إثراء القيم الإنسانية. ويبين ابن القَيِّم أن المعاملة بالإحسان تنتهي إلىٰ أمرين كلاهما حسن، فيقول: "وكلما ازداد الإنسان أذىٰ وشراً وحسداً، وازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة؛ فهو في أحد حالين: فإما أن ينطوي تحت جناحك وتستعبده بإحسانك، وإما أن يقتل نفسه كمداً وحقداً، ويكون لك عليه من الله ظهير"(١).

(١) دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، ص٣٢٨، الملاحي، عبد الرحمن بن يوسف بن عيسىٰ، ط: دار عالم الكتب – الرياض، ١٩٩٣.

علىٰ العكس، فإن الأخلاق السيئة من شأنها زلزلة كيان الأفراد، وإضعاف العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، وسلبهم السعادة والاستقرار، وكسبهم - بدلاً منها - التناحر والاضطرابات والأمراض، حتىٰ تنتهي الأمر بتقويض المجتمع وانهياره.

ولقد أكد القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موضع، قال - تعالىٰ -: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

فالباحث في تاريخ الحضارات، والدارس لطبيعتها وسنن قيامها وازدهارها، يتبين له أن جوهر الحضارة الأخلاق، وأن انسلاخ الحضارة عن المبدأ الأخلاقي سبب حتفها"[1].

(١) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص ١٩٧، ١٩٨، لمحمد هيشور، ط: دار الوفاء، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

المبحث الثاني

"دور العمل الخيري في الإصلاح التربوي"

يعد العمل الخيري حلقة من حلقات تربية النفس وتزكيتها؛ فهو يبعث روح الألفة والإحساس بالانتماء للمجتمع، ويجلب السعادة للآخرين بإخراج الزكاة والصدقات وفضائل الأموال. "ومنهج التربية والتزكية يقوم علىٰ الواقعية والعملية، لا علىٰ السلبية أو المثالية؛ فهو منهج التسديد والمقاربة، والقصد في الأمر كله، ومراعاة أحوال المكلفين، وتحقيق الملاءمة والمواءمة بين طبيعة هذا الدين وطبيعة المكلفين، فتكليف المندوبات والنوافل بحسب الوسع والطاقة، وأحب العمل أدومه وإن قل، والمؤمن يقول قليلا ويعمل كثيرًا. ومن الواقعية إدراك أن تفاوت القدرات إنما هو بسبب تنوع المواهب، واختلاف الاستعدادات؛ ذلك أن الله قسم الأعمال والأخلاق كما قسم الأموال والأرزاق، وعلىٰ كل أن يرضىٰ بما فتح له فيه، وأفضل الأعمال بعد الفرائض يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، ومن الناس من فتح له في كل باب، وضرب له في كل خير بسهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[(١)].

وينبثق العمل الخيري من عقيدة إيمانية راسخة، فالدين الإسلامي الحنيف سبق جميع المبادئ الوضعية في الدعوة للعمل التطوعي والخيري، وحث القرآن

(١) طريق الهداية: مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ٩١: ٩٢، المؤلف: محمد يسري، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الكريم والسنة والنبوية المطهرة علىٰ العمل التطوعي وتشجيع الأعمال الخيرية، فحث علىٰ التكافل، والتعاون، والتضامن، والصدقة، والزكاة والإحسان، والقرض الحسن، والإنفاق في سبيل الله، قال الشيخ الشعراوي - رحمه الله -: "وإن كان للواحد منا طاقة علىٰ العمل الخيري؛ فليعمل من خلال الدين الإسلامي. وليعلم كل إنسان أن الدين طلب منا أن تكون كل حياتنا للخير... إننا مكلفون بنسبة الخير الذي نقوم به إلىٰ ديننا؛ لأن ديننا أمرنا به وحثنا عليه، وليعلم كل مسلم أنه ليس فقيراً إلىٰ القيم حتىٰ يتسولها من الخارج، بل في دين الإسلام ما يغنينا جميعـًا عن كل هؤلاء. ولنقرأ قول الحق - سبحانه و تعالىٰ -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣][1].

ودور العمل الخيري في الإصلاح التربوي يرتكز علىٰ قيم التدرج في عملية التغيير، الذي تميزت به الأسس القويمة التي جاء بها القرآن الكريم، ينشئ واقعـًا جديداً، ويجعل النقلة من ظلمات الجهل إلىٰ نور الهداية أمراً محققـًا، لترتقي الأمة الإسلامية من الحضيض إلىٰ العلو والرفعة المنشودة التي رسم معالمها المنهج القرآني، وملاءمة توجيه المنهج القرآني للنفس الإنسانية من جهة، ومرونة هذا المنهج في أساليبه، وثباته في أسسه من جهة أخرىٰ، لتحقيق عملية التغيير، بذلك تبلغ الإنسانية أرقىٰ درجات السمو والكمال الإنساني، المتمثل في اتباع المنهج، "فالتربية الإيمانية أساس كل تغيير، ولا بد من تطبيقها، وليس لدينا خيار في هذا الأمر، لا بد من العودة العميقة، والمعايشة الحية مع إخوة الإيمان.. إن هذه التجربة، صنعت المعجزات، صنعت الجيل الأول، الذي تخلص من جاهلية جائرة، واستعلىٰ علىٰ ضغوط المجتمع وأعراف الآباء والأجداد.. ما أجدر الدعاة

(١) خواطر الشيخ الشعراوي، ٥/ ٢٩٠٨، ط أخبار اليوم، والآية من سورة فصلت: ٣٣.

اليوم أن يهتموا بتربية مدينة الرسول الله - ﷺ -، وأن يعلموا ثقل المسؤولية، وعظم الأمانة في هذا العصر. إن مسلم اليوم مهمته خطيرة؛ لأنه لا يطلب منه أن يكون مجرد مسلم عادي، إنما يطلب منه أن يكون نموذجًا يحتذىٰ، يلزمه تدريب من نوع خاص، يتعود فيه علىٰ التخفف من جواذب الأرض. والمطلوب لدور البناء والتأسيس: أن يكون المسلم علىٰ الدرجة العليا من الإيمان، المطلوب نماذج فائقة من البشر، تستطيع أن تتجرد لله، وأن تحتمل المشقة في سبيل الله"[(١)].

ودور العمل الخيري في الإصلاح التربوي يرتكز علىٰ قيم الاحترام والتعاون والتسامح، وجلب المنافع ودرء المفاسد، والالتزام بوسائل التربية الإيمانية، كما أمر ربنا وأوجب، قال - تعالىٰ -:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

يقول العز بن عبدالسلام: "هذه أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِلْحَثِّ عَلَىٰ الْمَصَالِحِ كُلِّهَا، وَالزَّجْرِ عَنْ الْمَفَاسِدِ بِأَسْرِهَا، فَإِنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِلْعُمُومِ وَالِاسْتِغْرَاقِ، فَلَا يَبْقَىٰ مِنْ دَقِّ الْعَدْلِ وَجُلِّهِ شَيْءٌ إلَّا انْدَرَجَ فِي أمره بالعدل، وَلَا يَبْقَىٰ مِنْ دَقِّ الْإِحْسَانِ وَجُلِّهِ شَيْءٌ إلَّا انْدَرَجَ فِي أَمْرِهِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْعَدْلِ هُوَ التَّسْوِيَةُ وَالْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: إمَّا جَلْبُ مَصْلَحَةٍ أَوْ دَفْعُ مَفْسَدَةٍ"[(٢)].

إن توجيه الأنظار إلىٰ أهمية توجيهات المسيرة القرآنية في مواجهة التحديات

---

(١) منهج التربية الإسلامية، ٢ / ٦٥، ٦٧.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢/ ١٩٠، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، (المتوفىٰ: ٦٦٠هـ): الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

الإنسانية، والإشارة إلىٰ بعض الأسرار في آيات القرآن الكريم، لها واضح التأثير في النفس الإنسانية عامة، وفي النفس الإنسانية المستجيبة لمنهج الله علىٰ وجه الخصوص. وهذا ما سوف نوضحه من خلال مطلبي هذا المبحث:

المطلب الأول: دور التربية الإيمانية في غرس قيم الإنفاق.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي.

المطلب الأول

دور التربية الإيمانية في غرس قيم الإنفاق

لقد كانت تربية الله لمجتمع الصحابة بكلامه، وبإرشاد رسوله - ﷺ - شاملة لجميع مناحي الحياة، في حالات السلم وحالات الحرب، فقد مروا باختبارات عملية تصهرهم بتجارب قاسية؛ لتخلق منهم الرجال الأشداء الأقوياء، الذين لا يهابون شيئًا إلّا الله، وجعل الله منهم رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات، من طبقة عالية في الصدق والأمانة ودماثة الخلق؛ فصاروا أمةً من أرقىٰ الأمم، لم يأت مثلهم في أمة سابقة، ولن يأتي مثلهم في أمة لاحقة، فكانوا بحقٍّ خير أمة أُخْرِجَتْ للناس"[1].

ودور التربية الإيمانية في غرس قيم الإنفاق يتحقق بتحقيق جملة من الأعمال الخيرية، وتتمثل في:

❁ أولا: البذل والعطاء:

البذل والعطاء: فريضة شرعية، وتربية إيمانية، حث عليها القرآن في كثير من آياته، قال - تعالىٰ -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

(١) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ٧٢ المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣]، قال السعدي: "﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ وهي الزكاة المفروضة، ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم... ففي هذه الآية، دلالة علىٰ وجوب الزكاة، في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمىٰ ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسىٰ منها الفقراء، بأداء ما أوجب اللّه فيها من الزكاة....وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكىٰ حتىٰ يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوىٰ أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف علىٰ إخراجها"[1].

فالآية الكريمة فيها دعوة لتطهير النفس وتزكيتها من خلال فريضة الزكاة. وقال – تعالىٰ – في آية أخرىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٩٢]، فقوله ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ [آل عمران:٩٢] وافتتاح الكلام ببيان بعض وسائل البرّ إيذَان بأنّ شرائع الإسلام تدور علىٰ مِحْور البرّ، وأنّ البرّ معنىٰ نفساني عظيم، لا يخرِم حقيقته إلاّ ما يفضي إلىٰ نقض أصل من أصول الاستقامة النَّفسانيّة. فالمقصود من هذه الآيَة أمران: أوّلهما: التَّحريض علىٰ الإنفاق، والتّنويه بأنّه من البرّ؛ وثانيهما: التنويه بالبرّ الَّذِي الإنفاق خصلة من خصاله.... والبرّ كمال الخير وشموله في نوعه: إذ الخير قد يعظم بالكيفية، وبالكميّة، وبهما معـًا، فبذل النَّفس في نصر الدّين يعظم بالكيفية في ملاقاة العدوّ الكثير بالعدد القليل، وكذلك إنقاذ الغريق في حالة هوْل البحر، ولا يتصوّر في مثل ذلك تعدّد، وإطعام الجائع يعظم بالتعدّد، والإنفاق يعظم بالأمرين جميعـًا،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣٥٠، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

والجزاء علىٰ فعل الخير إذا بلغ كمال الجزاء وشموله كان برّاً أيضـاً.... والمال المحبوب يختلف باختلاف أحوال المتصدّقين، ورغباتهم، وسعة ثرواتهم، والإنفاقُ منه - أي التّصدق - دليل علىٰ سخاءٍ لوجه الله - تعالىٰ -، وفي ذلك تزكية للنّفس من بقية ما فيها من الشحّ، قال - تعالىٰ -: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وفي ذلك صلاح عظيم للأمّة؛ إذ تجود أغنيَاؤها علىٰ فقرائها بما تطمح إليه نفوسهم من نفائس الأموال؛ فتشتدّ بذلك أواصر الأخوّة، ويهنأ عيش الجميع"[(١)]. فالعبد لا يحصل علىٰ أعلىٰ درجات البر وكمال الخير وشموله إلا بإنفاق نفائس أموالهم، وبالتربية الإيمانية يكون البذل ويكون العطاء، قال - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج:١٩-٢٥]، "فهؤلاء بفضل التربية الدينية التي هذبت نفوسهم، ووصلت بالله أرواحهم؛ يجودون بالنفس والمال، ولا يتأخرون عن وجوه البر بأي حال"[(٢)].

وقال - تعالىٰ - مرغبا عباده المؤمنين في البذل والعطاء: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

وهذا يعد تأسيسـاً للقلوب، وترغيبـاً للنفوس في البذل والعطاء، حيث شبه - سبحانه - ما يعطىٰ للمحتاج رغبة في الثواب بالقرض الذي سيكافئ الله - تعالىٰ -

(١) التحرير والتنوير: ٤/ ٥: ٦.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، ٣ / ٤١٩، المؤلف: محمد المكي الناصري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م.

صاحبه عليه بأضعافه من الخير والنعم"[1]. كما يجب علىٰ الغني أن يراعي شعور الفقير، فلا يعطيه الصدقة مشفوعة بمَنٍّ أو أذىٰ. ولقد حذر الحق – سبحانه – طائفة المؤمنين المحسنين من أن يفسدوا صنيعهم، ويحبطوا عملهم، بالمَنِّ والأذىٰ إذا أنفقوا وأحسنوا، فقال – تعالىٰ – تهذيبا لهم وتعليما: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢]. "والحكمة في ذلك أن المؤمن مهما كان فقيراً محتاجـًا، فإن حرمته عند الله عظيمة لا يسوغ امتهانها، وكرامته مصونة لا ينبغي انتهاكها، بل يجب علىٰ المسلم الموسر أن يصون ماء وجه أخيه المسلم المعسر، وأن يعامله معاملة كريمة لا تجرح عاطفته، ولا تؤذي شعوره، فذلك هو الإحسان علىٰ وجهه الشامل، والأدب الإسلامي الكامل." [2] وبذل المال وإنفاقه إحدىٰ دعائم المجتمعات الإسلامية المتماسكة؛ لذا حث عليه القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله – سبحانه -: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧]، "فالبذل والتضحية أول الدعائم في حياة الأمم، وأساس نجاح الدعوات، والإنفاق في سبيل الله للقيام بأعباء الأمة وما تتطلبه حياتها فريضة فرضها الإسلام، الذي هو النظام الإلهي والدستور السماوي، وهو حين يعالج مشكلة، يوقظ أولا الضمير، ويحيي الروح الديني، ويربط علاجه بالإيمان ورضا الله ورسوله. وكان الإسلام في مستهل حياته

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤/ ٨١، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم،١/ ١٧٢ المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولىٰ.

- ولا زال كذلك - في أشد الحاجة إلىٰ البذل والتضحية والإنفاق؛ ليسد حاجة المحتاج، ويلم شعث الدولة، ويدعم أركان الجيش"[1].

خلاصة ما سبق: أن البذل والعطاء دعوة قرآنية وتربية إيمانية، يعود أثره وثمرته علىٰ المجتمع المسلم، وتغدو روح المحبة والإيثار عالية، فتشتد أواصر الأخوة، ويهنأ عيش الجميع.

❁ ثانياً: الإيثار:

لقد كان للتربية الإيمانية أثرها الطيب في إعلاء قيمة الإيثار، وتعزيز جانب الروابط الإيمانية والمحبة والعطاء بين المسلمين عامة، وبين المهاجرين والأنصار خاصة، حيث قدم الأنصار لإخوانهم المهاجرين نموذجًا فريداً في المحبة والإيثار، وآثروهم علىٰ أنفسهم حبًا لا بغضًا، وطواعية لا كراهية، فكان ما فعله الأنصار مع إخوانهم المهاجرين نموذجًا إيمانيًا يحتذىٰ به إلىٰ قيام الساعة، فهناك فارق بين التربية الإيمانية و عادات الجاهلية والكفر، فقد عرض لنا القرآن الكريم صورة قوم آثروا فضل الله - تعالىٰ - ورضوانه علىٰ أموالهم وديارهم حين أخرجوا منها، وسلبوا حقهم، وآخرين جعلوا أموالهم وديارهم حقًا مشتركًا بينهم وبين إخوتهم في العقيدة، ثم صورة جيل آت بعدهم يترضىٰ عنهم ويستغفر الله - تعالىٰ - لنفسه ولهم، وهذه هي روابط الإيمان في أعلىٰ صورها، قال - تعالىٰ -: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

(١) التفسير الواضح: ٣/ ٦١٢، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة -١٤١٣ هـ.

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، يقول العلامة ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "يقول - تعالىٰ - مادحًا للأنصار، ومبينًا فضلهم، وشرفهم، وكرمهم، وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، ثم يقول - تعالىٰ -: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم، وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم"(١).

عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَىٰ الوَلِيدِ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ - ﷺ - الأَنْصَارَ إِلَىٰ أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ البَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِمَّا لاَ، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ»(٢). ومع العطاء يكون الصفاء والنقاء، وخلو القلوب من الحسد والضغينة، قال - تعالىٰ -: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر:٩] أي: لا يحسدون المهاجرين علىٰ ما آتاهم الله من فضله، وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل علىٰ سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها"(٣). فالإيثار أعلىٰ درجات الجود والكرم، ولا يكون إلا ممن عَمرَ الإيمان قلبه، وتُوجت نفسه بالمحبة والعطاء؛ فبذل ما عنده من مال مع شدة حاجته إليه، قال - تعالىٰ -: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ٨/ ٩٨ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٩ ه..

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٣٣ ح ٣٧٩٤، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِلْأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ»، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

(٣) تفسير السعدي: ٨٥٠.

خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]. يقول الواحدي في سبب نزول هذه الآية: "عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أتىٰ رجل رسولَ الله – ﷺ – فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسَلَ إلىٰ نسائه، فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النبي – ﷺ –: «ألا رجل يضيف هذا الليلةَ رحمه الله؟». فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فذهب إلىٰ أهله، فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله – ﷺ – لا تدخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم، وتعالَيْ فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلتْ، ثم غدا الرجل علىٰ رسول الله – ﷺ – فقال: لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة، وأنزل الله – تعالىٰ –: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩][(١)].

وتلك صنيعة الإيمان، وتربية خير الأنام محمد – ﷺ –، فالتربية الإيمانية تضيء القلب، وتنير الفؤاد، وبهذا الضوء يجعل المؤمن يحس بآلام الآخرين وحاجاتهم. لقد اشتعلت شعلة الإيمان الصادق في قلب الرجل الأنصاري وزوجته، فآثرا ضيف رسول الله علىٰ نفسيهما، وعلىٰ أولادهما، وأطعما ضيف رسول الله – ﷺ –، وناما هما وأطفالهما جوعىٰ، فعجب الحق – تبارك و تعالىٰ – من صنيعهما؛ فأنزل الله فيهما قرآنًا يتلىٰ إلىٰ قيام الساعة. قال السعدي: "ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها علىٰ من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله – تعالىٰ – مقدمة علىٰ محبة شهوات النفس ولذاتها،... والإيثار عكس

(١) أساب النزول للواحدي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل،٦٦٠، ط: دار الميمان، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ٦/ ١٤٨، ح ٤٨٨٩، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

الأَثَرة، فالإيثار محمود، والأَثَرة مذمومة؛ لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]. ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه؛ سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهىٰ الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه وتطّلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان، هما: الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين"[1]. خلاصة ما سبق: أن المنهج التربوي الفريد، الذي وضعه نبي الإسلام - ﷺ - حين آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، فتعانقت قلوبهم علىٰ الصفاء والمودة، وتضافرت الجهود علىٰ عمارة هذه الدنيا، بالعمل الصالح الذي تتحرك به الحياة، لتصل الدنيا بالآخرة، وتحقق البشرية غايتها في هذا الوجود، وإذا ما استقر هذا الصفاء في الوجدان؛ فاض علىٰ الوجوه بِشْراً وأنساً، وعلىٰ الجوارح استقامة وهدىٰ، ويرقىٰ به الإنسان من درجة حب الخير للغير إلىٰ درجة الإيثار، التي يجود بمقتضاها بالإحسان لكل إنسان، دون انتظار لجزاء إلا من الله، ولقد تجلىٰ ذلك جلياً فيما كان بين المهاجرين والأنصار ومن نهج نهجهم واتبع طريقهم إلىٰ قيام الساعة.

(١) تفسير السعدي: ٨٥٠.

❁ ثالثا: التكافل الاجتماعي:

يعتبر العمل الخيري تجسيداً عملياً لفكرة التكافل الاجتماعي، باعتباره يمثل مجموعة من الأعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الأشخاص الذين يتحسسون آلام الناس وحاجاتهم؛ الأمر الذي يدفعهم لتقديم التبرع بجهودهم وأوقاتهم وأموالهم لخدمة هؤلاء الناس؛ بهدف تحقيق الخير والمنفعة لهم. والقرآن الكريم رسم أسس التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية، عن طريق مشروعية الزكاة، ووجوب أدائها لمستحقيها؛ لما فيها من تحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس، وإسعاد الفرد والجماعة، وإشاعة المودة والهناءة للجميع، "فالزّكاة – التي هي أشرف الأفعال المتعلّقة بالمخلوقين – تؤدّي إلىٰ تحقيق التّكافل الاجتماعي في الإسلام، وتساهم في حلّ مشكلة الفقر، ونفع الفقراء؛ ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزّكاة"[(١)]. فصلاح المجتمع وتقدمه، وترابطه وتماسك بنيانه، قائم علىٰ أداء هذه الفريضة، يقول صاحب المنار: "ثُمَّ إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَبْذُلُ أَغْنِيَاؤُهَا الْمَالَ، وَتَقُومُ بِفَرِيضَةِ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، فَيَكْفُلُ غَنِيُّهَا فَقِيرَهَا، وَيَحْمِي قَوِيُّهَا ضَعِيفَهَا؛ تَتَّسِعُ دَائِرَةُ مَصَالِحِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَتَكْثُرُ مَرَافِقُهَا وَتَتَوَفَّرُ سَعَادَتُهَا، وَتَدُومُ عَلَىٰ أَفْرَادِهَا النِّعْمَةُ، مَا اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الْبَذْلِ وَالتَّعَاوُنِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ بِذَلِكَ مُسْتَحِقِّينَ لِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِيهَا. وَأَقُولُ: لَوْ سِرْنَا فِي الْأَرْضِ، وَسَبَرْنَا أَحْوَالَ الْأُمَمِ الْحَاضِرَةِ، وَعَرَفْنَا تَارِيخَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ؛ لَرَأَيْنَا كَيْفَ مَاتَتِ الْأُمَمُ الَّتِي قَصَّرَتْ فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ أَوِ اسْتُعْبِدَتْ، وَكَيْفَ عَزَّتِ الْأُمَمُ الَّتِي شَمَّرَتْ فِيهَا وَسَعِدَتْ، وَهَذِهِ

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٠/ ١٠٨ المؤلف: د وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

الْمُضَاعَفَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ تَكُونُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَقَامَتْ هَذِهِ السُّنَّةَ الْإِلَهِيَّةَ فِي حِفْظِ بَيْضَتِهَا، وَإِعْزَازِ سُلْطَانِهَا، سَوَاءٌ أَكَانَ الْمُنْفِقُونَ فِيهَا يَبْتَغُونَ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ - تعالىٰ - أَمْ لَا، وَإِنَّهَا لَمُضَاعَفَةٌ كَثِيرَةٌ لَا يُمْكِنُ تَحْدِيدُهَا، فَمَا أَجْهَلَ الْأُمَمَ الْغَافِلَةَ عَنْهَا وَعَنْ حَالِ أَهْلِهَا، إِذْ يَرَوْنَ أَهْلَهَا قَدْ وَرِثُوا الْأَرْضَ وَسَادُوا الشُّعُوبَ؛ فَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ كَانُوا مِثْلَهُمْ، وَلَا يَدْرُونَ كَيْفَ يَكُونُ كَذَلِكَ!"[1].

فلا يحيا مجتمع من المجتمعات إلا بالتكافل والتعاون فيما بينهم علىٰ البر والتقوىٰ، قال الشيخ الشعراوي: "وهذا نوع من التكافل الاجتماعي لا بد أن يكون موجودا في المجتمع، حتىٰ يتكافل المجتمع كله، فأنت إن كنت فقيرا أو مسكينا، ويأتيك من رجل غني ما يعينك علىٰ حياتك؛ فإنك ستتمنىٰ له الخير؛ لأن هذا الخير يصيبك، ولكن إذا كان هذا الغني لا يعطيك شيئا، هو يزداد غنىٰ وأنت تزداد فقرا؛ تكون النتيجة أن حقده يزداد عليك"[2]. وقال - رحمه الله - عند قوله - سبحانه -: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] يُهادي أقرباءه ويهادونه. والحق - سبحانه و تعالىٰ - يريد أن يُشيعَ في المجتمع روح التكافل الاجتماعي"[3]. ولو تقاعس مجتمع من المجتمعات عن أداء هذه الفريضة كما أمر ربنا وأوجب؛ كان شراً ووبالاً علىٰ المجتمع بأسره، وفتنة عارمة لا يسلم منها أحد، فالبخل والشح داء مدمر للأمة، ومعوق نهضتها،

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ٢/ ٢٧٠ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

(٢) الشعراوي ١/ ٤٣١. (وربما الأصوب ليناسب السياق أن تكون العبارة "..أن حقدك يزداد عليه").

(٣) الشعراوي، ١٤ / ٨٤٧١.

ومقوض بنية عزتها وكرامتها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران:١٨٠]، "أي: لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم، بل هو شر لهم؛ لأنهم ببخلهم يعرّضون أموالهم للضياع والتلف والسرقة وغيرها، ويضرون أمتهم لتقصيرهم بما يجب عليهم من التكافل الاجتماعي والتعاون للقضاء علىٰ ظاهرة الفقر، والفقر يضر بالأمة جمعاء، وحياة الأمم متوقفة علىٰ بذل النفس والمال"(١).

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله - ﷺ - قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»(٢). ويفهم من الحديث الشريف أن الشح سبب لهلاك الأمم السابقة، وبمنع الزكاة يكون الشح، ويزداد الفقر في طبقات المجتمع؛ فيحقد الفقير علىٰ الغني، وتنتشر الجرائم كالسرقة والحرابة والمتاجرة بالأعضاء البشرية، ويتحول المجتمع إلىٰ غابة؛ فلا يأمن الرجل علىٰ بيته وماله وولده، وتفادياً لتلك المرحلة؛ يجب التكاتف بين أفراد المجتمع؛ حتىٰ يتسنىٰ لهم العيش في أمن وأمان، وينعم الجميع تحت مظلة الترابط والتعاون علىٰ فعل الخير وبذل ما في الطاقة والوسع، وإن كان قليلا؛ "فبذل القليل من الأفراد والجماعات إذا اجتمع صار كثيرًا، ومن ثم كانت الأمم الراقية تقيم مشروعاتها النافعة للأمة في الزراعة، والصناعة، أو في بناء الملاجئ والمستشفيات، بالتبرعات القليلة التي تؤخذ من أفرادها، وبذا تقدمت في سائر فنون المدنية،

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٤/ ١٨٣.

(٢) صحيح مسلم، ٤/ ١٩٩٦ ح٢٥٧٨، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والحضارة. ولذا؛ حث الله – تعالىٰ – علىٰ بذل الخير، ولو قليلًا، بقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧][(١)].

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض بلاد المسلمين تمر بأزمات اقتصادية طاحنة، وانتشر الفقر بين طوائف الناس في تلك الشعوب؛ وهذا يستوجب علىٰ القائمين علىٰ تلك البلاد أن يجدوا حلاً ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلا، وذلك بتفعيل التكافل الاجتماعي؛ تأسياً بالحبيب المصطفىٰ – ﷺ –، فقد حرص علىٰ توفير الماء المملوك للدولة الإسلامية، فالماء سلعة إستراتيجية، ولن تقوم دولة بلا ماء، "فعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، وَقَالَ: فَإِذَا عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَنَا كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ عُثْمَانُ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: «مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ»، فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا وَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُهَا بِكَذَا، قَالَ: «اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَجرُهَا لَكَ». قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ"[(٢)].

كانت بئر رومة ملكًا ليهود، فابتاعها عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، ثم ذهب إلىٰ رسول الله – ﷺ – وقال له: (يا رسول الله، ابتعتها بكذا وكذا، فقال – ﷺ –: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك، فقال: اللهم نعم). إن عثمان بن عفان – رضي الله عنه وأرضاه – اقتصادي إسلامي كبير، وجه جهده كله لشراء ما

(١) تفسير المراغي ٤/ ٧٠ ـ المؤلف: أحمد بن مصطفىٰ المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولىٰ.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ٤/ ١١٩ ح ٢٤٨٧، جُمَّاعُ أَبْوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالْمُحْبَسَاتِ، بَابُ إِبَاحَةِ حَبْسِ آبَارِ الْمِيَاهِ – قال الأعظمي: إسناده حسن لغيره، ط: المكتب الإسلامي – بيروت.

ينفع الأمة ويفيدها، بدلاً من التجارة في شيء من الرفاهيات أو الكماليات، وهذا كان بتوجيه من الرسول - عليه الصلاة والسلام -، يوجهه لشراء السلع الإستراتيجية، ومن هذه السلع الإستراتيجية الماء. إنها التربية الإيمانية في بناء الأمة الإسلامية، فالرسول - ﷺ - لا يملك شيئًا دنيويًا يعوض به عثمان بن عفان عن الماء الذي اشتراه، ولا يتوقع أن يشتري المسلمون منه ذلك الماء؛ لأنهم فقراء، لذلك فإنه حفزه بما في الآخرة، قال له: «من يبتاع بئر رومة ويغفر الله له»، وفي رواية «وله الجنة»، ولو لم يكن إيمان عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه - يقينيًا في الله - عز وجل - وفي رسوله الكريم - ﷺ - وفي الجنة والنار؛ لما هان عليه أن يدفع آلاف الدراهم دون عائد دنيوي، ولم يكن لهذه المشكلة أبداً أن تحل دون تطوع من اقتصادي مسلم غني يرغب في ثواب الآخرة؛ لأن بيت مال المسلمين لم يكن فيه مال. وما أحوجنا في هذه الأيام العصيبة في مجتمعاتنا إلىٰ هذه الفضيلة (التكافل الاجتماعي)، الذي هو شعبة من شعب الإيمان، فقد عز وجوده في مجتمعاتنا، وعشرات، بل مئات، بل آلاف الأسر المسلمة ينامون جوعىٰ، وجيرانهم ينامون متخمين بالطعام والشراب. ألا ما أحوجنا إلىٰ التكافل والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ لنقيم مجتمعًا قويًا متماسكًا، يسوده الحب والإخلاص، مقتدين بسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين؛ فرضي الله عن عثمان، وعن الصحابة الذين تربوا في مدرسة النبوة؛ فكانوا منارة للإسلام والمسلمين، ولقد سطر التاريخ سير العظماء بحروف من نور، ومعين الأمة المسلمة في هذا الجانب لا ينضب أبداً؛ فالخير في أمة الإسلام إلىٰ قيام الساعة.

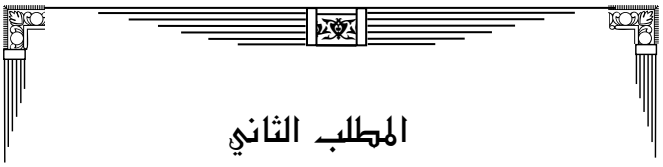

المطلب الثاني

أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي

يعد المنهج القرآني دعوة متكاملة لإصلاح الفرد وتعديل سلوكه، واتجاهاته وأفكاره ومعتقداته، بل ونظرته للحياة، ويلمس هذا الهدف في كل آية من آيات القرآن الكريم؛ حيث غير القرآن الكريم سلوك الوثنية إلىٰ التوحيد، ومن الكفر إلىٰ الإيمان، ومن الظلم والطغيان إلىٰ الطاعة والالتزام، والمنهج الرباني استطاع أن يعدل كثيراً من العادات والتصرفات السيئة، التي كانت منتشرة قبل بزوغ فجر الإسلام، وقبل بعثة النبي - ﷺ -، من شرب الخمور، والربا، وغيرها من العادات السيئة. وفي وقتنا الحالي ازدادت الحاجة لأساليب لتعديل السلوك تتناسب وواقع المجتمع الإسلامي، وتتوافق مع هويتنا الدينية والثقافية، ولا شك أن القيام بتعديل السلوك الإنساني يعود بالنفع علىٰ سلوك الفرد، وفيه صلاح المجتمع؛ لذا يحتاج المربي إلىٰ جهد عظيم؛ لأنه يتعامل مع فئات كثيرة من الأشخاص تختلف ميولهم وصفاتهم وقدراتهم واتجاهاتهم. وفي وقتنا الحاضر ازدادت أهمية تفعيل أساليب تعديل السلوك، خاصة المستنبطة من المنهج القرآني وديننا الحنيف، والعمل الخيري له دور بارز في تقويم الانحرافات السلوكية عن طريق المنهج القرآني، الذي يعد دعوة متكاملة للإصلاح التربوي، فأهم مفاهيم تعديل السلوك في التربية الإسلامية هي: تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، كما أن التربية الإسلامية راعت عند تعديل السلوك الإنساني الجانبين المادي والروحي، ومن أهم وسائل تقويم الانحرافات السلوكية وتعديل السلوك يكون من خلال:

التربية بالوعظ والنصيحة، التربية بالعادة، التربية بالعقوبة، وذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

❁ أولاً: التربية بالوعظ والنصيحة:

التربية بالوعظ والنصيحة منهج قرآني، وتربية إيمانية من لدن حكيم خبير؛ قال – تعالىٰ –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، "فالموعظة هي نوع من التربية جاءت من ربكم المأمون عليكم؛ لأنه هو الذي خَلَق من عَدَم، وأمَدّ من عُدْم، ولم يختص بنعمة الربوبية المؤمنين فقط، بل شملت نعمته كل الخلق"(١). وقال – سبحانه –: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، "وإن كتابًا هذا شأنه، يجب أن يُقْبِل كل إنسان علىٰ تدبر ما فيه وفهم مراميه؛ لأنه دائمًا يهدي للتي هي أقوم، فهو يضم كل أصول التربية"(٢). والعمل الخيري له أثره الطيب في تقويم الانحرافات السلوكية، من خلال التربية بالوعظ والنصيحة، ولقد ضرب النبي – ﷺ – أروع الأمثلة التطبيقية في ذلك، "فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ – ﷺ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ

(١) خواطر الشيخ الشعراوي، ١٠/ ٦٠٠١.

(٢) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ص٤، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ"[1]. ففي هذا الحديث الشريف طلب شاب من النبي - ﷺ - أن يرتكب كبيرة من الكابر، وهي كبيرة الزنا، وقد هال ذلك الأمر الصحابة؛ لهول ما قال، فقاموا بزجره، لكن النبي - ﷺ - رفق به ووعظه، بقوله - ﷺ -: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»...إلخ، وقد أثّر ذلك في نفس الشاب، وقال: "فوالله ما همتْ نفسي بمعصية من ذلك النوع إلّا ذكرت أن يفعل بأمي أو بزوجتي أو بابنتي؛ فأمتنع".

ويظهر أثر العمل الخيري في التربية الإيمانية بالوعظ والنصيحة في هذا الحديث الشريف، فالنبي - ﷺ - لم يوبخ الشاب أو يعنفه، بل قدم له الوعظ والنصيحة، بالكلمة الطيبة الحانية الرقراقة، ودعا له بالخير؛ فالكلمة الطيبة صدقة، "عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قال: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[2].

هكذا أدَّبَ الله صحابة رسول الله -ﷺ-، وهكذا أدَّبهم رسول الله - ﷺ - بسنته وموعظته؛ حتىٰ أصبحوا مجتمعًا له عقيدة تختلف عن كل العقائد التي توارثوها عن الآباء والأجداد، مجتمعًا يستمد عقيدته من السماء، مجتمعًا ربانيًّا ينبثق فيه التعامل مباشرة من الإيمان بالله - تعالىٰ - والتحاكم إلىٰ شرعه، وصار هناك مفهوم جديد لمن تربىٰ بهذه التربية، هذا المفهوم يطرح القبلية والعنصرية،

(١) مسند أحمد، ٣٦ / ٥٤٥ح ٢٢٢١١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ١١، كتاب الأدب، بَابُ طِيبِ الكَلاَمِ.

ويقبل علىٰ الناس جميعهم بروح المساواة والعدالة: إنه الإنسان العالمي، الذي يشعرنا بالانتماء إلىٰ الأسرة الإنسانية كلها، من واقع ما عرفه من دين الله، الذي يدعو إلىٰ التعارف والتآلف، ويأمر بالعدل والإحسان وتقديم الخير للبشرية، ويحقق السعادة للناس جميعًا؛ أسودهم وأبيضهم، وأحمرهم وأصفرهم، فالكل يتساوىٰ أمام نظرة هذا الإنسان الجديد، الذي لا تميزه عنصرية، ولا يحجبه عن الناس شيء[1].

❁ ثانياً: التربية بالعادة:

العمل الخيري له أثره الطيب في تقويم الانحرافات السلوكية، من خلال التربية بالعادة، والتي تعد من أنجح الوسائل في تقويم السلوك الإنساني، "والإسلام يستخدم العادة كوسيلة من وسائل التربية، وذلك عن طريق تحويل الخبرة والقيم الثابتة إلىٰ عادات يقوم بها الفرد دون مجهود. ويقوم المنهج الإسلامي في التغيير الاجتماعي علىٰ إثارة الوجدان، وبعث الرغبة في العمل وتكوين الميل، ثم تحويل الرغبة والميل إلىٰ عمل وسلوك واقعي؛ فيتطابقان. ولنأخذ الصلاة مثالاً، فالصلاة تتحول بالتعود إلىٰ عادة ثابتة تلح علىٰ الإنسان ولا يستريح حتىٰ يؤديها، ويسري ذلك علىٰ الصوم والزكاة، وكل الآداب وأنماط السلوك الإسلامي"[2]، فعَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي

(١) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ص٧٢، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعالمها، المؤلف: عاطف السيد، ٥٩، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

الدِّينِ»[1]. ففي هذا الحديث الشريف يظهر أثر ودور العمل الخيري في التربية الإيمانية بالعادة، حيث جعل النبي - ﷺ - فعل الخير مقرونًا بالعادة فقال: "(الخير عادة) أي المؤمن الثابت علىٰ مقتضىٰ الإيمان والتقوىٰ، ينشرح صدره للخير؛ فيصير له عادة؛ ذلك لإن الإنسان مجبول علىٰ الخير، قال الله - تعالىٰ - ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]. وأما الشر، فلا ينشرح له صدره؛ فلا يدخل في قلبه إلا بلجاجة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، واللَّجَاجَةُ: الخصومة"[2]. فالمسلم إذا أراد أن يتخلص من صفة البخل - مثلاً - يجب علية محاكاة الكريم فيما يفعله؛ فيجاهد نفسه بإخراج المال وإنفاقه علىٰ سبيل التكلف، ويواظب علىٰ ذلك، حتىٰ يصبح الإنفاق له عادة يأتيها بسهولة ويسر، دون تكلف، ثم يرتقي إلىٰ أعلىٰ درجات الكرم والجود؛ حتىٰ يصل إلىٰ درجة التذوق الإيماني، وهي درجة عالية لا يصل إليها إلا أهل الفضل والإحسان من الأنبياء والصالحين، "فعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[3].

---

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،٢/ ٨ ح ٣١٠، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه، ١/ ٨٠ ح ٢٢١، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ، ط: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

(٢) سنن ابن ماجه: ١/ ٨٠.

(٣) مسند أحمد: ١٩/ ٣٠٥ ح ١٢٢٩٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل سلام أبي المنذر، وهو ابن سليمان المزني القارىء، وهو غير سلام بن أبي الصهباء العدوي المكنىٰ أبا بشر، فقد فرق بينهما البخاري وابن أبي حاتم والعقيلي، وخالفهم بذلك ابن عدي في "الكامل" =

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله –: " أمّا الخُلُق العظيم، فمعناه الخُلُق المضبوط بالقيم، وخُلُق رسول الله – ﷺ – مضبوط بالقيم؛ حتىٰ صار مَلَكةً وليس أمرًا افتعاليًّا. وحين يقول الناس عن إنسان إن خُلُقَه الكرم، أي: تأصلت فيه صفة الكرم تأصلاً بحيث أصبحت تصدر عنه أفعال البذل بيسر وسهولة، وفي أعمال المعاني نسميها خُلُقًا، وفي أعمال المادة نسميها آلية"(١).

❁ ثالثاً: التربية بالعقوبة:

العمل الخيري له أثره الطيب في تقويم الانحرافات السلوكية من خلال التربية بالعقوبة، حيث يقي المجتمع من انتشار الجرائم، ويقضي علىٰ الفساد من خلال العقوبة الرادعة، فالعقوبة رحمة لجميع أفراد المجتمع، بإقرار الأمن والأمان، ونشر الطمأنينة بينهم، فالعقوبات الشرعية – كما قال ابن تيمية –: "هي رحمة من الله بعباده؛ فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس بذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض"(٢). فقد شرعت العقوبات حفاظًا علىٰ الفضيلة، ومنعًا من انتشار الرزيلة، فمن مقاصد العقوبات

=

٣/ ١١٥١؛ فجعلهما واحداً فأخطأ، والأول صدوق حسن الحديث، والثاني ضعيف. وأخرجه النسائي في السنن الصغرىٰ: ٧/ ٦١ ح ٣٩٤٠، باب في حب النساء، وقال الألباني: صحيح، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

(١) خواطر الشيخ الشعراوي: ٧/ ٣٩٢٠.

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية، ٥/ ٥٢١، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

في الشريعة حفظ الضرورات الخمس التي اتفق عليها علماء الأصول والمقاصد، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل أو العرض والمال، وصيانتها من أن تنتهك. ولو أمعنا النظر في كافة الحدود نجد أنها لا تتجاوز هذه الضرورات؛ فحد الردة شرع للمحافظة علىٰ الدين، والقصاص شرع للمحافظة علىٰ النفس، وحد الزنا شرع للمحافظة علىٰ النسل، وحد السرقة شرع للمحافظة علىٰ المال، وعقوبة شارب الخمر شرعت للمحافظة علىٰ العقل، وحد الحرابة شرع لحماية الناس والمجتمع من قطاع الطريق، ولأي مفسد في الأرض بأي طريق وبأي وسيلة.

فالعقوبات، مع ما يصاحبها من ألم، تحقق المصلحة للفرد والجماعة علىٰ السواء؛ لإشاعة الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وأيضـًا لامتناع الأفراد من اقتراف الجرائم والمحظورات خوفـًا وحذراً من العقوبات. فلو عطلت العقوبات والحدود؛ لكان تضييع الضروريات الخمس، التي هي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وبضياعها وتلفها خراب المجتمع، وضنك الحياة، ودمار العالم. ومن هنا يظهر أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي، وتقويم الانحرافات السلوكية عن طريق العقوبات الشرعية، واستئصال كافة الجرائم التي ترتكب والحرمات التي تنتهك، قال ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ –: "فكان من بعض حكمته – سبحانه – ورحمته أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم علىٰ بعض، في النفوس والأبدان والأعراض والأموال، كالقتل والجراح والقذف والسرقة، أحكم – سبحانه – وجوه الزجر الرادعة عن هذه العقوبات غاية الإحكام، وشرعها علىٰ أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني في الردع؛ فلم يشرع في الكذب قطع اللسان ولا القتل، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس؛ وإنما شرع لهم في ذلك ما هو موجب أسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ولطفه وإحسانه

وعدله؛ لتزول النوائب، وتنقطع الأطماع عن التظالم والعداوات، ويقتنع كل إنسان بما آتاه مالكه وخالقه، فلا يطمع في استلاب غيره حقه"[(١)]. فلو عطلت العقوبات والحدود؛ لأدىٰ ذلك إلىٰ وقوع الأزمات الطاحنة، والكوارث المدمرة، والتناحر بين الطوائف والجماعات؛ بسبب انقسام الناس إلىٰ فريق العصاة المجترئين علىٰ حرمات الله، وفريق من الضعفة الخانعين، لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر؛ فيتمزق المجتمع شر ممزق، فكان من الحكمة أن جعل شدة العقاب مقابل شدة أثر الجريمة، وخطرها علىٰ المجتمع الإسلامي، أفرادًا وجماعات، ولنأخذ – علىٰ سبيل المثال – عقوبة السرقة وحكمة التشريع، قال – تعالىٰ –: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، "هذه هي التربية، إذن فالغرض الأساسي أن يحمي الإسلام أفراد المجتمع، فالذي لا يجد قُوتَه نساعده بالرأي وبالعلم والقدرة والقوة. والخير أن نعلّمهم أن يعملوا لأنفسهم"[(٢)].

ولو لم تحرم السرقة لفشا السطو علىٰ البيوت، والاعتداء علىٰ الحرمات، وتحفيز الشاذين في المجتمع لكي يتعايشوا من النهب والسلب من الآخرين، وتظهر حكمة تشريع عقوبة السرقة، كما قال الشيخ الشعراوي – رحمه الله –: " والشريعة لا تقرر مثل هذا العقاب رغبة في قطع الأيدي، بل تريد أن تمنع قطع الأيادي. وإن ظل التشريع علىٰ الورق دون تطبيق فلن يرتدع أحد. والذين قالوا «قطع الأيدي فعل وحشي»، نقول لهم: إن يداً واحدة قطعت في السعودية

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ،٢/ ٧٣، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ –١٩٩١م.

(٢) الشعراوي ٥/ ٣١١٨.

فامتنعت كل سرقة. وإذا كان القتل أنفىٰ للقتل؛ فالقطع أنفىٰ للقطع. أما عن مسألة التشويه التي يطنطنون بها، فحادثة سيارة واحدة تشوه عدداً من الناس، وكذلك حادثة انفجار لأنبوبة «بوتوجاز» تفعل أكثر من ذلك. فلا تنظروا إلىٰ القصاص مفصولا عن السرقة إن انتشرت في المجتمع. وإبطاء القائمين علىٰ الأمر للإجراءات التي يترتب عليها العقوبات ينسي المجتمع بشاعة الجريمة الأولىٰ، وعندما يحين وقت محاكمة المُجرم تكون الرحمة موجودة. لكن إن وُقِّعَ العقاب سَاعَة الجُرم تنته المسألة. وساعة يسمع اللصوص أننا سنقطع يد السارق؛ سيفكر كل منهم قبل أن يسرق ولا يرتكب الجُرم؛ لأن المُراد من الجزاء العبرة والعِظة، ومقصد من مقاصد التربية، وتذكرة للإنسان بمطلوبات الله عنده إن أخذته الغفلة في سياسة الحياة، فكأن الجزاء كان المقصود منه أن يرىٰ الإنسان من قطعت يده؛ فيمتنع عن التفكير في مثل ما آلت إليه هذه الحالة"[1].

(١) خواطر الشيخ الشعراوي، ٥/ ٣١٢٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ من أرسله ربه رحمة للعالمين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

بعد هذه الجولة المتأنية والممتعة مع كتاب ربنا؛ للوقوف علىٰ دور العمل الخيري في الإصلاح النّفسي والتربوي من منظور قرآني، يتبين لنا عدة نتائج، منها:

* العمل الخيري يقلل من انتشار الجريمة، ويشيع الأمن، ويعلي من قيم الولاء والانتماء للوطن.

* يعمل علىٰ بقاء الإنسانية؛ فيسود العدل والإحسان والتكامل، وتشد أفراده روابط الأخوة وتشابك المصالح.

* يعمل علىٰ تماسك المجتمع، ونشر روح المحبة والألفة بين أفراده.

* العمل الخيري يتيح الفرصة لكافة أفراد المجتمع بالانخراط فيه، والمساهمة في بنائه الاجتماعي والاقتصادي.

* الاستفادة من جوانب التطبيقات العملية لأساليب تعديل السلوك المستنبطة من القرآن الكريم، من خلال وسائل التربية المختلفة، كالتربية بالوعظ والنصيحة، والعادة، والعقوبة.

* أن تسهم هذه الدراسة في زيادة الوعي الفردي والمجتمعي بأساليب التحفيز، ومراعاة الحس الوطني والأخوة الإيمانية وشيوع التعاون والتكافل بين

أفراد المجتمع.

* الدعوة إلىٰ العودة بالمجتمع إلىٰ القيم الخلقية، التي تحمي المجتمع، وتعصمه من الوقوع في الرذائل.

* العمل الخيري في المنظور الإسلامي مرتبط بعقيدة الإيمان بالله - تعالىٰ - ؛ مما يوفر له القوة المعنوية والطاقة الروحية اللازمة لدفع الفرد للقيام به طائعاً مختارًا.

* العمل الخيري نابع من إرادة حرة، ومبادرة ذاتية، دون إكراه من أي سلطة اجتماعية أو سياسية.

❁ ومن جملة التوصيات ما يأتي:

* نشر ثقافة العمل الخيري بإبراز الشخصيات الرائدة في هذا المجال والمؤسسة له.

* التعامل مع المنظمات الخيرية بنظرة إنسانية لا إدارية.

* إعطاء صلاحيات أكثر للمنظمات الخيرية في تغيير هيكلها التنظيمي في ضوء المتغيرات المختلفة.

* متابعة الحكومات لنتائج المؤسسات الخيرية، ومدىٰ الاستفادة التي نالتها الفئات المسؤولة من تلك المنظمات.

فهرس المصادر

* إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

* الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

* أسباب النزول للواحدي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار الميمان.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

* أهداف التربية الإسلامية، المؤلف: د. ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولىٰ.

* البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

* البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

* بُغْيَة الباحث عن زوائد مسند الحارث، المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد

بن داهر التميمي البغدادي الخصيب، المعروف بابن أبي أسامة، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ -١٩٩٢.

* التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعالمها، المؤلف: عاطف السيد، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

*التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

* تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ.

* تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

* تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

* تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولىٰ -١٤١٩ هـ.

* تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد

المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

* تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفىٰ المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولىٰ.

* التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

* التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

* التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولىٰ.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ.

* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

* التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصغير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

* التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري، الناشر: دار

الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

* الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م.

* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

* الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

* دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، الملاحي، عبد الرحمن بن يوسف بن عيسىٰ، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٣م.

* الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

* سنن ابن ماجه، ت: الأرنؤوط، المؤلف: ابن ماجة -وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م.

*سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، لمحمد هيشور، الناشر: دار الوفاء،

الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

* صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

* طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، المؤلف: محمد يسري، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

* فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ – مصر الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥٦هـ.

* قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

* كتاب الأموال، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

* المجتبىٰ من السنن = السنن الصغرىٰ للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

* المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله - ﷺ -،

المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

* مسند أبي يعلىٰ، المؤلف: أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثُنىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال التميمي، الموصلي، ط: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

* المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية – مصر، ٢٠٠٩.

* المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

* معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

*مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤٢٠ هـ.

* من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية.

* موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة مُنقحَة.

العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي

للباحثة

د. كريمة محمد سوداني

ملخص

إنّ من أهمّ التشريعات الإسلامية في الكتاب والسنة: العمل الخيري، والذي جاء لتحقيق مقاصد الدين، في الحفاظ علىٰ الحياة البشرية وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، ولذلك جاءت الأحكام الشرعية تحثّ عليه إن بالوجوب، كزكاة المال وصدقة الفطر، أو النّدب، كالوقف وصدقة التطوّع.

وقد تميّز العمل الخيري في السنّة النبوية بعدّة خصائص، تمثّلت في: العبودية، والعموم، والشمولية، والوسطية والاعتدال، والدوام والاستمرارية، والتشجيع والترغيب، والجزاء والمثوبة.

كما تلخّصت أهمّيّة العمل الخيري في السنّة النبويّة الشريفة في عناصر، منها: طاعة الله ورسوله وما يترتّب عليهما من كسب الأجر والثواب، والتكافل والتراحم والتوادد، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتفريج الكربات وتقديم العون في النائبات، وإحلال الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

إنّ الإصلاح -وهو عملية تغيير في الواقع أو الحال من أجل الوصول إلىٰ أحسن النتائج وأوفقها وأكثرها مواءمة مع العقل والشرع- لهو من الأهمّية بمكان لكلٍّ من الفرد والمجتمع، والعمل الخيري رافد من روافد هذا الإصلاح، لاسيما في الجانبين: النفسي والتربوي.

من أهمّ آثار العمل الخيري في الإصلاح النفسي: تطهير النفس من مرض

الشح والبخل، وتعزيز الثقة بالنفس وعدم تحقير فعل الخير، والالتزام بالواجبات والمسؤوليات، والحثّ علىٰ العمل وذمّ البطالة.

وأمّا أهمّ آثار العمل الخيري في الإصلاح التربوي، فهي: المبادرة وروح الابتكار، وتربية الحس الجماعي، واستغلال الوقت، واستثمار المواهب والطاقات.

الكلمات المفتاحية:

العمل – الخيري – السُّنّة – الإصلاح – التكافل – النفسي – التربوي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوىٰ، والذي قدّر فهدىٰ، والذي قسم رحمته بين العباد، فبها يتراحمون ويتعاطفون ويتعاونون، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان علىٰ نبيّنا محمد النبيّ الأسوة الرحمة المهداة، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين،

أما بعد،

فقد منّ الله علىٰ هذه الأمّة بأن أكمل لها دينها وبيّن لها أحكام شريعتها بما يكفل لها صلاح معاشها ومآلها، بما بلّغه رسولنا الكريم ﷺ كاملا غير منقوص، فما ترك باب خير إلا وأرشد إليه، ولا باب شرّ إلاّ وحذّر منه.

ولعلّ من أهمّ تلك التشريعات الربانيّة التي حرص رسولُنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه علىٰ أن يتمثّلها قولا وعملا، والتي أسهمت في حلّ وعلاج مختلف قضايا المجتمع: "العمل الخيري" بجميع أنواعه.

فما هو العمل الخيري في السنة النبوية الشريفة؟ وما هي خصائصه وأهمّيّته؟ وكيف أثّر في الإصلاح النفسي والتربوي في المجتمع؟

وعليه يأتي هذا البحث للإجابة علىٰ هذه الأسئلة، للمشاركة به في مؤتمر: "العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها"، والذي عنونته: **"العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي"**

وذلك ضمن:

المحور الأول: العمل الخيري ودوره في الإصلاح المجتمعي.

العنصر الرابع: العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي.

أهمية البحث وحيثياته:

تحديد مفهوم العمل الخيري في السنة النبوية وإبراز دوره في الإصلاح النفسي والتربوي.

❁ أهداف البحث:

١. التعريف بالعمل الخيري وخصائصه وأهميته من خلال السنة النبوية.

٢. بيان أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

٣. بيان أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

❁ المنهج العلمي للبحث:

الاستقراء والوصف.

❁ أدوات جمع البيانات للبحث:

المصادر والمراجع الحديثية وتفاسير القرآن الكريم ومختلف المؤلفات في اللغة والتربية.

خطة البحث: وتشمل:

المقدمة.

الفصل الأول: العمل الخيري في السنة النبوية: خصائصه وأهميته.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا.

المبحث الثاني: خصائص العمل الخيري في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية.

الفصل الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي والتربوي من خلال السنة النبوية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح وأهميته.

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

صعوبات البحث:

الحقيقة وفي ظلّ توافر المصادر والمراجع لا توجد أي صعوبات تذكر، اللهمّ إلا تخصيص الوقت المناسب لتقديم البحث كاملا.

هذا، ونبدأ بتوفيق الله تعالىٰ مع الفصل الأول.

الفصل الأول

العمل الخيري في السنة النبوية: خصائصه وأهميته

إنّ الحديث عن العمل الخيري في السنة النبوية لا ينفكّ عنه في القرآن الكريم، ونظرة في الآيات القرآنية الكريمة، نجد أنّ لفظ "الخير" اقترن في كثير منها بلفظ "المسارعة" أو "المسابقة"؛ وصفا أو أمرا، وذلك في ستة مواضع، هي: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]،

وقوله عن الأمّة القائمة من أهل الكتاب: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]،

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

من خلال ما سبق، نستنتج أنّ "الخيرات" أو "الخير" اسم جامع لكل طاعة

أو عمل صالح يمكن أن يقوم به الإنسان [1]، ولأنه لا حدود ولا نهاية له، جعل الله سبحانه تحصيله والقيام به مجالا للمسارعة والمسابقة، لتحقيق أكبر قدر من الصلاح الفردي والاجتماعي، والذي منه التكافل والتآزر بين الناس.

ولبيان حديث السنة النبوية المطهرة عن العمل الخيري، أعرض إلىٰ ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا.

المبحث الثاني: خصائص العمل الخيري في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/ ٤٣.

المبحث الأول

تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا

١-الخَيْرُ لغة: أصلُ "الخَيْر": العَطْف والميْل، قال في معجم المقاييس بعد ذكره لهذا المعنىٰ: "فالخَيْر: خِلافُ الشّرّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يَمِيلُ إِليه، ويَعطِف علىٰ صاحبه"(١).

و"الخَيْرُ" و"الخَيِّرُ" أيضا: "الرَّجلُ الكَثِيرُ الخَيْرِ"(٢).

وفي لسان العرب: "فإِن أَردت معنىٰ التفضيل قلت: فلانة خَيْرُ الناسِ، ولم تقل: خَيْرَةُ، وفلانٌ خَيْرُ الناس، ولم تقل: أَخْيَرُ، لا يثنىٰ ولا يجمع لأَنه في معنىٰ أَفعل"(٣).

من خلال ما سبق، يمكن أن نُجمل معاني الخير لغة في:

-ما تميل إليه الفطرة السليمة.

-كل ما هو خلافُ الشرّ.

-اسم تفضيل بمعنىٰ أحسن وأفضل.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٣٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ الزبيدي، ٦/ ٣٧٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٢٦٤.

٢-الخَيْرُ اصطلاحا:

وردت لفظةُ "الخَيْر" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، في سياقات متعدّدة، هي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣. قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس: ١١].

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

٦. قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

٧. قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٨. قوله تعالىٰ: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

٩. قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٩].

١١. قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠-٢١].

١٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

ونظرة متأملة في الآيات السابقة، نجد أنّ "الخير" كثيرا ما ورد في مقابلة الشرّ، فالخيرُ إذن هو كل ما كان أمرا مشروعا ومأمورا به وتُحبّه الأنفس، بعكس الشر، الذي تمجُّه وتفرّ منه النفوس، وهذا بالنظر إلىٰ معناه العام.

وعليه؛ فإنّ مفهوم "العمل الخيري" يلتقي في معناه مع التطوّع، ليكون في أيسر معانيه:

كل جهد أو مال يُنفق لأجل سدّ حاجة الآخرين، بلا عِوَض، علىٰ سبيل التطوّع.

وهو ما يُلخِّصُه لنا حديث رسولنا الكريم ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ

بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

ومثله قوله ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(٢).

وهذا المفهوم الواسع للعمل الخيري يجعل منه نافذة لما لا يُحصىٰ من صنائع المعروف بين الناس، مهما صَغُر شأنها أو عَظُم، لتُنشئ لنا مجتمعا متآزرا متعاونا، يطرق أبواب الخير بجميع أنواعها، فتجتمع جهود الأفراد والجماعات والمؤسّسات لتحقيق مقصد الإفادة والنفع لبني الإنسان إن بالجهد أو المال، ولذلك يقول النووي رحمه الله: "وفيه أنه لايحتقر شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَبْخَلَ بِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُحْضِرَهُ"(٣).

(١) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

(٢) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الجهاد والسِّيَر؛ بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، ٤/ ٥٦ (٢٩٨٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٩).

(٣)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٧/ ٩١.

المبحث الثاني

خصائص العمل الخيري في السنة النبوية

إنّ العمل الخيري من الأمور التي أفاضت في الحث عليها النصوص الشرعية قرآنًا كريما وسُنَّةً نبويّة، لما له من أثر في تلاحم المسلمين وتآزرهم وتفريج هموم بعضهم البعض، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]؛ فالفلاح مرتبط بفعل الخير أيّا ما كان نوعه، قال البقاعي عند تفسير هذه الآية: "أي كلَّه: من القرب؛ كصلة الأرحام، وعيادة المرضىٰ، ونحو ذلك، من معالي الأخلاق بنيّة وبغير نيّة، حتىٰ يكون ذلك لكم عادةً؛ فيخفّ عليكم عمله لله"[(١)]، ومن الأحاديث النبويّة الشريفة نجد قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(٢)]، وقد ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ»، ذلك أنّ عمل الخير لا حدّ له، مهما صغر أو كبر، فلا يدري المرء أيّ الأعمال يكون مقبولا، وأيّها يكون سببا في دخوله الجنّة، ونجاته من النار، فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٣/ ١٠٠.

(٢) متّفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، ٢/ ١٠٩ (١٤١٧)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[1]، قال النووي رحمه الله: "فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ فَضْلِ الْمَعْرُوفِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ"[2].

والمعروف كما قال الراغب الأصبهاني: "اسمٌ لكلّ فعل يُعْرَفُ بالعقل أو الشّرع حُسْنُه"[3]، ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن ابن أَبِي جَمْرَةَ قوله: "يُطْلَقُ اسْمُ الْمَعْرُوفِ عَلَىٰ مَا عُرِفَ بِأَدِلَّةِ الشَّرْعِ أَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ؛ سَوَاءٌ جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ أَمْ لَا، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِالصَّدَقَةِ: الثَّوَابُ؛ فَإِنْ قَارَنَتْهُ النِّيَّةُ أُجِرَ صَاحِبُهُ جَزْمًا، وَإِلَّا فَفِيهِ احْتِمَالٌ، قَالَ: وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْحَصِرُ فِي الْأَمْرِ الْمَحْسُوسِ مِنْهُ؛ فَلَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْيَسَارِ مَثَلًا، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلَهَا فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ"[4].

من خلال ما سبق، يُمكننا إجمال خصائص العمل الخيري في السنة فيما يلي:

١. العبودية: فالعمل الخيري في الإسلام مرتبط بنية الطاعة لله تعالىٰ والإخلاص له عز وجل، وإنما يقوم به المسلم ابتغاء مرضاة الله وطلبا للأجر والثواب؛ إذ ليست العبرة في العمل الخيري بقلّته أو كثرته، وإنّما بنيّة فاعله تلبيةً لمن هو في حاجة إليه، وفي الحديث الشريف: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ،

(١) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

(٢) شرح النووي، ١٦/ ١٧٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٥٦١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٤٨.

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]، قال النووي رحمه الله في شرحه: "نَبَّهَ ﷺ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَهَا التَّوْحِيدُ الْمُتَعَيِّنُ علَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنَ الشُّعَبِ إِلَّا بَعْدَ صِحَّتِهِ، وَأَدْنَاهَا مَا يُتَوَقَّعُ ضَرَرُهُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذَىٰ عَنْ طَرِيقِهِمْ"[2].

٢. العموم: العمل الخيري عام لكل المسلمين، كما دلّ عليه حديث "كل سلامىٰ" السابق، فهو لا يقتصر علىٰ الأغنياء دون الفقراء، وإنما يعمّ كل فرد في المجتمع الإسلامي، سواء أكان بالمال أم بالجهد، وهو أيضا عامّ تجاه كل محتاج للمساعدة والمعونة، إنسانا كان أو حيوانا، فعن النبي ﷺ وقد سئل: "وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟" فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[3].

٣. الشمولية: فالعمل الخيري يشمل كل ما فيه خير وصلاح؛ من كف الأذىٰ وإماطته عن الطريق، إلىٰ التطوع بمختلف الأعمال الخيرية دقيقها وجليلها، وقد سبق حديثه ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[4]، وحديث: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[5].

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم: الإيمان؛ بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ، ١/ ٦٣ (٥٨).

(٢) شرح النووي، ٢/ ٠٤.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، ٨/ ٠٩ (٦٠٠٩)، ومسلم: السلام؛ بَابُ فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، ٤/ ١٧٦١ (٢٢٤٤).

(٤) متّفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، ٢/ ١٠٩ (١٤١٧)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

(٥) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

٤. الوسطيّة والاعتدال: فمع حثّ وترغيب الشريعة في العمل الخيري وجميع أنواع الإنفاق، إلاّ أنّ ذلك لا يكون إلا عن ظهر غنىٰ، وأنّ المسلم يُنفق ما زاد علىٰ حاجته، من غير إضرار بنفسه أو بمن هم في كفالته، ولذلك يقول ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(١)، قال النووي رحمه الله: "وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَنْ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِالْجَمِيعِ يَنْدَمُ غَالِبًا أَوْ قَدْ يَنْدَمُ إِذَا احْتَاجَ وَيَوَدُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ، بِخِلَافِ مَنْ بَقِيَ بَعْدَهَا مُسْتَغْنِيًا فَإِنَّهُ لَا يَنْدَمُ عَلَيْهَا، بَلْ يُسَرُّ بِهَا"(٢).

٥. الدوام والاستمرارية: فعندما يُرغّب الشرع في العمل الخيري مهما كان قليلا، فالغرض هو المحافظة عليه مورداً دائماً لتلبية حاجات الناس في الشدّة والرخاء، وليكون عونا لمؤسسات الدولة في كل خير من أجل سدّ حاجات المجتمع، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "هَذَا أَمْرٌ بِإِنْفَاقٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا أَفْضَلُ الْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّ مَقْصِدَ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْإِنْفَاقِ إِقَامَةُ مَصَالِحِ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ مِقْدَارٌ لَهُ بَالٌ إِلَّا بِتَعْمِيمِهِ وَدَوَامِهِ لِتَسْتَمِرَّ مِنْهُ مَقَادِيرُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ التَّعْمِيمُ وَالدَّوَامُ بِالْإِنْفَاقِ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ حَاجَاتِ الْمُنْفِقِينَ، فَحِينَئِذٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَتْرُكُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُخِلُّونَ بِهِ فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ، وَهَذِهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ وَأَصْلٌ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مواضع منها: الزكاة؛ بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، ٢/ ١١٢ (١٤٢٦)، وهو متّفق عليه في حديث يرويه حكيمُ بنُ حِزام رضي الله عنه.

(٢) شرح النووي، ٧/ ١٢٥.

اقْتِصَادِيٌّ عُمْرَانِيٌّ"[1].

ومثله حديث «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[2]، فإنما الغرض منه دوام فعل الخير، وعدم الانقطاع عنه بدعوىٰ القلّة أو عدم الجدوىٰ، فهو ترغيبٌ في العمل الخيري للاستمرار عليه منهجا للمسلم في جميع أحواله.

٦. **التشجيع والترغيب:** ذلك أنّ فاعل الخير يحتاج في استمرارية فعله للخير إلىٰ ما يوجهه إلىٰ المداومة علىٰ ذلك، وفي الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَىٰ الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَىٰ، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»[3]. قال الخطابي فيما نقله عنه الإمام النووي: "مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ الشُّحَّ غَالِبٌ فِي حَالِ الصِّحَّةِ، فَإِذَا شَحَّ فِيهَا وَتَصَدَّقَ، كَانَ أَصْدَقَ فِي نِيَّتِهِ، وَأَعْظَمَ لِأَجْرِهِ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَىٰ الْمَوْتِ، وَآيَسَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَرَأَىٰ مَصِيرَ الْمَالِ لِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ حِينَئِذٍ نَاقِصَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ حَالَةِ الصِّحَّةِ"[4].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/ ٣٥١.

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

(٣) متّفق عليه: البخاري: تفسير القرآن؛ بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ﴾ [هود: ٧]، ٢/ ١١٠ (١٤١٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، ٢/ ٧١٦ (١٠٣٢).

(٤) شرح النووي، ٧/ ١٢٣.

وقال ابن حجر: "وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ يَشِحُّ بِإِخْرَاجِ مَا عِنْدَهُ مَا دَامَ فِي عَافِيَةٍ، فَيَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَيَخْشَىٰ الْفَقْرَ، فَمَنْ خَالَفَ شَيْطَانَهُ، وَقَهَرَ نَفْسَهُ، إِيثَارًا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ فَازَ"[1]. فهذا الحديث وغيره دعوة للمسلمين إلىٰ عدم اكتناز الأموال ومنعها من مستحقيها إلا عند تحقق هلاك صاحبها، بل المتوجّب المسارعة في الإنفاق واكتساب الأجر بتفريج هموم الناس وكربهم في جميع الأوقات، وقد مدح الله تعالىٰ المنفقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

٧. الجزاء والمثوبة: إنّ طبيعة النفس البشرية تميل إلىٰ تلبية أمر من يكفل لها الأجر الوفير، والله تعالىٰ قد رغّب الخلق في أعمال البرّ كلها، وضمن لهم أحسن الجزاء وأوفاه وأجزله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[2]. فهذا الجزاء هو الضامن للالتزام بالأوامر الإلهية وجوبا أو نافلة، وبذلك ينطلق الناس في أعمال الخير بمختلف أنواعها ومجالاتها، ويتحقق التكافل الاجتماعي المنشود.

وبالنظر إلىٰ الخصائص السابقة للعمل الخيري في السنة النبوية، يتبيّن ما له من أهميّة، وهو موضوع المبحث الثالث من هذا الفصل.

---

(١) فتح الباري، ١١/ ٢٧١.

(٢) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في موضعين، منهما: الزكاة؛ بَابُ فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، ٦/ ٧٣ (٤٦٨٤)، ومسلم –واللفظ له–: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ، ٢/ ٦٩٠ (٩٩٣).

المبحث الثالث

أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية

تتحدّد أهمّية أيّ عمل بالنظر إلىٰ أهدافه التي يرمي إليها ونتائجه التي يُحقّقها، والعمل الخيري بابٌ من أبواب الأحكام الدينيّة التي جاءت لحفظ مقاصد الشريعة، ولذلك فإنّه يحتلّ مكانة عالية وأهميّة بالغة في الإسلام، ذلك أنّه أحد سبل استقرار حياة المجتمع علىٰ المستويَيْن: الفردي والاجتماعي، والقرآن الكريم ركّز في العديد من آياته علىٰ وحدة الأمّة وتضامنها وتكافلها، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ويُمكن تلخيص أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية في العناصر التالية:

❁ **أولاً: طاعة الله ورسوله وما يترتّب عليهما من كسب الأجر والثواب:** يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ويقول عزّ من قائل: ﴿مَّن ذَاٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التّغابن: ١٧]، فهذه دعوةٌ إلىٰ طاعة الله عز وجلّ بفعل الخير وتقديم العون لمن يستحقّه، وقد ضمن الحقّ تبارك وتعالىٰ

لفاعله الأجر الجزيل، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير آية سورة الحديد: "وَالْاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَىٰ التَّحْرِيضِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ شَأْنَ الْمُحَرِّضِ عَلَىٰ الْفِعْلِ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّنْ يَفْعَلُهُ وَيَتَطَلَّبُ تَعْيِينَهُ لِيَنُوطَهُ بِهِ أَوْ يُجَازِيهِ عَلَيْهِ. وَالْقَرْضُ الْحَسَنُ: هُوَ الْقَرْضُ الْمُسْتَكْمِلُ مَحَاسِنَ نَوْعِهِ؛ مِنْ كَوْنِهِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَبَشَاشَةٍ فِي وَجْهِ الْمُسْتَقْرِضِ، وَخُلُوٍّ عَنْ كُلِّ مَا يُعَرِّضُ بِالْمِنَّةِ، أَوْ بِتَضْيِيقِ أَجَلِ الْقَضَاءِ"[1]. وأمّا الأحاديث الشريفة فكثيرة هي التي تحدّثت عن أجر الصدقة، وفضل المنفق في سبيل الله تعالىٰ، وكلّ باذل للخير، صانع للمعروف، كقوله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ"[2].

نقل الحافظ ابن حجر في شرحه عن ابن بَطَّالٍ قوله: "حَقٌّ عَلَىٰ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ"[3].

❁ **ثانيا: التكافل والتراحم والتوادد:** وهذا مبدأ دلّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، قال الإمام الرازي رحمه الله: "قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْإِخْوَةُ جَمْعُ الْأَخِ مِنَ النَّسَبِ، وَالْإِخْوَانُ جَمْعُ الْأَخِ مِنَ الصَّدَاقَةِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تَأْكِيدًا لِلْأَمْرِ، وَإِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ

(١) التحرير والتنوير، ٢٧/ ٣٧٧.

(٢) البخاري من حديث سهل بن سعد في موضعين، منهما: الأدب؛ بَابُ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا، ٨/ ٠٩ (٦٠٠٥).

(٣) فتح الباري، ١٠/ ٤٣٦.

مَا بَيْنَهُمْ مَا بَيْنَ الْأُخُوَّةِ مِنَ النَّسَبِ وَالْإِسْلَامِ كَالْأَبِ"[1]. وليست الأخوّة علىٰ هذا المعنىٰ إلاّ إشاعة للتكافل والتراحم والتوادد، ومن الأحاديث النبويّة الشريفة الدالّة علىٰ ذلك: قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[2]، وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[3]، وهذا عامّ في كلّ ما يمكن أن يُسهم في إذكاء اللُّحمة بين المسلمين، بتلبية حاجاتهم، وتحقيق المنافع لهم بما يُصلح معاشهم في الحال والمآل، قال الإمام النووي رحمه الله: "هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَحَثِّهِمْ عَلَىٰ التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ"[4]. ونقل الحافظ ابن حجر في شرح الحديث الثاني عن ابن أَبِي جَمْرَةَ قوله: "الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ التَّرَاحُمَ وَالتَّوَادُدَ وَالتَّعَاطُفَ وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَارِبَة فِي الْمَعْنَىٰ، لَكِنْ بَيْنَهَا فَرْقٌ لَطِيفٌ؛ فَأَمَّا التَّرَاحُمُ: فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَرْحَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأُخُوَّةِ الْإِيمَانِ لَا بِسَبَبِ شَيْءٍ آخَرَ، وَأَمَّا التَّوَادُدُ: فَالْمُرَادُ بِهِ التواصل الجالب للمحبة، كَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي، وَأَمَّا التَّعَاطُفُ فَالْمُرَادُ بِهِ

(١) تفسير الرازي، ٢٨/ ١٠٦.

(٢) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: المظالِم والغَصْب؛ بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ، ٣/ ١٢٩ (٢٤٤٦)، ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٥).

(٣) متّفق عليه من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، ٨/ ١٠ (٦٠١١)، ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٦).

(٤) شرح النووي، ١٦/ ١٣٩.

إِعَانَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كَمَا يَعْطِفُ الثَّوْبَ عَلَيْهِ لِيُقَوِّيَهُ"[1].

❁ **ثالثا: تحقيق الاكتفاء الذاتي:** لا يوجد ما يهدّد أمن الأمّة وسلامتها كحاجتها إلىٰ مأكلها ومشربها، ولذلك فالعمل الخيري في الإسلام ركّز في جانب منه علىٰ تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا المجال، ولا أدلّ علىٰ ذلك من أنّ زكاة الفطر تُخرج صاعا من طعام قوت أهل البلد[2]، وهذا له دلالته في توفير المأكل لجميع أفراد المجتمع، حمايةً لهم من الجوع، الذي هو شرٌّ يجرّ الويلات والآفات، وفي الحديث الشريف، أنّه ﷺ سُئل: أيّ الإسلام خير؟ فقال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[3]. وفي القرآن الكريم قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٤]

❁ **رابعا: تفريج الكربات وتقديم العون في النائبات:** نوردُ هنا حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه المتّفق عليه، والذي أوردناه سابقا، أنّ النبي ﷺ

(١) فتح الباري، ١٠/ ٤٣٩.

(٢) كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتّفق عليه: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَىٰ العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلاَةِ». البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابُ فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ، ٢/ ١٣٠ (١٥٠٣)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، ٢/ ٦٧٧ (٩٨٤).

(٣) متّفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: البخاري في مواضع، منها: الإيمان؛ بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ، ١/ ١٢ (١٢)، ومسلم: الإيمان؛ بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، ١/ ٦٥ (٣٩).

قال: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ» (١). و"الملهوف" هو "المكروب"(٢)، كما يُطلق علىٰ "الْمُتَحَسِّرِ، وَعَلَىٰ الْمُضْطَرِّ، وعلىٰ المظلوم"(٣). وفي حديث آخر، قال ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤). قال الإمام النووي: "فِي هَذَا فَضْلُ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ عَنْهُ، وَسَتْرِ زَلَّاتِهِ، وَيَدْخُلُ فِي كَشْفِ الْكُرْبَةِ وتفريجها: من أزالها بماله، أوجاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته وَرَأْيِهِ وَدَلَالَتِهِ"(٥). ولا يخلو عصر من نكبات تحلّ بأهله، وتُذيقهم الويلات، ليأتي العمل الخيري بجميع أشكاله ويساهم في حلّ تلك الأزمات والتّخفيف من حِدّتها، بتضافر جهود الأفراد والجماعات والمؤسّسات ومختلف الهيئات الإغاثيّة، فهو بذلك يُعدّ المورد

(١) متّفق عليه من حديث سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٢٨٢.

(٣) شرح النووي، ٧/ ٩٤.

(٤) متّفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: البخاري: المظالِم والغَصْب؛ بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، ٣/ ١٢٨ (٢٤٤٢)؛ ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، ٤/ ١٩٩٦ (٢٥٨٠).

(٥) شرح النووي، ١٦/ ١٣٥.

والمعين الذي لا ينضب في مثل تلك الأوقات العصيبة التي ربما قد تعجز عن استيعابها مؤسّسات الدولة؛ لما فيها غالبا من عنصري المفاجأة واتساع رقعة الأضرار.

❁ **خامسا: إحلال الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع:** لقد أعطىٰ الإسلام أولويّةً للعمل الخيري لما له من فوائد جمّة في تماسك وترابط المجتمع، كما دلّ عليه ما سبق ذكره من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وذلك من خلال تشريعات حكيمة تراوحت بين حكمَيْ الوجوب والاستحباب، فركن زكاة المال مثلا بمختلف مصارفها ليس إلاّ مصدرا لإشاعة الأمن الفردي والاجتماعي، حين يتآزر الأغنياء مع الفقراء، فيُخرجون من مالهم ما يسدّ حاجة هؤلاء الفقراء، ويضمن لهم الحدّ الأدنىٰ من شروط الحياة الكريمة، وهو ما يحفظ كرامتهم ويُغنيهم عن ذلّ السؤال، فينتشر بذلك نوع من التآلف والتضامن يُبعدُ المجتمع عن شبح العنف والجرائم وما ينجرّ عنهما من الهرج والمرج. كما أنّ صدقة التطوّع سبب في تطهير النفس من الحرص والبخل والشحّ، وكل صفة من هذه الصفات سبب في القلق النفسي وعدم الاستقرار، قال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ولذلك وجّه النبي ﷺ إلىٰ شغل النفس والوقت بكل عمل صالح في حديثه السابق الذكر: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

(١) متّفق عليه من حديث سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، =

نخلص في نهاية هذا المبحث إلىٰ القول بأنّ العمل الخيري مفهوم شامل لكلّ ما يمكن أن يَبذله فرد أو جماعة أو مؤسسة في سبيل الله، ويُسهم في إسداء خدمة، أو معروف، أو أيَّ نفع من أيِّ نوع كان، وهو لا غنىٰ عنه لصلاح الفرد والمجتمع من الناحيتين: المادية والمعنوية، ولذلك ركّزت عليه مصادر التشريع قرآنا وسنّة، حيث بيّنت السنّة خاصة أهمّيته وطرقه وفضله، بما يُرغّب فيه، ويجعله مطلب كلّ مسلم يبتغي مرضاة الله عز وجلّ، وأيضا للآثار الحسنة المترتّبة علىٰ القيام بمختلف الأعمال الخيرية، والتي سنشرع في الحديث عنها من خلال الفصل الثاني، والمتمثلة في الإصلاح النفسي والإصلاح التربوي.

=

منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

الفصل الثاني

أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية

لقد أرسل الله تعالىٰ الرسل وأنزل معهم الكتب لصلاح البشرية جمعاء أفرادا وجماعات، وأناط ذلك بتطبيق الأحكام الشرعية بمختلف مراتبها، لتُعين السالك علىٰ تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، ولا شكّ أن بناء الفرد لهو من الأهميّة بمكان، حيث لا يستقيم المجتمع إلا باستقامة الفرد، ولا يُمكن الحديث عن صلاح أو إصلاح ما لم يكن الفرد أولوية في أي نيّة أو مبادرة للارتقاء بالمجتمع.

وكذلك الشريعة الإسلامية الغرّاء، قد ركّزت علىٰ بناء جوهر الإنسان وتزكيته وتنقيته من كلّ ما يحول بينه وبين رسالته التي خُلق من أجلها، وهي عبادته تعالىٰ كما قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وسأتحدّث عن أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي والتربوي في السنة النبوية من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح وأهميته.

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

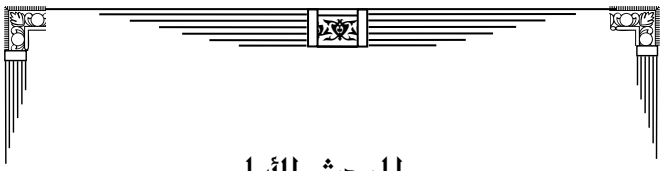

المبحث الأول

مفهوم الإصلاح وأهميته

سأعرض في هذا المبحث ثلاثة عناصر:

أولا: معنىٰ الإصلاح لغة.

ثانيا: مفهوم الإصلاح اصطلاحا.

ثالثا: أهمية الإصلاح.

❁ أولا: معنى الإصلاح لغة:

أصل "الإصلاح" من الثلاثي "صلح"، قال في معجم المقاييس: "أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا. وَيُقَالُ: صَلَحَ بِفَتْحِ اللَّامِ"(١)، و"الصَلاحُ: نقيض الطلاح"(٢)، و"أصْلَحَه: ضِدُّ أفْسَدَه"(٣)، بمعنىٰ: أقامه(٤).

وقال في لسان العرب: "صَلَحَ: الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحًا وصُلُوحًا. وَهُوَ صَالِحٌ وصَلِيحٌ، وَالْجَمْعُ صُلَحاءُ وصُلُوحٌ؛ وصَلُح:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٣/ ٣٠٣.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/ ١١٧.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٢٢٩.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٤/ ١٢٥.

كصَلَح، وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْمٍ صُلَحاء، ومُصْلِح فِي أَعماله وأُموره، وَقَدْ أَصْلَحه اللهُ، وَرُبَّمَا كَنَوْا بِالصَّالِحِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ إِلىٰ الْكَثْرَةِ، والإِصلاح: نَقِيضُ الإِفساد. والمصْلَحة: الصَّلاحُ. والمصلَحة وَاحِدَةُ الْمَصَالِحِ. والاسْتِصْلاح: نَقِيضُ الِاسْتِفْسَادِ. وأَصْلَحَ الشيءَ بَعْدَ فَسَادِهِ: أَقامه. وأَصْلَحَ الدَّابَّةَ: أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ"[1].

وفي المفردات للراغب: "الصَّلَاحُ: ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسّيّئة. قال تعالىٰ: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]"[2].

فالإصلاح بمعناه اللغوي إذن يأتي بعد معاينة فساد ما، ليحل محله.

❁ ثانيا: مفهوم الإصلاح اصطلاحا

وردت لفظة "الإصلاح" في القرآن الكريم بغير هذا الوزن في بضع وثلاثين موضعا، منها: "مُصلِحون، أصلَحوا، أصْلَحَ، مُصْلِح، تُصْلِحوا، أصلحا، صُلْحا..."، وأما "الإصلاح" بهذا الوزن، فوردت في سبعة مواضع هي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٣. قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ﴾ [النساء: ٣٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٥١٦-٥١٧.

(٢)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٩٠.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٦. قوله تعالىٰ علىٰ لسان شعيب عليه السلام إلىٰ مدين: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

٧. قوله تعالىٰ أيضا علىٰ لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

مما يُستفاد من الآيات السابقة أنّ الإصلاح له حالتان:

١-إما أن يكون هو الأساس والأصل، وهو السابق وهو الأوّل، ومن ثمّ جاء النهي عن استبداله بالفساد، كما في الآيتين: الخامسة والسادسة.

٢-وإما أن يأتي بعد الفساد، فيكون مأمورا به؛ لاستبدال ذلك الفساد بما هو أصل، وهو الإصلاح، وهو هنا يتطابق مع المعنىٰ اللغوي.

علىٰ أنّ الإصلاح في كلتا الحالتين يشمل في مفهومه الجانبين: المادي والمعنوي.

وقد جاء في كتاب الكليات للكفوي: "الصَّلَاح: هُوَ سلوك طَرِيق الْهدىٰ، وَقيل: هُوَ استقامة الْحَال علىٰ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْعقل"، والعقل يدعو إلىٰ اتّباع الشرع، قال: "الصالح: الْمُسْتَقيم الْحَال فِي نَفسه، وَقَالَ بَعضهم: الْقَائِم بِمَا عَلَيْهِ من

حُقُوق الله وَحُقُوق الْعباد"[1].

ومن هنا يمكن صياغة تعريف للإصلاح بأنه:

"عملية تغيير في الواقع أو الحال من أجل الوصول إلىٰ أحسن النتائج وأوفقها وأكثرها مواءمة مع العقل والشرع".

وهذا التغيير إنما يكون عند الإنسان –وهو المنطلق والأساس- في السلوك المتمثّل في الأفعال والانفعالات الظاهرة، وكذلك في الأفكار وعمليات الاستدلال والتفاعل مع مختلف الجوانب المعنوية[2]، كما قد يكون التغيير في النسيج التربوي والاجتماعي للمجتمع.

وبهذا المعنىٰ، يكون للإصلاح أهمية بالغة، بالنظر إلىٰ الحاجة إليه، لتغيير ما يقع من فساد، أو انحراف عن الطريق المستقيم، وفي العنصر التالي حديث عن هذه الأهمّيّة.

❁ ثالثا: أهمية الإصلاح

خلق الله تعالىٰ الإنسان، وجعله جسدا وروحا، ولا بد لكل منهما من غذاء يضمن له نجاته واستمراريته، فغذاء الجسد بالمأكل والمشرب وسائر الحاجات، والغذاء الروحي بالإيمان بالله تعالىٰ وبالتزكية، قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٩]، قال في التحرير

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص٥٦١.

(٢) وهذا هو الجانب الذي يُعنىٰ به علم النفس. يُنظر: مبادئ علم النفس، سامي حسن الختاتنة وآخران، ص١٥-١٦؛ وعلم النفس، أحمد يحيىٰ الزق، ص١٧؛ وأصول علم النفس، محمد شحاتة ربيع، ص٣٢-٣٣.

والتنوير: "إِنَّ مِنْ آثَارِ تَسْوِيَةِ النَّفْسِ إِدْرَاكَ الْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَالْإِدْرَاكُ الضَّرُورِيُّ الْمُدَرَّجُ ابْتِدَاءً مِنَ الِانْسِيَاقِ الْجِبِلِّيِّ نَحْوَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ؛ كَطَلَبِ الرَّضِيعِ الثَّدْيَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَمِنْهُ اتِّقَاءُ الضَّارِّ، كَالْفِرَارِ مِمَّا يُكْرَهُ، إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَوَّلِ مَرَاتِبِ الِاكْتِسَابِ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِلْهَامٌ"[(١)].

فالإنسان أمام طريقين: طريق التقوىٰ وطريق الفجور، ولزوم طريق التقوىٰ لابد له من المجاهدة والعمل علىٰ تجنّب غواية الشيطان بكل أشكالها، وفي الحديث الصحيح: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» [(٢)]، والمعنىٰ: "كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَىٰ بِنَفْسِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ، فَيُعْتِقُهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَىٰ بِاتِّبَاعِهِمَا، فَيُوبِقُهَا، أَيْ: يُهْلِكُهَا"[(٣)].

ولأنّ إبليس توعّد بني آدم بالإغواء وإخراجهم عن الطريق المستقيم، وهم في ذلك بين طائع مستسلم مصدّق بوعوده الكاذبة، وبين عصيّ علىٰ كل وسوسة وأمر بالمنكر ونهي عن المعروف، وبين هؤلاء وهؤلاء من يقع في المعاصي، لكنه يتراجع ويتوب، وهم من يصلحون ما أفسدوه بوسوسة الشيطان أو بطاعة النفس الأمّارة بالسوء، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال جلّ وعلا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: مسلم: الطهارة: بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، ١/ ٢٠٣ (٢٢٣).

(٣) شرح النووي، ٣/ ١٠٢.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير إلىٰ الإصلاح علىٰ أنه ركيزة من ركائز الإيمان؛ إذ هو سبيل تجسيد الإيمان وتحقيق عبادة الله تعالىٰ وخلافته في أرضه، فالصلاح كثيرا ما جاء مقترنا بالإيمان، من مثل قوله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهذا يدلّ علىٰ أهميته وضرورته في الحياة الإنسانية، ما وُجد الخير والشر.

ولذلك كانت العناية بالإصلاح وإيجاد السبل إليه، من خلال ابتكار الوسائل المساعدة عليه، والتي من أهمها: الانشغال بالعمل الخيري، والذي- لا شك لله -أنّ له دورا كبيرا في الإصلاح النفسي والتربوي، وهو موضوع المبحثين الآتيين.

المبحث الثاني

أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية

فطر الله تعالىٰ النفس البشرية علىٰ الاستقامة من أول خلقها، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي الحديث الشريف: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»[(١)].

فالنفس البشرية إذن يطرأ عليها ما يحيدُ بها عن الصراط المستقيم، فتحتاج إلىٰ الإصلاح والتقويم، وهذه مهمة الرسل عليهم السلام، ومن بعدهم المصلحين في كل زمان ومكان، وفي ديننا الحنيف دلائل للإصلاح النفسي للإنسان، من خلال مختلف التشريعات، التي تحثّ الفرد كما الجماعة علىٰ إصلاح الذات.

والعمل الخيري باب واسع لإصلاح النفس، وتحريرها من قيود الانحراف والآثام، نجد ذلك بالنظر إلىٰ نصوص الكتاب الكريم، كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مواضع، منها: الجنائز؛ بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَىٰ الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، ٢/ ٩٤ (١٣٥٨).

هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]؛ ففيه إشارة إلىٰ أن البخل وعدم الإنفاق إنما عائد ضرره علىٰ صاحبه؛ "لِأَنَّ الْبَاخِلَ اعْتَقَدَ أَنَّهُ مَنَعَ مَنْ دَعَاهُ إِلَىٰ الْإِنْفَاقِ، وَلَكِنَّ لَازِمَ بُخْلِهِ عَادَ عَلَيْهِ بِحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْ مَنَافِعِ ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ"[(١)].

وفي السنة النبويّة العديد من التوجيهات والإرشادات للإصلاح النفسي، والتي يمكن أن نذكر منها:

❁ أولا: تطهير النفس من مرض الشح والبخل:

جاء في الحديث المتفق عليه أن الرسول ﷺ قال: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَىٰ تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَىٰ جِلْدِهِ، حَتَّىٰ تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ»[(٢)].

قال ابن حجر في شرح الحديث نقلا عن الخطابي وغيره: "هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ؛ فَشَبَّهَهُمَا بِرَجُلَيْنِ أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَلْبَسَ دِرْعًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِنْ سِلَاحِ عَدُوِّهِ فَصَبَّهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ لِيَلْبَسَهَا، وَالدُّرُوعُ أَوَّلُ مَا تَقَعُ عَلَىٰ الصَّدْرِ وَالثَّدْيَيْنِ إِلَىٰ أَنْ يُدْخِلَ الْإِنْسَانُ يَدَيْهِ فِي كُمَّيْهَا، فَجَعَلَ الْمُنْفِقَ كَمَنْ لَبِسَ دِرْعًا سَابِغَةً فَاسْتَرْسَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ سَتَرَتْ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: "حَتَّىٰ تَعْفُوَ أَثَرَهُ"، أَيْ تَسْتُرُ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَجُعِلَ الْبَخِيلُ كَمَثَلِ رَجُلٍ غُلَّتْ يَدَاهُ إِلَىٰ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ١٣٧.

(٢) البخاري واللفظ له في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابُ مَثَلِ الْمُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٣)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ مَثَلِ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ، ٢/ ٧٠٨ (١٠٢١).

عُنُقِهِ، كُلَّمَا أَرَادَ لُبْسَهَا اجْتَمَعَتْ فِي عُنُقِهِ فَلَزِمَتْ تَرْقُوَتَهُ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: "قَلَصَتْ" أَيْ تَضَامَّتْ وَاجْتَمَعَتْ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْجَوَادَ إِذَا هَمَّ بِالصَّدَقَةِ انْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، فَتَوَسَّعَتْ فِي الْإِنْفَاقِ، وَالْبَخِيلُ إِذَا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالصَّدَقَةِ شَحَّتْ نَفْسُهُ، فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَانْقَبَضَتْ يَدَاهُ"[1]. ففي هذا المثل توضيح لصورة كلٍّ من المنفق والبخيل، وكيف أنّ نفس المنفق طيبة مسترسلة، لا يضايقها بخل خوف فقر، أو ذهاب غنىٰ، بخلاف البخيل، فإنّ نفسه ضيّقة حرجة، فهو لا يزال كذلك، حبيس شحه وبخله، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

❁ ثانيا: التخلّص من الأثرة والأنانية:

وهذا الأثر وإن كان قريبا من سابقه، إلا أنه يتميّز عنه بكون صاحب الصدقة أو الإنفاق يتخلّص من مرض الأنانية وحب الذات، وعدم التفكير في الآخرين، وهو ما يعود بالبؤس علىٰ صاحبه، وبحرمان الآخرين من حقّهم في المال الذي استخلفه الله بعض خلقه، ومن الأحاديث الدالة علىٰ ذلك، قول النبيّ ﷺ لأسماء رضي الله عنها: «أَنْفِقِي، وَلاَ تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعِي، فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ» [2]. ومعناه "النَّهْيُ عَنِ الْإِمْسَاكِ وَالْبُخْلِ، وَعَنِ ادِّخَارِ الْمَالِ فِي الْوِعَاءِ (...) [و] هُوَ مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ لِلتَّجْنِيسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَمَعْنَاهُ: يَمْنَعُكِ كَمَا مَنَعْتِ، وَيَقْتُرُ عَلَيْكِ كَمَا

(١) فتح الباري، ٣/ ٣٠٦.

(٢) متفق عليه: البخاري واللفظ له في موضعين، أحدهما: الهِبَة وَفَضْلهَا وَالتَّحْرِيض عَلَيْهَا؛ بَابُ هِبَةِ المَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا، ٣/ ١٥٨ (٢٥٩١)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ وَكَرَاهَةِ الْإِحْصَاءِ، ٢/ ٧١٣ (١٠٢٩).

قَتَرْتِ، وَيُمْسِكُ فَضْلَهُ عَنْكِ كَمَا أَمْسَكْتِهِ"[1]، وادّخار المال عادة يكون لأثرة وأنانيّة تمنع صاحبها عن البذل والعطاء، فيأتي العمل الخيري في صورة الصدقة ليدفع عن الإنسان هذا المرض، الذي إن استحكم حرم صاحبه من الأجر الوفير في الدنيا والآخرة.

❁ ثالثا: التحفيز على كسب الأجر ورفع الدرجات:

ومن ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألها النبي ﷺ عن الشاة التي ذبحوها: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»[2]. فالنفس لأول وهلة -وهو الظاهر- تعتقد أن الإنفاق نقص من المال، في حين أنه ذخر وأجر لصاحبه يوم القيامة. ومثله قوله ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ أَعْطَىٰ فَاقْتَنَىٰ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[3]. ومعنىٰ "فَاقْتَنَىٰ"، أي: "ادَّخَرَ ثَوَابَهُ"[4].

❁ رابعا: تعزيز الثقة بالنفس وعدم تحقير فعل الخير:

قد يحتقر الإنسان الصغائر من المعروف، فتأتي الأحاديث النبوية لتعزّز ثقته بنفسه وبإنفاقه، وأن القليل من الإنفاق قد يكون سببا في دخوله الجنة ونجاته من

---

(١) شرح النووي، ٧/ ١١٩.

(٢) الترمذي في سننه وصححه: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ؛ باب، ٤/ ٦٤٤ (٢٤٧٠).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم: الزهد والرقائق -من دون باب-، ٤/ ٢٢٧٣ (٢٩٥٩).

(٤) شرح النووي، ١٨/ ٩٤.

النار، ومن ذلك: قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1]. فشقّ التمرة وهو نصفها علىٰ صغره وقلته، لكنّه قد يكون وقاية لصاحبه من النار، فلا يبخل به علىٰ نفسه في الدنيا بأن يتصدّق به، ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالىٰ، كما أنّ الكلمة الطيبة، والتي ليس فيها أي بذل مالي، لها من الأثر والأجر كما للصدقة بالمال، وقد نقل الحافظ عن ابن بطال قوله: "وَجْهُ كَوْنِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ صَدَقَةً؛ أَنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ يَفْرَحُ بِهِ قَلْبُ الَّذِي يُعْطَاهُ، وَيَذْهَبُ مَا فِي قَلْبِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ، فاشتبها من هَذِه الْحَيْثِيَّة"[2].

❁ خامسا: الالتزام بالواجبات والمسؤوليات:

كثيرا ما يستسلم الناس للكسب السهل، فربما وقعوا في التسوّل واستعطاء الناس، إلاّ أنّ الإنفاق والعمل الخيري بشكل عام من شأنه أن يعزّز في النفس روح المسؤولية وأداء الواجبات، ويخلّصها من الكسل والتواكل والاعتماد علىٰ الغير، نجد ذلك في مثل قوله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ»[3]، وفي الحديث الذي أخرجه الشيخان: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًىٰ،

---

(١) متفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري واللفظ له في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ طِيبِ الكَلاَمِ، ٨/ ١١ (٦٠٢٣)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٤٤٩.

(٣) أخرجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: مسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الْآخِذَةُ، ٢/ ٧١٨ (١٠٣٦).

وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1]. ففي هذين الحديثين " تَقْدِيمُ نَفَقَةِ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ لِأَنَّهَا مُنْحَصِرَةٌ فِيهِ بِخِلَافِ نَفَقَةِ غَيْرِهِمْ"[2]، ولازم الإنفاق علىٰ من هم في كفالته القيام بالمسؤولية والواجب اتجاههم، وهذا يربي في النفس الاعتماد علىٰ الذات، والسعي لكسب الرزق، والتصدق بما زاد علىٰ الحاجة.

❁ سادسا: الحثّ على العمل وذمّ البطالة:

تعاني المجتمعات من ارتفاع نسب البطالة، خاصة بين فئة الشباب، والسبب ليس بالضرورة عدم توافر فرص العمل، وإنما كثيرا ما يكون العزوف عن العمل إما تكاسلا أو تكبّرا، فيوجّهنا النبي الكريم ﷺ إلىٰ أنّ العمل والكسب ببذل الجهد مهما كان ذلك العمل متواضعا، لسدّ حاجة صاحبه أولا، ولنفع الغير ثانيا، خير من السؤال وإراقة ماء الوجه، قال ﷺ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[3].

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ له، في مواضع، منها: النفقات؛ بَابُ وُجُوبِ النَّفَقَةِ عَلَىٰ الأَهْلِ وَالعِيَالِ، ٧/ ٦٣ (٥٣٥٥)؛ ومسلم من حديث حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضي الله عنه: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الْآخِذَةُ، ٢/ ٧١٧ (١٠٣٤).

(٢) شرح النووي، ٧/ ١٢٥.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم: البخاري: الزكاة؛ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وَكَمُ الغِنَىٰ، ٢/ ١٢٥ (١٤٨٠)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، ٢/ ٧٢١ (١٠٤٢).

❁ **سابعا: إسعاد النفس بخدمة الآخرين:**

السعادة مبتغىٰ ورجاء جميع الناس، ولكنّ الطريق إليها يختلف باختلاف رؤية كل شخص، ولذلك تتعدّد الوسائل والسبل التي يسلكها الناس لبلوغ ما يعتقدون أن فيه سعادتهم، ولكن التجربة أثبتت أنّ خدمة الآخرين وإدخال السرور علىٰ قلوبهم من أهم أسباب سعادة النفس؛ لأنها فُطرت علىٰ حبّ الخير، وفي الحديث الشريف: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّىٰ تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[(١)]. وفي حديث السيدة عائشة رضي الله عنه عن المسكينة التي شقّت التمرة بين ابنتيها، قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»[(٢)]. وفي الحديث الآخر المتّفق عليه: «السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[(٣)]. فهذا الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن يقوم علىٰ مؤنة غيره لدليل علىٰ أنّ النفس تسعد بسعادة غيرها ممن تكون سببا في سعادتهم، وهو أيضا تشجيع علىٰ البذل والعطاء.

فهذه بعض الآثار النفسية للعمل الخيري، وهي آثار جليلة، تُسهم في استقامة النفس، وشغلها بالنافع والمفيد لها ولغيرها.

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل أعرض للآثار التربوية للعمل الخيري.

---

(١) مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْبَنَاتِ، ٤/ ٢٠٢٧ (٢٦٣١).

(٢) مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْبَنَاتِ، ٤/ ٢٠٢٧ (٢٦٣٠).

(٣) البخاري في مواضع، منها: النفقات؛ بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَىٰ الأَهْلِ، ٧/ ٦٢ (٥٣٥٣)؛ ومسلم: الزُّهْد وَالرَّقَائِق؛ بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، ٤/ ٢٢٨٦ (٢٩٨٢).

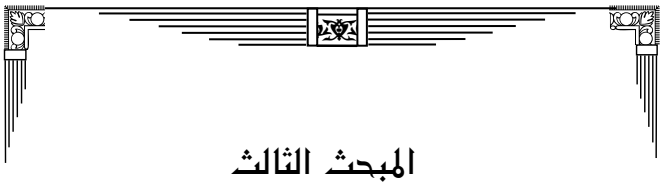

المبحث الثالث

أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية

اختلفت المراجع في معرفة أصل التربية من الناحية اللغوية إلىٰ عدّة معان، منها: نما وزاد، من ربا يربو، أو نشأ وترعرع، من ربىٰ يَرْبي، أو أصلح الشيء، من ربَّ أو رَبَب، يُربّي.

ولعلّ لفظ "التربية" يرجع إلىٰ هذه المعاني جميعا[1].

أما المعنىٰ الاصطلاحي فهو أشدّ اختلافا، بالنظر إلىٰ فلسفة وبيئة كل تعريف، وأيضا بالنظر إلىٰ أغراض التربية، ولكن يمكن القول إنها تعني في أحدث مفاهيمها: "عمليّة التكيّف أو التفاعل بين المتعلِّم (الفرد) وبيئته التي يعيشُ فيها، أي أنّها عمليّة صقل وتشكيل"[2].

وعليه، فالتربية بهذا المفهوم عنصر مهمّ في صلاح وإصلاح الفرد والمجتمع، ولذلك تولي الدول والحكومات أولويّة بالغة للمجال التربوي ومعه التعليمي، باعتباره أساس التغيير والتجديد والإصلاح في المجتمعات، وباعتباره الخطوة

(١) انظر: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ص١٧-١٨.

(٢) أسس التربية، نذير العبادي، ص٥.

الأولىٰ والسابقة علىٰ أي تحوّل منهجي في مسارات الأمم.

ونبيّنا الكريم صلوات ربي وسلامه، إنّما بُعث مربيا وهاديا ومُصْلِحا للمجتمع البشري بأكمله، وقد تميّز منهجه التربوي بأسس واضحة المعالم، يمكن استخلاصها من القرآن والسنة، والذي يهمّنا في هذا المقام، هو جانب العمل الخيري، وأثره في تربية الفرد والجماعة.

وإن كان ما سبق ذكره في المبحث الثاني من أثر السنة النبوية في الإصلاح النفسي هو جانب من أثرها كذلك في الجانب التربوي، ذلك أنّ هناك تكاملا بين الجانبين النفسي والتربوي؛ لأنّ التربية تختص بدراسة نمو الإنسان وتفاعله مع بيئته، وهو ما يعني بالضرورة التعرّض للجانب النفسي في سلوكه وتأثيره وتأثّره من الناحية التربوية(١).

والملاحظ في مجال العمل الخيري، أنّ الإسلام سعىٰ إلىٰ ترسيخ هذا المفهوم في الضمير الفردي والجمعي للأمة الإسلامية، وتشريع الأحكام التي تراوحت بين الفرض والوجوب، والندب والاستحباب، ليكون التكامل البشري، وتتحقّق مهمّة الخلافة في الأرض، ولذلك امتدح الله عباده المنفقين حتىٰ صار الإنفاق لهم سجيّة، فقال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وفي آية أخرىٰ يقول المولىٰ عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ

(١) انظر في علاقة التربية بعلم النفس: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ص٤٠-٤١؛ ومدخل إلىٰ التربية، سامي سلطي عريفج، ص٣٦-٣٨.

وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ونجد في مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] أنّ هذه الآية اشتملت علىٰ أصول فَضَائِلِ صِفَاتِ الْمُتَدَيِّنِينَ، كما يقول ابن عاشور، والتي منها "الإنفاق" للدلالة علىٰ أنه ملازم لهم؛ فهم ينفقون أموالهم طاعةً لله وابتغاء مرضاته، وَهذا الإنفاق "هُوَ أَصْلُ إِقَامَةِ أَوَدِ الْأُمَّةِ بِكِفَايَةِ حَاجِ الْمُحْتَاجِينَ، وَهُوَ قُرْبَةٌ مَالِيَّةٌ وَالْمَالُ شَقِيقُ النَّفْسِ"(١).

ومن إرشادات وتوجيهات السنة النبوية في مجال الإصلاح التربوي، يمكن الإشارة إلىٰ ما يلي:

❁ أولا: البذل والإنفاق عند المقدرة:

قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»(٢). فهذا الحديث الشريف يوجّهنا إلىٰ استحباب إنفاق المال في وجوه الخير، وتعويد المرء نفسه علىٰ ذلك، بحيث ينمو في شعوره الداخلي حب التصدّق وسدّ حاجات الناس، والمسارعة والمسابقة في أبواب الخير.

❁ ثانيا: المبادرة وروح الابتكار:

ففي حديث لجابر بن عبد الله رضي الله عنه "أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتِ» فَعَمِلَتِ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ١٨٥.

(٢) البخاري من حديث أبي هريرة أبي ذر رضي الله عنهما في مواضع، منها: كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ؛ بَابُ أَدَاءِ الدَّيْنِ، ٣/ ١١٦ (٢٣٨٩).

المِنْبَرَ"[1]. فهذه المرأة بادرت من تلقاء نفسها عندما سألت النبي ﷺ، ومن ثمّ أمرت غلامها النجار بصناعة وابتكار المنبر، وهكذا أفعال الخير، وقضاء حوائج الناس، تُبنىٰ في كثير من الأحيان علىٰ المبادرة، خاصة تجاه أولئك الذي وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

❁ ثالثا: تربية الحس الجماعي:

كما في قوله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[2]. فقد ضرب الرسول ﷺ هذا المثل للأشعريين إذا أرملوا أي فني طعامهم[3]، للدلالة علىٰ أنّ التفكير في الآخرين لبّ التربية والعمل الجماعي، والذي من ثمرته بناء مجتمع متماسك، يفزع بعضه لبعض، قال النووي في شرحه: "فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ، وَفَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ، وَفَضِيلَةُ خَلْطِ الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عِنْدَ قِلَّتِهَا فِي الْحَضَرِ ثُمَّ يَقْسِمُ"[4]. وبهذا تتطوّر المجتمعات وترتقي لتبلغ أعلىٰ درجات الحضارة.

---

(١) البخاري: الصلاة؛ بَابُ الِاسْتِعَانَةِ بِالنَّجَّارِ وَالصُّنَّاعِ فِي أَعْوَادِ المِنْبَرِ وَالمَسْجِدِ، ١/ ٩٧ (٤٤٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه واللفظ للبخاري: البخاري: الشركة؛ بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ، ٣/ ١٣٨ (٢٤٨٦)؛ ومسلم: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ؛ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ٤/ ١٩٤٤ (٢٥٠٠).

(٣) شرح النووي، ١٦/ ٦٢.

(٤) شرح النووي، ١٦/ ٦٢.

❁ رابعا: الجزاء من جنس العمل:

وهذه قاعدة جليلة، ربّانا الإسلام عليها، وأنّ من يصنع صنيعا، يلق جزاءه، إن في الدنيا أو الآخرة، فهي بذلك تمثّل دافعا وحافزا للبذل والعطاء، ومن الأحاديث الدالة عليها، قوله ﷺ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ»(١). أي "بَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مِثْلَهُ فِي مُسَمَّىٰ الْبَيْتِ... [أو] أَنَّ فَضْلَهُ عَلَىٰ بُيُوتِ الْجَنَّةِ كَفَضْلِ المسجد علىٰ بيوت الدنيا"(٢)،

❁ خامسا: استغلال الوقت:

كثير من الناس يقعون في مذمّة تضييع الوقت وعدم الاستفادة منه نتيجة الفراغ الذي يعانونه بشكل دائم أو متقطّع، فيأتي العمل الخيري ليسد هذا الفراغ، ويضع الحل الأمثل لهذه المشكلة، بخلق التوازن في حياة الإنسان، من خلال خدمة الآخرين، وشعور النفس بأنّ لها حاجة ومنفعة، مما يُكسب الثقة في النفس، وذلك في مثل قوله ﷺ الذي ذكر سابقا: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(٣)، فهذه أنواع للعمل

(١) متفق عليه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه واللفظ للبخاري: البخاري: الصلاة؛ بَابُ مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، ١/ ٩٧ (٤٥٠)؛ ومسلم: الْمَسَاجِد وَمَوَاضِع الصَّلَاةَ؛ بَابُ فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، ١/ ٣٧٨ (٥٣٣).

(٢) شرح النووي، ٥/ ١٤-١٥.

(٣) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الجهاد والسِّيَر؛ بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، ٤/ ٥٦ (٢٩٨٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ =

الخيري، سمّاها النبي ﷺ صدقة؛ لما فيها من تقديم العون والمواساة للغير، وهكذا يمكن ان تتّسع لتشمل كلّ عمل تطوّعي يقوم به الإنسان في الحالات العادية او عند حلول الكوارث والنكبات.

❁ سادسا: استثمار المواهب والطاقات:

النفس البشرية طاقة مكنونة، وقد لا يعرف صاحبُها قيمتها إلاّ إذا استُثيرت، وفُسح لها المجال للإبداع واستغلال القدرات، ولذلك كثيرا ما يكتشف بعض الناس ذواتهم من خلال العمل الخيري؛ لأنهم وجدوا الفرصة لإطلاق طاقاتهم واستثمار مواهبهم وإبداعاتهم، وخير مثال علىٰ ذلك من السنة النبوية الشريفة، قوله ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[1]. فهذا التدرّج في شغل النفس واستغلال قدراتها دعوة إلىٰ اكتشاف مكنوناتها، واستغلالها بصورة أمثل، مهما كان صاحبها من حيث الذكاء والفطنة؛ لأن كل إنسان هو مميّز بالعقل الذي هو آلة التفكير والإبداع، فمتىٰ ما استعمله وفكّر وتدبّر وعمل به في جميع أبواب الخير، أمكنه من الوصول إلىٰ أفضل النتائج وأروعها، ويدل عليه لفظ العموم في قوله ﷺ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ»، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن أبي جمرة قوله في شرح هذا الحديث: "تَرْتِيبُ هَذَا

= نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٩).

(١) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَدَبَ إِلَىٰ الصَّدَقَةِ، وَعِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا نَدَبَ إِلَىٰ مَا يَقْرُبُ مِنْهَا، أَوْ يَقُومُ مَقَامَهَا، وَهُوَ الْعَمَلُ وَالِانْتِفَاعُ، وَعِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ نَدَبَ إِلَىٰ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ وَهُوَ الْإِغَاثَةُ، وَعِنْدَ عدم ذَلِك نَدَبَ إِلَىٰ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ، أَيْ مِنْ سِوَىٰ مَا تَقَدَّمَ؛ كَإِمَاطَةِ الْأَذَىٰ، وَعِنْدَ عَدَمِ ذَلِكَ نَدَبَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَإِنْ لَمْ يُطِقْ فَتَرْكُ الشَّرِّ وَذَلِكَ آخِرُ الْمَرَاتِبِ"[1].

فهذه بعض من آثار العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية، ولعلّ هناك تداخلا واضحا بينها وبين آثار العمل الخيري في الإصلاح النفسي، لما بينهما من تكامل، والسنة النبوية المطهرة مصدر غزير في الإصلاح بجميع أنواعه.

وأصل الآن إلىٰ خاتمة البحث وما تضمّنته من نتائج وتوصيات.

(١) فتح الباري، ٣/ ٣٠٨-٣٠٩.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن أن نَخْلُصُ إلىٰ جملة من النتائج والتوصيات، هي:

❁ أولا: النتائج:

١. إنّ العمل الخيري ركيزة من ركائز الإسلام؛ حيث إنّه لا غنىٰ عنه في المجتمع من أجل تلبية حاجات ومتطلبات الناس علىٰ اختلافهم.

٢. جُعل العمل الخيري مجالا للتنافس والتسابق لنيل أعلىٰ الدرجات؛ حتىٰ يكون معينا لا ينضب، وموردا لا ينقطع في مؤازرة الناس بعضهم لبعض.

٣. تميّز العمل الخيري في السنة النبوية بعدّة خصائص، كالعبودية، والعموم، والشمولية، والوسطيّة والاعتدال، لتحقيق المقاصد الكبرىٰ للشريعة الإسلامية، وهي خصائص لا يُمكن إلاّ أن تكون ربّانيّة.

٤. للعمل الخيري في السنة النبوية أهمية بالغة تجلّت بوضوح من خلال الأحاديث الشريفة التي بيّنت دور العمل الخيري في التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، وتحقيق الاكتفاء الذاتي وإحلال الأمن والطمأنينة وغير ذلك.

٥. العمل الخيري طريق ووسيلة فاعلة في علاج العديد من الأمراض النفسية كالبخل والشح والأثرة والأنانية.

٦. بيّنت العديد من الأحاديث النبوية أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال التحفيز علىٰ كسب الأجر ورفع الدرجات، وتعزيز الثقة بالنفس، وبثّ

روح المسؤولية.

٧. يسهم العمل الخيري من خلال السنة النبوية في التشجيع علىٰ العمل والجدّ والاجتهاد والتخلّص من الكسل والبطالة.

٨. بيّنت السنة النبوية أن العمل الخيري سبيل لإسعاد النفس وشغلها بخدمة الآخرين.

٩. العمل الخيري مدخل إلىٰ العديد من الإصلاحات التربوية، كالتحفيز علىٰ البذل والإنفاق عند المقدرة، وبثّ روح المبادرة الابتكار، وتربية الحس الجماعي، واستغلال الوقت، واستثمار المواهب والطاقات.

❁ ثانيا: التوصيات، وتتمثّل في:

١. تكثيف الدعاية للعمل الخيري وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع من خلال المؤتمرات والندوات ومختلف وسائل التواصل الحديثة.

٢. تشجيع العمل الخيري الفردي والمؤسساتي، وتعزيز الثقة في القائمين عليه.

٣. تكليف ذوي الخبرة والكفاءة للقيام علىٰ مختلف مؤسسات العمل الخيري.

هذا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أسس التربية، نذير العبادي، ط١، عمّان: دار يافا، دار مكين، ٢٠٠٦.

٢. أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٣. أصول علم النفس، محمد شحاتة ربيع، ط١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضىٰ، الزَّبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٦. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٦٥٤هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخران، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م.

٩. شرح النووي علىٰ مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. علم النفس، أحمد يحيىٰ الزق، عمّان: دار وائل، ٢٠٠٦.

١٣. العين (كتاب)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

١٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (المتوفىٰ: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١)، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

١٨. مبادئ علم النفس، سامي حسن الختاتنة وآخران، ط١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٩. مدخل إلىٰ التربية، سامي سلطي عريفج، ط٢، عمّان: دار الفكر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطب عة١، ١٤١٢ه.

٢٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

تفعيل خُلُقِ الإحسان
في العمل الخيري
ودَوْره في إصلاح المجتمع

إعــداد

دكتـــور/

محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

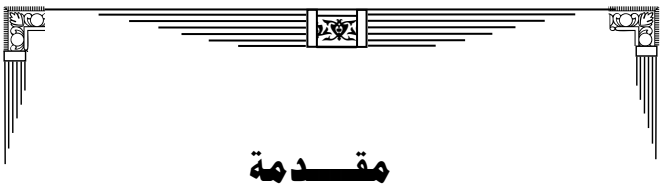

مقـــدمة

الحمد لله الذي جعل جزاء الإحسان إحسانًا، أحمده سبحانه حَمْدَ الشَّاكرين، وأشكره شُكْرَ الحامدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم الرُّسل وأفضل الأنبياء، اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله وصحبه؛ أما بعد:

فإنَّ الإسلام يَستهدفُ أن يَعُمَّ الإحسانُ كلَّ عمل، وكلَّ تَصَرُّفٍ، وكلَّ قولٍ؛ علىٰ كل المستويات الفردية والجماعية، نعم؛ يَعُمُّه في علاقة الفَرد بخالقه، وأُسرته، والمجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقة الأُمَّةِ بالفَرد، وعلاقة الدولة بالأفراد والجماعات؛ في العلاقة بالله.

وما أَحَوْجُ الأمَّة في واقعها الْمُعاصر إلىٰ خُلُقِ الإحسان في كل شيء؛ في الأعمال الخَيرية، وفي التعاملات المجتمعية، وفي الحِرفة والصَنْعَة المهَنية.

فخُلُقُ الإحسان أساسٌ في صياغة رؤيةٍ خيرية إصلاحية شاملة؛ من كل الجوانب التَّكْوينيَّة للمُسلم؛ الْمُنعكسة تلقائيًا علي السُّلوك الخارجي والعملي، المنتهية عند معالجة الْمُعْضِلات الحياتية؛ الخاصة بالفرد، والمجتمع علىٰ حد سواء؛ فالمسلمون جميعًا مُطالبون بالإحسان في المعاملات كُلِّها؛ من أجلِ حلِّ مُعْضِلات الفَاقَة والفقر؛ بشكلٍ إصلاحي يَتَّسِمُ بالرُّقي، وبعيدًا عن الكَسَالىٰ الذين أَخْلدوا إلىٰ الأرض، وقَبعوا في مُستنْقع التَّوَاكل والخُمول والرَّجعية، وأمثالُ هؤلاء لا رُؤية لدَيْهم ولا رأىَ لهم؛ ولكن أُنْشِدُ الْمُحسنين العاملين؛ الذين جَمعوا

بين الروح والجسد، ونهضوا بالدُّنيا للدِّين، وسَهروا يُخطِّطُون كيف يملكون الدنيا، ويترفعون عنها وهيَ بين أيديهم بإمكاناتها، ويُدَبِّرُون كيف يتمكنون منها دُون أن يُمكِّنُوها منهم.

وفي ظلِّ إعادة صياغة هيكلة التَّوجُّهات الخيرية والإصلاحية، مع ما يتطابق ومفهوم الإحسان، والاتجاه إلىٰ التَّقدم بفاعلية وإنجاز؛ تبدو ضرورةُ الاستعانةِ بفِقْهِ إحسان السُّلوك والتفكير، والقصد عمومًا لتطوير وهَيْكلة المنظومة المجتمعية؛ حول مفاهيم الإحسان وتطبيقاته؛ بما يُتيح لها تحقيق الذَّات، وتقديم الخدمات، وتوفير الإمكانات التنموية؛ وعليه وقع اختيار الله وقدُره؛ لأبحث في موضوع يتعلق بخُلُق الإحسان، ودافعيَّتِه في إثراء العمل الخيري، وجاء تحت عنوان: **"تفعيلُ خُلُق الإحسان في العمل الخيري، ودوره في إصلاح المجتمع"**، وفيما يلي نعرض لأهمية البحث، ومنهجه، وأهدافه، وخُطَّته:

❁ أولًا: أهمية البحث:

إنَّ السِّمة التي يتفرَّدُ بها خُلُق الإحسان في صياغة رؤية خَيرية تُحقق إصلاحًا اجتماعيًا، جعلتْ فَهْمَ تطبيقاته وإسْقاطه علىٰ كافة شُؤون ومجالات الحياة ضرورة مُلِحَّة؛ للتَّعرف علىٰ الملامح الأساسية له، والدور المحوري الذي يقوم به؛ في سبيل معالجة مشكلات مادية، وسلوكية، ودَعوية؛ تحت مَظَلَّةِ العمل الخيري، وتَتَلَخَّصُ أهمية الموضوع؛ فيما يلي:

١ ـ **الأهمية العِلْمِيَّة**: يرىٰ الباحثُ أن فهم العلاقة بين الإحسان والعمل الخيري، وانعكاس ذلك علىٰ الإصلاح المجتمعي؛ يَستلزم عُمْقَ البحث فيها، فرَغْم ما كُتِبَ فيها؛ إلا أنَّها تفتقر إلىٰ دِراسة عِلْمية مُتأصلة مباشرة.

٢ ـ **الأهمية العَمَلِيَّة**: وهذه الأهمية؛ تَتَمثَّلُ في استقصاء غِياب الإحسان؛ في

كثير من المجالات والتعاملات بالنسبة للمُجتمعات المعاصرة، مع أنَّه مُتأصل واقعيٌ ومشروط في نهضة المجتمع الْمُسلم؛ لأنَّه يمسُّ جُذور التَّكوين البِنَائي؛ للقيم والأفكار التي تَمَسُّ المجتمع، وتُؤثر مباشرة في تشكيل وصياغة خُطَطِه الإصلاحية.

٣ ـ الأهمية المُستقبلِيَّة: وتُعدُّ هذه الأهمية من الضرورة بمكان؛ فالواقع المعاصر يحتاج إلىٰ التركيز علىٰ خُلُق الإحسان في إدارة العمل التخيري والتطوعي؛ لحاجتنا إلىٰ مُستقبل؛ مُشرق يَصوغ صورة الأمَّة المسلمة قي هيئة مُتطورة، تَنْعكس من بِنائها الأصيل، الذي أرساه رسولُ الله ﷺ.

❁ ثانيًا: منهج البحث:

اتبع الباحث في منهج دراسته عدة مناهج بحثية؛ انطلاقًا من مبدأ التكامل المنهجي؛ وهي كالآتي:

١ـ المنهج التاريخي: لأنَّ البحث يرتبط بأحداث استشهادية تاريخية.

٢ ـ المنهج الوصفي: حيث يصفُ الباحث ملامح العمل الخيري؛ في ظل خُلُق الإحسان.

٣ ـ المنهج التحليلي: سَلَكَ الباحث بعض التحليل لبعض القضايا المرتبطة بخُلُق الإحسان، ومواءمته للصُّور الحضارية للإصلاح الاجتماعي؛ وصولًا إلىٰ أهدافه.

❁ **ثالثًا: أهداف الدراسة:**

١. معالجة مُعوِّقات العمل الخيري؛ من خلال خُلُق الإحسان.

٢. الاستفادة من العمل الخيري في تنمية المجتمع؛ في ضوء خُلُق الإحسان.

٣. بيان الصِّلَة الشديدة بين الإحسان والعمل الخيري.

❁ **رابعًا: خُطَّة البحث: تحتوي هذه الدراسة على؛ مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة:**

المقدمة: وفيها زُبْدة مُوجزة عن موضوع الدراسة، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول: مفهوم خُلُق الإحسان، وضرورته في الإصلاح المجتمعى.

الفصل الثاني: مستويات الإحسان في العمل الخيري، ودرجاته في الإصلاح الاجتماعي.

الفصل الثالث: غاية تفعيل الإحسان في العمل الخيري، ومجالاته في الإصلاح الاجتماعي.

أما الخاتمة: ففيها أهمُّ النتائج والتَّوصيات.

أسأل الله تعالىٰ أنْ يتقبَّله بفضله علىٰ ما فيه؛ من تقصير وزَلل بشري، أو خلل فكري.

وصلِّ اللهمَّ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

مفهوم خُلُق الإحسان وضرورته في الإصلاح المجتمعي

❁ أولًا: مفهوم الخُلُق:

يدور معنىٰ الخُلُق لُغَةً حول عدة معان؛ هى: "السَّجِيَّةُ، والطَّبْعُ، والْمُروءةُ، والدِّينُ"[1] وهذه المعاني هي المشهورة في معاجم اللُّغة.

والخُلُق في الاصطلاح:

قِيل الخُلُق: "حالٌ للنَّفس، داعيةٌ لها إلىٰ أفعالها من غير فِكر ولا رُوية، وهذه الحال تنقسم الىٰ قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المِزاج؛ كالإنسان الذي يُحركة أدْنَىٰ شيء نحو غضب، ويهيج من أقلِّ سبب، وكالإنسان الذي يُجنُّ من أيسر شيء، كالذي يفزع من أدنىٰ صوت يَطْرُق سمعه، أو يرتاع من خَبَرٍ يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مُفرطًا من أي شيء يُعجبه، وكالذي يَغْتَمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتَّدريب، وربما كان

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط. أولىٰ، سنة ١٤٠٦ هـ) صـ ١١٣٧؛ وانظر: كتاب الكلِّيَّات، معجم في المصطلحات والفروق؛ أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) صـ ٦٧٣.

مبدأه الفكر، ثُمَّ يستمر عليه أولًا فأولًا حتىٰ يَصِير مَلَكَةً وخُلُقا" [1].

وقيل: "مجموعة من المعاني والصِّفات المستقرة في النَّفس، وفي ضوئها وميزانها؛ يَحسُن الفعل في نظر الإنسان أو يَقْبح، ومن ثم يَقْدُمُ عليه أو يُحجِمُ عنه"[2].

وعرَّف بعض العلماء الأخلاق بأنها: "التَّحَلِّي بالمليح، والتَّخَلِّي عن القبيح"، ولا شكَّ أنَّ هذا التعريف هو أَخْصَرُ من التعريفات السابقة، وأقرب الىٰ الدَّلالة علىٰ المطلوب؛ ولكن لو قُيِّدَ بحسب الشَّرع لكان ذلك أحسنُ في نظرنا؛ لتفادي تَوَهُّمِ التَّحسين والتَّقَبُّحِ العقليين، وذلك غير مُراد، فلو قيل: "فعل المليح، والتَّخلي عن القبيح؛ بحسب الشرع"، لكان هذا أَوْلَىٰ حتىٰ نَنْأىٰ بالتعريف عن المناهج والتعريفات الفلسفية، وقد تَنَبَّه لذلك بعض الباحثين الأفذاذ؛ مثل الدكتور يالجن؛ فحدَّدَ مفهومَ الأخلاق في الإسلام بقوله: "يُمكن تحديد مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام؛ بأن الأخلاق عبارة عن: عِلْمِ الخير والشر، والحُسْن، والقُبح، وله قواعده التي حدَّدَها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، علىٰ نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم علىٰ أكْمَل وجه" [3].

وثَمَّ تطابق بين المعنىٰ اللغوي للأخلاق، ومعناها الاصطلاحي "فالعلماء

---

(١) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم (ط. دار مكتبة الحياه للطباعة والنشر، بيروت.ط.ثانية، د. ت) صـ ٥١.

(٢) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة (دار الوفاء للطباعة، مصر، ط. ثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) صـ ٧٩.

(٣) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية (ط.دار عالم الكتب، الرياض،ط. أولىٰ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م) صـ ٨١.

يريدون بها تلك الصفات التي تَقوم بالنَّفس علىٰ سبيل الرُّسُوخ، ويَستحق الموصوف بها المدح أو الذَّم"[(١)].

❁ ثانيًا: معنى الإحسان:

الإحسان في اللغة: "مُشتقٌّ من الحُسْنِ، ومادة الحُسْنِ تدور في اللغة حول الجمال" [(٢)] في كل شيء وهو "ضدُّ القبيح ونقيضة" [(٣)]، و"حسَّنْتُ الشئ تحسينًا: زيَّنْتُه" [(٤)]، و"المحاسن: المواضع الحَسَنة من البَدَنِ" [(٥)].

و"هو مصدر: تقول أحسنَ يُحسن إحسانًا، ويتعدىٰ بنفسه وبغيره، تقول أحسنتُ كذا إذا أتقنته، وأحسنتُ إلىٰ فلان إذا أوصلتَ إليه النفع، والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يَلحظُ الثاني بأن المخلص مثلًا مُحسن بإخلاصه إلىٰ نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود"[(٦)].

---

(١) عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ط.دار النفائس، عمان، ط.عاشرة، سنة ١٤٢١، ٢٠٠٠م) صـ ١٥٧.

(٢)الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ط. دار الفكر، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م) جـ ٤، صـ ٢١٣.

(٣)ابن منظور، لسان العرب، بتحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي (ط. دار المعارف، د.ت) جـ ٣، صـ ٨٧٧، وانظر مختار الصحاح؛ لمحمد بن أبي بكر الرازي (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت) صـ ١٣٦

(٤)ابن منظور، لسان العرب، جـ ٣، صـ ٨٧٧، وانظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، صـ ١٣٧.

(٥)الفيروزآبادي، القاموس المحيط، جـ ٤، صـ ٢١٤.

(٦)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي =

وفي التوقيف علىٰ مهمات التعاريف: "الحُسْنُ: كل مُبْهِجٍ مرغوب فيه، وهو ثلاثة؛ مُسْتَحسن من جهة العقل، ومُسْتَحسن من جهة الهوىٰ، ومُسْتَحسن من جهة الحُسْن"[(١)].

وقال الجرجاني في التعريفات: "الحُسْن: هو كَون الشيء مُلائمًا للطَّبْع كالفرح، وكَون الشيء صفة الكمال كالعلم، وكَون الشيء متُعلق بالمدح كالعبادات، وهو ما يكون مُتعلق بالمدح في العاجل، والثواب في الآجل، والحُسن لمعنىٰ في نفسه؛ عبارةٌ عمَّا اتَّصفَ بالحُسن لمعنىٰ ثَبُتَ في ذاته كالإيمان بالله وصفاته، والحُسن لمعنىٰ في غيره هو الاتِّصاف بالحُسن لمعنىٰ ثَبُتَ في غيره كالجهاد؛ فإنَّه ليس بحُسن لذاته؛ لأنَّه تخريب بلاد الله وتعذيب عباده وإفناؤهم)[(٢)].

والإحسان اصطلاحًا:

عرَّفه صاحب جوامع الكَلِم ﷺ بقوله في جوابه علىٰ سؤال جبريل؛ حين سأله: (مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٣)].

= (ط.دار الكتب العلمية – بيروت ـ د.ت) جـ٧ صـ ٢٧٠.

(١)محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط.دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق ط. الأولىٰ، ١٤١٠) جـ ١، صـ ٢٧٩.

(٢)علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٠٥) صـ ١١٧، ١١٨.

(٣)جزء من حديث الإيمان الطويل ونَصُّه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ =

الإحسان: "أن تعبد الله كأنَّك تراه، والإحسان: العفو عن الناس"[1]،وقِيلَ: "الإحسان: الصبر علىٰ طاعة الله في أمْره ونهيه؛ سرًا وجهرًا" [2].

ويقول سفيان الثوري: الإحسان: أن تكون السَّريرة أفضل من العلانية، ويقول

= الزَّكاة الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا؛ إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبل؛ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الْآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاس دِينَهُمْ، قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ)، والحديث أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة)، راجع فتح الباري، شرح صحيح البخاري؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، بتحقيق محب الدين بن الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (ط. دار الريان للتراث، المكتبة السلفية، طبعة ثالثة، سنة ١٤٠٧هـ) جـ ١ صـ ١٤٠، وأخرجه مُسلم في صحيحه، انظر المنهاج شرح صحيح مُسلم بن الحجاج؛ لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري النووي، كتاب الايمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت – طبعة ثانية، ١٣٩٢) جـ١، صـ ١٥٧.

(١)أبو إسحاق؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبي، النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولىٰ) جـ ٦، صـ ٣٧ باختصار.

(٢)الإمام عز الدين؛ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الدمشقي، الشافعي، تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (دار ابن حزم ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م) جـ ١، صـ ٥٧٧.

علي رضي الله عنه: الإحسان: التَفَضُّل" [1].

وعرفه السلمي بقوله: "الإحسان: هو الاستقامة إلىٰ الموت، وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه، والإحسان: إحسانك إلىٰ من اسْتَرعاك اللهُ أمرَه، ولُزوم النَّفْس لكل مُسْتَحْسَنٍ من الأقوال والأفعال" [2]، وقال ابن كثير رحمه الله: "الإحسان: أن يَعطيَ الإنسانُ أكثرَ مما عليه، وأن يأخذَ أقلَّ مما له" [3].

وقيل: الإحسان؛ هو العمل بما لم يفرضْه عليهم من الأعمال، ولكنَّه نوافلُ تقرَّبوا بها إلىٰ ربِّهم؛ طلبَ رِضاه، وهربًا من عقابه، والله يحب الْمُتقرِّبين إليه بنوافلِ الأعمال التي يرضاها [4].

وعرفه المناوي بقوله: (الإحسان: أي الإخلاص وهو تَصْفية العمل عن شَوْب الغَرَضِ والعَوَضِ) [5]، وقِيل (الإحسان: الإشارةُ إلىٰ المُرَاقَبَة، وحُسْن

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي، أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ـ الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) جـ ٢، صـ ٤٣٥.

(٢)أبو عبد الرحمن؛ محمد بن الحسين بن موسىٰ، الأزدي، السلمي، تفسير السلمي، حقائق التفسير، تحقيق سيد عمران (دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) جـ ١، صـ ٣٧٢.

(٣)ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم (ط. دار المعرفة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م) جـ٢، صـ ٥٩٣.

(٤)محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي؛ أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) جـ ١٠، صـ ٥٧٦.

(٥)الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – الطبعة: الثالثة ـ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) جـ ١، صـ ٨٧٥.

الطاعة؛ فإنَّ مَن راقَب الله أحْسَن عملَه)[1].

وقد حاول الراغب الأصفهاني أنْ يجمعَ شَمْلَ معاني الإحسان؛ ليصُوغ مفهومًا جامعًا؛ فقال: "الحُسْنُ عبارةٌ عن كل مُبْهِج مرغوبٌ فيه؛ وذلك ثلاثة أَضْرُبٍ: مُسْتَحْسَنٌ من جهة العقل، ومُسْتَحْسَنٌ من جهة الهوىٰ، ومُسْتَحْسَنٌ من جهة الحسِّ، والحَسَنَةُ يُعبَّر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمةٍ تَنَالُ الإنسانَ في نفسه، وبدنه، وأحواله، والسيئةُ تُضادُّها... ؛فقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨] -أي: خِصْب وسَعَة وظَفَر - ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء:٧٨] -أي جَدْب وضيق وخَيْبة - وقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] "[2].

ثم قال: "والاحسان؛ يُقال علىٰ وجهين:

❁ **أحدهما:**

الإنعام علىٰ الغَيْر، يُقال: أحسنَ إلىٰ فلان، **والثاني:** إحسانُ فِعْله، وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حسنًا، أو عَمِلَ عملًا حسنًا، وعلىٰ هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: (النَّاس أبناء ما يُحسنون)؛ أي مَنْسُوبون إلىٰ ما يعلمون، وما يعْمَلُونه من الأفعال الحسنة... فالإحسان أعمُّ من من الإنعام)"[3].

---

(١)أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ ١، صـ ٩٦٢.

(٢)الراغب الأصفهاني؛ المفردات في غريب القرآن، مادة (حسن)، (ط. دار المعرفة، د.ت) صـ ١١٨ - ١١٩.

(٣)نفس المصدر والصفحة.

❁ ثانيًا: ضرورة خُلُق الإحسان في العمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي:

يُعدُّ خُلُق الإحسان ضرورة مِحْورية في العمل الخيري، والإصلاح المجتمعي، ويأتي ذلك من عدَّةِ محاور:

الأول: ضرورة الإحسان في إصلاح منظومة العمل؛ داخلٌ بنهوض المجتمعات:

العـــــملُ هو: (الفعل وجمعه أعمـــــال، وأَعْمَلَه واسْتَعْمَلَه غيره، واعْتَمَلَ: عَمِل بنفسه)[1].

والظاهرُ أن هناك فَرقًا بين العمل والمهنة؛ فكلُّ مهنةٍ عملٌ، وليس كلُّ عملٍ مهنةٌ؛ لأنَّ المهنة تقتضي الإتقان والمعرفة الدقيقة بخلاف العمل، فقد يعمل الإنسان في عمل لا يُتقنه؛ فلا يُمْكنُ أنْ نُسميه مُمْتَهِنًا له؛ حتىٰ يُتقنه؛ إلا أن يُتَجَوَّزَ في ذلك.

والعمل بمعناه الواسع في الإسلام هو: "كلُّ جُهْدٍ وعملٍ مادي أو معنوي أو مؤلف منهما معًا؛ يُعدُّ عَمَلًا في نظر الإسلام؛ فعامل المصنع ومديره، والموظف في الدولة، والتاجر، وصاحب الأرض، والطبيب، والمهندس؛ كلُّ هؤلاء عمالٌ في الدولة الإسلامية"[2].

والإسلام يأمر الإنسان بأنْ يُعَمِّرَ حياته بالعمل الْمُتْقَنِ الصالح؛ للانتفاع بما سخر الله له في الأرض، وتواصلُ العمل الصالح ينـزعُ بالحياة الإنسانية إلىٰ الرُّقي المستمر، وحبُّ العمل من مظاهر الفِطْرة الإنسانية السَّوِيَّة، وممارستُهُ العمل من

---

(١)الفيروزابادىٰ؛ القاموس المحيط، فصل العين باب اللام، صـ ٢٢.

(٢)نحو ثقافة إسلامية أصيلة؛ عمر سليمان الأشقر (ط. أولىٰ، دار النفائس: عمان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) صـ ٣٠٣.

أَوْكَدِ ظواهرِ الحياة الإنسانية الرَّاقية، ويشترك في ذلك النوع الإنساني عامةً؛ ومن أبرزهم الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، وهم أفضل خلق الله.

ثم إنَّ العمل مصدرُ الحياة الإنسانية، وسرُّ عظمتها، وبه تُتَّخَذُ أسبابُ استمرار الحياة وتقدُّمِها، وعلىٰ ضوء هذه النُّظم الاجتماعية؛ تصعد الحياة البشرية نحو مُستويات أكثر فأكثر في مجالات التَّرَقِّي والتقدم، أو تنحدر إلىٰ أسفل سافلين؛ كُلَّمَا تقاعَسَتْ عن حُسْنِ أداء العمل الصالح؛ وبذلك اقتضتْ سُنَّة الله في خلقه أن هذه الأرزاق التي ضَمِنَها، والأقواتَ التي قدَّرَها، والمعايش التي يَسَّرَها؛ لا تُنال إلا بجهد يُبْذَل وعمل يُؤَدَّىٰ بإحسان؛ ولهذا رتَّبَ الله سبحانه وتعالىٰ الأكلَ من رزقه؛ علىٰ المشي في مناكب أرضه؛ فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:١٥].

والعمل الدُّنْيَوي إذا أُتْقِنَ وأُحْسِنَ وصَحَّتْ فيه النِّيَّةُ، وصَدَرَ عن منهج إسلامي؛ بحيث رُوعِيَتْ فيه أحكامُ الإسلام؛ يكون في حد ذاته عبادة؛ فإذا سعىٰ الإنسان علىٰ معاشه ليعفَّ نفسَه، أو يعولَ أهله، أو يُحْسِنَ إلىٰ أرحامه وجيرانه، أو ليُعَاوِنَ في عمل الخير، ونُصْرَةِ الحقِّ؛ فإنَّ ذلك ضَرْبٌ من الجهاد في سبيل الله؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّاعي علىٰ الأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النَّهار»[(١)].

وإن خُلُق الإحسان؛ يتضمن التأكيد علي قيمة إتقان العَمَل، والجودة، وكفاءة

(١)الحديث متفق عليه؛ رواه الإمام البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة علىٰ الأهل، رقم الحديث: ٥٣٥٣، انظر: فتح الباري ٩ / ٤٠٧. ورواه الإمام مُسلم؛ في كتاب الزهد، باب: فضل الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، رقم الحديث ٤١ (٢٩٨٢).

الأداء، ومهارة الصُّنع، وضمير المهنة، وإخلاص العمل؛ قال تعالي:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ أيْ: لا نُبْطل ثواب من أحسن عملًا في الآخرة[1].

و(عن أبي كليب أنَّه شَهِدَ مع أبيه جنازة؛ شهدها رسول الله ﷺ؛ وأنا غلام أعْقِلُ وأَفْهَمُ، فانتهىٰ بالجنازة إلىٰ القبر، ولم يُمَكَّنْ لها؛ قال: فجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يقول: «سَوُّوا لحدِّ هذا؛ حتىٰ ظنَّ النَّاس أنَّه سُنَّةً، فالتفتْ إليهم فقال: أَمَا إنَّ هذا لا ينفعُ الميتَ ولا يَضُرُّه؛ ولكنَّ الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن»[2].

ويُؤخذ من هذا الحديث فوائد؛ منها: أنَّ (الإحسان) والحثَّ عليه ليس مُقتصرًا علىٰ أمور العبادة فحسب، بل؛ يمتد حتىٰ يصل للأمور الدُّنْيَوية؛ ومنها: شعور المسلم بالإنجاز السليم، وأنه عمل ما يحبه الله، وأنه بإحسانه راضٍ عن نفسه؛ بعدم التقصير.

ثم إن أداء الواجب بإتقان، يَسْبِقُ دائمًا طلبَ الحقِّ، والإسلام يرفض الاستثناء في أي شيء وفي أي مجال وتحت أيِّ ظرف؛ فالكل أمام قانون الإحسان بإتقان العمل الخيري الإصلاحي وغيره سواء، والتعامل يجب أن يتمَّ بمكيال واحد؛ دون أية ازدواجية في معايير التقويم، والمجتمع دائمًا يُخاطِبُ بلُغَةِ الإنجاز

(١)أبو الليث؛ نصر بن محمد بن إبراهيم، السمرقندي، الفقيه، الحنفي، بحر العلوم، تحقيق: د.محمود مطرجي (ط. دار النشر: دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ٣٤٥.

(٢)أخرجه البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي؛ شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، باب: في الأمانات وما يجب من أدائها إلىٰ أهلها (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولىٰ،سنة ١٤١٠هـ) جـ٤، صـ ٣٣٥.

التي يتردد صداها في بيوت النَّاس وجيوبهم، وإنَّ التقدم له أسبابٌ؛ من أخذَ بها فازَ، ومن تخلَّي عنها خابَ وخَسَر، والتقدم والنهوض لا يقف عند حدود الرغبة.

الثاني: أن خُلُق الإحسان يَعْمِدُ إلى مُراقبة الله؛ في كافَّةِ التحركات الاجتماعية:

إنَّ مُراقبة الله تعالىٰ هي أصلٌ في خُلُق الإحسان، "ولا شكَّ أن العاقل إذا عَلِمَ أنَّ الحكمة التي خُلِقَ من أجلها؛ هي أن يُبْتَلَىٰ؛ أي يُخْتَبَر بإحسان العمل؛ فإنه يَهْتَمُّ كلَّ الاهتمامِ بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار، ولهذه الحكمة الكُبرىٰ سأل جبريلُ النَّبيَّ ﷺ عن هذا؛ ليُعَلِّمَه لأصحاب النَّبي ﷺ؛ فقال: "أخبرني عن الإحسان"، أيْ: وهو الذي خُلِقَ الخَلْقُ لأجلِ الاختبار فيه، فبيَّن النَّبي ﷺ أنَّ الطريق إلىٰ ذلك؛ هي هذا الواعظ، والزَّاجر الأكبر؛ الذي هو مُراقبة الله تعالىٰ، والعِلْمُ بأنَّه لا يخفىٰ عليه شيء مما يفعل خَلْقُه؛ فقال له: «الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك»[1].

والإحساسُ بمراقبة الله؛ أقوىٰ عاملٍ علىٰ اكتساب الإحسان في القول والعمل؛ وذلك مَدْعاةٌ إلىٰ النهوض بالمجتمعات، ومما يُثْبِتُ مُلاحقةَ مُراقبةِ اللهِ للإنسانِ في كل شيء؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣].

وفيه دَلالة علىٰ أنَّ السِّرَّ والجهرَ عند الله وفي عِلْمِ الله علىٰ حدٍّ سواء؛ لأنَّه عليمٌ بذات الصدور، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

وقوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠]، وقوله:

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ٢، صـ١٧١.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧] ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦].(١)

وفي ذلك "يُخْبِرُ تعالىٰ عن قدرته علىٰ الإنسان؛ بأنَّه خالقُه، وعِلْمُه محيطٌ بجميع أموره؛ حتىٰ إنَّه تعالىٰ يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم؛ من الخير، والشَّر"(٢).

وقال القرطبي؛ نقلًا عن أبي إسحاق الإسفرائيني: "إنَّ من أسماء صِفَات الذَّات ما هو للعِلْمِ؛ منها العليم، ومعناه: تفهيمُ جميع المعلومات، ومنها الخبير: ويَخْتَصُّ بأنْ يَعْلَمَ ما يكونُ قبل؛ أنْ يكونَ، ومنها الحكيم: ويُخْتَصُّ بأنَّه يعلمُ دقائقَ الأوصافِ، ومنها الشَّهيد: ويَخْتَصُّ بأنْ يعلمَ الغائبَ والحاضرَ، ومعناه: ألا يغيب عنه شيء، ومنها الحافظ: ويَخْتَصُّ بأنَّه لا ينسىٰ، ومنها الْمُحْصِي: ويَخْتَصُّ بأنَّه لا تَشْغله الكثرةُ عن العِلْمِ؛ مثل ضوء النهار واشتداد الريح وتساقط الأوراق؛ فيعلم عند ذلك أجزاءَ الحركات في كلِّ وَرقة، وكيف لا يعلمُ وهو الذي يخلقُ؟! وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ، و(مَنْ) في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك:١٤] ، أجازوا فيها أن تكونَ فاعل (يَعْلَمُ)، وهو الله تعالىٰ؛ أي: إنَّ الذي خلقَ يعلمُ ما خلق؛ ومنه ما في الصدور"(٣).

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ٨، صـ٢٣٦.

(٢)أبو الفداء؛ إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م) جـ٧، صـ٣٩٧.

(٣)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ٨، صـ٢٣٦

وعليه؛ فإن استشعار مراقبة الله؛ في الخَطَرَاتِ، والحركات، والأنفاس؛ يترتَّبُ عليه الإحسانُ في العمل والقول وفي كل شيء، وذلك مَطلبُ الإحسانِ وموضوعه، وبذلك تُضْبط المجتمعات، وتَقوىٰ، ولا يُصيبها الضعف والوهنُ أبدًا.

الثالث: ضرورة الإحسان في إحياء الرحمة، وإثراء دافعيَّة العمل الخيري:

تُعتبر الرحمةُ موضوع الإحسان وروحه، وهي تَشملُ؛ العطفَ، والمواساة، والمشاركة الوجدانية، ومَيْلَ القلب لمساعدة الآخرين؛ كقضاء دَيْنٍ عن مُعْسِرٍ، أو إنظاره، أو مساعدة مُحتاج، أو معاونة شيخ كبير، أو إرشاد ضالٍّ، أو نحو ذلك: والرحمة واجبة، وضدُّها القسوة والغِلظة.

ولما كان موضوع الإحسان يَقوم علىٰ الرحمة؛ كانت المثلية في جزاء المحسن وجزاء أهل الرحمة؛ قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وفي جزاءِ أهلِ الرحمة رَوَىٰ عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ من الرحمن؛ فمن وصلها وصلَه الله، ومن قطعها قَطَعَهُ الله»(١).

(١)أخرجه الترمذي (محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي السلمي) في سُننه، انظر الجامع الصحيح سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ ٤، صـ ٣٢٣.

(قال الطيبي: أَتَىٰ بصيغةِ العُموم؛ ليشملَ جميعَ أصناف الخَلْقِ؛ فيرحم البرَّ، والفاجر، والناطق، والبُهْمَ، والوحوش، والطير...) [(١)]، والجزاء من جِنس العمل، فرحمة الله قريب من المحسنين؛ الذين يُحسنون في أهليهم، ومع النَّاس كافَّة، ومع كل ذي روح ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

❁ الرابع: ضرورة خُلُق الإحسان؛ في دعم إصلاح أخلاق المجتمعات:

إنَّ من مقاصد البَعثة المحمدية؛ إتمام محاسن الأخلاق في الأفراد والمجتمعات، وإصلاح المائل منها، وإنَّ الله بعث محمدًا ﷺ علىٰ حين فترة من الرُّسل، وأمره بإحسان القول؛ لإنجاح بِناء صَرْحِ المجتمع علىٰ دُعامة راسخة؛ وذلك لأنَّ شأن الأخلاق عظيم في هذه الشريعة المباركة؛ إذ هي مَبْنِيَّةٌ علىٰ القيام بحقوق الله تعالىٰ، والقيام بحقوق العباد؛ ابتغاء وجه الله تعالىٰ، فبقدر استقامةِ الخُلُق يستقيم دِيْنُ المرء؛ قال الله تبارك وتعالىٰ في بيان أعظم آيات النبي ﷺ؛ الدَّالةِ علىٰ صِدق نُبُوَّتِه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وبيَّن النبيُّ ﷺ عِظم مكانةِ أحاسنِ النَّاس خُلُقا؛ حين قال فيما رواه جابر: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ» [(٢)] وَالْمُتَشَدِّقُ: الَّذِي

(١)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم؛ المباركفوري، أبو العلا؛ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت) جـ٦، صـ٤٣.

(٢) رواه الترمذي؛ محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ، الترمذي، السلمي؛ الجامع الصحيح سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، وقال أبو عيسىٰ؛ وفي =

يَتَصَنَّعُ الكلامَ رياءً، ويَتَطَاوَلُ عَلَىٰ النَّاس بلسانه.

وحُسْنُ الخُلُقِ؛ صفة من صفات الأنبياء، والصِّدِّيقين، والصالحين؛ بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وهو واجب من الواجبات الدِّينية، وفريضة من الفرائض الشرعية، وقد أمرَ به النبي ﷺ؛ ففي حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقِّ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخَالِقْ النَّاس بخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

إذن؛ من جلائل موضوع الإحسان؛ مكارم الأخلاق، وطيبها؛ فهي عِماد القَبُول، وطريق النجاة.

ومن هنا مَدَحَ الله تعالىٰ نبيَّه بهذه الصفة؛ فقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، فحُسْنُ الخُلُقِ أصْلٌ في أدبِ التعامل، وتَتَفَرَّعُ عنه سُلوكيات كثيرة.

ويتحدث الإمام الغزالي عن أهم هذه السلوكيات الفردية والاجتماعية المترتبة علىٰ حُسن الخُلُق؛ فيقول بأنَّ من صفات الشخص الذي يُوصف بحسن الخُلُق؛ أنه "يكون كثير الحياء، قليل الأذىٰ، كثير الإصلاح، صَدوق اللسان، قليل

=

الباب؛ عن أبي هريرة: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروىٰ بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر عن النبي ﷺ، ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد؛ وهذا أصح. والثَّرثَار: هو الكثير الكلام، والمتشدق: الذي يَتطاول علىٰ النَّاس في الكلام ويبدو عليهم؛ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني: صحيح (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ ٤، صـ ٣٧٠.

(١)رواه الترمذي،محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: حسن، جـ ٤، صـ ٣٥٥.

الكلام، كثير العَمَلِ، قليل الزَّلَلِ، قليل الفُضُول، بَرًّا وَصُولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، رضيًّا، حليمًا رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعَّانًا ولا سبّابًا، ولا نمّامًا ولا مغتابًا، ولا عجولًا، ولا حقودًا، ولا بخيلًا ولا حسودًا، بشّاشًا هشَّاشًا، يُحِبُّ في الله، ويبغـضُ في الله، ويرضىٰ في الله، ويغضب في الله؛ فهذا هو حُسن الخُلُق"[1].

ويُنبِّه المصطفىٰ ﷺ إلىٰ أهميَّة حُسْن الخُلُق؛ في التعامل مع الآخرين؛ فيقول:

"إنَّكم لا تَسَعُونَ النَّاس بأموالِكم؛ ولكنْ يَسَعُهُم منْكم بَسْطُ الوجْهِ وحُسْنُ الخُلُق"[2].

وفي هذا الحديث الشريف عِظَةٌ نافعة وحِكمة بالغة؛ فإنَّ الإنسان مهما بَذَلَ من المال لا يحظىٰ برضىٰ الناس، ثم إنَّ المال ليس في مقدور كلِّ إنسان؛ ولكن في مقدور كلِّ واحدٍ أنْ يُحَسِّنَ خُلُقَه، ويُلِينَ جانبه، ويَخفض جناحه، ويَبسط وجهه.

وهذا الحُسْنُ في التعامل مع الآخرين؛ خيرُ مُعينٍ علىٰ تذليل صعوبات الحياة، وتخفيف آلامها؛ لأنَّه يبعث السرور في النفس، وبه تَطِيب المعاشرةُ، وتصفو المعيشةُ.

وبصورة عامة؛ فإنَّ الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الناس؛ هو الأسلوب

---

(١)الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد؛ إحياء علوم الدين، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار؛ لزين الدين العراقي، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن عمران (القاهرة: دار الحديث، ط.أولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٥م)، جـ٣، صـ٨٢.

(٢)رواه الحاكم؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، وقال صحيح، انظر المستدرك علىٰ الصحيحين، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، باب: الترغيب من بلوغ المرام، حديث رقم ٤٢٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. أولىٰ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) جـ١، صـ ٢١٢.

الأمثل والأحسن، وهو الأسلوب الذي يعود بانعكاسات إيجابية علىٰ العلاقات الإنسانية.

ولا يزال المسلم الحق الملتزم بدينه، المحافظ علىٰ أخلاقه الإسلامية؛ أُسوة بين الناس، وقُدوة حسنة لهم، يُحبه كلُّ من يُخالطه، ويُسَرُّ لـه كل من يجالسه؛ تخلُّقُه بآداب الإسلام، ومكارم الأخلاق؛ جَعلَ منه نموذجًا حيًّا للشخصية الاجتماعية، الرَّاقية، المهذبة، النَّقية.

ويمثِّلُ حُسْنُ المعاملة وسيلةً مُهمَّةً من وسائل توحيد الصف الإسلامي؛ لما يحققه من تآلف بين القلوب، وتناصر بين النفوس؛ ولما يَتَمَخَّضُ عَنْه من حلٍّ كثيرٍ من المشكلات الاجتماعية.

ويُوجِّه القرآنُ الكريم المؤمنين إلىٰ ضرورة الالتزام بأدب المعاملة في بينهم؛ لأن الشيطانَ قد يستغلُ كلَّ كلمة طائشة؛ فبسبب كلمة قد يَتفرَّق الشَّمْلُ؛ فتَحُلَّ العداوة والبغضاء، وبسبب كلمة قد تتآلف قلوب؛ فتحلَّ المودَّةُ، وتزول الأحقاد والكراهية؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣].

قال القرطبي: "أمرَ اللهُ تعالىٰ في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصَّة؛ بحُسن الأدب، وإِلانَة القَول، وخفض الجناح، وطرح نزغات الشيطان"(١).

"ولكي تصلَ البشرية إلىٰ وحدتها فتكونَ أمة واحدة، وإلىٰ تواصلها فتكونَ أُسرة واحدة؛ أمرَ الله -جلَّت حكمته- بحُسن الخُلُق، ولين القول، وجميل

(١)القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢هـ)، جـ١٠، صـ٢٧٧.

الفِعال؛ لأنه جميل يُحب الجمال، طيِّبٌ يُحب الطيِّبَ، وما علينا في سبيل الفَوز بمحبته؛ إلا أن نسعىٰ إلىٰ ذلك؛ بالتجمُّلِ بأخلاق القرآن، والتحلِّي بشمائل المصطفىٰ العدنان ﷺ؛ لأنَّ أعلىٰ مستوىٰ من مستويات الكمال؛ هو أن نتخلَّقَ بأخلاق القرآن التي جسَّدها الرسول الكريم ﷺ قولًا وعملًا؛ حتىٰ صار خُلُقُه القرآن"[1].

ثم إنَّ حُسن الخُلُق عند التعامل مع الآخرين، وعدم الردِّ علىٰ السفاهة بمثلها؛ خُلُقٌ كريم يُصفِّي القلوب، ويُزيل منها الضغائن والأحقاد، ويجعلنا نَتَجاوز الكثير من المشكلات الاجتماعية.

فممَّا لا شكَّ فيه؛ أنَّ القول السيئ، وما يتبعه من ردود أفعال؛ قد يُحدث مشاكل ومُضاعفات، يكون لها أسوأ النتائج، وهنا يأتي دور مقابلة الإساءة بالإحسان؛ في الإصلاح النفسي، والاجتماعي لنفوس الناس، وطبائعهم؛ وهذا المنهج في الإصلاح الاجتماعي واضح في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقد رُويَ أنَّه لما نزلت هذه الآية؛ سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ عنها؛ فقال: لا أعلمُ حتىٰ أسأل، ثم رجع؛ فقال: إنَّ ربك يأمرك أنْ تعفوَ عمَّنْ ظلمك، وتُعطي من حَرَمَك، وتَصْلَ من قَطَعَك[2].

(١)آقبيق، غازي صبحي: آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم، (دمشق: دار الفكر، د.ط، د.ت)، جـ٢، صـ١٠٣.

(٢)انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، جـ٩، صـ١٥٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام: تفسير الصنعاني، تحقيق: مصطفىٰ مسلم محمد، (الرياض، مكتبة الرشد، ط أولىٰ، ١٤١٠هـ)،جـ٢، صـ٢٤٦. القرطبي: الجامع =

والأمر بالمعروف الذي تتحدث عنه الآية الكريمة؛ قضية مُهمَّة في إصلاح المجتمع، وفي تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراده في أحسن صورة؛ "ومما لا شك فيه؛ أنَّ إصلاح الفرد هو الخطوة الأولىٰ في إصلاح المجتمع، لأنَّ الإنسان خَليَّةٌ في جسد المجتمع البشري، إذا فَسَدتْ أضرَّتْ به وآلمته، وإذا صلُحتْ حملتْ له الأمل بالصحة والعافية، ولا يكفي أن يُصلح الإنسان نفسه؛ لأنه مسؤول أيضًا عن إصلاح أسرته الصغيرة، وكذلك عن الأسرة الإنسانية التي يعيش بين ظهرانيها"[1].

وفي معنىٰ هذه الآية؛ قِيل شعرًا:

خُـذ العفـوَ وأمـرْ بعـرفٍ كمـا ... أُمـرتَ وأعـرضْ عـن الجـاهلينْ

ولِـنْ في الكـلام لكـلِّ الأنـامِ ... فمُسْتحسنٌ مِنْ ذوي الجاه لِين[2].

وبالنظر في التصوِّر القرآني؛ لموضوع المعاملات، والأخلاق الإنسانية بالإحسان، وأنَّ موضوع الإحسان يَرمي إلىٰ أمدٍ بعيد في هذا الجانب؛ نجد أنَّ التوجيهات القرآنية في هذا المجال دلَّتْ علىٰ ثلاثة أمور:

الأول: المسألة الأخلاقية؛ ذلك أنَّ الإلزام والمسؤولية، والجهد المبذول؛ لتَقوية العلاقات الإنسانية، أو بناء المجتمع المسلم؛ إنما هو قيمة أخلاقية عُليا،

= لأحكام القرآن، جـ٧، صـ١٩٩. ٣٤٥.

(١)آقبيق، غازي: آيات قرآنية، جـ٢، صـ٩٦.

(٢)البيتان: لأبي الفتح البستي. انظر: القيراواني؛ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط. رابعة)، جـ٢، صـ٤٢٧.

علىٰ الإنسان المؤمن أنْ يلتزم بها؛ باعتباره إنسانًا واعيًا جديرًا بتحمِّل هذه المسؤولية؛ وهذا الشرف الرفيع.

الثاني: أنَّ القرآن أكَّد في حثِّه علىٰ صِلَة الرَّحم، والإحسان للفقير والمسكين، وتكريم اليتيم، وأدب التعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور التي تُنمِّي الصِّلات الإنسانية، وأَكَّد علىٰ أنَّ هذه الأعمال إنما هي أمورٌ تَعبديَّة يتقرّب بها الإنسان إلىٰ الله تعالىٰ، ويُثاب عليها.

الثالث: أنَّ القرآن أراد للإنسان المؤمن أنْ يَصِل إلىٰ مراحل متقدِّمة من الكمال؛ فأراد بالإحسان أنْ يُبرز مفهومَ التكافل الاجتماعي، ومبدأ الحرص علىٰ شفافية العلاقة بين المسلمين خاصَّة، وبين النَّاس عامَّة[1].

وبذلك؛ تَثبتُ لدينا قيمةُ الأخلاقِ في موضوع الإحسان، وأنَّه المدار الذي يُحرك آليات كل موضوعات الإحسان؛ في كل المجالات والمعاملات.

(١)الأعرجي؛ زهير: الأخلاق القرآنية (ط. دار الزهراء، ط.أولىٰ،سنة ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م)، جـ٢، صـ ٢٣٤- ٢٣٥.

الفصل الثاني

درجاتُ الإحسان، وعلاقته بالعمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي

هناك علاقة وَطِيدة بين خُلُق الإحسان، والعمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي، وهذا ما سنَسْتَبِينَه في الآتي:

❁ أولًا: درجات الإحسان:

قال ابن القيم رحمه الله: "الإحسان علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: الإحسان في القصد؛ أي: في النِّيَّة بتهذيبه (أي: بتهذيب الإحسان) عِلْمًا، وإبرامه عَزمًا، وتصفيته حالًا.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال؛ وهو أن تراعيها غيرة، وتسترها تظرفًا، وتصحِّحها تحقيقًا؛ والمراد بمراعاة الأحوال: حفظها وصونها غيرة عليها أن تَحول، فإنها تمرُّ مرَّ السحاب، وتكون المراعاة أيضًا؛ بدوام الوفاء، وتجنب الجفاء.

[illegible] تزيل المشاهدة أبدًا، وألا تخلط بهمَّتك أحدًا، وتجعل هجرتك إلىٰ الحق سرمدًا"[1]

(١)عبد الله الأنصاري الهروي؛ منازل السائرين (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م) صـ ٧٥.

وفيما يأتي؛ نأخذ علىٰ هذه الدرجات بالتوضيح والبيان:

❁ الدرجة الأولى: الإحسان في القَصْد:

" ويكون بثلاثة أشياء **أحدها**: تهذيبه عِلمًا؛ بأن يجعله تابعًا للعلم علىٰ مُقتضاه، مُهذبًا به، مُنقًّىٰ من شوائب الحظوظ، فلا يقصد إلا ما يجوز في العِلْم؛ والعِلمُ: هو اتِّبَاع الأمرِ والشَّرع، **والثاني**: إبرامه عزمًا؛ والإبرام: الإحكام والقوة؛ أي يُقارنه عزمٌ يُمضيه، ولا يَصحبه فُتُورٌ وتَوان يُضعفه ويُوهنه، **الثالث**: تصفيته حالًا؛ أي يكون حالُ صاحبه صافيًا من الأكدار والشوائب؛ التي تدلُّ علىٰ كَدَرِ قَصْدِه؛ فإن الحال مظهر القَصْدِ وثمرته، وهو أيضًا مادته، وباعثه؛ فكلٌّ منهما يَنْفعل عن الآخر؛ فصفاؤه وتخليصه من تمام صفاء الآخَرِ وتخليصه" (١).

وحُسْنُ القَصْدِ؛ هو الْمُعَوَّلُ عليه في التَّصاريف، والأعمال في العبادة، وغيرها؛ "بحيث لا يكون الحظُّ الدُّنْيَويِّ هو الباعثُ علىٰ العبادة؛ مثل أن يعبدَ اللهَ ليمدحَه النَّاسُ؛ بحيث لو تعطلَ المدحُ لتركَ العبادةَ؛ ولذا قِيل: الرِّياء؛ الشِّرك الأصغر؛ أي إذا كان هو الباعث علىٰ العمل؛ ومثل ذلك أن يقاتلَ لأجل الغنيمة، فلو أَيِسَ منها تَرَكَ القتالَ، فأمَّا إنْ كان للنفس حظٌّ عاجلٌ، وكان حاصلًا تبعًا للعبادة، وليس هو المقصود؛ فهو مغتفر، وخاصة إذا كان ذلك لا تخلو عنه النفوس، أو كان مما يعين علىٰ الاستزادة من العبادة" (٢).

---

(١)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور؛ التونسي؛ التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، جـ ٢٤، صـ ١١.

(٢)ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقـي (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، ط.ثانيـة، ١٣٩٣ =

وفي إحسان القَصْدِ رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنما الأعمال بالنِّيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ؛ فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه»(١).

فحُسْنُ القَصْد مكفول من حُسْنِ النِّيَّة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

ومعناه: أنَّ من عمل عملًا علىٰ غير إخلاص وحُسْن قصد، وإنما يُريد أن يراه النَّاس ويَسمعوه؛ جُوزي علىٰ ذلك بأن يُشهره الله، ويفضحه، ويُظهر ما كان يُبطنه، وقِيل: من قَصَدَ بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يُرد به وجه الله؛ فإن الله يجعله حديثًا عند الناس؛ الذين أراد نَيْلَ المنزلة عندهم، ولا ثوابَ له في الآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦]، (٢).

= ١٩٧٣م) جـ٢، صـ٤٦٠.

(١)أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله؛ البخاري، الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، كتاب الأيمان والنذور، باب: النِّيَّة في الأيمان، (دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، طبعة ثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م) جـ٦، صـ٢٤٦١.

(٢)محمد بن عبد الوهاب؛ الكبائر، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، طبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ) صـ٤٢.

❁ ثانيًا: علاقة الإحسان بالعمل الخيري، وانعكاس ذلك على إصلاح المجتمعات:

يرتبط الإحسان بالعمل الخيري ارتباطًا وثيقًا؛ فالإحسان يَرسم للعمل الخيري طريقًا يتناغم مع نسيج الحياة والكون، وتتلخص تلك العلاقة في الأشكال الآتية:

أولًا: علاقةُ تلازمية بإحسان الطلب:

يتلازم العمل الخيري مع الإحسان تلازمًا تنعكس عنه نتائج حَتْمية تترتب عليه، أَرستْ الشريعةُ نظامًا يتماشىٰ مع المقتضيات والمصالح الاجتماعية، بدايةً من القاعدة الأولىٰ؛ وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٧٥]، وفيها توجيه ربَّاني إلىٰ إحسان التَّكسُّبِ بطلب الحلال، وذلك صريح بتحريم الرِّبا لما له من خطر عظيم ودمار شامل للمجتمع، وأضرار جسيمة؛ حيث "يجد صاحبُ المال في النظام الرِّبوي فرصةً للحصول علىٰ نسبة مُعينة من الرِّبا علىٰ ماله؛ وهذا يَصرفُه عن استثمار ماله في مشروعات صناعية وزراعية وتجارية؛ مهما كانت ضرورية ومفيدة للمجتمع، إلا إذا اعتقد حصول نسبة ربح أكثر من تلك المشروعات تربو علىٰ نسبة الربا، وقد لا يرغب مع ذلك في تلك المشروعات، حيث إنها تتطلب بذل الجهد واستعدادًا لتحمل الخسارة، في حين يتمكن فيه صاحب المال من الحصول علىٰ الرِّبا بدون مشقة ومخاطرة"[(١)] وقد استلهم علماؤنا حكمة تحريم الرِّبا بعد تشخيص عِلَلِه، وما

(١) فضل إلهي ظهير، التدابير الواقية من الرِّبا في الإسلام، (ط.مكتبة ابن تيمية، طبعة ثانية، سنة ١٤٠٨هـ ـ =

يُسبِّبَه من عمليةٍ تَعسُّفِيَّةٍ، ومشكلات واقعية؛ تُعيق مَسيرَ الأمَّةِ نحو التنمية؛ وقد كشفتْها عجلةُ الزمن بعد ظهور فَجوة حضارية بين ماضي الأمَّة وواقعها؛ فيقول صاحب مفاتيح الغيب في بيان ما يسببه الرِّبا؛ من تواكل، وتقاعس؛ مما يُؤثِّرُ سَلبًا علىٰ حركة التنمية المجتمعية: "إنَّما حَرَّمَ اللهُ الرِّبا من حيث إنَّه يمنع النَّاس من الاشتغال بالمكاسب؛ وذلك لأنَّ صاحبَ الدِّرهم إذا تمكَّن بواسطة عَقْدِ الرِّبا من تحصيل الدراهم الزائدة؛ خفَّ عليه التَّكَسُّبُ، فلا يَكادُ يتحملُ مَشَقَّةَ الكَسب والتجارات والصناعات الشَّاقة، وذلك يُفضي إلىٰ انقطاع منافع الخَلْق، ومن المعلوم أنَّ مصالح العالم لا تَنْتَظِمُ؛ إلَّا بالتجارات، والحِرَف، والصناعات، والعمارات"[1].

يقول الشيخ الدهلوي [2]: "وإذا جرىٰ الرَّسْمُ باستثمار المال بهذا الوجه ـ

=

١٩٨٨م) صـ ٨٢.

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي؛ التميمي، البكري، الرازي؛ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تقديم: هاني الحاج، تحقيق: عماد زكي البارودي، (ط. المكتبة التوفيقية، د.ت) جـ ٨ صـ ٨٦.

(٢) هو: أحمد بن عبد الرحيم؛ الفاروقي، الدهلوي، الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين، وُلد سنة ١١١٠هـ ـ ١٦٩٩م وهو من أهل دهلىٰ بالهند، زار الحجاز (١١٤٣هـ ـ ١١٤٥هـ) قِيل عنه: أحيا اللهُ به، وبأولاده، وأولاد بنته، وتلاميذهم الحديث والسُّنَّة بالهند؛ بعد مواتهما، وسُمي الدهلوي بولي الله بن عبد الرحيم، ومن كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، والإنصاف، وعقد الجيد، وغيرها) قِيل في وفاته: أنها كانت في سنة ١١٧٦هـ ـ ١٧٦٢م، وقِيل سنة ١١٧٩هـ. راجع: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، للإمام خير الدين الزركلي،(ط. دار العلم، بيروت، د.ت) جـ ١ صـ ١٤٩،.

الرِّبا ـ؛ أَفْضَىٰ إلىٰ تَرْك الزراعات والصناعات؛ التي هي أُصول المكاسب"[1].

ومن هنا لم يكن تحريم الرِّبا بِدعًا علىٰ نظام المجتمع والحياة، ولكنَّه ينبثق من تشريع الله تعالىٰ؛ الذي يتكيَّفُ مع الوضع الصحيح لأمور الحياة، بل؛ هو الوضع الوحيد الصالح للحياة، ومتىٰ فُقِدَ هذا الوضعُ المتناسق مع طبيعة الحياة؛ فلا مفرَّ من تَعَاسة الناس، وشقوتهم مهما استطاعوا أو حاولوا لتوفير تسهيلات مادِّيَّة وإنتاجية، ولا تلبثُ نظمهم الأرضية؛ إلا قليلًا وتتحطم وتتدمر؛ لتعارضها مع فِطرة الكون وفِطرة الحياة، وهي النتيجة الطبيعية التي أثبتها علماء الاقتصاد الغربيين؛ فيقول توماس كلبيبر (Sir Thomas Culpepper): "إنَّ ارتفاع سعر الرِّبا يجعل النَّاس كُسالىٰ في مهنهم، ويصيرون مُرابين، ويُتيح الانخفاضُ في السعر الرسمي للرِّبا فرصةً لتطوير الزراعة، وسينفخ الروح في صناعاتنا الميِّتَة) ويقول الاقتصادي الألماني سيلفو جيزيل (Silvio Giselle): "قد حالَ مُعدَّلُ فائدة النقود دونَ نمو رأس المال، ولو أُزيل هذا الحاجز سينمو رأسُ المال سريعًا؛ إلىٰ درجةٍ تُبرِّرُ انخفاضَ سعر الرِّبا إلىٰ الصفر، ولا يحدث هذا في آنٍ واحد؛ لكنْ في فترة وجيزة من الزمان" [2].

وبهذا يُحقق إحسانَ التعامل؛ علىٰ الأساس المشروع إلىٰ الأمان في حركة التجارة والاستثمار، مما يزيد في التنمية الاقتصادية، ويُسرع في زيادة الإنتاج، وفي الوقت نفسه؛ دَعَّمتْ الشريعة ضميرَ الإنسان بعنصر الثِّقةِ فيه، ورفعتْ من مكانة التاجر الصَدُوق، وحفَّزَتْه؛ لتحققَ له التقدمَ المادِّي في الدنيا، والرُّقي إلىٰ أعلىٰ

(١)أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، (ط. المكتبة السلفية، سنة ١٣٩٥هـ) جـ ٢ صـ١٠٦.

(٢) فضل إلهي، التدابير الواقية من الرِّبا في الإسلام، صـ٨٣.

المقامات في الآخرة؛ وذلك قِمَّةُ التَّقدم والتَّحضر؛ الذي يَصِلُ الدنيا بالآخرة، والدِّين بالدُّنيا؛ قال رسول الله ﷺ: «التاجر الصَدُوق الأمين مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء» (١)، وقال ﷺ في التحذير من مخالفة ذلك: "من غَشَّنَا فليس منَّا، والمكر والخداع في النار" (٢).

ثانيًا: علاقة ترابطية:

تربطُ العملَ التنموي الخيري بالإحسانِ علاقةٌ وطيدة؛ فمثلًا تتوقفُ تنميةُ حالةِ الفرد المعيشية؛ علىٰ إحسانه في عمله، وطلبه، وحسن قصده في توكُّلِه علىٰ الله تعالىٰ، وإذا فَقَدَ الإنسانُ إحسانه في طلبه؛ تضاءَل مستوىٰ معيشته، وتراجع نمو كَسبه، ولَقَي الهوان.

وقد استعملَ الإسلامُ تحريك الشعور بالكرامة الإنسانية، وحفظَ الإنسان من الهوان والإهانة؛ أداةً لتدافع الهِمَم نحو إحسانِ البيع، والشراء، والتجارة، والتكسب؛ يقول رسول الله ﷺ: «لأنْ يحتطِبَ أحدُكم حِزْمَةً علىٰ ظهره فيبيع، فيكُفَّ الله بها وجهَه؛ خيرٌ له من أنْ يسألَ النَّاسَ؛ أُعطيَ أم مُنعَ» (٣)، وقد أَهَّلَ النبيُّ

(١) رواه الترمذي؛ في سُننه وقال حديث حسن. راجع: صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، باب: الترغيب في الاكتساب، (ط. مكتبة المعارف، الرياض، طبعة خامسة، د.ت) جـ ٢ صـ ١٦٢.

(٢) أخرجه ابن حبان؛ في صحيحه، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده جيد. راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ: محمد نصار الدين الألباني، (ط. المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) جـ ٥ صـ ١٦٤.

(٣) رواه البخاري. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتحقيق: عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: المساقاة، باب: بيع الحطب والكلأ، (ط. دار الحديث، د.ت) جـ ٥ صـ ٥٥.

ﷺ العاطلَ ليكونَ عُنصرًا فاعلًا، ومُستثمرًا بارزًا، بعد أن كان بطَّالًا لا يُنتج؛ حتىٰ عادَ النَّفعُ للمجتمع؛ لأنه إذا تحوَّل إلىٰ رجل أعمال، سيُخْرِجُ زكاتَه؛ مما يسدُّ أبواب العَجزِ عن عناصر المجتمع؛ الذين لا يسألون النَّاس إلحافًا، وتُبَيِّنُ الشريعة أنَّ العمل للاستثمار وحدَه بدون مَزْجِهِ بروح الدِّين، والتوكُّلِ علىٰ الله؛ يُعدُّ عقيمًا؛ فالإحسان في طلب الرزق، مع التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ؛ لا ينفصلان؛ لذا كان من الْمُنْزَلقَات أن تنشغلَ الأمَّةُ بجَوْعَةِ الجسدِ، وما يتعلق بها من الإنتاج بشتَّىٰ وسائله وصنوفه، ومن المتاع الحسِّي بشتَّىٰ ألوانه ومذاقاته، وتغافلتْ أنَّ هذه الجَوْعَةَ لا تَسْتَوْعِبُ الكيانَ الإنساني، وإشباع سائر الجَوعَات الإنسانية، وأنَّ سدَّ هذه الجَوعَات مُتَرَتِّبٌ علىٰ الشَّبْعة الإيمانية المرتبطة بالإحسان في التوكل؛ وهو معنىٰ قول النبي ﷺ في ضمان الرزق؛ إذ انبثق من ذلك فيما رواه عمر بن الخطاب قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّكم كُنتم تَوَكَّلُون علىٰ الله حقَّ تَوَكُّلِهِ لرزَقَكم كما يرزقُ الطيرَ تَغْدو خِماصًا وتَروح بِطانًا» (١).

وبذلك؛ تتلازم الحركة الذاتية للإنسان مع حركة الإحسان؛ مما يضمنُ الشَّبعة الروحية والجسدية علىٰ حدٍّ سَويٍّ؛ فعلىٰ نفس المسير والقاعدة انطلقتْ الدولةُ الإسلامية، وسارَ الصحابة الكرام رضي الله عنهم في بناء الأمَّة المسلمة بناءًا مُحكمًا لا تُقاربه هزَّةٌ، ولا تُزلزله عاصفةٌ، فهذا عمر بن الخطاب يَتَنَبَّه إلىٰ ما

(١) قال الإمام العجلوني: رواه أحمد، والطيالسي؛ في مسنديهما، والترمذي، وابن ماجه عن عمر مرفوعًا، وصحَّحَه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وحسَّنَه الترمذي. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس؛ للإمام إسماعيل بن محمد؛ العجلوني، الشافعي، (ط. دار الكتب العلمية، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) جـ ٢ صـ ١٣٩.

تَنَبَّهَ له رسولُ الله؛ انطلاقًا من هَيمنة الشريعة علىٰ تصرُّفات النَّاس؛ فقد وجَّه عمرُ عاطلًا لا يستثمرُ، ولا يُنمِّي، حينَ دخلَ عليه ذلك الشابُّ العاطلُ، الفَتَىٰ القوي؛ وهو في المسجد، وفي يده مشاقِص[1] قائلًا من يُعنيِّ في سبيل الله؛ فدَعَا به عمر؛ فأتىٰ به، قال: مَن يستأجر مني هذا يعملُ في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال: بكم تأجرُه كلَّ شهر؟ قال: بكذا بكذا، قال: خذْهُ؛ فانطلقَ به، فعملَ في أرض الرجل أَشْهُرًا، ثم قال عُمرُ للرَّجل: ما فعل أجيرُنا؟ قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به وبما اجتمعَ له من الأجر، فجاء به وبصرَّة من دراهم، فقال: خذْ هذه، فإن شئت فالآن اغزُ، وإنْ شئتَ فاجلس[2]؛ بهذه المتابعة الشرعية من أمير المؤمنين تَنْطلقُ الهِمَمُ؛ لتُلغىٰ البطالةُ، وما هذه المتابعة الإدارية التي بدتْ في عمر؛ إلا لأنَّه تَذَرَّعَ في مدرسة الشريعة علىٰ عَيْنِ النبي ﷺ، والتي تَعَلَّم فيها أيضًا كيف يجمع بين العلم الشرعي والعمل الدُّنيوي؛ دون أن يُعطلَ أحدُهما الآخَر، ودون أن يستغنىٰ أحدُهما عن الآخر، لأنهما رُوح وجسد؛ يقول عمر رضي الله عنه: "كنتُ أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نَتَنَاوبُ النُّزول علىٰ رسول الله ﷺ، ينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[3].

---

(١) مشاقص: جمع مِشْقَص؛ من النصال الطويل وليس بالعريش، وهو شرُّ النَّبل؛ يُرمَىٰ بها الصيد. راجع: لسان العرب، لابن منظور، باب: شقص، جـ ٧ صـ ٤٨، مرجع سابق.

(٢)علي المتقي؛ علاء الدين الهندي؛ كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال، كتاب: البيوع من قسم الأفعال، باب: في الكسب، رقم ٦٦٣، (طبعة مجلس دائرة المعارف، طبعة ثانية، سنة ١٣٧٣هـ) جـ ٤ صـ ٦٩.

(٣) رواه البخاري؛ في صحيحه،انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب: العلم، باب: التناوب في العلم، رقم الحديث ٨٩، جـ ١ صـ ٢٢٥.

وكذا كان أبو بكر الصديق ﷺ من كبار رجال الأعمال المستثمرين؛ فكان يضربُ في الأسفار؛ للاكتساب بالتجارة، وقد سافر إلىٰ بُصرىٰ [1] للتجارة [2]؛ وفي ظلِّ هذا المزجِ بين العمل الاقتصادي وروح الشريعة؛ يُنقذُ الإسلامُ البشريةَ المهددَّةَ في كينونتها الإنسانية، ويُحطِّمُ قفصَ المادية الصِّرْفَةِ؛ حتىٰ ينصهرَ في روح الإيمان، فتسعدَ الإنسانيةُ بالغِنَىٰ الشاملِ؛ ماديًا، ونفسيًا.

ثالثًا: علاقة تَضْمنيَّة:

إنَّ العمل الخيري في أعلىٰ درجاته وصوره ينبعث من روح الإحسان؛ "فالزَّكاة مثلًا تلعبُ دورًا اقتصاديًا كبيرًا في حقِّ التشغيل الكامل؛ سواء من خلال عدم إعطائها للقادرين علىٰ العمل، دفعًا لاشتراكهم في النشاط الاقتصادي، أو من خلال رأس المال الإنتاجي للفقراء والمساكين؛ الذين عجزتْ إمكاناتُهم الذاتية عن توفيره؛ بشكلٍ يُساعدهم علىٰ التَّحَوُّل إلىٰ طاقات مُنتجة تُفيد المجتمع بأَسْره"[3].

---

(١) بُصرىٰ: من أرض الشام، من أعمال دمشق، وهي مدينة حوران. راجع: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، بتحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، طبعة دار السراج، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٨٠م) جـ ١ صـ ١٠٩.

(٢) رواه الحافظ؛ نور الدين علي بن أبي بكر، الهيثمي؛ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب: الكسب والتجارة ومحبتها والحثُّ علىٰ طلب الرزق، وقال الهيثمي: رواه الطبراني؛ في الكبير والأوسط بنحوه، ورجال الكبير ثقات (ط. دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثالثة، سنة الطبع سنة ١٤٠٢هـ) جـ ٤ صـ ٦٢، ٦٣.

(٣)عمر فيحان المرزوقي، النشاط الاقتصادي من منظور إسلامي، صـ ٢٧١، ٢٧٢، وهو بحثٌ في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الصادرة عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد الخامس والأربعون، بتاريخ سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٠م.

لذا قال بعض العلماء: "أنَّ الفقير والمسكين الذي يُحسن الحِرفة، يُعطي من مال الزَّكاة ثمنَ آلةِ حِرفته وإن كثرتْ"(١).

وبذلك يُخطئ من يزعم أن الزَّكاة تُسهم في زيادة البَطالة، وما ذلك إلا مُجرد افتراء، لا يقبله عقلٌ؛ "فدورُ الزَّكاة لا يقفُ عند رفع مستوىٰ التشغيل في الاقتصاد الإسلامي، بل؛ يمتدُّ إلىٰ الارتقاء بمستوىٰ النشاط الاقتصادي؛ حينما تُشَجِّعُ استثمارَ الأموال الْمُجَمَّدَةِ" (٢)

ومن الأنظمة الإسلامية التي تحلُّ مشكلة الفقرِ، وتَرَاجُعَ المجتمع الْمُسلم اقتصاديًا، وتَدْفَعُ لاستثمار أموالِ الزَّكاة:

أولًا: نظام الإحسان بالتمويل؛ عن طريق الْمُضَارَبَة: بالرجوع إلىٰ المصادر اللُّغوية؛ تَبَيَّنَ أنَّ الْمُضَارَبَة مأخوذةٌ من الضَّرْبِ؛ فقد جاء في لسان العرب: "الْمُضَارَبَةُ أن تعطيَ إنسانًا من مَالِكَ ما يتَّجِرُ فيه؛ علىٰ أن يكونَ الرِّبْحُ بينكما، أو يكونَ لهم سَهْمٌ معلومُ الرِّبحِ، وكأنَّه مأخوذ من الضَّرْبِ في الأرض؛ لطلب الرزق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[المزَّمل:٢٠]، وعليه؛ يُقال للعامل "ضارَبٌ" لأنَّه هو الذي يَضربُ في الأرض، وجائز أن يكونَ كلُّ واحدٍ من ربِّ المال، ومن العاملِ؛ سُمِّيَ مُضَاربًا، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُضارب صاحبَه" (٣)، وفي القاموس المحيط: "ضرب الطير تَضرب: ذهبتْ تبتغي الرزق،

(١) شمس الدين محمد الرملي، نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج، (طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ثالثة، سنة ١٤١٣هـ) صـ ١٦١.

(٢)عبد الحميد الإبراهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت) صـ ٧٧.

(٣) العلامة محمد بن مكرم بن منظور؛ الأفريقي، المصري، لسان العرب، مادة: ضرب، جـ ١ صـ ٥٤٣.

وعلىٰ يديه أمسك، وفي الأرض ضربًا وضَرَبانًا: خرج تاجرًا، أو غازيًا، أو أسرع أو ذهب"[١].

واصطلاحًا: "هي أن يدفعَ رجلٌ مالَه إلىٰ آخر؛ يتجِّرُ له فيه، علىٰ أن ما يحصل من الرِّبح بينهما علىٰ حسب ما يشترطانه"[٢].

والْمُضَارَبَة: "فكرة استثمارية مُتحررة من الفائدة وألوان الرِّبا، ثابتةٌ في النظام الاقتصادي الإسلامي، يقول في شأنها أحدُ خبراء الاقتصاد المسلمين[٣]:

"إنَّ أهمَّ ما يُمكن أن يحققَه النظامُ المتحرر من الفائدة؛ هو إنشاءُ مؤسسات علىٰ أساس الْمُضَارَبَة؛ بشكل رأس المال، والعمل شَرَاكة في العمل، يتقاسمان الأرباحَ والخسائرَ بصُورة عادلة، وتكون خدمة جلية للجِنْسِ البشري؛ إذا استطعنا أن نحلَّ الصُّلْحَ محلَّ الخلافات الْمُسْتَحْكَمَةِ بين رأس المال والعمل دُفعةً واحدة؛ في نظرية الْمُضَارَبَة وممارستها؛ وإذ ذاك يعملُ رأس المال والعملُ معًا؛ في وجود جوٍّ وِدِّيٍ من التعاون؛ بغِيَّةِ تَفاهمٍ أفضل يُواجه الاضطرابات العُمَّالية في الحقل الوطني، والحروب الباردة علىٰ الصعيد الدولي، ويمكن ازدهارُ وتنميةُ الزراعة والصناعة والعمال علىٰ هذا المبدأ، وسيُساعد هذا التدبيرُ إلىٰ حدٍّ بعيد في

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: ضربه، (ط. المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت) جـ ١ صـ ٩٨، ٩٩.

(٢) الإمام موفق الدين؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه، المقدسي، الدمشقي، الحنبلي، المغني، (ط. مكتبة الرياض الحديثة، د.ت) جـ ٥ صـ ٢٦.

(٣) س. أ. أرشاد، وهو خبير اقتصادي، كان مديرًا لمصرف "اندوستريال أوريان كوبراتيف بنك" العالمي، وهو صاحب نظرية "مصارف بلا فائدة"، وقد صنَّف كتابًا بهذا الصدد يحمل نفس العنوان.

تجنيد رأسِ المال واستخدامِ العمل في نطاق واسع، كما سيُبَرهنُ علىٰ أنه أجْدَىٰ طريقة في تشغيل الجميع، وتوفيرٌ لكلِّ مواطن حاجاته الأساسية، واستئصال الفَاقَة من المجتمع" (١).

وبهذا؛ تَسِيرُ المنظومة الاقتصادية والمناقب الأخلاقية جنبًا إلىٰ جنب بإشراف الشريعة، ولا يُمكن فصلُ بعضُها عن بعض، وقد أقرَّتْ الشريعةُ مبدأَ الْمُضَارَبَة وكان موجودًا قبل الإسلام؛ "فالْمُضَارَبَة كانتْ مشهورة في الجاهلية، لا سيما قريش، فإنَّ الأغلبَ كان عليهم التجارة، وكان أصحاب الأموال يدفعونها إلىٰ العمال، ورسول الله ﷺ قد سافر بمال غيره قبل النُّبوة؛ كما سافر بمال السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ، فلما جاء الإسلام أقرَّها رسول الله ﷺ، وكان أصحابه يُسافرون بمال غيرهم مضاربةً، ولم ينْه عن ذلك، والسُّنَّة قوله وفعله وإقراره، فلما أقرَّها كانتْ ثابتة بالسُّنَّة"(٢).

وإذا سَرَىٰ هذا النَّسَقُ علىٰ حياة الإنسان الاقتصادية؛ تَسَنَّىٰ له أن يحقق ازدهارًا شاملًا ومتوازنًا، وفي أحيان كثيرة نَجِدُ شبابًا فقيرًا يمتلكون القُدرة علىٰ العمل والابتكار، لكنهم يفتقدون المال لتحقيق طموحاتهم الابتكارية، ويَتَجَلَّىٰ

---

(١) س. أ. أرشاد، التنظيم الاقتصادي لمجتمع اقتصادي متحرر من الفائدة، وهو بحث من عدة أبحاث في كتاب بعنوان: "الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة"؛ بقلم عشرة من علماء الإسلام، (ط. دار الكتاب العربي، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) صـ ٨٢.

(٢) ابن تيمية؛ مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد وابنه محمد، (ط. دار المعارف، د.ت) جـ ١٩ صـ ١٩٥ باختصار يسير، وراجع: حاشية الصاوي علىٰ الشرح الصغير؛ للشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، (ط. عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت) جـ ٥ صـ ١٨١.

حلُّ هذه المشكلة في عقد التمويل بالْمُضَارَبَة؛ الذي أرسىٰ له الفقهاء نظامًا مَرِنًا في التطبيق علىٰ أرض الواقع؛ سدًّا لحاجات المموَّلِين، وخُصوصًا المتخرجين في الجامعات والمعاهد الفنية المتخصصة في مجال الصناعة، والهندسة المعمارية، والأجهزة المتطورة، وكذلك حملة الشهادات المهنية في مجالات الخياطة، والنقاشة، والنجارة، والحِدادة، والخِراطة، ومن الممكن أن تُوَجِّهَ العمليةُ الاستثمارية؛ المتعاقَد عليها بين الصندوق والعامل المتخصص؛ الفقيرَ من الشباب العاطل علىٰ نظامين:

١ ـ **نظام العقد الدائم**: وفيه تَسْتَمرُّ عمليةُ الْمُضَارَبَة ما بقىٰ المشروع الاستثماري؛ سواء كان مصنعًا، أو شركة، أو زراعة، أو غير ذلك.

٢ ـ **نظام العقد التدرجي الْمُفْضِي للتَّمليك**: علىٰ أن يُسدِّدَ صاحبُ المهنة أو الحِرفة رأس المال للخزانة؛ بنظام التقسيط علىٰ الأجل المحدد؛ المضروب بينه وبين الخزانة؛ في مقابل ملكيته بعد انتهائه من آخر قِسط.

وبهذا؛ يتم استثمار الطاقات المكنونة، والقُوىٰ المخزونة في سَوَاعد وعقول الشباب؛ بطريقة مَرنة ومثمرة؛ مما يُحَقق الرخاء للأمَّة المسلمة كلِّها.

ثانيًا: نظام التمويل بالقَرْض الحَسَنِ: القرضُ هو: (أنْ تُعطيَ إنسانًا شيئًا بعينه من مالك تدفعه إليه، ليردَّ عليك مثلَه إما حالًا في ذمته، وإمَّا إلىٰ أجلٍ مُسمىٰ)[1].

ومنه ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: قَدِمَ النبي ﷺ المدينةَ وهم يُسلِّفون في الثمار السَّنة والسنتين، فقال «من أسْلَف في تَمْرٍ فلْيُسْلِف في كل

(١) الإمام ابن حزم، المحلىٰ، جـ٨، صـ٤٦٢، مرجع سابق.

معلوم ووزن معلوم إلىٰ أجلٍ معلوم»[1]، وتَتَجَلَّىٰ حكمة القرض الحَسَن؛ في دَفْع عجلة البناء المتكامل؛ في التعاون الاستثماري القائم علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ودفع العَراقِيل الماثلة في طريق التنمية من الكُروب علىٰ شَتَّىٰ ألوانها وأشكالها.

وقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ ضابط القَرْضِ بلِسَانِ الشريعة؛ حين قال: «من أخذَ أموال النَّاس يُريد أداءها؛ أدَّىٰ اللهُ عَنْه، ومن أخذها يُريد إتلافها؛ أَتْلَفَه اللهُ»[2].

والقَرْضُ الحَسَنُ من النِّقاط الرئيسة القوية؛ التي تُوفِّرُها الشريعةُ لبناء المجتمع المسلم؛ في هيئة اقتصادية ذات صلاحية سَرمدية؛ فهو يعمل علىٰ تعبئة الموارد البشرية المحدودة الإمكانات، ويَسْتعملُهم في تحقيق الأهداف المنتخبة لصالح الخزانة الخيرية العامة.

وتَرسُم السُّنَّةُ النبويةُ إيمانيةَ منهج التعامل الإقراضي بالإحسان؛ عن طريق ربط العلاقة الوُدِّية بين الْمُقْتَرِض والْمُقْرِض، نَظرًا لظروف الْمُقْتَرِض؛ والتي تحمل عِلَّتَيْن:

الأولى: الإحسان بالعاجز؛ عن السَّدادِ بإنظاره: حيثُ يعجزُ الفرد عن سداد القرض؛ نظرًا لشدة حاجته، والأفضل في هذه الحالة إِسْقاط الخزانة أو الصندوق لهذا القَرْضِ عن الْمُقْتَرِض، وقد بَثَّ النبيُّ ﷺ روحَ الإحسان في مثل هذه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: السلم، جـ ٦ صـ ٤١، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري؛ في صحيحه، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني،كتاب الاستقراض، باب: من أخذ أموال النَّاس يُريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧، جـ ٥ صـ ٥٣، مرجع سابق.

الأحوال فقال: «من أنظَرَ مُعسِرًا أو وضع عنه، وَقَاهُ الله من فَيْحِ[1] جَهنَّم»[2].

الثانية: الإبقاء على الإحسان؛ عند إمكانية السداد بالإنظار: وفي هذه الحالة قد يُثبتُ الْمُقْتَرِض جدارتَه في استثمار القرضِ؛ إلا أنَّه يحتاجُ إلىٰ مُهلة تُؤهله لتحصيل نسبة أكبر من العائد والدخل؛ ومثل هذا ينظر، يقول النبي ﷺ مُبينًا ربطَ الاقتضاء مع التسامح بعِلَّةِ الرحمةِ من الله تعالىٰ: «رَحِمَ اللهُ رجلًا سَمْحًا إذا باع، وإذا اشترىٰ، وإذا اقتضىٰ»[3].

ومن هنا؛ فإنَّ هذا الرَّبط يُؤدي معناه بنجاحٍ، بتحقُّقِ الإيمان والإحسان في قلوب الناس؛ ما يدفعهم إلىٰ اللَّهف علىٰ نَيْلِ رحمة الله تعالىٰ؛ الذي يَتماشىٰ مع التنمية الاقتصادية لأفراد المجتمع جنبًا إلىٰ جنب؛ وعليه فلابدَّ وأن يكون المجتمع صورة الشريعة في نُظمه؛ حتىٰ يتحققَ بناؤه المتين.

---

(١) فيح: الحرَّ، أو سطوع الحر وفورانه، يُقال: فاحتْ القِدر تفيح وتفوح إذا غلتْ، لسان العرب المحيط، لابن منظور، جـ ٤ صـ ١١٥٢.

(٢) رواه الإمام أحمد؛ في مسنده، نقلًا عن الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد؛ للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، كتاب: القَرض والدَّين، باب: فضل من أنظر مُعسِرًا أو وضع له، (ط. دار الشهاب، القاهرة، د.ت) جـ ١٥ صـ ٩٦، وسند الحديث جيد؛ علىٰ حد قول الشيخ أحمد البنا. راجع له كتابه: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، (ط. دار الأنوار بمصر، طبعة أولىٰ، د.ت) جـ١٥ صـ ٩٧، وقال الحافظ الهيثمي؛ في مجمع الزوائد: الحديث رواه الإمام أحمد، وفيه عبد الله بن جعوبة السلمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح، جـ ٤ صـ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) رواه البخاري؛ في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله، فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رق م ٢٠٧٦، ج ٤ ص ٣٥٤، مرجع سابق.

ثالثًا: الإحسان بالتمويل؛ بعقد مشاركة بين الصندوق والفرد: وفي هذا النظام يقومُ الصندوق بدور المصرف، والعمود الفقري للفكرة الاقتصادية، ويضرب عقد الشراكة بين الصندوق والفقير؛ إذ بموجبه يقوم الصندوق بتمويل الفقير علىٰ أساس شرائط وبنود، تُوزَّع نتيجة الاستثمار بينهما من خلالها، فالدَّعم المالي من الصندوق، والخِبرة والتَّفعيل من الفقير؛ كشِراء رؤوس ماشية بتمويل الصندوق، والغذاء علىٰ الفقير من أرضه إن وُجد، أو علىٰ حسب النظام المضروب في العقد المبرم بينهما، أو علىٰ حسب دراسة الجَدوىٰ التي يقوم عليها المشروع.

وتقوم المشاركة الفعَّالة علىٰ صورتين: الأولىٰ: مُشاركة دائمة بدوام المشروع.

الثانية: مُشاركة تدريجية تُفضي بملكية المشروع للفقير بعد سداده لرأس المال؛ بطريق التقسيط المؤجَّل.

رابعًا: الإحسان بنظام التمويل؛ عن طريق التأجير: التأجيرُ مأخوذ من الإجارة؛ وهي: (عقدٌ علىٰ المنفعة بعِوَضٍ؛ وهو مال) [(١)]، وقِيل: (هي بيعُ منفعةٍ معلومة بأجرٍ مَعلوم) [(٢)] وهو نظام مشروع بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وقد استدل العلماء علىٰ مشروعيته؛ بقوله تعالىٰ في قصة موسىٰ حين أجَّرَ نفسه لرعي الغنم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، وجاء في كتاب الأمِّ: (لقد ذكر الله نبيًا من أنبيائه[(٣)] آجر نفسه حِجَجًا مُسمَّاه، ملَّكه بها بضع امرأة، فدَّل علىٰ

(١) شمس الدين السرخسي؛ المبسوط، (ط. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثالثة، د.ت) جـ ١٥ صـ ٧٤.

(٢) بدر الدين العيني؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، جـ ١٤ صـ ٧٧، مرجع سابق.

(٣) يقصد: موسىٰ عليه السلام.

تجويز الإجارة بكل حال)[1].

وهذا النظام الإسلامي المنبَعِث من الإحسان؛ وفيه تبادل للمنافع، فالصندوق المموِّل، يمتلك الآلات الزراعية مثلًا أو المعدات أو العقارات المختلفة، ثم يقوم بتأجيرها للمتولِّين علىٰ حسب حاجاتهم وبحسب خبراتهم، وهي علىٰ نظامين:

الأول: نظام التأجير التَّشغيلي: كتأجير الآلة لمدَّة مُعينة بمقابل؛ أُجرة شهرية، أو سنوية حسب الاتفاق الْمُبرم بين الطرفين، علىٰ أن تكون مِلكية الآلة للصندوق.

الثاني: نظام التأجير المفضي إلىٰ الملكية: حيث يُسدِّدُ المستأجر ثمنَ الآلة بنظام التقسيط المؤجل مع الأُجرة الشهرية، علىٰ أن تَؤُول الملكية للمُستأجر بعد الانتهاء من ثمن الآلة.

وكلُّها أنظمة تنموية رابحة، تعمل علىٰ التنمية والبناء.

ويمكن توسيع هذه الأنظمة المشروعة بدلًا من حصولها بين الأفراد والصندوق؛ بإبرامها بين الهيئات والصندوق؛ كهيئة الأوقاف، وصندوق الزَّكاة، وغير ذلك، والعائد يُفعَّل فيما سبق من أنظمة، ونكتفي بما سبق كنماذج وحلول مُوجزة.

❁ ونَخْلُص مما سبق بما يلي:

- **وضوح دورِ الإحسان في المشاريع التنموية علىٰ اختلافها؛ مثل:**

ـ المشاريع ذات الآثار الاقتصادية؛ كالحرفية، والزراعية، والصناعية،

(١)محمد بن إدريس؛ الشافعي؛ الأم، بتحقيق محمد زهري النجار، (ط. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٣٩٣هـ) جـ ٤ صـ ٢٥ باختصار وتصرف في النقل.

والمهنية.

ـ المشاريع الخدمية: وهي التي تخدم عملية التسويق للمشاريع الاقتصادية؛ كالدعاية، والإعلان بمختلف وسائلها، في هيئةٍ تنظيمية؛ تُحَسِّنُ صورة المجتمع المسلم، وتَضْمَنُ إلغاء التخطيط السيئ في عملية التسويق، والذي يترتب عليه الركُّود والخسارة.

منطلقات الإحسان نحو التنمية والبناء: تفرَّدتْ الشريعةُ الإسلامية بمنظومة تَوجيهٍ؛ خاصة للأموال؛ لصناعة مجتمع إسلامي خاص؛ لأنَّ المجتمع المسلم انبثقَ من هذه الشريعة، وقام علىٰ أُسُسِها التي أرادها الله تعالىٰ لعباده، فهي كفيلة ببناء وتنمية الأمَّة المسلمة بناءًا قويمًا؛ بتوجيه أصحاب المصانع والشركات والاستثمارات والتجارات؛ علىٰ كافة المستويات؛ نحو حلِّ المشكلات الاجتماعية؛ عبر منظومة تنموية تتناغم مع حجم المشكلات؛ **ومن أهم مُنطلقات الإحسان نحو التنمية:**

أولًا: توعية أصحاب الملكية؛ بفرضية الزَّكاة، والشعور بهموم المجتمع المسلم، وأزمة الأمَّة، والزج بهم في وحدة مُتكاملة هادفة: من المعلوم أن الزَّكاة في عُرف الشَّرع: (هي القَدْرُ الواجب إخراجه لمسْتَحِقِّيه في المال الذي بلغ نصابًا مُعينًا؛ بشروط مخصوصة، وقد سُميَّتْ "زكاة" لأنها تُزكي العبد، أي تُطَهِّرَه، وترفع شأنه عند ربه، وتُزَكِّي المالَ؛ أي: تُنَمِّيه، وتُباركه، وتزيد فيه، فهي في اللُّغة: الطُّهر، والشرف، والنَّماء، والزيادة، والبركة؛ قال ﷺ: «بُني الإسلامُ علىٰ خَمْسٍ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان»[1]، وكان حقًا علىٰ رجال الدعوة والدعاية والإعلام أن يبثوا روح

(١) صحيح مسلم؛ بشرح النووي، كتاب: الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه، (ط. دار إحياء =

التوجيه الإسلامي، وأن يُلغوا النُّظم الاقتصادية المستوردة، وحبَّ التَّملُّكِ علىٰ حساب الآخر، وأن يُبيِّنُوا أنَّ الإسلام علىٰ النقيض من تلك المنظومات الوضعية؛ فهو يقوم علىٰ الحركية المتوازنة والتطور عبر آليات التصحيح الذاتي، وتوجيه السلوك الإنساني الرشيد.

ثانيًا: تفعيل قاعدة الإحسان بالبذل والإيثار؛ تحقيقًا للتنمية والكفاية: إنَّ الإحسان هو الذي يقود عملية العَصفِ الشعوري الوجداني الرحيم، ويدفعه نحو الإيثار والبذل، والشعور الواحد علىٰ حدِّ قول رسول الله ﷺ: «ترىٰ المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر جسده بالسَّهر والحُمَّىٰ» [(١)] ذلك المعنىٰ الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صِلتهم بالله تعالىٰ؛ استشعارًا بملكيته الحقيقية للكَون والسماوات والأرض ومن فيهن؛ (وهي صِلَة لا يوجد لها نظير، ولا أساس للقياس؛ من بين الصِّلات في الأصالة والعمق، والسَّعة والاحتواء، والشُّمول والإحاطة، وأقلُّ ما يُقال فيها أنها صِلة الخالق والمخلوق، والربِّ والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنَّها صِلة هذا الربِّ الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربُوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلَصَ له الحبِّ، ويَهيمُ به القلبُ، وتُبذل في سبيله الْمُهَجُ والأرواح، فضلًا عن الأموال والأملاك)[(٢)] ذلك المعنىٰ؛ هو الأداة الفعَّالة القوية التي تُحرِّكُ الهِمَمَ نحو عملية الإنفاق.

= التراث العربي، بيروت، د.ت) جـ١ صـ١٧٦.

(١) أخرجه البخاري؛ في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، كتاب: الأدب، باب: رحمة النَّاس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير، جـ١٠، صـ ٥٤٠.

(٢) أبو الحسن الندوي؛ الأركان الأربعة، صـ٨٩، مرجع سابق.

الفصل الثالث

غاية تفعيل الإحسان في العمل الخيري ومجالاته في الإصلاح الاجتماعي

تنْبعثُ غايةُ تفعيل الإحسان في عدَّة مسارات، وهي تتفرع في عدة مجالات؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

❁ أولًا: غاية الإحسان في المعاملات، وبناء القِيَم المجتمعية:

إن التعاملات الإنسانية تعتمد علىٰ تفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويُشاهَدُ هذا التفاعلُ بصفة عامة في تنظيمات العمل؛ حيث يرتبط الأفراد بنوع من البناء والنظام الشكلي؛ في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط، والانسجام، والتعاون فيما بينهم(١).

والإنسان يميل بطَبْعِهِ إلىٰ مُخالطة النَّاس والتعامل معهم، وهو بحاجة إلىٰ ذلك؛ بحُكم المصالح المشتركة، وحاجة كلِّ إنسانٍ لأخيه الإنسان؛ فلا يمكن له الاستغناء عن الآخرين في تحقيق مصالحه، هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم، وبيَّن أبعادَها، تنبَّه إليها عددٌ من العلماء؛ وعلىٰ رأسهم ابن خلدون في القرن الثامن الهجري، وما تزال الأيامُ تُثبتُ لنا صِدقَها، ودقَّة وصفها للسُّلوك

(١) مرسي؛ سيد عبد الحميد: العلاقات الإنسانية، (مكتبة وهبة، د. ت)، صـ١١.

الإنساني.

فقد بيَّن لنا القرآنُ الكريمُ أن النَّاس مهما تَعددتْ أجناسُهم وألوانهم؛ فإن أباهم جميعًا هو آدم عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١][1].

فالقرآن يُؤكد وحدةَ أصلِ النَّاس وصلةَ القُربىٰ بينهم، باعتبارهم أخوة يَنحدرون من أصل واحد، وإنَّ هذا التوحُّد في الأصل والمنشأ، حَريٌّ به أن يقود النَّاسَ إلىٰ الإحسان، والتعاون، والتفاهم، والالتقاء علىٰ الخير والمحبة.

والنَّاظر في صِيغ الخطاب القرآني، يجدُ أنها تُؤكد وحدة الأصل الإنساني، فكثيرًا ما تتكرر في القرآن صِيغُ النداء بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ، مما يُشير إلىٰ أنَّ الله سبحانه كرَّم هذا الإنسان وفضَّله علىٰ كثيرٍ من خلقه، مُعلنًا بذلك مبدأ المساواة بين البشر؛ فلا فضل لجنس علىٰ آخر باعتبار اللون والعنصر والنشأة، ويرتقي بهذا الإنسان؛ حين يُعلن أنَّ أساس الثواب والعقاب؛ يرتكزُ علىٰ النوايا والأعمال لا علىٰ الظواهر والأشكال؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣].

ولكن البشريَّة حين تُغيِّبُ عقولها، وتطمس ضمائرها؛ تتناسىٰ هذا المبدأ، وتضرب بكل هذه القِيم عَرض الحائط؛ فتنتشر العُنصرية البغيضة، وهنا يتجلىٰ دورُ الإحسان في ضبط سلوكيات الأفراد؛ نحو تعامل مثالي يعلوه الإخاء وتكسوه

(١) ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار القلم، ط. خامسة، ١٩٨٤م)، صـ٤١.

الرَّحمة.

وبعد أن بيَّنَ لنا القرآن وحدة الأصل الإنساني، بَيَّنَ لنا في سياقٍ آخر أنَّ هذا الأصل تفرَّعت عنه الشعوب والقبائل والأُمَمُ، وأنَّ الهدف من هذا التنوع بين النَّاس هو الإحسان، والوِصال، والتفاهم، والتعارف فيما بينهم؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣].

وإذا كان القرآن الكريم قد اهتمَّ ببناء المعاملات الإنسانية علىٰ المستوىٰ الإنساني العام، فهو في الوقت نفسه لم يَغفلْ عن أهمية بناء هذه العلاقات في مستوياتها الخاصة؛ بدءًا بالعلاقة القائمة بين الزوجين، مُرورًا بالأُسرة، والأقارب، والجيران، حتىٰ المجتمع المسلم.

❁ ثانيًا: غاية تفعيل الإحسان في العلاقات الإنسانية:

تبدو أواصرُ الإنسانية؛ في تدافع الإحسان من ساحات الْمَوَاجِدِ؛ علىٰ مستوىٰ المعاملات الإنسانية بين الأفراد علىٰ اختلاف أشكالهم، فالمعنىٰ الإيماني هو الذي يقود عملية العَصْف الشعوري الوجداني الرحيم، ويَدْفعه نحو الإيثار والبَذلِ والشعور الواحد؛ علىٰ حدِّ قول رسول الله ﷺ: «ترىٰ المؤمنين في تَرَاحُمِهم وتَوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو تَداعىٰ له سائر جسده بالسَّهر والحُمَّىٰ»[(١)]. ذلك المعنىٰ الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صلتهم بالله تعالىٰ استشعارًا بملكيته الحقيقية للكون والسماوات والأرض ومن فيهن؛ (وهي صلة لا يوجد

(١) أخرجه البخاري؛ في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، ج ١٠، كتاب: الأدب، باب: رحمة النَّاس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير، ص ٥٤٠.

لها نظير ولا أساس للقياس من بين الصلات، في الأصالة والعمق، والسعة والاحتواء، والشمول والإحاطة، وأقل ما يقال فيها أنها صلة الخالق والمخلوق،والرب والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنها صلة هذا الرب الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلص له الحب ويهيم به القلب، وتُبذل في سبيله المهجُ والأرواح، فضلًا عن الأموال والأملاك)[1] ذلك المعنىٰ؛ هو الأداة الفَعَّالة القَوية التي تُحرِّك الهِمَمَ نحو عملية الإنفاق.

وعلىٰ هذه الهيكلة تسير منظومة الإحسان؛ كالتالي:

١ ـ الإحسان بذي القربىٰ: فالأقارب أول بُؤرة في المجتمع، إذا تحققَ لها الكفايةُ انطلقتْ عملية التكوين المجتمعي علىٰ أنساق مُتوازنة، مما يجعل المنظومة الاقتصادية الإسلامية تملك إمكانيةَ التصدي للخَلَل الذي تحياه الأمَّة؛ ومن هنا عُني القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوية بهذا الجانب، وحقَّهم أن يُنفقَ عليهم وجوبًا من وجهين؛ أولًا: سَمَّىٰ الله ما يُعطىٰ لذي القربىٰ حَقًّا، والحقُّ لا يُطلق إلا علىٰ الشيء الواجب.

ثانيًا: اسْتُخدمتْ صِيغةُ الأمرِ في الآية؛ حيث قال تعالىٰ: (فآت)، وصيغة الأمر تُفيد الوجوب[2].

وقال رسول الله ﷺ: «إبدأْ بنفسك فتصدَّقْ عليها؛ فإن فَضَلَ شيءٌ فلأهلك؛ فإنْ فَضَلَ عن أهلِكَ شيءٌ فلذي قرابتك، فإنْ فَضَلَ عن ذي قرابتك

(١) أبو الحسن الندوي؛ الأركان الأربعة، ص ٨٩، مرجع سابق. تم تكراره في ص:٢٥.

(٢) الإمام ابن القيم؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٤ ص ١٦٦، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، بدون تاريخ.

شيءٌ فهكذا، وهكذا، يقول: فبينَ يديك وعن يمينك وعن شمالك»[(١)]، ويُجْبَرُ الرُّجل علىٰ نفقةِ والديه، وولده الذكور والإناث، ويُجبرُه الحاكمُ ويحبسه إذا امتنعَ عن دفعها، ولو كان أبًا، وذلك لضرورة دَفْعِ الهلاك عن القريب[(٢)]، وذلك الجبرُ للمُتَعَسِّفِ حتىٰ يحدثَ التكامل بين قوانين الإنسان وقوانين الكَون، مادام الإنسان والكَون يكونان معًا نظامًا واحدًا مصدره واحد، وهو الله الخالق سبحانه.

٢ ـ الإحسان باليتيم، والمسكين، وابن السبيل؛ تقويةٌ لأواصر المجتمع: وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في بناء الوحدة المجتمعية كقوة واحدة: «إنَّ الله فرض علىٰ أغنياء المسلمين في أموالهم؛ بقَدر الذي يسعُ فقراءهم، ولن يُجهدَ الفقراءُ إذا جاعوا وعروا؛ إلا بما يُضَيِّعَ أغنياؤهم، ألا وإن الله سيحاسبهم حسابًا شديدًا أو يعذبهم عذابًا أليمًا»[(٣)]

وبهذا؛ فُرِضَ علىٰ الأغنياء من أهل كلِّ بلد أن يقوموا بفقرائهم، فيُقام لهم بما يأكلون من القُوت الذي لابدَّ منه، ومن اللِّباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يحفظهم من المطر والصيف والشمس، وعيون المارَّة[(٤)]، وذلك

---

(١) صحيح مسلم؛ بشرح النووي، كتاب: الزَّكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب، ج ٤ ص ٨٣، طبعة دار إحياء التراث العربي، طبعة أولىٰ، سنة ١٣٤٧هـ.

(٢) الإمام الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٤ ص ٣٨، طبعة دار الكتاب العربي، سنة ١٣٩٤هـ.

(٣) ذكره الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي؛ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب: الزَّكاة، باب: فرض الزَّكاة، ج ٣ ص ١٩٧، وقال: تفرد به ثابت بن محمد الزاهد، وهو من رجال الصحيح، وبقية رجاله وُثِّقوا، وفيهم كلام، مرجع سابق.

(٤) الإمام ابن حزم؛ المحلىٰ، ج ٦ ص ٢٢٤، نشر مكتبة الجمهورية المصرية العربية، بدون تاريخ.

فرضٌ علىٰ الأغنياء من أهل كلِّ بلد ويُجْبرُهم السلطان علىٰ ذلك[١].

وقد خاضَ سيدنا أبو بكر الصديق حَربًا ضِدَّ مانعي الزَّكاة؛ تحقيقًا للاتساق بين مطالب الشرع وقَالَبِ المجتمع؛ فهما متلازمان ولا ينفصلان.

وبذلك يستوعب النظام المالي الإسلامي حاجيَّات وحداتِ المجتمع الصُّغرىٰ، بما يُحقق الإشباع بين كلِّ وحدةٍ من وحدات المجتمع الكُلِّي.

٣ ـ الإحسان للجيران: فالإحسانُ للجارِ من أقوىٰ آليات القُوة في المجتمع المسلم؛ للربط بين النَّسق الإيماني والنَّسق الاجتماعي البيئي الطبيعي، مما يُرسخ أُسُسَ البناء الاجتماعي بمنهج لا تؤثر فيه المؤثرات الخارجية، ولا التأثيرات الخارجة الوافدة، وبذلك تَلْتَحم عناصرُ المجتمع، وتتسق دون أدنىٰ ثغرة، وقد شدَّدَ النبي ﷺ علىٰ رعاية الجارِ والعناية به، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «مازال جبريلُ يوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنه سيورثه» [٢]، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره»[٣]؛ وبذلك يربط الله تعالىٰ بين البُؤر المجتمعية برابطٍ قوي وَثيقٍ يقومُ علىٰ الإحسان، ويُؤكد ذلك قوله ﷺ: «ليس بالمؤمن الذي يَبِيتُ شبعان وجاره جائع إلىٰ جنبه» [٤] ؛ وبذلك يُوثِّقُ الشرعُ بين لَبِنَاتِ المجتمع المسلم بمادةِ الإيمان، وهي أقوىٰ موادِّ البناء.

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) رواه البخاري؛ في صحيحه، من حديث عائشة؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، ج ١٠ ص ٤٩٧، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري؛ من حديث أبي هريرة؛ فتح الباري؛ لابن حجر، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ج ١٠ ص ٥٠٢، مرجع سابق.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٩) رقم (٧٥١) وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني في صحيح الأدب المفرد .

وتلك هي البُؤر الكبرىٰ التي تجمع وحدات المجتمع، وفي هذه المسئولية تأخذ الشريعة بعين الاعتبار كلَّ أبعاد النسيج المجتمعي، وبذلك تنتعش كلُّ وحداتِ المجتمع ليكونَ مجتمعًا لديه الكفاية الذاتية؛ ما يدعوهُ ليكونَ إنتاجيًا.

والقرآن يُعطي أهميةً للعلاقات الإنسانية، ويجعلها أساسَ الاجتماع وأصل العمران؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فالآية تشيرُ إلىٰ أنَّ الإحسان بين القلوب نعمة ربانية جديرة بالتنويه، بها "تَنْتَفِي الأحقادُ، وتنمحي البغضاءُ، وتَتوارىٰ الخلافات، وما يترتب عليها من غارات وحروب، ويذهب شَبحُ الهلاك إلىٰ غير رجعة؛ لأنَّ التأليف بين القلوب إنما هو اتحاد في المشاعر، وانسجام في الوجدان، وباعث علىٰ التضامن في السرَّاء والضرَّاء؛ فهو إذن وحدة نفسية، أو فكرية، أو عقلية، أو روحية؛ ينشأ عنها حتمًا وحدة اجتماعية لا تنفصم؛ ومن هنا يمكن القول: إنَّ المجتمع في نظر القرآن تأليفٌ بين القلوب، واتحادٌ في المشاعر، وتَشاركٌ في الوجدان"[1].

❁ ثالثًا: تفعيل خُلُق الإحسان في العمل الدعوي؛ بشراكة المؤسسات الخيرية:

الحقيقةُ أنَّ إحسان التعامل مع الآخرين لـه مفهوم شامل، يتَّسعُ اتساعَ العلاقات الإنسانية بين بني البشر، والروابط التي تجمع بين النَّاس كثيرة؛ فمن رابطة الدَّم، إلىٰ رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصُّحبة، ورابطة الجِنس والعِرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة؛ التي تُعدُّ من أقوىٰ

(١) التومي، محمد: المجتمع الإنساني في القرآن، صـ٢٧١.

الروابط وأمتنها، ولكن قوَّة رابطة العقيدة، لا تعني أنَّ أدب التعامل مع الآخرين لا يدورُ إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب العقائد الأخرىٰ من غير المسلمين، بل؛ إنَّ أدب التعامل يتسعُ ليشملَ الإنسانيةَ كلَّها.

ولا بدَّ لنا في هذا السياق من التفريق بين إحسان التعامل مع الآخرين، وبين الوَلاء لهم؛ فإنَّ الوَلاء هو المحبة والنُّصرة(١).

وهذه لا تكون إلا بين المسلمين، ولكن التبرُّؤ من أعداء الله لا يعني الإساءة في معاملتهم، أو أكل حقوقهم، أو سبِّهم والفُحش معهم في القول، أو عدم ملاطفتهم؛ فالولاء: "هو سُلوك الباطن، والمحبة القلبية، وما يترتب علىٰ ذلك من نُصرة وإعانة، أمَّا التعامل الحَسَن؛ فهو سُلوك الجوارح والعلاقة الظاهرية، والأول قد حُصر علىٰ المسلمين، أمَّا الثاني فهو مع المسلمين ومع غيرهم"(١).

ولعلَّ ما ورد في سورة الممتحنة، هو من أوضح الآيات التي تُميِّزُ بين الولاء، وبين البرِّ وحُسن التعامل، يقول تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

فقضية التعامل مع الآخرين هي قضية بالغة الأهمية والخطورة، وقد جعل الإسلام الالتزام بالدِّين في قِسمٍ كبيرٍ منه، متوقفٌ علىٰ الأدَبِ وحُسْن المعاملة،

(١) محمد ابن عبد الوهاب؛ سليمان بن عبد الله بن محمد: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، صـ٣٤٦.

(١) الحمادي؛ علي: أمسك عليك هذا، (بيروت: دار ابن حزم، ط. ثالثة،سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، صـ٣٢.

ومن مُنطلق هذه الأهمية؛ جاء القرآن الكريم ليضعَ لنا المناهج القويمة والأُسُسَ السليمة للتعامل مع الآخرين؛ باعتباره موضوعًا أساسيًا من موضوعات هذا الدِّين، فقد أصَّلَ القرآنُ الكريم لأدبِ التعامل مع الآخرين، وأقامهُ علىٰ مجموعة من القواعد والفنون؛ التي نضمنُ من خلالها نتائجَ إيجابية وحَسَنة في العلاقات الإنسانية، وهذه القواعد والفنون كثيرة ومتنوعة، وليس من موضوعنا الحديث فيها؛ غير أنَّ هناك قاعدة قرآنية تُعدُّ أصلًا تتفرع عنه كل قواعد التعامل مع الآخرين؛ هذه القاعدة هي «حُسْنُ الموعظة »؛ إذْ لا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين في مجال الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ دُون هذا الأصل المتين.

وما انتشارُ الإسلام في جميع أنحاء المعمورة؛ إلا دليلٌ واضحٌ علىٰ انعكاس الأخلاق الإسلامية علىٰ العلاقات في المجتمعات الإنسانية، حتىٰ إنَّ الذين دخلوا في هذا الدِّين تَأَثُّرًا بهذه الأخلاق، يتجاوز عددُهم أضعافَ من دخلوه عن طريق السَّيف، بل؛ إنّ السيف –في كثير من الأحيان– لم يكنْ إلَّا لإزالة العقبات التي تَحولُ بين النَّاس والالتقاء مع صَفاء الإسلام وسماحة أخلاقه، وما أنْ تضعَ الحربُ أوزارها، ويتعامل المسلمون مع أعدائهم، وتنسابُ العلاقات فيما بينهم؛ حتىٰ تُبهرهم عظمة هذا الدِّين، وسُموِّ أخلاقه، فيتحولوا من أعداء محاربين للإسلام وأهله، إلىٰ مُناصرين للحقِّ مدافعين عنه.

والداعيةُ بموعظته يردُّ عن الحقِّ، ويذبُّ عن الفَهم مجاهيل الفِكْرِ؛ لذا حثَّ اللهُ الدعاة علىٰ الحكمة والإحسان في عَرض تعاليم الإسلام، والحُسْنِ في الموعظة عند الدعوة؛ فقال:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

ودعوته إِلِىٰ سَبِيلِ ربه، "أي (إلىٰ الإسلام) بِالْحِكْمَةِ: (بالمقالة الْمُحْكَمة الصحيحة؛ وهي الدليل الموضِّحُ للحقِّ المزيل للشُّبهة) وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: (وهي التي لا يخفىٰ عليهم أنَّك تُناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يُريدَ القرآن؛ أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة)، وَجَادِلْهُم بِالَّتِىٰ هِىَ أَحْسَنُ: (بالطريقة التي هي أَحْسَنُ طُرق المجادلة من الرِّفق واللِّين، من غير فظَاظَةٍ ولا تعنيف"[1]، وذلك أمرٌ من الله تعالىٰ لرسوله: "بأن يدعوَ إلىٰ دين الله وشَرْعه بتلطُّفٍ، وهو أن يسمع المدْعُوَّ حكمةً، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النَّفس أجمل موقع"[2]، وعليه فهو أمرٌ لمن حَمَلَ علىٰ عاتقه مسئوليةَ الدعوةِ إلىٰ الله تعالىٰ.

ولم يكُ التلطُّفُ في النصيحة بِدعًا في منهج الدعاة إلىٰ الله؛ فإن منهج الحكمة والتلطُّفِ واللِّين ثابتٌ في منهج الدعوة؛ وإنْ تغيَّرَ الدُّعاةُ؛ فمثلا "أمر اللهُ جلَّ وعلا نبيَّه موسىٰ وهارون عليهما وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالةِ الله إليه؛ فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]؛ أي: كلامًا لطيفًا سهلًا رقيقًا، ليس فيه ما يُغضب ويُنفر، والقول اللَّيِّنُ في هذه الآية بقوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٧-١٩]، وهذا –والله– غاية لِين الكلام ولطَافته، ورقَّتِه –كما ترىٰ–

(١)أبو القاسم؛ محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ٢، صـ ٦٠.

(٢)محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي؛ تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط. أولىٰ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) جـ ٥. صـ ٥٣٠.

وما أمرَ به موسىٰ وهارون في هذه الآية الكريمة؛ أشارَ له تعالىٰ في غير هذا الموضع؛ في مثل قوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، [(١)]، ويُؤخذُ منه أنَّ منهج النَّصيحة في الدعوة إلىٰ الله يجب أنْ يكونَ بالرِّفق والحكمة والتلطُّف واللِّين، لا بالقسوة والشِّدة والعنف؛ فهناك ارتباطٌ بين الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فالحوار قرين الحكمة والموعظة الحسنة في جميع الأحوال، وهذا الارتباط هو من قَبيلِ ارتباطِ المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب؛ فالحوار هو الوسيلة والأسلوب، والحكمة والتلطُّف هما المنهج، بينما المضمون هو الموعظة الحسنة، وليستْ أيَّةُ موعظة، علىٰ أي نحوٍ من الأنحاء، ولا بأية طريقة من الطُّرق، ولكنَّها موعظةٌ حسنة، وينطبق هذا علىٰ الحوار انطباقًا كاملًا.

وتأتي المجادلة؛ وهي مقارعة الحُجَّة بالحُجَّة، في المرتبة الثانية من مَراتب الدعوة إلىٰ الله، وكمَا أنَّ الدعوة لا تتمُّ علىٰ الوجه الشرعي؛ إلا إذا كانت صادرة عن الحكمة، ومقترنة بها، كذلك الحوار لا يكون إلا بالتي هي أحسن؛ أي أحسن الوسائل وأقْوَم الأساليب، وأصح الطرق؛ وذلك ضمن مبادئ الحوار، وأُسُسِه، وشروطه، وبذلك يتضح جليًا مَدىٰ تأكيد القرآن علىٰ منهج وأسلوب اللِّينِ والحكمة؛ في نُصح الدِّعاة للمَدْعُوِّين.

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن (ط.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ـ سنة ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) جـ٤، صـ١٥.

الخـاتمة

بعدَ هذا التَّطْوَاف في شِعَاب البحث؛ ننتهي إلىٰ عدَّة نتائج، ونرمي إلىٰ بعض التوصيات، نذكرُها فيما يلي:

❁ أولًا: أهمُّ نتائج الدراسة:

أولًا: إنَّ طبيعة القضايا الخيرية الاجتماعية؛ تقتضي المعالجة الشرعية لها بالإحسان في كل شيء، حتىٰ نُحافظ علىٰ الكوكب الذي نعيش فيه، ونتركه سالِمًا لأبنائنا، والأجيال القادمة.

ثانيًا: إنَّ نجاحَ برامج الإصلاح الاجتماعي؛ يعتمدُ بصورة أساسية علىٰ مُراعاة خُلُق الإحسان؛ في مجال التَّعامل الخيري.

ثالثًا: إنَّ المقصدَ العام للإحسان؛ هو إحسانُ القَصْدِ لله تعالىٰ في صِلَةِ المؤمن بربِّه وفي صِلَتِه بالناس، وفي صِلَتِه بسائر المخلوقات، ورعاية البيئة والمحافظة عليها؛ لتوفير الحياة الآمنة للإنسان، وحماية مصالحه الاقتصادية، وتوفير حاجاته المعيشية وغيرها، وحماية سائر الأحياء والمخلوقات الأخرىٰ؛ التي هي مُسخَّرة لخدمته.

❁ ثانيًا: أهمُّ التوصيات:

أولًا: ضرورة إعادة قراءة موضوع الإحسان؛ من خلال القرآن والسُّنَّة النبوية؛ من منظور تطبيقي؛ لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تُفيد في حلِّ قضايا المجتمعات المعاصرة، والمحافظة علىٰ الحياة الإنسانية الكريمة، وضرورة ترجمة مبادئ الإحسان إلىٰ اللغات الأُخرىٰ؛ لتعريف غير المسلمين بالدُّور العظيم الذي يوجِّه إليه الإسلام في هذا الموضوع.

ثانيًا: يجب دراسةُ قضايا الإصلاحِ الاجتماعي من منظور الإحسان، وتعريف النَّاس بذلك؛ نظرًا لأهمية ذلك في التَّصدِّي للمشكلات الحياتية.

ثالثًا: دعوة المفكرين والفقهاء والباحثين والمتخصصين في الشريعة؛ إلىٰ التعاون فيما بينهم لعَرْض الرُّؤية الإسلامية الشاملة للإصلاح، ودِراسة وتحليل التوجيه الإسلامي؛ إلىٰ الإحسان في التعامل مع الآخرين ومع البيئة، والعمل في صياغة مشروع تنموي من الرؤية الإسلامية وسُبل تحقيقها، والعمل علىٰ تصحيح المسار، وبيان مواطن الخَلَلِ كُلَّمَا أُتِيحتْ لهم الفرصة في المحافل العلمية والفكرية.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين.

كتبه/ د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

الأستاذ بجامعتي الأزهر والملك فيصل.

الانعكاسات التربوية
للعمل الخيري
في تعزيز القيم الإسلامية

دراسة ميدانية على طلاب جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إعداد:
د. نايف يوسف حمد القاضي

ملخص البحث

يهدف البحث الحالي إلىٰ التعرف علىٰ واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية لدىٰ طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من خلال الكشف عن واقع تلك الانعكاسات في تعزيز القيم الاجتماعية، والقيم الاقتصادية، والقيم الشخصية (الذاتية). ولتحقيق أهداف البحث فقد اعتمد الباحث علىٰ المنهج الوصفي المسحي، وذلك من خلال تصميم استبانة مكونة من ثلاثة محاور لقياس الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز كلٍ من: القيم الاجتماعية، والقيم الاقتصادية، والقيم الشخصية (الذاتية). وقد أجابَ عنها عينة عشوائية بسيطة من طلاب كليتي الشريعة وأصول الدين خلال الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٤٣٨/ ١٤٣٩ه، بلغ حجم العينة (٤٣٥) طالبًا. واستخدم الباحث التكرارات والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية واختبار (ت)، وتحليل التباين الأحادي؛ لتحليل البيانات التي جمعت من العينة.

وأظهرت نتائج البحث أن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية كان متحققًا بدرجة كبيرة بمتوسط إجمالي (٤.٠٦)، والمتوسطات الحسابية للمحاور الثلاثة: القيم الاجتماعية، والقيم الاقتصادية، والقيم الشخصية (٤.٢٠)، (٣.٧٢)، (٤.٣٤) علىٰ التوالي. كما كشفت عن وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوىٰ دلالة (٠.٠١) حول واقع الانعكاسات

التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) تعزىٰ لمتغير الكلية؛ وذلك لصالح طلاب كلية الشريعة. فيما توصلت إلىٰ وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوىٰ دلالة (٠.٠١) حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية تعزىٰ لمتغير المستوىٰ الدراسي؛ وذلك لصالح الطلاب في المستويات من الأول إلىٰ الرابع. وقد أسفرت النتائج كذلك عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، والاقتصادية، والشخصية (الذاتية)، وفي الدرجة الكلية للاستبانة، تعزىٰ لمتغير عدد مرات التطوع بين الفئة (أقل من ٥ أعمال)، والفئة (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال) لصالح الفئة (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال).

❁ الكلمات الدلالية:

العمل الخيري، العمل التطوعي، الانعكاسات التربوية، القيم الإسلامية، القيم الاجتماعية، القيم الاقتصادية، القيم الشخصية (الذاتية)، تعزيز القيم.

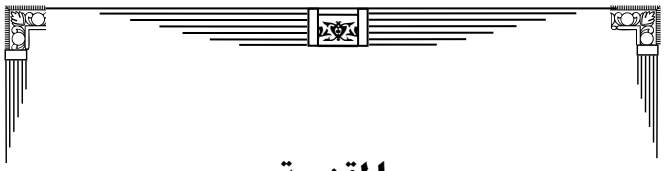

المقدمة

العمل الخيري لغة الشباب المعاصر، وثقافتهم المتوقدة، فيرىٰ المشاهد في الوقت الراهن مسارعة أولئك الشباب للعمل الخيري والتطوعي، أيًا كان شكل تلك الممارسة، فتارة يكون بالانضمام في مجموعات تطوعية، وتارة يكون بالمبادرة بإنشاء فرق تطوعية باختلاف مجالاتها واهتماماتها، أو يكون بوجود الرغبة الملحة لتقديم المشاركة في بعض الأنشطة المجتمعية.

والعمل الخيري ركيزة أساسية في البنية الإنسانية علىٰ المستويين الفردي والجماعي، كما يعد أحد الروافد الحضارية في بناء المجتمعات وضمان تماسكها، وهو محل اعتبار كافة الأديان وفي مقدمتها الإسلام العظيم، كما أنه أحد الأسس والمنطلقات التي تدعو إليها جميع الفلسفات، والمنظمات الفكرية، والتربوية، والاجتماعية، في سائر العصور علىٰ مر التاريخ، وهو ما أولته التربية الإسلامية جُلَّ عنايتها (الخيري، ٢٠١٢م، ١٦٧).

ويعد العمل الخيري من أبرز وسائل تنمية القيم وغرسها في المجتمعات الإنسانية، ففيه تتجلىٰ أعظم صور البناء الاجتماعي، من تكافل، وتعاون، ومسؤولية، ورفق، وتواضع، وإيثار، وغيرها من القيم الإيجابية، خصوصًا في نفوس الشباب، ذلك العنصر الحيوي والرئيس في بناء المجتمعات الفاعلة وتكوين الأمم المتقدمة (زاهد، ١٤٣٤ه، ٢). كما أنه يحقق انعكاسات إيجابية في الفرد والأسرة والمجتمع، وآثاراً تربوية علىٰ القيم والأخلاق والفضائل، حيث

تزكو النفس البشرية، وتسود قيم المحبة والإخاء والتعاون داخل منظومة المجتمع، ويتجسد مبدأ التكافل، ويتحسن المستوىٰ الاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلىٰ استثمار أوقات الفراغ بصورة مثلىٰ، وإشاعة روح النشاط والعمل والجد والاجتهاد (الحازمي وآخرون، ٢٠١٥م، ٣٦٨).

ويرىٰ الرباح (٢٠٠٦م، ١٤) أن العمل الخيري له أبعاد استراتيجية، من أبرزها البعد القيمي المتمثل في اكتساب القيم والاتجاهات الاجتماعية، والأخلاق الفاضلة؛ إذ لها تأثير قوي وفعال في تشكيل شخصية الإنسان، ونظرته لذاته، وللبيئة التي يعيش فيها، وبناء الوازع الديني والعقدي، مما يسهم بفعالية في تكوين الرغبة الذاتية لدىٰ المتطوع للقيام بالعمل الخيري. والعمل الخيري تدريب علىٰ تشرب القيم، واستيعابها، والوسم بها، مثل قيم الإيثار، وحب الآخرين، والاهتمام بهم، والمحافظة علىٰ البيئة، والمحافظة علىٰ المال العام وغير ذلك.

ويكتسب العمل الخيري أهمية في هذا الزمن المتسارع؛ نظرًا لتعقد الظروف الحياتية، وكثرة المتطلبات الاجتماعية، الأمر الذي يجعل الحكومات غير قادرة علىٰ سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، سواء كان ذلك في البلدان النامية أو المتقدمة.

وقد أشارت توصية المؤتمر السعودي الثاني للتطوع (١٤٢٨ه) إلىٰ حث الجامعات ومراكز البحوث العلمية علىٰ إجراء الدراسات والبحوث المتعلقة بالأعمال التطوعية. كما جاء من توصيات المؤتمر العلمي للخدمات التطوعية الذي أعده مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرىٰ (١٤١٧ه)، والمؤتمر العلمي التطوعي الثاني في الرياض (٢٠٠٨م) حث المؤسسات العلمية ومراكز البحوث

في الجامعات علىٰ القيام بدراسات ميدانية تهدف إلىٰ تشخيص واقع ودوافع وآثار العمل التطوعي في المجتمع.

ومن خلال خبرة الباحث في التدريس الجامعي، لاحظ وجود فرق بين الطلاب المرتبطين بالأعمال الخيرية والتطوعية و غيرهم، من ناحية بعض السمات القيمية، والمهارات الحياتية؛ فقد رصدت دراسة طاهر ورميلة (٢٠١٧م) وجود تلازم بين ممارسة العمل التطوعي وتنمية صفات القيادة لدىٰ طلاب الجامعة، كما أكدت ذلك دراسة آلاء زاهد (١٤٣٤ه)، حيث توصلت إلىٰ أن من أبرز وسائل تنمية القيم الاجتماعية ممارسة العمل التطوعي، كما أكدت دراسة الزهراني (١٤٣١ه) أن العمل الخيري ينمي لدىٰ الشباب كثيرًا من القيم الإسلامية العالية، لذا رأىٰ الباحث أن يقوم بدراسة واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية لدىٰ طلاب الجامعة، إيمانًا منه بأهمية الأثر التربوي للعمل الخيري ووجوده في شخصية الطالب الجامعي، وسعيًا في تقويم الجهود المبذولة في العمل الخيري، ومدىٰ تعزيزها للقيم الإسلامية.

وتأسيسًا علىٰ ما سبق فإن موضوع البحث يتحدد في الكشف عن الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم (الاجتماعية، والاقتصادية، والشخصية) الإسلامية لدىٰ طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

❁ **أسئلة الدراسة:**

يجيب البحث عن السؤال الرئيس التالي: ما الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟، ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

- ما الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

- ما الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

- ما الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حيال الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية تعزىٰ لمتغيرات البحث (الكلية/ المستوىٰ/ عدد مرات التطوع)؟

❁ **أهداف الدراسة:**

يسعىٰ البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- الكشف عن واقع دور العمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، والقيم الاقتصادية، والقيم الشخصية (الذاتية) لدىٰ طلاب الجامعة.

- التعرف علىٰ مدىٰ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حيال الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية تعزىٰ لمتغيرات البحث (الكلية/ المستوىٰ/ عدد مرات التطوع).

❁ **أهمية البحث:**

تتجلىٰ أهمية البحث في النقاط التالية:

- يتوقع أن يكون البحث لبنة من لبنات التراكم المعرفي التي تسهم في تطوير مكتبة العمل الخيري، وتزيد من فاعلية الدراسات حوله.

- يساعد البحث القائمين علىٰ مؤسسات العمل الخيري التطوعية في مراجعة أدوارهم فيما يتعلق بتعزيز القيم لدىٰ المشاركين، ومن ضمنهم مجتمع البحث وهم طلاب المرحلة الجامعية.

- كما يبرز هذا البحث العلاقة بين ممارسة العمل الخيري وتعزيز القيم الشخصية؛ حيث تؤدي ممارسة العمل الخيري إلىٰ بناء القوة الحقيقية في نفس المشارك ليتحمل المسؤولية في مستقبله.

- يقدم البحث للجامعة مقترحًا في تبني العمل الخيري ممارسة أساسية من المهام المطلوبة من الطالب؛ لما في ذلك من أثر في تعزيز القيم في مختلف مجالاتها والنمو الاجتماعي لدىٰ الطالب.

- يكتسب البحث أهمية من كونه يتناول قطاعًا مهمًا وهو القطاع الثالث "القطاع الخيري"، ويبرز أثره التربوي علىٰ المشاركين فيه من طلاب الجامعة فيما يتعلق بتعزيز القيم.

❁ **حدود البحث:**

الحدود الموضوعية: اقتصر البحث علىٰ دراسة الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية والاقتصادية والشخصية علىٰ طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الحدود البشرية: طبق هذا البحث علىٰ طلاب البكالوريوس (الذكور) بكليتي الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام بالرياض.

الحدود المكانية: كليتي الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الحدود الزمانية: تم إجراء البحث في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣٨/ ١٤٣٩هـ.

❁ مصطلحات البحث:

العمل الخيري: يعرفه الباحث إجرائيًا بأنه: كل ممارسة جماعية منظمة غير ربحية تقدم بهدف خدمة الآخرين في كل مجالات النفع، دون رجاء مقابل مادي أو استشراف للأجر الدنيوي.

القيم الاجتماعية: يعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: تلك المعايير التي تساعد في ضبط الوجود الاجتماعي للفرد بحيث يكون أكثر فاعلية، مثل التكافل الاجتماعي، والانتماء، والتعاون، والعدل.

القيم الاقتصادية: يعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: مجموعة المعايير والقواعد التي تدعو إلىٰ التحلي بالسلوك الاقتصادي السليم للفرد.

القيم الشخصية: يعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: هي الصفات المتعلقة بالشخصية، مثل الصبر والمثابرة والثقة بالنفس وتحمل المسؤولية والشجاعة والحكمة والصدق والأمانة.

الإطار المفهومي للبحث:

المبحث الأول

العمل الخيري في ضوء التربية الإسلامية

❁ مفهوم العمل الخيري:

مصطلح العمل الخيري يتألف من كلمتين: (عمل)، و (خير)، ولابد من التعريف بهذين المصطلحين:

العمل: هو الفعل بقصد، والعمل يعني: المهنة والفعل، والجمع أعمال (ابن منظور، ١٤١٤ه).

الخيري: من الخير، وهو في اللغة خلاف الشر (الجوهري، ١٤٢٩ه، ٣٢٤). وفي الاصطلاح: ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا، أو العدل، أو الفضل، أو الشيء النافع، وضده الشر (الأصفهاني، ١٤٢٨ه، ١٦٧).

والعمل الخيري بصفته مصطلحًا مركبًا يعرفه الزهراني (١٤٣١ه، ٣٨٩) بأنه: العمل الذي يقوم به الأفراد والجماعات لمساعدة الآخرين بدافع ذاتي حبًا للخير، وطلبًا للأجر والمثوبة من الله. ويمكن تعريفه كذلك بأنه: عمل غير ربحي، لا يُقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة الآخرين وتنمية مستوىٰ معيشة الجيران، والمجتمعات البشرية بصفة عامة. ويرىٰ د يوسف (٢٠٠٧م، ٢١) أن العمل الخيري هو النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره دون أنا يأخذ عليه مقابلاً ماديًا، ولكن لتحقيق هدف خاص

أكبر من المقابل المادي، قد يكون الحصول علىٰ الثناء والشهرة لدىٰ البعض أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة رجاء الثواب عند الله.

ويرىٰ الباحث أن العمل الخيري في هذا البحث يمكن أن يُعرَّف بـ: كل ممارسة جماعية منظمة غير ربحية تقدم بهدف خدمة الآخرين في كل مجالات النفع، دون رجاء مقابل مادي أو استشراف للأجر الدنيوي. ويخرج من هذا التعريف المشاركات الفردية غير المؤسسية؛ لأن البحث يقيس بشكل أدق الانعكاسات التربوية للعمل الخيري المؤسسي، مع إمكانية انطباق بعض نتائج البحث علىٰ العمل الخيري بصورته الفردية.

ومن المصطلحات المتداخلة مع العمل الخيري، مصطلح العمل التطوعي، وبعد اطلاع الباحث علىٰ عدد من الأدبيات والدراسات التي تناولت المصطلحين، تبيَّن له أن بعضهم يطلق العمل التطوعي ويقصد به الخيري، كما أنهما يشتركان في كونهما منطلقات من الأفراد والمؤسسات علىٰ حد سواء. ويمكن أن يُقال كل عمل خيري عمل تطوعي، وليس كل عمل تطوعي خيريًا، ففي بعض تعريفات العمل التطوعي خصوصًا في المجتمعات الغربية لا ترتبط بالدوافع الدينية، أما العمل الخيري فيقوم أساسه علىٰ الدوافع الدينية (زاهد، ١٤٣٤هـ، ص٢٧-٢٨).

بينما يرىٰ الخيري (٢٠١٢م، ١٧٥) أنه لا تعارض بين مفهومي العمل الخيري والعمل التطوعي؛ إذ الباعث الرئيس هو البعد الإنساني في شخصية المتطوع، والذي لا يتعارض مع دوافعه الدينية أو الدنيوية أو الاقتصادية أيًّا كانت.

ويرىٰ الباحث أنه لا تعارض ولا اختلاف بين مفهومي العمل الخيري والعمل التطوعي، ويمكن أن يطلق أحدهما ويراد به الآخر، وإطلاق العمل الخيري باعتبار نوع العمل المقدم للمستفيد، فهو من باب الخير، أما العمل التطوعي فباعتبار دافع المتطوع بالعمل؛ إذا ليس فرضًا عليه، ولا مستشرفًا لأجر دنيوي، وإنما تطوعًا من تلقاء نفسه.

إن العمل الخيري من الأعمال والخدمات التي يبذلها الإنسان بنفسه، أو بماله، أو بجاهه، أو بأي شيء من صروف النفع خدمةً لدينه،و أمته، ومجتمعه، ووطنه. وقد قدَّم الإسلام سبقًا حضاريًا في مجال العمل الخيري والخدمات التطوعية، وقد دلت الآيات والأحاديث الكثيرة علىٰ أهميته، ومشروعيته، والحث عليه. ومن ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. جاء في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٥٨]: أي بخير، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] فإن الله شاكر لعمله بالإثابة عليه، عليم به (السيوطي، د.ت، ٢٨). وجاءت كلمة (خير) نكرة في سياق الشرط، فهي عامة، لئلا يكون الخير قاصرًا علىٰ الطواف بين الصفا والمروة (القرطبي، ١٣٨٤ه، ٢/ ٤٧٨). ويبين ابن عاشور (١٩٨٤م، ٢/ ٦٤) أن تقييد التطوع بالخير؛ لأنه من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ لا يحصل له إلا العناء والمشقة، وليس بخير له، بل قد يكون شرًا له إن كان متعمدًا عالما بعدم مشروعية العمل.

وقد كان للتربية القرآنية بالغ الأثر في تكافل المجتمع المسلم، فقد ربىٰ أفراده تربية سليمة بعيدة عن العنصرية، والتميز، والأنانية، وحب الذات، فأقام أمة

متحابة متآلفة لا يشعر أحدهم بالانفصال عن أخيه مهما تباعدت الديار، وفرقتهم الأماكن (زاهد، ١٤٣٤ه، ٥٢).

أما السنة النبوية فهي حافلة بالاهتمام بالعمل الخيري، فمن أسمىٰ أهداف الرسالة المحمدية، عمل الخير وإشاعته، وتثبيته، فقد حث النبي ﷺ علىٰ العمل الخيري كما في حديت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "اعبدوا الرحمن، وأطعموا الطعام، تدخلوا الجنة بسلام" (الترمذي، د.ت، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، حديث رقم ١٧٧٨، ٢)، وعنه أيضًا رضي الله عنهما: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» (النيسابوري، ١٤٢٢ه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٨١، ٦٥٩)، ومما يؤكد هذا الاهتمام كما تبينه آلاء زاهد (١٤٣٤ه، ص.ص٥٧-٦٢) ذكر النبي ﷺ للفضائل والجزاء المترتب علىٰ الأعمال التطوعية عند الله، وحثه ﷺ علىٰ العمل التطوعي، وبيانه لبعض فئات المجتمع التي تحتاج للخدمة التطوعية، وكذلك من خلال رعايته الاجتماعية لجميع فئات المجتمع من خدم وسادة، وكبار وصغار، ورجال ونساء، واهتمامه بالمتطوعين وسؤاله عنهم وتشجيعهم والثناء عليهم.

وقد أكدت التربية الإسلامية علىٰ بناء المجتمع علىٰ أسس من المحبة والإخاء والتعاطف والتراحم والتواصل والتفاهم والتكافل والتضامن، إلىٰ غير ذلك من الأسس التي تجعل منه جسدًا واحدًا إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسهر والحمىٰ، علىٰ أن التعاون في العالم المعاصر يجب أن يأخذ

أبعادًا أعمق وأوسع وأكثر جدوىٰ وموضوعية، بحيث يؤدي إلىٰ تماسك المجتمع الإسلامي (الأسمر، ١٩٩٦م، ٢٨٦).

❁ أهمية العمل الخيري:

تكمن أهمية العمل الخيري في أنه يعمل علىٰ مشاركة الأفراد في قضايا مجتمعهم، كما أنه يربط بين الجهود الحكومية والأهلية العاملة علىٰ تقدم المجتمع، كما أنه من خلال هذا العمل يمكن التأثير الإيجابي بين الشباب وتعليمهم طريقة للحياة قائمة علىٰ تحمل المسؤولية الاجتماعية، ويؤدي العمل الخيري إلىٰ التقليل من أخطار العلل الاجتماعية والسلوك المنحرف داخل المجتمع، عن طريق انغماس الأفراد في القيام بأعمال تشعرهم بمكانتهم، ويضاف إلىٰ ذلك أن هذه المشاركة التطوعية ستؤدي إلىٰ تنمية قدرة المجتمع علىٰ مساعدة نفسه عن طريق الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون (طاهر ورميلة، ٢٠١٧م، ١٣١).

ويشير شعيب (٢٠٠٤م، ص.ص٧٨-٧٩) إلىٰ عدد من المبررات التي تعكس أهمية العمل الخيري، فهو أحد الآليات التي يمكن للمجتمع النهوض من خلالها، كما أنه يسهم في إيجاد الوحدة العضوية في نسيج المجتمع، ويساعد التطوع في تأكيد وتعزيز القيم الإنسانية النبيلة السامية، إضافة إلىٰ كونه يعمل علىٰ تنمية روح الانتماء لدىٰ الشباب، وأحد أساليب وقايتهم من الوقوع في مشكلات اجتماعية ونفسية عديدة، كما أنه يدفع جزءًا من الأعباء المادية عن مؤسسات الدولة ويقدم مردودًا اجتماعيًا واقتصاديًا يأخذ أشكالاً متعددة تعود بالنفع للوطن والمواطن.

ويرىٰ الثنيان (١٤٣٤ه، ص٢٤-٢٥) أن العمل الخيري يسعىٰ لتعميق القيم الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع، ويغرس مبادئ المواطنة ويبث روح الوعي والانتماء، مما يعكس الصورة الناصعة للإسلام في اهتمامه بالخدمات الإنسانية، كما أنه يساعد في تنمية قدرات الأفراد المشاركين ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية، ويتيح لهم الفرصة في طرح إبداعاتهم وتقديم ابتكاراتهم التي تسهم في تقديم حلول مجتمعية، وبالتالي فهو يقوم بتحويل الطاقات الخاملة أو الضعيفة إلىٰ طاقات قادرة وعاملة ومنتجة.

❁ الأهداف التربوية للعمل الخيري:

يهدف العمل الخيري إلىٰ تحقيق جملة من الأهداف التربوية علىٰ مختلف المستويات (الجعيد، ١٤٣٠ه، ٧١):

أولاً: الأهداف التربوية للعمل الخيري علىٰ مستوىٰ الفرد:

- إعداد الشخصية الإنسانية المتوازنة نفسيًا وجسديًا وعاطفيًا من خلال شعوره بالأمن والأمان في مجتمعه.

- تربية المسلم علىٰ العزة والكرامة من خلال اعتماده علىٰ نفسه أولاً، أو ما يقدم له من مساعدة في حال عجزه وضعفه بدون منٍّ أو أذىٰ.

- تنمية مشاعر المودة والرحمة في ضمير الإنسان ووجدانه لمن حوله ابتداءً بأسرته ثم محيطه الخارجي.

- تحقيق مبدأ الولاء والانتماء إلىٰ الأمة الإسلامية في الحياة اليومية للأفراد.

ثانيًا: الأهداف التربوية للعمل الخيري علىٰ مستوىٰ المجتمع:

- تعزيز مبدأ التعاون الإنساني للقيام بأعمال البر والخير في المجتمع، والوقاية من أسباب الفساد والضعف في صفوف المجتمع.

- تنمية روح الأخوة والمحبة في الله عز وجل بين الأفراد والجماعات؛ تأكيدًا للانتماء لعقيدة التوحيد والأمة المسلمة دون تمييز ولا تفضيل لطائفة أو جماعة.

- إقامة المجتمع المتلاحم الذي يشعر فيه كل فرد بمسؤوليته نحو مجتمعه، ويحرص علىٰ صيانة مجتمعه والحفاظ علىٰ مقدراته.

- بناء الحضارة الإنسانية علىٰ القيم الإسلامية النبيلة، والأخلاق الفاضلة التي تنشر في المجتمع الرحمة والمودة والإخاء والتعاون.

- الحفاظ علىٰ تماسك المجتمع وقوته وفق مبدأ الجسد الواحد؛ لمواجهة الظروف الصعبة، والمشاركة في المناسبات السعيدة.

- سد حاجات المجتمع وحل مشكلاته الطارئة باستثمار طاقات الأفراد، فيتم الاستغناء عن طلب العون والمساعدة وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

❁ دوافع العمل الخيري:

تختلف دوافع العمل الخيري من فرد لآخر حسب المنطلق الفكري له، وقد يكون لدىٰ الشخص أكثر من دافع كالديني، والاجتماعي، والشخصي. الأمر الذي يحتم علىٰ المؤسسات التربوية بذل الجهود من أجل غرس أهمية العمل الخيري والإحساس بالآخرين (الحلوة، ٢٠١٥م، ٢٣٨). وقد بيّن القرآن الكريم والسنة النبوية أن الدافع الأساس والأول للعمل الخيري في الإسلام هو الحصول علىٰ الأجر والثواب من الله عز وجل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨-٩]. وإن حصل له أمر تابع غير مقصود فلا يؤثر علىٰ مقصده ودافعه الأساس، كما ورد في السنة النبوية قوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «أرأيت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرىٰ المؤمنين». (النيسابوري، ١٤٢٢ه، كتاب الآداب، باب الرياء والسمعة، ٥٣١٧).

وبالرجوع إلىٰ عدد من الدراسات التي تناولت الدوافع في مجال العمل الخيري والتطوعي، مثل دراسة الشهراني (٢٠٠٧م) وبرقاوي (٢٠٠٨م) ودراسة سمر المالكي (٢٠١٠م)، يمكن إجمالها في الآتي:

- قضاء الشباب وقت الفراغ بطريقة مثمرة تعود عليهم وعلىٰ المجتمع بالنفع.

- تربية الشباب علىٰ تحمل المسؤولية، وتنمية روح القيادة لديهم، والمساهمة في بناء الثقة بالنفس.

- إعداد وتوجيه الطاقات البشرية والمادية وتحويلها إلىٰ عمل اجتماعي.

- تنمية روح الولاء للوطن والانتماء إليه لدىٰ الشباب.

- إكساب الشباب خبرات في مجال العمل بعد التخرج، من خلال تنقله بين عدد من المشاريع في مؤسسات العمل الخيري.

- السعي إلىٰ تخطي الحواجز السلبية والانعزالية في المجتمع، وتمكين الشباب من تقوية علاقاتهم الاجتماعية بالتعرف علىٰ أفراد ومجتمعات عمل أخرىٰ.

- توفير أسباب التقدم والرفاهية لأفراد المجتمع بالوسيلة الأيسر وصولاً

والأفضل أداءً والأكثر نفعًا.

وأورد الحازمي وزملاؤه (٢٠١٥م، ٣٧٦) بعض الوظائف التي تدفع إلىٰ العمل الخيري والتطوعي، وهي كما يلي:

- **وظيفة المعرفة**: وهي تسعىٰ لبناء فهم أفضل للعالم من خلال التطوع.

- **وظيفة التعبير القيمي**: التي تساعد المتطوع علىٰ التعبير عن قيمه من خلال أعمال التطوع.

- **الوظيفة الدفاعية للأنا**: وهي التي تساعد الناس علىٰ تجنب القضايا الشخصية والحقائق غير المرغوبة عن الذات.

- **وظيفة التعزيز الذاتي**: وهي التي تدعم التقدير الذاتي والكفاية لدىٰ المتطوع من خلال مشاركته في أعمال الخير والتطوع.

- **وظيفة الاستفادة من التطوع**: وهي التي تهتم بالنفع الذاتي للمتطوع من خلال ارتباط ذلك الأمر بالمهنة؛ لأن المتطوع يستخدم الخبرات التي حصل عليها من تطوعه باعتبارها خطوة مهمة تساعده في الالتحاق بسوق العمل من خلال تطوير سيرته الذاتية.

- **وظيفة التكيّف الاجتماعي**: وهي التي من خلالها يسعىٰ لاكتساب صحبة اجتماعية خلال ممارسة أنشطة التطوع.

المبحث الثاني

القيم من منظور التربية الإسلامية

يرىٰ المتأمل في القيم في الفلسفات المختلفة، أن القيم في المنظور الإسلامي تتسم بالتكامل والشمول والثبات والصلاحية الدائمة، وهذه الأمور لا تتوفر في فلسفة تربوية أخرىٰ، كما أنها قامت علىٰ مصادر المعرفة وأدواتها دون انفكاك بينها وبين المعرفة، بينما أفرزت فلسفات التربية الحديثة أزمة قيمية تمثلت في عدد من المظاهر، منها تطرفها في تحديد معنىٰ القيم؛ فعلىٰ سبيل المثال تجد أن الفلسفة البراجماتية في وقت التوسع نحو غرب القارة الأمريكية لم يكن ملائمًا لها الاحتكام إلىٰ القيم المثالية المطلقة مثل: "لا تقتل"، فدواعي التوسع تفرض خلاف ذلك، فكانت القيم الصائبة هي قتل الهنود الحمر! ومن مظاهر الأزمة القيمية أيضًا سطحية الثقافة التي تقف عليها تلك الفلسفات؛ فالقيم البراجماتية والتقدمية تُتهم بأنها وراء سطحية الفكر والثقافة التي يتصف بها الدارسون في أمريكا، فالتربية الأمريكية -كما يذكر ذلك هيرتش الأستاذ بجامعة فيرجينيا- أهملت تعليم الحقائق والمعلومات والقيم التي توحد الثقافة والفكر الغربي، وأوجدت أجيالاً أمية غير مثقفة (الكيلاني، ١٤٣٠ه، ص.ص٥١١-٥١٨).

ويتبين من خلال المقدمة السابقة أنه لم تعد القيم التي تفرزها هذه الفلسفات تلائم المجتمعات الحديثة، ولا تزيد من تداخل العلاقات بين شعوب

الأرض جمعاء، كما أن المواصفات التي يحددها المفكرون للقيم التي يتطلعون إليها تفتح مجالاً واسعًا لقيم التربية الإسلامية؛ لتسهم في بلورة نظم المنشودة وتطورها (الشمري، ١٤٣٩ه، ٢٨).

❁ تعريف القيم:

القيم في اللغة: جمع قيمة، والقيمة ثمن الشيء (ابن منظور، ١٤١٤ه)، وقومت السلعة أي: ثمنتها، واستقام اعتدل، وقومته بمعنىٰ عدلته، فهو قويم ومستقيم (الفيروز آبادي، ١٤٢٦ه، ١٦٥).

وتعرف القيم في الاصطلاح كما عند إبراهيم (١٩٩٧م، ٤٠) بأنها: "تلك المعايير التي دعا إليها الإسلام وحث علىٰ الالتزام والتمسك بها من خلال القرآن والسنة المطهرة، وأصبحت محل اعتقاد واتفاق واهتمام بين المسلمين؛ إذ تمثل موجهًا لحياتهم، ومرجعًا لأحكامهم، فمن خلالها يحدد المقبول وغير المقبول، والمستحسن والمستهجن، والمرغوب فيه وغير المرغوب فيه من الأقوال والأفعال ومظاهر السلوك المختلفة.

❁ تصنيف القيم:

تتعدد التصنيفات التي تتناول القيم، وذلك باختلاف البُعد الذي ينطلق منه كل تصنيف، فبعضها ينطلق من المحتوىٰ، وبعض آخر من المقصد، وتصنيف من حيث الشدة، وآخر من حيث العمومية، والوضوح والدوام، وهكذا. ويرجع الاختلاف في بعض التصنيفات لاختلاف المرجعية الفلسفية التي يتطلق منها صاحب التصنيف، خصوصًا تلك التصنيفات التي تنطلق من بُعد المحتوىٰ.

ويقترح الشمري (١٤٣٩ه، ٣١) تصنيفًا للقيم انطلاقًا من المحتوىٰ القيمي بما يتوافق مع القيم الإسلامية، كما يلي:

- مجالات القيم الغائية أو الضابطة: وهي: القيم التعبدية، القيم الإيمانية، القيم الأخلاقية.

- مجالات القيم الوسيلية أو التابعة: وهي: القيم الاجتماعية، القيم الاقتصادية، القيم الذاتية، القيم الثقافية، القيم المهنية، القيم البيئية، القيم الجمالية، القيم الترويحية، القيم الصحية، القيم العلمية.

❁ مراحل تكوين القيم:

يطلق الجلاد (١٤٣٥ه، ١٢٥) أنموذج غرس وتعزيز القيم، ويطلق عليه التاءات الأربع، وهو: "أنموذج مؤسس علىٰ رؤية تربوية مستخلصة من أصول التربية الإسلامية ومبادئها، ويتشكل من أربع مراحل هي:

- **المرحلة الأولىٰ**: التيقظ القيمي، من خلال استثارة كوامن الفطرة بطرائق متعددة؛ كالموعظة، والترغيب، والقصة، والقدوة، وضرب الأمثال.

- **المرحلة الثانية**: التعقل القيمي، من خلال استثارة القدرات العقلية ومحاكمتها من خلال العمليات العقلية كالتفكير الإبداعي، والناقد، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات.

- **المرحلة الثالثة**: التخلق القيمي، بغرس السلوك القيمي من خلال حمل النفس ومجاهدتها بمتطلبات القيمة العملية، بطرائق متعددة كالصحبة، والمعايشة التربوية، وتمثيل الأدوار والمحاسبة.

- **المرحلة الرابعة**: التمثل القيمي، وهي قمة الهرم في البناء القيمي، وبها يتم

الالتزام بالقيمة بصورة متكررة وثابتة ودعوة الآخرين إلىٰ تمثلها، وتتحول القيمة إلىٰ سجية وطبع وعادة ملازمة للإنسان.

❁ الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية:

يحظىٰ العمل الخيري بمجموعة من الانعكاسات والآثار التربوية التي تؤكد أهميته، وتفرده عن غيره من الأعمال الأخرىٰ التي يقتصر فيها المردود في جوانب محددة. فالعمل الخيري يوازن في العائد بين النواحي الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية، والفردية والجماعية؛ ليبرز النموذج المثالي الذي صنعه الإسلام في الخدمة الإنسانية والتكافل الاجتماعي.

ومن تلك الميادين التي برز بها أثر العمل الخيري تربويًا، مجال تعزيز القيم؛ إذ يحظىٰ العمل الخيري والتطوعي بإمكانية مرور المشارك فيه في مراحل تعزيز القيم من خلال إسهامه في الأنشطة التي تقدمها المؤسسة أو المجموعة التي ينتمي لها. ويرىٰ الباحث أنه يمكن إبراز هذه الانعكاسات التربوية في عدد من مجالات القيم، يكتفي منها بذكر ثلاثة من المجالات -كما في الدراسة الميدانية- وهي:

١-القيم الاجتماعية، ومنها: التكافل الاجتماعي، الانتماء، التعاون، العدل.

٢-القيم الاقتصادية، ومنها: الترشيد، حسن التدبير، الادخار، الإنتاج، السعي للكسب الحلال.

٣-القيم الذاتية، ومنها: المثابرة، الثقة بالنفس، تحمل المسؤولية. والتي يرىٰ الباحث كونها أقرب المجالات لطبيعة العمل الخيري، وارتباطًا به، وكذلك أهميةً للشاب الجامعي في مثل هذه المرحلة.

❁ **الدراسات السابقة:**

قام الباحث بالرجوع إلىٰ قواعد المعلومات، وأدلة الرسائل العلمية في الجامعات السعودية، وأجرىٰ حصرًا للدراسات التي تشترك مع الدراسة الحالية في دوائر الاتفاق، والدراسات التي شكلت رصيدًا معرفيًا لإجراء الدراسة وبناء أداتها وتفسير نتائجها، ويعرضها تصاعديًا من الأقدم إلىٰ الأحدث كما يلي:

أجرىٰ الباز (١٤٢٢ه) دراسة بعنوان: **الشباب والعمل التطوعي: دراسة ميدانية علىٰ طلاب المرحلة الجامعية في مدينة الرياض**. هدفت إلىٰ معرفة مدىٰ مشاركة الشباب ورغبتهم في العمل التطوعي، ومعرفة العوامل التي تؤثر في رغبة الشباب في المشاركة في العمل التطوعي، والوقوف علىٰ العوامل التي تعيق العمل التطوعي في المملكة. واعتمدت الدراسة علىٰ المنهج الوصفي المسحي، واستخدم الاستبانة أداةً لجمع المعلومات، وطبقت علىٰ عينة مكونة من (١٦٣) طالبًا جامعيًا. وتوصلت الدراسة إلىٰ وجود ضعف في الوعي من قِبل كثير من الأفراد بدور العمل التطوعي وأهميته في تنمية المجتمع. وإلىٰ غياب التقدير المجتمعي لإسهامات العمل التطوعي أو القائمين به، مما يؤثر علىٰ نظرة الناس إليه.

وقامت إحسان لافي (٢٠٠٣م) بإجراء دراسة عنوانها: **العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية**. هدفت إلىٰ توضيح مفهوم التطوع، ومكانته في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان مجالاته في الإسلام، ومعرفة حوافزه ومعوقاته. وقد استخدمت المنهج التحليلي الاستقرائي. وخلصت الباحثة إلىٰ أن لوسائط التربية الإسلامية دور كبير في غرس التطوع في نفس المسلم، كما توصلت إلىٰ عدد من الحوافز للعمل التطوعي منها الأخروية كنيل رضا الله و محبته، والأجر والثواب،

ومغفرة الذنوب. ومنها الدنيوية كالحوافز المادية مثل المكافآت والأجور، ومعنوية كالرضا والطمأنينة، والذكر الحسن.

كما قام الرباح (٢٠٠٦م) بدراسة بعنوان: **التربية علىٰ العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية (دراسة تأصيلية)**. هدفت إلىٰ إبراز الآثار التربوية والنفسية للعمل التطوعي علىٰ القائمين به، وعرض نماذج من تربية الرسول ﷺ لأصحابه علىٰ العمل التطوعي، وبيان العلاقة بين بعض الحاجات الإنسانية والعمل التطوعي. واستخدم المنهج التاريخي، والمنهج الوثائقي. وقد توصل إلىٰ عدد من النتائج، أهمها: أن العمل التطوعي يؤدي إلىٰ اكتساب القيم، والأخلاق الرفيعة التي تنشر المحبة والرحمة والتعاطف، وقد كانت هذه القيم والعمل الخيري المرتبط بها من أول ما دعا إليه الإسلام في الفترة المكية، كما أسفرت دراسته عن وجود حاجات إنسانية لا يمكن إشباعها بطريقة سوية عند كثير من الناس إلا بالعمل التطوعي سواءً للقائمين به أو المستفيدين منه.

أما حريري (٢٠٠٦م) فكانت دراسته بعنوان: **العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية**، هدفت إلىٰ دراسة مفهوم التطوع، وبيان الصلة بين العمل التطوعي والتربية الإسلامية، وتقويمه من منظور إسلامي، وتقديم المقترحات التي يمكن أن تطوره وتربطه بالمفاهيم التربوية الإسلامية المعاصرة. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته. وخلص البحث إلىٰ جملة من النتائج، أبرزها: أن العمل التطوعي أساس من أسس التربية الإسلامية يربي علىٰ روح التكافل والتضامن، كما أن التربية الإسلامية لها دور كبير في توجيهه توجيهًا تربويًا سليمًا. كما توصل إلىٰ أن العمل التطوعي يقوي أواصر النسيج الاجتماعي ويقي المجتمعات من الصراعات الطبقية.

وقد قام السلطان (١٤٣٠ه) بدراسة عنوانها: **اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية علىٰ جامعة الملك سعود**. هدفت إلىٰ الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي، وماهية الأعمال التطوعية التي يرغبون في ممارستها، وكذلك تحديد المعوقات التي تحول دون التحاق الشباب الجامعي بالأعمال التطوعية. وقد استخدم المنهج الوصفي بمدخل الدراسات الوثائقية، ومدخل المسح الاجتماعي بالعينة. وقد طبق استبانة علىٰ عينة عشوائية طبقية مكونة من (٣٧٣) طالبًا. وأسفرت نتائج الدراسة عن أن متوسط ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي مستوىٰ ممارسة ضعيف جدًا، كما أوضحت نتائج الدراسة اتجاهات إيجابية نحو العمل التطوعي، حيث جاءت مساعدة ورعاية الفقراء والمحتاجين في صدر المجالات التي يرغب الشباب الجامعي المشاركة فيها.

كما أجرىٰ الحارثي (١٤٣١ه) دراسة بعنوان: **تصور مقترح لدور الأسرة في إكساب قيم العمل التطوعي لدىٰ أبنائها من منظور إسلامي**. هدفت إلىٰ إبراز بعض قيم العمل التطوعي والتعرف علىٰ دور الأسرة في إكساب أبنائها تلك القيم من منظور إسلامي. وقد اعتمد علىٰ المنهج الوصفي. وتوصل إلىٰ جملة من النتائج، منها: هناك مجموعة من القيم الإسلامية تقوم عليها أركان العمل التطوعي؛ كالتعاون، والتكافل، والإيثار، والبذل والعطاء، والأخوة، والرفق، والمواطنة، والشعور بالمسؤولية. كما توصلت إلىٰ أن غرس القيم يمر بأربعة مراحل هي: التوعية بالقيمة، والفهم، والتطبيق، والتعزيز.

أما الزهراني (١٤٣١ه) فقد أجرىٰ دراسة بعنوان: **الآثار الإيجابية للأعمال الخيرية "كما يراها الشباب"**. وهدفت دراسته إلىٰ إبراز الجوانب التأصيلية

للأعمال الخيرية في ضوء الأدلة الشرعية، والتعرف علىٰ أهم الآثار الاجتماعية، والتربوية، والقيمية للأعمال الخيرية التي يكتسبها الشباب من خلال مشاركتهم فيها، والتعرف علىٰ دور العمل الخيري في ملء أوقات الفراغ لدىٰ الشباب. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، والمنهج الإمبريقي، والمنهج الاستنباطي. وقد تكون مجتمع الدراسة من طلاب كلية المعلمين بالباحة، وتكونت العينة من (٢٠٧) طالبًا. وكانت أداة الدراسة عبارة عن مقياس صممه الباحث للآثار الإيجابية للأعمال الخيرية. وقد توصل الباحث إلىٰ أن العمل الخيري ينمي لدىٰ الشباب كثيرًا من القيم العالية، كالشفقة، والرحمة، ويمنح شعورًا بالطمأنينة تجاه الآخرين. كما توصلت إلىٰ أن العمل الخيري يعالج ظواهر الانحراف الفكري من خلال ربط الشباب بمجتمعه، وكذلك إلىٰ أنه يسهم في رفع المستوىٰ التعليمي وخاصة لدىٰ الشباب من خلال البرامج والدورات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وقام الخيري (٢٠١٢م) بدراسة بعنوان: **تأثيرات العولمة علىٰ البعد الإنساني في العمل التطوعي وموقف التربية الإسلامية منها**. وقد هدفت إلىٰ تحديد مفهوم العمل التطوعي وأبعاده التربوية، ومعرفة التأثيرات الإيجابية والسلبية للعولمة علىٰ العمل التطوعي في البعد الإنساني. وبيان موقف التربية الإسلامية من هذه التأثيرات. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي الوثائقي. وتوصل إلىٰ عدد من النتائج، منها: أن البعد الإنساني يشكل جوهر العمل التطوعي الحقيقي، وهو ما ينسجم مع مقاصد الإسلام ويعبر عن أصالة العمل التطوعي في التربية الإسلامية. كما أسفرت عن موقف التربية الإسلامية المتوازن من تأثيرات العولمة من خلال تفعيل المنهجية الإسلامية للعمل التطوعي التي تفيد من إيجابيات العولمة وما أنتجته من معطيات تقنية وفكرية تتوافق مع ثوابتها، وتعمل في الوقت ذاته علىٰ

الحد من التأثيرات السلبية بتنمية القيم وتفعيل المبادئ، والمساهمة الفاعلة في مجال العمل التطوعي الإنساني.

وجاءت دراسة آلاء زاهد (١٤٣٤ه) وعنوانها: **العمل التطوعي ودوره في تنمية القيم الاجتماعية لدىٰ الشباب**. وقد هدفت إلىٰ بيان دور العمل التطوعي في تنمية القيم الاجتماعية لدىٰ الشباب. وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي المسحي من خلال استطلاع آراء عينة من الطلبة الجامعيين حول العمل التطوعي ودوره في تنمية القيم الاجتماعية المحددة لديهم، وكذلك المنهج الاستدلالي الاستنباطي؛ لاستنباط المضامين من أدلة القرآن والسنة والمراجع ذات الصلة. وقد تكون مجتمع دراستها من جميع طلاب وطالبات جامعة طيبة بالمدينة المنورة وعددهم (٢٤٤٦٩) طالبًا وطالبةً، وعينة الدراسة تمثلت في عينة عشوائية طبقية قدرها (١٠٧٧) طالبًا وطالبةً. وكانت الاستبانة أداة لدراستها. وتوصلت إلىٰ عدد من النتائج، أبرزها: أن العمل التطوعي من أبرز وسائل تنمية القيم الاجتماعية السبعة موضع الدراسة (التكافل، والبذل، والإيثار، والتعاون، والمسؤولية، والتواضع، والرفق). كما توصلت إلىٰ أن سبب ازدهار العمل التطوعي في العالم الغربي في الوقت الراهن؛ هو انهيار القيم لديهم، فازدياد الحاجة الاجتماعية، مع وجود التنظيم الدقيق في الأجهزة الإدارية، أدىٰ إلىٰ الانفجار الثقافي للعمل التطوعي.

أما الرحيلي (١٤٣٤ه) فقد قام بدراسة بعنوان: **منهج التربية النبوية في تعزيز قيم العمل التطوعي وتطبيقاته التربوية**. وهدفت إلىٰ بيان منهج التربية النبوية في تعزيز قيم العمل التطوعي وتطبيقاته التربوية. مستخدمًا المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي. وقد توصل إلىٰ عدة نتائج، منها: أن الهدف العام للتربية النبوية في تعزيز قيم العمل التطوعي يتمثل في تحقيق العبودية لله تعالىٰ، مع وجود

أهداف خاصة كتحقيق التآلف والترابط بين أفراد المجتمع، كما أظهر البحث شمولاً وتنوعًا في الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ في تعزيز قيم العمل التطوعي لدىٰ أصحابه رضي الله عنهم، وأنه لم يقتصر علىٰ الحث والتشجيع النظري بل كان مثالاً عمليًا لقيم العمل التطوعي.

وقامت مريم لوتاه (٢٠١٤م) بإجراء دراسة بعنوان: **العلاقة بين ثقافة التطوع وتعزيز قيم المشاركة لدىٰ الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة**. هدفت الدراسة إلىٰ الوقوف علىٰ واقع التطوع في دولة الإمارات العربية المتحدة، والبحث عن مدىٰ أصالة قيم التطوع لدىٰ الشباب في دولة الإمارات، وتعزيز قيم المشاركة لدىٰ الشباب في دولة الإمارات من خلال تعزيز ثقافة التطوع لديهم. اعتمدت الدراسة علىٰ الجمع بين المنهج التاريخي ومنهج الجماعة. كما اعتمدت علىٰ الاستبيان كأداة لاستطلاع رأي عينة من طلاب كلية العلوم الإنسانية بجامعة الإمارات مكونة من (٣١٢) طالبًا وطالبةً حول ثقافة التطوع قيمًا وممارسةً. وقد توصلت الدراسة في بعدها الميداني إلىٰ الحاجة إلىٰ تعزيز قيم التطوع والمشاركة المجتمعية لدىٰ الشباب.

وجاءت دراسة عواطف الحازمي (١٤٣٦ه) بعنوان: **دور الجامعات السعودية في تفعيل العمل التطوعي "تصور مقترح"**، وهدفت إلىٰ رصد وتحليل بعض جهود الجامعات السعودية في تفعيل العمل التطوعي من خلال الاطلاع علىٰ واقع ممارسة طلاب الجامعات السعودية له، وبناء تصور مقترح لتفعيله. واتبعت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي المسحي، وتكوَّن مجتمع دراستها من طلاب وطالبات الجامعات التالية: أم القرىٰ، الملك سعود، طيبة. وكانت الاستبانة أداة لدراستها. وأسفرت نتائج دراستها عن أن متوسط ممارسة الطالب

الجامعي للعمل التطوعي ضعيف جدًا، كما أوضحت اتجاهات إيجابية لدىٰ الطلاب نحو العمل التطوعي تتمثل في سعيهم في نشر ثقافة العمل التطوعي في أسرهم والمجتمع، كما كان من أبرز المعوقات التي تحول دون ممارسة الطلاب للأعمال التطوعية ضعف إسهام المقررات في إعداد قيادات طلابية تقود العمل التطوعي.

وأجرت طرفة الحلوة (٢٠١٥م) دراسة كان عنوانها: **ثقافة العمل التطوعي لدىٰ الشباب في المجتمع السعودي**. هدفت إلىٰ الوقوف علىٰ مفهوم ثقافة العمل التطوعي من خلال دوافعه ومجالاته ومعوقاته لدىٰ الشباب السعودي. ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الباحثة المنهجين الاستنباطي، والوصفي بأسلوبه المسحي. وقد أظهرت النتائج أنه يوجد لدىٰ الشباب السعودي دافع نحو العمل التطوعي بدرجة متوسطة. وأن أهم دوافع العمل التطوعي لدىٰ الشباب السعودي كونه يزيد من قدرة الإنسان علىٰ التفاعل والتواصل مع الآخرين، والحصول علىٰ الأجر والثواب، وشعور الفرد بالرضا الذاتي المتصل برضا الله تعالىٰ. وتوصلت كذلك إلىٰ أن هم مجالات العمل التطوعي التي يهتم بها الشباب السعودي هي توزيع التبرعات، وزيارة المرضىٰ، والمشاركة في الجمعيات الخيرية. وتلخصت معوقات العمل التطوعي لدىٰ الشباب السعودي في ضعف دور المؤسسات التربوية في غرس قيمة العمل التطوعي، وغياب التقدير المجتمعي لإسهامات المتطوعين، وضعف الرؤية والأهداف لمؤسسات العمل التطوعي.

كما قام الحازمي وآل مرعي وعواطف القحطاني (٢٠١٥م) بدراسة عنوانها: **دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع السعودي "دراسة ميدانية"**، وهدفت إلىٰ التعرف علىٰ دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل

التطوعي في المجتمع السعودي. ولتحقيق هدفها استخدم الباحثون المنهج الوصفي المسحي من خلال تصميم استبانة طبقت علىٰ أعضاء هيئة التدريس والطلاب في جامعتي نجران والأميرة نورة للعام ١٤٣٢/ ١٤٣٣ه. وأظهرت نتائج الدراسة موافقة عينة الدراسة بدرجة عالية جدًا علىٰ مفهوم ثقافة العمل التطوعي والعوامل الدافعة نحوه بمتوسط إجمالي (٤.٥٦) و (٤.٢٢) علىٰ التوالي، كما اتفقوا علىٰ أن دور الجامعة في نشر ثقافة العمل التطوعي ضعيف في مجمله حيث تراوح المتوسط الإجمالي بين (١.٢٨/ ٢.٦٠).

وقام طاهر ورميلة (٢٠١٧م) بدراسة عنوانها: **تصور مقترح لتنمية صفات القيادة لدىٰ الشباب الجامعي من خلال ممارسة العمل التطوعي**. وهدفت إلىٰ الكشف عن دور العمل التطوعي في تنمية صفات القيادة لدىٰ الشباب الجامعي، وتقديم تصور مقترح لتفعيل ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي لتنمية صفات القيادة لديهم. وقد اتخذت لتحقيق أهدافها المنهج الوصفي. وتوصلت إلىٰ عدد من النتائج، أهمها: أهمية إشراك الشباب الجامعي في العمل التطوعي، وسبق التربية الإسلامية إلىٰ الدعوة إلىٰ ممارسة العمل التطوعي والعناية به، والحاجة إلىٰ نشر ثقافة العمل التطوعي داخل الوسط الأكاديمي.

وأجرىٰ الحازمي (٢٠١٧م) دراسة بعنوان: **قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها التربوية من منظور التربية الإسلامية**، وهدفت الدراسة إلىٰ بيان آثار القيم التربوية للعمل التطوعي، وتقديم التطبيقات لبعض القيم التربوية للعمل التطوعي. وقد اتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي. وتوصل إلىٰ عدد من النتائج أبرزها: أن العمل التطوعي يتضمن الكثير من القيم التربوية الإسلامية، وخاصة القيم الاجتماعية. كما توصل إلىٰ أن العمل التطوعي ينمي العلاقات الإيجابية بين أفراد

المجتمع كالإخاء والتعاون. كما تتعدد قيم العمل التطوعي، فمنها: اللين، والإحسان، والعفو، والشورىٰ، والتكافل الاجتماعي، والإنفاق.

❁ التعليق على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في كونها تتناول موضوع العمل الخيري والتطوعي، بينما كانت دراسة إحسان لافي (٢٠٠٣م) ودراسة حريري (٢٠٠٦م) ودراسة الرحيلي (١٤٣٤ه) ودراسة الحازمي (٢٠١٧م) تتناول تأصيل التربية الإسلامية للعمل الخيري. وكان الكشف عن الآثار الإيجابية للأعمال الخيرية لدىٰ الشباب هو هدف دراسة الزهراني (١٤٣١ه). أما دراسة الخيري (٢٠١٢م) فتناولت تأثير العولمة علىٰ العمل التطوعي. وتخصصت الدراسات التالية: دراسة الباز (١٤٢٢ه) ودراسة السلطان (١٤٣٠ه) ودراسة الزهراني (١٤٣١ه) ودراسة آلاء زاهد (١٤٣٤ه) ودراسة الحازمي وزملائه (٢٠١٥م) ودراسة طرفة الحلوة (٢٠١٥م) ودراسة عواطف الحازمي (١٤٣٦ه) ودراسة طاهر ورميلة (٢٠١٧م) في تناول العمل التطوعي لدىٰ طلاب الجامعات السعودية وقياس مستوىٰ مشاركة الطلاب فيه، واتجاهاتهم الإيجابية نحوه وأبرز المعوقات التي تحول دون ممارستهم له ودوره في تنمية القيم الاجتماعية. أما دراسة مريم لوتاه (٢٠١٤م) فاختلف فيها البعد المكاني فكانت علىٰ الطلاب في جامعة الإمارات والعلاقة بين ثقافة التطوع لديهم وتعزيز قيم المشاركة. بينما جاءت دراسة الحارثي (١٤٣١ه) بتناول دور مؤسسة تربوية أخرىٰ وهي الأسرة ودورها في إكساب أولادها العمل التطوعي.

كما اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة كل من: الباز (١٤٢٢ه) والسلطان (١٤٣٠ه) والزهراني (١٤٣١ه) وآلاء زاهد (١٤٣٤ه) وعواطف الحازمي

(١٤٣٦ه) وطرفة الحلوة (٢٠١٥م) والحازمي وزملائه (٢٠١٥م) في استخدامها للمنهج الوصفي المسحي، وكون الاستبانة أداة للدراسة. واختلفت مع بقية الدراسات الأخرىٰ التي استخدمت مناهج بحث مختلفة كالمنهج الوثائقي والتاريخي والاستقرائي والتحليلي.

وانفردت كل دراسة من الدراسات السابقة بهدف مختلف عن هدف البحث الحالي؛ إذ لم تتطرق للكشف عن الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في مجال تعزيز القيم لدىٰ طلاب الجامعة، الذي هو موضوع البحث الحالي. وقد استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في عدة أمور، منها: الإسهام في تأصيل وبناء الإطار المفهومي للبحث، وتصميم أداة البحث (الاستبانة)، وتحليل وتفسير النتائج التي أظهرها البحث.

الإطار المنهجي للبحث:

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث تحقيقًا لأهدافه، المنهج الوصفي المسحي الذي يعرف بأنه "أسلوب في البحث يتم من خلال جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة ما أو واقعٍ ما، وذلك بقصد التعرف علىٰ الظاهرة التي ندرسها، وتحديد الوضع الحالي لها، والتعرف علىٰ جوانب القوة والضعف فيه، من أجل معرفة مدىٰ صلاحية هذا الوضع أو مدىٰ الحاجة لإحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه" (عبيدات وعدس وعبدالحق، ١٩٨٤م، ١٠٢).

❁ مجتمع البحث وعينته :

تكوَّن مجتمع البحث من طلاب كليتي الشريعة وأصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣٨/ ١٤٣٩هـ البالغ عددهم (١٠٢٧٨) طالبًا؛ واختار الباحث هاتين الكليتين كونهما المتخصصتان بدراسة العلوم الشرعية، والتي من خلال خبرة الباحث في التدريس في الجامعة تعد من أعلىٰ الكليات مشاركة في الأعمال التطوعية داخل الجامعة وخارجها. أما عينة البحث فكانت عشوائية بسيطة تكوَّنت من (٤٣٥) طالبًا، وبيان توزيع العينة حسب المتغيرات الديموغرافية لها كما يلي:

جدول رقم (١)

توزيع عينة البحث وفق المتغيِّرات الديموغرافية

المتغيرات	التصنيف	العدد	النسبة
الكلية	الشريعة	٣١٩	٧٣.٣
	أصول الدين	١١٦	٢٦.٧
المستوىٰ الدراسي	من الأول حتىٰ الرابع	١٧٩	٤١.١
	من الخامس حتىٰ الثامن	٢٥٦	٥٨.٩
عدد مرات التطوع	أقل من ٥ أعمال	٢٣٥	٥٤.٠
	من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال	١١٦	٢٦.٧
	أكثر من ١٠ أعمال	٨٤	١٩.٣
المجموع		٤٣٥	١٠٠.٠

أشارت بيانات الجدول رقم (١) إلىٰ أن أعلىٰ نسبة لأفراد عينة البحث وفقًا لمتغير الكلية كانت لطلاب كلية الشريعة، حيث بلغت نسبتهم ٧٣.٣ من إجمالي العينة، وكان النصيب المتبقي من العينة لطلاب كلية أصول الدين؛ إذ بلغ نسبتهم ٢٦.٧٪ من إجمالي عينة البحث. كما توضح بيانات الجدول (١) أن أعلىٰ نسبة لمفردات عينة البحث كانت لطلاب المستويات من الخامس حتىٰ الثامن؛ حيث بلغت نسبتهم من إجمالي العينة ٥٨.٩٪، بينما بلغت نسبة طلاب المستويات من الأول حتىٰ الرابع ٤١.١٪ من إجمالي العينة. ويتبين كذلك من بيانات الجدول رقم (١) أن أعلىٰ نسبة لأفراد عينة البحث وفق متغيِّر عدد مرات التطوع كان من نصيب الفئة أقل من ٥ أعمال بنسبة ٥٤.٠٪ من إجمالي العينة، ثم تلتها الفئة من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال بنسبة ٢٦.٧٪، وأخيرًا كان نسبة تمثيل الفئة أكثر من ١٠ أعمال هو ١٩.٣ من إجمالي عينة البحث.

❁ أداة البحث:

قام الباحث بتصميم استبانة للتعرف علىٰ الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية لدىٰ طلاب الجامعة، وبعد الانتهاء من تصميم الأداة، قام الباحث بعرضها علىٰ المتخصصين في أصول التربية والتربية الإسلامية بغرض تحكيمها والتأكد من تحقيقها لأهدافها، وانتماء عباراتها لها.

وجاءت الاستبانة علىٰ ثلاثة محاور، ومكونة من (٣٧) عبارة. المحور الأول: الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، وكان مجموع عباراته (١٣) عبارة. والثاني: الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية، وكان مجموع عباراته (١٤) عبارة. والثالث: الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) بجموع (١٠) عبارات.

وقد استخدم الباحث الأسلوب التالي لتحديد مستوىٰ الإجابة علىٰ بنود الأداة، حيث تم إعطاء وزن للبدائل: (موافق بدرجة كبيرة جدًا=٥، موافق بدرجة كبيرة=٤، موافق بدرجة متوسطة=٣، موافق بدرجة ضعيفة=٢، موافق بدرجة ضعيفة جدًا=١) وبعد ذلك تم تصنيف الإجابات إلىٰ خمسة مستويات متساوية من خلال المعادلة التالية:

طول الفئة= (أكبر قيمة-أقل قيمة) ÷ عدد بدائل الأداة = (٥-١) ÷ ٥= ٠.٨٠ وذلك للحصول علىٰ المتدرج الذي يستخدم للحكم علىٰ العبارات أو المحاور، ويوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (٢)

توزيع للفئات وفق التدرج المستخدم في أداة البحث

الوصف	مدى المتوسطات
موافق بدرجة كبيرة جداً	٤.٢١ – ٥.٠٠
موافق بدرجة كبيرة	٣.٤١ – ٤.٢٠
موافق بدرجة متوسطة	٢.٦١ – ٣.٤٠
موافق بدرجة ضعيفة	١.٨١ – ٢.٦٠
موافق بدرجة ضعيفة جداً	١.٠٠ – ١.٨٠

❁ الصدق البنائي (صدق الاتساق الداخلي لعبارات الأداة):

تم القيام بحساب معاملات ارتباط (بيرسون) لعبارات كل محور من محاور أداة البحث، وبين المحاور والاستبانة مجملة، ولحساب صدق الاتساق الداخلي طبقت الاستبانة علىٰ عينة استطلاعية قوامها (٤٠) طالبًا، ودلّت النتائج علىٰ

معدل عالٍ من الصدق بين كل المحاور وعباراتها الفرعية، وكذلك بين المحاور والاستبانة مجملة، والجداول رقم (٥-٦-٧) توضح ذلك:

١- معاملات ارتباط بيرسون لقياس العلاقة بين عبارات الاستبانة، بالدرجة الكلية للمحور المنتمية إليه:

جدول رقم (٣)

معاملات ارتباط عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للمحور المنتمية إليه (العينة الاستطلاعية: ن=٤٠)

المحور	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	١	٠.٧٢٨١**	٨	٠.٧٢١٠**
	٢	٠.٥٥٨١**	٩	٠.٥٧٤٥**
	٣	٠.٧٢٩٤**	١٠	٠.٤١٦٣**
	٤	٠.٤٩٦٦**	١١	٠.٧٦٧٣**
	٥	٠.٤٨٣٢**	١٢	٠.٧٩٧٢**
	٦	٠.٧٥٧٣**	١٣	٠.٧١٣٦**
	٧	٠.٥٥٩٨**		
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	١	٠.٧٥٩٩**	٨	٠.٧٩٩٧**
	٢	٠.٦٤٠١**	٩	٠.٨٤٧٧**
	٣	٠.٦٢٠٨**	١٠	٠.٧٧٣٥**
	٤	٠.٧٤١٩**	١١	٠.٦٦٥٠**
	٥	٠.٨٤٢٩**	١٢	٠.٦٥٩٩**

المحور	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط
	٦	٠.٦٤٨٦**	١٣	٠.٧٠٣٣**
	٧	٠.٧٥٥٠**	١٤	٠.٧٤٥٥**
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	١	٠.٥٩١٤**	٦	٠.٩٠١٥**
	٢	٠.٧٣٠٦**	٧	٠.٨٢٦٨**
	٣	٠.٦٥٤٦**	٨	٠.٤٧٨٦**
	٤	٠.٨٦١٠**	٩	٠.٥٩٨٩**
	٥	٠.٩٣٠٧**	١٠	٠.٧٥٣٦**

**** دالة عند مستوى ٠.٠١**

٢- معاملات ارتباط بيرسون لقياس العلاقة بين محاور الاستبانة، بالدرجة الكلية للاستبانة:

جدول رقم (٤)

معاملات ارتباط محاور الاستبانة

بالدرجة الكلية للاستبانة (العينة الاستطلاعية: ن=٤٠)

المحور	معامل الارتباط
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	٠.٨٩١٦**
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	٠.٩٣٧٢**
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	٠.٨٩٣٥**

**** دالة عند مستوىٰ ٠.٠١**

يتضح من الجدول رقم (٤) أن معاملات الارتباط بين درجة كل محور والدرجة الكلية لجميع محاور الاستبانة موجبة، وقد تراوحت بين (٠.٩٣٧) في حدها الأعلىٰ في المحور الثاني، وبين (٠.٨٩١٦) في حدها الأدنىٰ للمحور الأول، كما يتضح أن جميعها دالة إحصائيًا عند مستوىٰ دلالة (٠.٠١). وهذا يبيِّن أن الاستبانة تتمتع بدرجة كبيرة من الصدق، وقياس ما وضعت لأجله، وتدل علىٰ قوة التماسك الداخلي بين المحاور بعضها البعض، وأنها صالحة للغرض الذي صممت له.

❁ ثبات الأداة:

تم حساب معامل الثبات للاستبانة لكل محور، وللاستبانة ككل، وذلك بعد إخراجها بصورتها النهائية، ثم تطبيقها علىٰ العينة الاستطلاعية (٤٠ طالبًا)، وقد دللت النتائج علىٰ معاملات ثبات عالية، ويعوَّل عليها، كما وضحتها نتائج معامل ألفا كرونباخ، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (٥) معاملات ثبات ألفا كرونباخ
لمحاور الاستبانة (العينة الاستطلاعية: ن=٤٠)

المحور	عدد البنود	معامل ثبات ألفا كرونباخ
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	١٣	٠.٨٨
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	١٤	٠.٩٣
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	١٠	٠.٩١
الثبات الكلي للاستبانة	٣٧	٠.٩٦

يتضح من الجدول رقم (٥) اتسام محاور الاستبانة بدرجة جيدة من الثبات، حيث بلغ أعلىٰ معامل ثبات للمحور الثاني بواقع (٠.٩١)، في حين جاء أدني معامل ثبات للمحور الأول بواقع (٠.٨٨)، كما تمتعت الاستبانة بصفة إجمالية بدرجة مقبولة من الثبات، حيث بلغ معامل ألفا كرونباخ لها (٠.٩٦)، وتعد هذه القيمة مرتفعة، وتشير إلىٰ درجة عالية من الثبات، وبالتالي يمكن الاعتماد علىٰ الأداة والوثوق بنتائجها.

❁ إجابة أسئلة البحث:

للإجابة عن السؤال الرئيس للبحث فقد تم استطلاع وجهة نظر عينة من طلاب كليتي الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية لدىٰ طلاب الجامعة، وفيما يلي عرض للنتائج الكلية للاستبانة مجملة:

جدول رقم (٦)

المتوسطات الحسابية وترتيبها تنازليًا للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية علىٰ طلاب الجامعة

المحاور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	٤.٢٠	٠.٦١	٢
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	٣.٧٢	٠.٨١	٣
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	٤.٣٤	٠.٧١	١
الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم	٤.٠٦	٠.٦٥	

أشارت نتائج استجابات أفراد العينة كما في الجدول رقم (٦) إلىٰ موافقتهم علىٰ العبارات الواردة في الاستبانة مجملة، حيث بلغ المتوسط الحسابي لاستجاباتهم علىٰ الاستبانة ككل (٤.٠٦) وهي تقع في فئة "موافق بدرجة كبيرة"؛ مما يدل علىٰ قوة الأثر الذي يحدثه ممارسة العمل الخيري علىٰ المشارك في جانب تعزيز القيم الإسلامية. كما جاء ترتيب محاور الاستبانة تنازليًا: تعزيز القيم الشخصية أولاً بمتوسط حسابي (٤.٣٤)، ثم تعزيز القيم الاجتماعية، بمتوسط حسابي (٤.٢٠)، وأخيرًا تعزيز القيم الاقتصادية بمتوسط حسابي (٣.٧٢).

ويعزو الباحث هذه النتيجة الإجمالية إلىٰ الأثر الفعلي الذي أبرزته النصوص الشرعية للعمل الخيري، وقدرته علىٰ تلبية حاجات الطالب الجامعي في مختلف النواحي؛ النفسية، والاجتماعية، والتربوية، والقيمية؛ إذ يهتم العمل الخيري بتعزيز القيم للمشاركين. وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة التي توصلت إليها دراسة الزهراني من أن العمل الخيري يعزز احترام القيم الإسلامية لدىٰ الشباب، وكذلك مع نتيجة دراسة آلاء زاهد (١٤٣٤ه) التي تفيد بأن العمل التطوعي من أبرز وسائل تنمية القيم الاجتماعية السبعة موضع الدراسة (التكافل، والبذل، والإيثار، والتعاون، والمسؤولية، والتواضع، والرفق).

❁ السؤال الأول: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية على طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

للكشف عن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية لدىٰ طلاب الجامعة تم إيجاد التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والرتب لاستجابات أفراد عينة البحث، والجدول التالي يبيِّن ذلك:

جدول رقم (٧)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية
وترتيبها تنازلياً لإجابات عينة البحث

حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري
في تعزيز القيم الاجتماعية علىٰ طلاب الجامعة

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٥	يعزز العمل الخيري قيم الانتماء لله ولرسوله وللمؤمنين لدىٰ المشاركين فيه.	ت	٣٢٧	٧٦	٢٠	٤	٨	٤.٦٣	٠.٧٨	١
		٪	٧٥.٢	١٧.٥	٤.٦	٠.٩	١.٨			
١٠	ينمي العمل الخيري روح الفريق لدىٰ المشاركين.	ت	٢٨٧	١٢٤	١٦	٤	٤	٤.٥٨	٠.٧٠	٢
		٪	٦٦.٠	٢٨.٥	٣.٧	٠.٩	٠.٩			
١	يسعىٰ العمل الخيري لإقامة برامج تعزز التكافل الاجتماعي لدىٰ	ت	٢٣٩	١٦٠	٢٤	٤	٨	٤.٤٢	٠.٧٩	٣
		٪	٥٤.٩	٣٦.٨	٥.٥	٠.٩	١.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	الترتيب
	المشاركين.									
١١	يسعىٰ العمل الخيري لتعزيز التفاعل الإيجابي الواعي للمشارك مع المجتمع.	ت	٢٣٢	١٥١	٣٦	٤	١٢	٤.٣٥	٠.٨٨	٤
		٪	٥٣.٣	٣٤.٧	٨.٣	٠.٩	٢.٨			
٣	يهتم العمل الخيري بتقديم حلول للمشكلات التي تواجه المجتمع.	ت	٢٢٠	١٤٣	٤٨	٢٠	٤	٤.٢٨	٠.٩٠	٥
		٪	٥٠.٦	٣٢.٩	١١.٠	٤.٦	٠.٩			
٢	تركز برامج العمل الخيري علىٰ تلبية احتياجات الضعفاء والمساكين ودمجهم في المجتمع.	ت	٢١٩	١٤٤	٥٦	٤	١٢	٤.٢٧	٠.٩٢	٦
		٪	٥٠.٣	٣٣.١	١٢.٩	٠.٩	٢.٨			
٩	يقيم العمل الخيري ورش عمل جماعية	ت	١٦٤	١٨٧	٦٤	٨	١٢	٤.١١	٠.٩١	٧
		٪	٣٧.٧	٤٣.٠	١٤.٧	١.٨	٢.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
	لمناقشة احتياجات المنشأة الخيرية.									
٧	يلبي العمل الخيري الحاجة للانتماء لدىٰ المشاركين.	ت	١٨٠	١٥٥	٧٦	١٢	١٢	٤.١٠	٠.٩٧	٨
		٪	٤١.٤	٣٥.٦	١٧.٥	٢.٨	٢.٨			
١٣	يحرص المسؤولون في العمل الخيري علىٰ تقديم الخدمات التطوعية للمستفيدين وفق معايير عادلة.	ت	١٥٥	١٨٤	٨٠	١٢	٤	٤.٠٩	٠.٨٥	٩
		٪	٣٥.٦	٤٢.٣	١٨.٤	٢.٨	٠.٩			
٨	تقوم برامج العمل الخيري علىٰ مبدأ المشاركة في التخطيط والتنفيذ.	ت	١٥١	١٨٠	٧٦	١٢	١٦	٤.٠١	٠.٩٨	١٠
		٪	٣٤.٧	٤١.٤	١٧.٥	٢.٨	٣.٧			
١٢	يسعىٰ القائمون	ت	١٥٥	١٦٤	٨٠	٢٠	١٦	٣.٩٧	١.٠٣	١١

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
	علىٰ العمل الخيري علىٰ ممارسة العدل في توزيع المهام بين المشاركين.	٪	٣٥.٦	٣٧.٧	١٨.٤	٤.٦	٣.٧			
٤	يقدم العمل الخيري مبادرات لمعالجة الأزمات والكوارث الطبيعية.	ت	١٦٠	١٣٦	٩٩	٢٨	١٢	٣.٩٣	١.٠٥	١٢
		٪	٣٦.٨	٣١.٣	٢٢.٨	٦.٤	٢.٨			
٦	يقيم العمل الخيري برامج تعمل علىٰ تعزيز الهوية الوطنية لدىٰ المشاركين.	ت	١٥٦	١٥٢	٧٥	٣٦	١٦	٣.٩١	١.٠٩	١٣
		٪	٣٥.٩	٣٤.٩	١٧.٢	٨.٣	٣.٧			
	المتوسط العام							**٤.٢٠**	**٠.٦١**	

❁ **يتضح من الجدول رقم (٧) ما يلي:**

- أشارت نتائج استجابات أفراد العينة إلىٰ موافقتهم بدرجة كبيرة جدًا علىٰ العبارات الواردة في المحور الأول، حيث بلغ المتوسط الحسابي لاستجاباتهم (٤.٢٠)، وتقع في فئة الاستجابة "كبيرة"، وقد تراوح المتوسط الحسابي لجميع عبارات المحور ما بين أعلىٰ قيمة (٤.٦٣)، وأقل قيمة (٣.٩١). وتتفق هذه النتيجة الإجمالية للمحور مع ما توصلت إليه دراسة الحازمي (٢٠١٧م) من أن العمل التطوعي يتضمن الكثير من القيم التربوية الإسلامية وخاصة القيم الاجتماعية، ويسعىٰ لتعزيزها لدىٰ العاملين فيه بدرجة كبيرة.

- يتضح أيضًا من الجدول السابق أنه هناك ست عبارات وقعت في فئة استجابة "موافق بدرجة كبيرة جدًا"، بينما وقعت العبارات السبع الأخرىٰ في فئة الاستجابة "موافق بدرجة كبيرة"، وهذا يشير إلىٰ حصول جميع عبارات المحور علىٰ درجة استجابة عالية تراوحت بين "كبيرة جدًا" و"كبيرة".

- ويمكن ترتيب عبارات المحور من وجهة نظر أفراد العينة، من حيث الموافقة ترتيبًا تنازليًا، فكان أعلىٰ ترتيب لمتوسطات المحور العبارات التالية:

- جاءت العبارة رقم (٥) ونصها: "يعزز العمل الخيري قيم الانتماء لله ولرسوله وللمؤمنين لدىٰ المشاركين فيه" في المرتبة الأولىٰ بمتوسط حسابي (٤.٦٣). وهذه النتيجة تتفق مع دراسة الزهراني (١٤٣١ه) التي أبرزت أن من أهم الآثار الإيجابية للعمل الخيري لدىٰ الشباب تنمية الحاجة إلىٰ الانتماء إلىٰ الأمة بمتوسط حسابي (٤.٢٨٥).

- وجاءت العبارة رقم (١٠) ونصها: "ينمي العمل الخيري روح الفريق لدىٰ المشاركين" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٤.٥٨). وتتفق هذه النتيجة

مع نتيجة دراسة الحازمي (٢٠١٧م) التي بيّنت أن العمل التطوعي ينمي العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، كما تتفق مع نتيجة دراسة الزهراني (١٤٣١ه) في كون العمل الخيري يجسد مبدأ الأخوة الإنسانية بدرجة كبيرة جدًا ومتوسط حسابي (٤.٣١).

- وقد كان أدنىٰ ترتيب لمتوسط عبارات المحور الأول، العبارات التالية كما في الجدول السابق:

- جاءت عبارة رقم (٦) وهي: "يقيم العمل الخيري برامج تعمل علىٰ تعزيز الهوية الوطنية لدىٰ المشاركين" في الترتيب الأخير بمتوسط حسابي (٣.٩١).

ويفسر الباحث حصولها علىٰ أدنىٰ متوسط حسابي مع كونه في ذات الوقت ضمن فئة الاستجابة (كبيرة) أن تعزيز الهوية الوطنية فطرة إنسانية، وطبيعة العمل الخيري تسعىٰ لتنميتها سدًا لحاجة الانتماء لدىٰ المشارك دون الحاجة إلىٰ إقامة برامج مقصودة لهذا الغرض.

- أما العبارة رقم (٤) ونصها: "يقدم العمل الخيري مبادرات لمعالجة الأزمات والكوارث الطبيعية" فجاءت في الترتيب قبل الأخير بمتوسط حسابي (٣.٩٣).

ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن المملكة العربية السعودية بحمد الله تمر بمراحل استقرار من ناحية الأزمات والكوارث الطبيعية مما يجعل المشاركين يرون أن تقديم الجهات المسؤولة عن العمل الخيري دورًا في ذلك لم يكن بدرجة كبيرة.

❁ السؤال الثاني: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية على طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

للكشف عن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية لدىٰ طلاب الجامعة تم إيجاد التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والرتب لاستجابات أفراد عينة البحث، والجدول التالي يبيِّن ذلك:

جدول رقم (٨)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها تنازليًا لإجابات عينة البحث

حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية علىٰ طلاب الجامعة

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٦	يسعىٰ العمل الخيري لإكساب المشاركين مهارات التعامل مع المستقبل.	ت	١٨٤	١٣٥	٨٠	٢٨	٨	٤.٠٦	١.٠١	١
		٪	٤٢.٣	٣١.٠	١٨.٤	٦.٤	١.٨			
٣	يحرص العمل الخيري علىٰ اختيار البدائل الأكثر توفيرًا للمال.	ت	١٨٣	١١٢	١٠٨	٢٠	١٢	٤.٠٠	١.٠٥	٢
		٪	٤٢.١	٢٥.٧	٢٤.٨	٤.٦	٢.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١٣	يسهم العمل الخيري في دعم إنتاج المعرفة وتسويقها.	ت	١٣٦	١٧١	١٠٠	١٦	١٢	٣.٩٣	٠.٩٧	٣
		٪	٣١.٣	٣٩.٣	٢٣.٠	٣.٧	٢.٨			
١٢	يسوق العمل الخيري قدرات المشارك ومهاراته.	ت	١٥٢	١٤٤	١٠٧	٢٠	١٢	٣.٩٣	١.٠١	٣
		٪	٣٤.٩	٣٣.١	٢٤.٦	٤.٦	٢.٨			
١	يعزز العمل الخيري الوعي بترشيد الاستهلاك لدىٰ المشاركين.	ت	١٤٠	١٦٣	٨٨	٢٨	١٦	٣.٨٨	١.٠٥	٥
		٪	٣٢.٢	٣٧.٥	٢٠.٢	٦.٤	٣.٧			
٢	يقيم العمل الخيري موازنات مالية بمشاركة أعضائه تهدف إلىٰ الترشيد	ت	١٤٨	١٣٢	١١١	٣٢	١٢	٣.٨٦	١.٠٦	٦
		٪	٣٤.٠	٣٠.٣	٢٥.٥	٧.٤	٢.٨			
٤	ينمي العمل الخيري التوازن في الإنفاق لدىٰ المشاركين.	ت	١٣٦	١٣٥	١١٦	٣٦	١٢	٣.٨٠	١.٠٦	٧
		٪	٣١.٣	٣١.٠	٢٦.٧	٨.٣	٢.٨			
١٠	يوجه العمل الخيري المشاركين إلىٰ الفرص الوظيفية المناسبة لقدراتهم.	ت	١١٢	١٤٨	١١١	٥٢	١٢	٣.٦٨	١.٠٧	٨
		٪	٢٥.٧	٣٤.٠	٢٥.٥	١٢.٠	٢.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٨	يدرب العمل الخيري أفراده عمليًا على الادخار من خلال بعض المناشط (إشراكهم في وضع الخطط المالية – إشراكهم في المراجعة للميزانية).	ت	١٤٨	١٠٣	١٠٤	٥٢	٢٨	٣.٦٧	١.٢٤	٩
		٪	٣٤.٠	٢٣.٧	٢٣.٩	١٢.٠	٦.٤			
١١	يقيم العمل الخيري دورات في اختيار التخصصات الجامعية المناسبة لسوق العمل.	ت	١٢٠	١٤٠	٧٩	٨٠	١٦	٣.٦٢	١.١٧	١٠
		٪	٢٧.٦	٣٢.٢	١٨.٢	١٨.٤	٣.٧			
٩	يهتم العمل الخيري بإبراز الأنشطة التي توفر الدخل المالي للمشاركين.	ت	١٠٤	٩١	١٦٤	٦٠	١٦	٣.٤٨	١.١١	١١
		٪	٢٣.٩	٢٠.٩	٣٧.٧	١٣.٨	٣.٧			
١٤	يدرب العمل الخيري أفراده لكتابة سيرهم الذاتية باحترافية.	ت	١٢٤	٧٦	١٣٩	٦٤	٣٢	٣.٤٥	١.٢٥	١٢
		٪	٢٨.٥	١٧.٥	٣٢.٠	١٤.٧	٧.٤			
٥	يقيم العمل الخيري	ت	١٠٠	١٠٤	١١٥	٨٤	٣٢	٣.٣٦	١.٢٣	١٣

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
	دورات تدريبية للتعامل الأمثل في الأمور المالية.	٪	٢٣.٠	٢٣.٩	٢٦.٤	١٩.٣	٧.٤			
٧	يقيم العمل الخيري دورات تعنىٰ بالادخار المالي.	ت	١٠٨	٩٢	١٠٣	١٠٨	٢٤	٣.٣٥	١.٢٥	١٤
		٪	٢٤.٨	٢١.١	٢٣.٧	٢٤.٨	٥.٥			
	المتوسط العام							**٣.٧٢**	**٠.٨١**	

❁ يتضح من الجدول رقم (٨) ما يلي:

• أشارت نتائج استجابات أفراد العينة إلىٰ موافقتهم بدرجة كبيرة علىٰ العبارات الواردة في المحور الثاني، حيث بلغ المتوسط الحسابي لاستجاباتهم (٣.٧٢)، وتقع في فئة الاستجابة "كبيرة"، وقد تراوح المتوسط الحسابي لجميع عبارات المحور ما بين أعلىٰ قيمة (٤.٠٦)، وأقل قيمة (٣.٣٥).

• يتضح أيضًا من الجدول السابق أنه يمكن ترتيب عبارات المحور من وجهة نظر أفراد العينة، من حيث الموافقة ترتيبًا تنازليًا، فكان أعلىٰ ترتيب لمتوسطات المحور العبارات التالية:

- حصل علىٰ الترتيب الأول العبارة رقم (٦) ونصها: "يسعىٰ العمل الخيري لإكساب المشاركين مهارات التعامل مع المستقبل" بمتوسط حسابي (٤.٠٦). ويؤكد هذه النتيجة اهتمام الجهات المسؤولة عن العمل الخيري

بالرؤية المستقبلية لمشاريعها ومنسوبيها، وذلك من خلال خبرة الباحث في العمل فيها، حيث يشهد القطاع غير الربحي نقلة نوعية في رفع مستوىٰ الوعي لدىٰ العاملين وإكسابهم عددًا من المهارات الحياتية التي تعينهم علىٰ التعامل الأمثل مع المستقبل.

- أما العبارة التي وقعت في الترتيب الثاني فهي العبارة رقم (٣) بمتوسط حسابي (٤.٠٠) وهي: "يحرص العمل الخيري علىٰ اختيار البدائل الأكثر توفيرًا للمال". ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن العمل الخيري قائم عادة علىٰ التبرعات والهبات والأوقاف، إذًا فالموارد ليست مستقرة فيه، مما يدفع القائمين عليه بالاهتمام بالبدائل التي توفر المال خصوصًا مع وجودها، وتثقيف المشاركين بهذا الأمر.

- وقد كان أدنىٰ ترتيب لمتوسط عبارات المحور الثاني، العبارتان التاليتان وهما اللتان حصلتا علىٰ فئة استجابة "متوسطة" خلافًا لبقية العبارات كما في الجدول السابق:

- جاءت عبارة رقم (٧) وهي: "يقيم العمل الخيري دورات تعنىٰ بالادخار المالي" في الترتيب الأخير بمتوسط حسابي (٣.٣٥).

- أما العبارة رقم (٥) ونصها: "يقيم العمل الخيري دورات تدريبية للتعامل الأمثل في الأمور المالية" فجاءت في التربيب قبل الأخير بمتوسط حسابي (٣.٣٦). ويفسر الباحث نتيجة العبارتين السابقتين إلىٰ وجود ضعف في الجانب التدريبي لدىٰ بعض جهات العمل الخيري، وهذا قد يكون نابعًا من قلة الوعي بأهميته ودوره في تعزيز القيم والمهارات. وتتخلف هاتان النتيجتان مع نتيجة دراسة الزهراني (١٤٣١ه) التي كشفت أن العمل الخيري يربي الشباب علىٰ

الوسطية في الإنفاق بدرجة كبيرة ومتوسط حسابي (٣.٧٩٧). ويعزو الباحث هذا الاختلاف إلىٰ أن إقامة الدورات التدريبية نشاط من ضمن الأنشطة التي يقدمها العمل الخيري لتعزيز التوازن في الإنفاق، وضعف إقامة الدورات المعنية بذلك لا يعني بالضرورة ضعف قيام العمل الخيري بدوره في هذا المجال. ويعزز ذلك ما كشف عنه البحث الحالي من اتفاقه مع نتيجة دراسة الزهراني (١٤٣١هـ) السابقة في العبارة رقم (٤)، والتي تنص علىٰ أن العمل الخيري ينمي التوازن في الإنفاق لدىٰ المشاركين بمتوسط حسابي (٣.٨٠).

❁ السؤال الثالث: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) على طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟

للكشف عن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) لدىٰ طلاب الجامعة تم إيجاد التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والرتب لاستجابات أفراد عينة البحث، والجدول التالي يبيِّن ذلك:

جدول رقم (٩)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية
وترتيبها تنازلياً لإجابات عينة البحث

حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري
في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) علىٰ طلاب الجامعة

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٧	يدعم العمل الخيري القدرة على تحمل المسؤولية لدى المشاركين فيه	ت	٢٨٠	١١٥	٢٨	٤	٨	٤.٥١	٠.٨١	١
		٪	٦٤.٤	٢٦.٤	٦.٤	٠.٩	١.٨			
٨	يعمق العمل الخيري إحساس المشارك بمسؤوليته ورسالته تجاه نفسه ووطنه وأقرانه.	ت	٢٧١	١٢٤	٢٨	٤	٨	٤.٤٩	٠.٨١	٢
		٪	٦٢.٣	٢٨.٥	٦.٤	٠.٩	١.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٤	ينمي العمل الخيري الثقة بالنفس للمشارك من خلال بعض الممارسات (على سبيل المثال: إشراكه في إدارة بعض الأنشطة-تمثيله للمنشأة الخيرية في بعض اللقاءات -تفويضه ببعض الصلاحيات).	ت	٢٧٩	١٠٨	٣٢	٨	٨	٤.٤٨	٠.٨٥	٣
		٪	٦٤.١	٢٤.٨	٧.٤	١.٨	١.٨			
٥	ينمي العمل الخيري القدرة على الحوار لدى المشاركين.	ت	٢٦٠	١١٩	٤٠	٨	٨	٤.٤١	٠.٨٧	٤
		٪	٥٩.٨	٢٧.٤	٩.٢	١.٨	١.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١	يعزز العمل الخيري لدى المشارك المثابرة لتحقيق أهدافه وطموحاته.	ت	٢٤٣	١٢٨	٤٠	٨	١٦	٤.٣٢	٠.٩٨	٥
		٪	٥٥.٩	٢٩.٤	٩.٢	١.٨	٣.٧			
٢	يتيح العمل الخيري لأعضائه مضاعفة العمل لتحقيق أهدافهم.	ت	٢١٦	١٥١	٤٤	١٢	١٢	٤.٢٦	٠.٩٤	٦
		٪	٤٩.٧	٣٤.٧	١٠.١	٢.٨	٢.٨			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١٠	يتدرج العمل الخيري في إعطاء المسؤوليات للمشاركين مما يمنهم على تحملها.	ك	٢٢٧	١٢٨	٥٢	١٦	١٢	٤.٢٥	٠.٩٩	٧
		٪	٥٢.٢	٢٩.٤	١٢.٠	٣.٧	٢.٨			
٩	يعطي القائمون على العمل الخيري المشاركين المسؤولية في أجزاء مناسبة من العمل (ثقافة تفويض الأعمال).	ك	٢٠٤	١٦٠	٤٨	١٩	٤	٤.٢٤	٠.٨٨	٨
		٪	٤٦.٩	٣٦.٨	١١.٠	٤.٤	٠.٩			

م	العبارة		موافق بدرجة كبيرة جداً	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة ضعيفة	موافق بدرجة ضعيفة جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٢	يعزز القائمون على العمل الخيري المشاركين المتميزين فيه مما يحقق ذواتهم.	ت	٢١١	١٤٠	٦٨	٤	١٢	٤.٢٣	٠.٩٤	٩
		٪	٤٨.٥	٣٢.٢	١٥.٦	٠.٩	٢.٨			
٣	يمنح العمل الخيري المشاركين فرصًا متكررة عند إخفاقهم أو ضعف أدائهم في أي ما	ت	٢٠٠	١٥٢	٥٥	١٦	١٢	٤.١٨	٠.٩٨	١٠
		٪	٤٦.٠	٣٤.٩	١٢.٦	٣.٧	٢.٨			
	المتوسط العام							٤.٣٤	٠.٧١	

❁ **يتضح من الجدول رقم (٩) ما يلي:**

- أشارت نتائج استجابات أفراد العينة إلىٰ موافقتهم بدرجة كبيرة جدًا علىٰ العبارات الواردة في المحور الثالث، حيث بلغ المتوسط الحسابي لاستجاباتهم

(٤.٣٤)، وتقع في فئة الاستجابة "كبيرة جدًا"، وقد تراوح المتوسط الحسابي لجميع عبارات المحور ما بين أعلىٰ قيمة (٤.٥١)، وأقل قيمة (٤.١٨) فقد حصلت ٩ عبارات من عبارات هذا المحور علىٰ متوسطات في فئة استجابة "كبيرة جدًا"، وعبارة واحدة وقعت في فئة استجابة "كبيرة".

ويفسر الباحث كون تعزيز القيم الشخصية حظي بأعلىٰ متوسط حسابي بين بقية المجالات الأخرىٰ، إلىٰ أن العمل الخيري في طبيعته منطلقًا من البُعد الإنساني، ومع كون الطابع الأساس له هو الطبيعة الاجتماعية؛ إلا أن الأثر الشخصي والمردود الذاتي علىٰ المشاركين يأتي في الدرجة الأولىٰ، وقد أكد ذلك البحث في إطاره المفهومي عند الحديث عن دوافع العمل الخيري.

- **يتضح أيضًا من الجدول السابق أنه يمكن ترتيب عبارات المحور من وجهة نظر أفراد العينة، من حيث الموافقة ترتيبًا تنازليًا، فكان أعلىٰ ترتيب لمتوسطات المحور العبارات التالية:**

- جاءت العبارة رقم (٧) التي نصها: "يدعم العمل الخيري القدرة علىٰ تحمل المسؤولية لدىٰ المشاركين فيه" في الترتيب الأول بمتوسط حسابي (٤.٥١).

- وقد حصل علىٰ الترتيب الثاني العبارة رقم (٨) بمتوسط حسابي (٤.٤٩)، وهي: "يعمق العمل الخيري إحساس المشارك بمسؤوليته ورسالته تجاه نفسه ووطنه وأقرانه".

ويمكن تفسير النتيجتين السابقتين بأن العمل الخيري مبني علىٰ مبدأ التطوع والتبرع وعدم الالتزام ابتداءً، وبالتالي فهو يزيد من إحساس المشارك بالمسؤولية

بما يقوم به تجاه الآخرين؛ وتتفق النتيجة الحالية إلىٰ حدٍ ما مع دراسة الزهراني (١٤٣١ه) التي كشفت أن من الآثار الإيجابية للعمل الخيري تحمل المسؤولية تجاه الغير بدرجة كبيرة ومتوسط حسابي (٤.١٤).

- وقد كان أدنىٰ ترتيب لمتوسط عبارات المحور الأول، العبارات التالية كما في الجدول السابق:

- جاءت عبارة رقم (٣) وهي: "يمنح العمل الخيري المشاركين فرصًا متكررة عند إخفاقهم أو ضعف أدائهم في أمرٍ ما" في الترتيب الأخير بمتوسط حسابي (٤.١٨).

- أما العبارة رقم (٦) ونصها: "يعزز القائمون علىٰ العمل الخيري المشاركين المتميزين فيه مما يحقق ذواتهم" فجاءت في التربيب قبل الأخير بمتوسط حسابي (٤.٢٣).

ويمكن تفسير النتيجتين السابقتين بوجود قدر كبير من الاهتمام المعنوي من القائمين علىٰ الجهات الخيرية بالعاملين فيها، ويدفعهم إلىٰ منحهم فرصًا أكثر عند الإخفاق، وتشجيعهم بالمكافآت عند الإنجاز. الأمر الذي يرفع من مستوىٰ الثقة وتحمل المسؤولية لديهم. وهذا الأمر هو توجيه نبوي في مكافأة المحسن علىٰ إحسانه، وممارسة السلوك المناسب مع المخطئ والمقصر والمخفق.

❁ السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حيال الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية تعزى لمتغيرات البحث: (الكلية/ المستوى/ عدد مرات التطوع)؟

للإجابة علىٰ هذا السؤال قام الباحث باستخدام اختبار (ت) لدلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين للتعرف علىٰ الفروق في استجابات أفراد العينة حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم تبعاً لاختلاف متغيرات البحث: (الكلية – المستوىٰ الدراسي).

واستخدم تحليل التباين الأحادي (ف) لدلالة الفروق بين أكثر من مجموعتين مستقلتين للتعرف علىٰ الفروق في استجابات أفراد العينة تبعاً لاختلاف متغير البحث: (عدد مرات التطوع).

والجداول التالية تبين النتائج التي تم التوصل إليها:

٤-٤-١- الفروق باختلاف الكلية:

جدول رقم (١٠)

اختبار (ت) لدلالة الفروق في استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم باختلاف الكلية

المحور	الكلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة	التعليق
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	الشريعة	٣١٩	٤.٢٠	٠.٦٤	٠.٣٩	٠.٦٩٤	غير دالة
	أصول الدين	١١٦	٤.٢٢	٠.٥٣			
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	الشريعة	٣١٩	٣.٧٢	٠.٨٢	٠.٢٤	٠.٨١٣	غير دالة
	أصول الدين	١١٦	٣.٧٠	٠.٨٠			
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية	الشريعة	٣١٩	٤.٣٩	٠.٧٠	٢.٤٧	٠.٠١٤	دالة عند مستوى ٠.٠١
	أصول الدين	١١٦	٤.٢٠	٠.٧١			

المحور	الكلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة	التعليق
الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم	الشريعة	٣١٩	٤.٠٧	٠.٦٥	٠.٧١	٠.٤٧٨	غير دالة
	أصول الدين	١١٦	٤.٠٢	٠.٦٣			

يتضح من الجدول رقم (١٠) أن قيم (ت) غير دالة في المحاور: (الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية)، وفي الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم، مما يشير إلىٰ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم في تلك المجالات، تعود لاختلاف الكلية التي ينتمي لها أفراد العينة.

كما يتضح من الجدول رقم (١٠) أن قيمة (ت) دالة عند مستوىٰ ٠.٠١ في محور: (الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية»، مما يشير إلىٰ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم في هذا المجال، تعود لاختلاف الكلية التي ينتمي لها أفراد العينة، وكانت تلك الفروق لصالح الطلاب

المنتمين لكلية الشريعة.

ويعزو البحث هذه النتيجة إلىٰ أن كلية الشريعة من الكليات النوعية التي تحظىٰ بدعم وعناية، كونها أقدم كلية من كليات الجامعة؛ بل في الرياض ككل.

وهذا الاهتمام انعكس بشكل جلي من خلال وجود عدد من البرامج التي تهتم بصناعة طالب العلم من جميع جوانبه الشخصية، ومنها برامج تطوعية تهتم بالقيم الشخصية، مثل برنامج "تأهيل" الذي يهدف للارتقاء بمستوىٰ الطلاب الملتحقين بالكلية، وتدريبهم علىٰ المهارات اللازمة.

كذلك برامج النادي العلمي في الكلية ومنها: دورة في التخطيط الاستراتيجي الشخصي، دورة في المهارات الإدارية الأساسية للخريجين، ودورة التعامل مع الآخرين، وغيرها.

٤-٤-٢- الفروق باختلاف المستوىٰ الدراسي:

جدول رقم (١١)

اختبار (ت) لدلالة الفروق في استجابات عينة البحث
حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري
في تعزيز القيم باختلاف المستوىٰ الدراسي

المحور	المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة	التعليق
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	من الأول حتى الرابع	١٧٩	٤.٢٠	٠.٧٧	٠.١٢	٠.٩٠٥	غير دالة
	من الخامس حتى الثامن	٢٥٦	٤.٢١	٠.٤٨			
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	من الأول حتى الرابع	١٧٩	٣.٨٥	٠.٩٢	٢.٧٤	٠.٠٠٧	دالة عند مستوى ٠.٠١
	من الخامس حتى الثامن	٢٥٦	٣.٦٣	٠.٧٢			
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	من الأول حتى الرابع	١٧٩	٤.٣٤	٠.٨٢	٠.١٤	٠.٨٩٠	غير دالة
	من الخامس حتى الثامن	٢٥٦	٤.٣٣	٠.٦٢			

المحور	المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة	التعليق
الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم	من الأول حتى الرابع	١٧٩	٤.١٠	٠.٧٩	١.٢٥	٠.٢١١	غير دالة
	من الخامس حتى الثامن	٢٥٦	٤.٠٢	٠.٥٢			

❁ يتضح من الجدول رقم (١١):

أن قيم (ت) غير دالة في المحاور: (الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية»، وفي الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم، مما يشير إلىٰ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم في تلك المجالات، تعود لاختلاف المستوىٰ الدراسي لأفراد العينة.

كما يتضح من الجدول رقم (١١) أن قيمة (ت) دالة عند مستوىٰ ٠.٠١ في محور: (الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية)، مما يشير إلىٰ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم في هذا المجال، تعود لاختلاف المستوىٰ الدراسي لأفراد العينة، وكانت تلك الفروق لصالح الطلاب

في المستويات (من الأول إلىٰ الرابع).

وقد تُفسَّر هذه النتيجة بأن الطالب في بداية تعليمه الجامعي والذي يشكل بداية الاستقلال المالي عن عائلته، ووجود مصدر دخل منفرد له، يسعىٰ للاستفادة من الأعمال التطوعية التي يشارك بها في تلك الجوانب الحديثة عليه؛ كالادخار، والإنتاج، وترشيد الاستهلاك ونحوها.

٤-٤-٣- الفروق باختلاف عدد مرات التطوع:

جدول رقم (١٢)

اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم باختلاف عدد مرات التطوع

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوىٰ الدلالة	التعليق
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	بين المجموعات	٢.٩٠	٢	١.٤٥	٣.٨٨	٠.٠٢١	دالة عند مستوىٰ ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٦١.١٦	٤٣٢	٠.٣٧			

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	بين المجموعات	٤.٧٢	٢	٢.٣٦	٣.٦٢	٠.٠٢٧	دالة عند مستوى ٠.٠٥
	داخل المجموعات	٢٨١.٣٨	٤٣٢	٠.٦٥			
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية	بين المجموعات	٩.٣٤	٢	٤.٦٧	٩.٦٧	٠.٠٠٠	دالة عند مستوى ٠.٠١
	داخل المجموعات	٢٠٨.٨٣	٤٣٢	٠.٤٨			
الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم	بين المجموعات	٤.٩٦	٢	٢.٤٨	٦.١٠	٠.٠٠٢	دالة عند مستوى ٠.٠١
	داخل المجموعات	١٧٥.٦٢	٤٣٢	٠.٤١			

يتضح من الجدول رقم (١٢) أن قيم (ف) دالة عند مستوى ٠.٠١ في

المحاور: (الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية، الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية»، وفي الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم، مما يشير إلىٰ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم في تلك المجالات، تعود لاختلاف عدد مرات تطوع أفراد العينة. وباستخدام اختبار شيفيه للكشف عن مصدر تلك الفروق (جدول رقم ١٣):

جدول رقم (١٣)

اختبار شيفيه لتوضيح مصدر الفروق في استجابات عينة البحث حول الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم باختلاف عدد مرات التطوع

المحور	عدد مرات التطوع	المتوسط الحسابي	أقل من ٥ أعمال	من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال	أكثر من ١٠ أعمال	الفرق لصالح
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية	أقل من ٥ أعمال	٤.١٣				
	من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال	٤.٣١	*			من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال

المحور	عدد مرات التطوع	المتوسط الحسابي	أقل من ٥ أعمال	من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال	أكثر من ١٠ أعمال	الفرق لصالح
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية	أكثر من ١٠ أعمال	٤.٢٧				
	أقل من ٥ أعمال	٣.٦٢				
	من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال	٣.٨٦	*			من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال
	أكثر من ١٠ أعمال	٣.٧٨				
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية)	أقل من ٥ أعمال	٤.٢٠				
	من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال	٤.٤٩	*			من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال

المحور	عدد مرات التطوع	المتوسط الحسابي	أقل من ٥ أعمال	من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال	أكثر من ١٠ أعمال	الفرق لصالح
الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم	أكثر من ١٠ أعمال	٤.٥٠	*			أكثر من ١٠ أعمال
	أقل من ٥ أعمال	٣.٩٦				
	من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال	٤.١٩	*			من ٥ إلى أقل من ١٠ أعمال
	أكثر من ١٠ أعمال	٤.١٤				

*** تعني وجود فروق دالة عند مستوىٰ ٠.٠٥**

يتضح من الجدول رقم (١٣) وجود فروق دالة عند مستوىٰ ٠.٠٥ علىٰ النحو التالي:

١-توجد فروق دالة في محور الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية بين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أقل من ٥ أعمال)، وبين أفراد

العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال)، وذلك لصالح أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال).

٢-توجد فروق دالة في محور الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية بين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أقل من ٥ أعمال)، وبين أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال)، وذلك لصالح أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال).

٣-١- توجد فروق دالة في محور الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) بين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أقل من ٥ أعمال)، وبين أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال)، وذلك لصالح أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال).

٣-٢- توجد فروق دالة في محور الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) بين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أقل من ٥ أعمال)، وبين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أكثر من ١٠ أعمال)، وذلك لصالح أفراد العينة الذين تطوعوا في (أكثر من ١٠ أعمال).

٤-توجد فروق دالة في الدرجة الكلية للانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم بين أفراد العينة الذين تطوعوا في (أقل من ٥ أعمال)، وبين أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال)، وذلك لصالح أفراد العينة الذين تطوعوا في (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال).

وهذه النتائج التي توصل لها البحث تعد نتائج طبيعية؛ حيث أظهرت أن الفروق تكون دائمًا لصالح الفئة الأكثر ممارسة للعمل الخيري؛ إذ كثرة ممارسة العمل الخيري وتكرره تزيد من فرصة تعزيز القيم في مختلف مجالاتها لدىٰ

المشارك. وهذا تؤكده طبيعة التربية الإسلامية من كونها عملية مستمرة، تحتاج إلىٰ وقت حتىٰ تؤتي أكلها وتنضج ثمارها.

❁ نتائج البحث:

أسفر البحث عن عدد من النتائج، أهمها:

- أشارت نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة إلىٰ أن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية كان متحققًا بدرجة كبيرة، حيث بلغ المتوسط الحسابي العام لاستجابات أفراد عينة البحث علىٰ بنود الاستبانة بصورة إجمالية (٤.٠٦).

- وأظهرت كذلك أن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية كان متحققًا بدرجة كبيرة، فقد بلغ المتوسط الحسابي للاستجابات (٤.٢٠) من وجهة نظر طلاب الجامعة. وكانت أعلىٰ العبارات متوسطًا حسابيًا هي: يعزز العمل الخيري قيم الانتماء لله ولرسوله وللمؤمنين لدىٰ المشاركين فيه. ثم: ينمي العمل الخيري روح الفريق لدىٰ المشاركين.

- كما أبانت عن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية، وأنه كان بدرجة كبيرة، حيث بلغ المتوسط الحسابي لاستجابات أفراد العينة (٣.٧٢). وقد حصلت العبارات التالية علىٰ أعلىٰ متوسط حسابي بين بنود المحور: يسعىٰ العمل الخيري لإكساب المشاركين مهارات التعامل مع المستقبل. ثم: يحرص العمل الخيري علىٰ اختيار البدائل الأكثر توفيرًا للمال.

- وتوصلت النتائج إلىٰ أن واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) كان متحققًا بدرجة كبيرة جدًا، فقد بلغ المتوسط

الحسابي لاستجابات أفراد العينة (٤.٣٤). وكانت أعلىٰ العبارات من حيث المتوسط الحسابي هي: يدعم العمل الخيري القدرة علىٰ تحمل المسؤولية لدىٰ المشاركين فيه. تليها: يعمق العمل الخيري إحساس المشارك بمسؤوليته ورسالته تجاه نفسه ووطنه وأقرانه.

- وكشف البحث الحالي عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية والاقتصادية، وفي الدرجة الكلية للاستبانة، تعود لاختلاف الكلية التي ينتمي لها أفراد العينة. فيما توصلت إلىٰ وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوىٰ دلالة (٠.٠١) حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) تعزىٰ لمتغير الكلية؛ وذلك لصالح طلاب كلية الشريعة.

- وقد أظهرت نتائج استجابات أفراد عينة البحث عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة البحث حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية والشخصية (الذاتية)، وفي الدرجة الكلية للاستبانة، تعود لاختلاف المستوىٰ الدراسي لأفراد العينة. فيما توصلت إلىٰ وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوىٰ دلالة (٠.٠١) حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية تعزىٰ لمتغير المستوىٰ الدراسي؛ وذلك لصالح الطلاب في المستويات من الأول إلىٰ الرابع.

- وقد أسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية، والاقتصادية، والشخصية (الذاتية)، وفي الدرجة الكلية للاستبانة، تعزىٰ لمتغير عدد مرات التطوع بين الفئة (أقل من ٥ أعمال)، والفئة (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال)

لصالح الفئة (من ٥ إلىٰ أقل من ١٠ أعمال). كما وجدت فروق دالة إحصائية حول واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) تعزىٰ لعدد مرات التطوع بين أفراد الفئة (أقل من ٥ أعمال)، والفئة (أكثر من ١٠ أعمال) وذلك لصالح الفئة (أكثر من ١٠ أعمال).

❁ التوصيات:

في ضوء نتائج البحث الذي توصل إليها، يقدِّم الباحث مجموعة من التوصيات، كما يلي:

- إقامة أنشطة تهتم بتعزيز الانتماء الوطني لدىٰ المشاركين في العمل الخيري، وربطها بتحقيق رؤية المملكة ٢٠٣٠م.

- اهتمام الجهات المسؤولة عن العمل الخيري بالجوانب التدريبية بشكل عام، وخصوصًا في الجوانب الاقتصادية التي تؤهل المشارك للمستقبل في المنشأة الخيرية، ومستقبله الشخصي.

- إقامة برامج تهدف لتدريب المشاركين علىٰ تسويق أنفسهم، كبرامج كتابة السيرة الذاتية باحترافية، وبرامج التحليل الشخصي، والتخطيط الاستراتيجي.

- تكثيف التطبيقات العملية لقيمة الادخار، من خلال وضع صناديق ادخارية للمشاركين، وتثقيفهم بأسس ومعايير الادخار.

- الاهتمام بجوانب التحفيز والتشجيع للمشاركين في العمل الخيري، لارتباطها بقيم الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية؛ وذلك من خلال تكريم المتميزين ماديًا ومعنويًا، ومنح المشارك المخفق فرصًا أكثر للتعلم والاستفادة.

- تكوين شراكات بين الجامعات وجهات العمل الخيري، تسعىٰ إلىٰ

التكامل في تنمية الشخصية وتعزيز القيم لدىٰ أعضاء العمل الخيري، وتقديم الجامعات الدعم المعرفي والبحثي لتلك الجهات. ومن برامج الشراكة المقترحة: إقامة بيوت خبرة تطوعية تهتم بدراسات العمل التطوعي وتطبيقاته.

- يوصي الباحث بقية الباحثين إلىٰ استكمال الدراسات التي تسعىٰ لقياس الأبعاد التربوية للعمل الخيري لدىٰ المشاركين، مثل قياس أثر العمل الخيري في تنمية المهارات الحياتية، وفي تعزيز منهجية التفكير السليم، وفي بناء الوعي الاقتصادي، وغيرها من جوانب الشخصية المتكاملة.

المراجع

١- إبراهيم، نجيب إسكندر (١٩٩٧م). **قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٢- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر.

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ه). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، ط٣.

٤- الأسمر، أحمد رجب (١٩٩٦م). **فلسفة التربية الإسلامية**. الأردن: عمان، دار الفرقان.

٥- الأصفهاني، الراغب (١٤٢٨ه). **المفردات في غريب القرآن**. بيروت: دار المعرفة، ط٥.

٦- الباز، راشد بن سعد (١٤٢٢ه). الشباب والعمل التطوعي. **مجلة البحوث الأمنية**، العدد ٢٠، ذو الحجة ١٤٢٢ه.

٧- برقاوي، خالد (٢٠٠٨م). اتجاهات الشباب السعودي نحو العمل التطوعي: دراسة مطبقة علىٰ عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة. بحث منشور في **المؤتمر السعودي الثاني للتطوع**، جمعية الهلال الأحمر السعودي، الرياض.

٨- الترمذي، محمد بن عيسىٰ (د.ت). **سنن الترمذي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩- الثنيان، سامي بن صالح (١٤٣٤ه). **اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية نحو الأعمال التطوعية: دراسة ميدانية بمدينة الرياض**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.

١٠- الجعيد، سلطان بن عوض (١٤٣٠ه). **التكافل الاجتماعي في ضوء التربية الإسلامية**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ: مكة.

١١- الجلاد، ماجد زكي (١٤٣٥ه). **المرشد العملي للتربية علىٰ القيم**. السعودية: جدة، قمم المعرفة.

١٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٤٢٩ه). **معجم الصحاح**. بيروت: دار المعرفة، ط٣.

١٣- الحارثي، عبد الرحمن بن خضر (١٤٣١ه). **تصور مقترح لدور الأسرة في إكساب قيم العمل التطوعي لدىٰ أبنائها من منظور إسلامي**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ: مكة.

١٤- الحازمي، عواف بنت مرزوق (١٤٣٦ه). **دور الجامعات السعودية في تفعيل العمل التطوعي "تصور مقترح"**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ: مكة.

١٥- الحازمي، ماجد بن عبد الله (٢٠١٧م). قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها التربوية من منظور التربية الإسلامية. **مجلة البحث العلمي في التربية**- مصر، العدد ١٨، الجزء ٨، ٢٠١٧م، ص٥٠٧-٥٥٢.

١٦- الحازمي، محمد بن عبد الله، والقحطاني، عواطف بنت يحيىٰ، وآل مرعي، محمد بن عبد الله (٢٠١٥م). دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع السعودي: دراسة ميدانية. **المجلة التربوية**- الكويت، المجلد ٢٩، العدد ١١٦، سبتمبر ٢٠١٥م، ص٣٦٧-٤١٤.

١٧- حريري، عبد الله بن محمد (٢٠٠٦م). العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات- العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الأردن. المجلد ٢١، العدد ٥، ٢٠٠٦م، ص١١١-١٤٠.

١٨- الحلوة، طرفة بنت إبراهيم (٢٠١٥م). ثقافة العمل التطوعي لدىٰ الشباب في المجتمع السعودي. **المجلة التربوية الدولية المتخصصة**، الجمعية الأردنية لعلم النفس، الأردن. المجلد٤، العدد٩، أيلول ٢٠١٥م، ص٢٣٥-٢٥٧.

١٩- الخيري، طلال بن عقيل (٢٠١٢م). تأثيرات العولمة علىٰ البعد الإنساني في العمل التطوعي وموقف التربية الإسلامية منها .**مستقبل التربية العربية** -مصر، المجلد ١٩، العدد ٧٦، ص١٦٧-٢٠٤.

٢٠- الرباح، عبد اللطيف بن عبد العزيز (٢٠٠٦م). التربية علىٰ العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية "دراسة تأصيلية". بحث منشور في **مجلة دراسات تربوية واجتماعية**- كلية التربية، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية، المجلد ١٢، العدد ٣ يوليو ٢٠٠٦م.

٢١- زاهد، آلاء بنت أحمد (١٤٣٤ه). **العمل التطوعي ودوره في تنمية القيم الاجتماعية لدىٰ الشباب**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة: المدينة المنورة.

٢٢- الزهراني، عبد الله بن محمد (١٤٣١ه). الآثار الإيجابية للأعمال الخيرية "كما يراها الشباب". **مجلة الجامعة الإسلامية** بالمدينة المنورة، السنة ٤٣، العدد ١٥٠، ص٣٨١-٤٧٦.

٢٣- السلطان، فهد بن سلطان (١٤٣٠ه). اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية علىٰ جامعة الملك سعود. بحث منشور في **مجلة**

رسالة الخليج العربي- مكتب التربية لدول الخليج العربي، العدد ١١٢.

٢٤- السيوطي، جلال الدين، والمحلي، جلال الدين (د.ت). **تفسير الجلالين**. القاهرة: دار الحديث.

٢٥- شعيب، مختار (٢٠٠٤م). **الشباب والسياسة في مصر المحروسة**. القاهرة: مركز المحروسة.

٢٦- الشمري، سالم بن سعود (١٤٣٩ه). **التكامل التربوي بين وزارتي التعليم والعمل والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية في تعزيز القيم لدى الأحداث الجانحين في ضوء أهداف التربية الإسلامية "تصور مقترح"**. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.

٢٧- الشهراني، معلوي بن عبد الله (٢٠٠٧م). **العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية.

٢٨- طاهر، رشدي، ورميلة، لعمور (٢٠١٧م). تصور مقترح لتنمية صفات القيادة لدى الشباب الجامعي من خلال ممارسة العمل التطوعي. بحث منشور في **مجلة دراسات جامعة عمار الأغواط**- الجزائر، العدد ٦٠ نوفمبر ٢٠١٧م، ص.ً١٢٦-١٤٢.

٢٩- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (١٤٢٦ه). **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨.

٣٠- عبدالله ، يوسف (٢٠٠٧م). **الإيمان والحياة**. القاهرة: مكتبة وهبة، ط١٦.

٣١- القرطبي، محمد بن أحمد (١٣٨٤ه). **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٣٢- الكيلاني، ماجد عرسان (١٤٣٠ه). **فلسفة التربية الإسلامية**. الأردن: عمان، دار الفتح.

٣٣- لافي، إحسان بنت محمد (٢٠٠٣م). **العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية، جامعة اليرموك: الأردن.

٣٤- المالكي، سمر بنت محمد (٢٠١٠م). **مدىٰ إدراك طالبات الدراسات العليا بجامعة أم القرىٰ لمجالات العمل التطوعي للمرأة في المجتمع السعودي**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ: مكة.

٣٥- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (١٤٢٢ه). **صحيح مسلم**. الرياض: مكتبة الرشد.

Title of The Research

The Educational Implications of Charitable Work in Promoting The Islamic Values: Afield Study on The Students at Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Prepared by: Dr. Naif bin Yousef bin Hamad al-Qadi

Assistant Professor، Department of Foundations of Education، Imam Muhammad bin Saud Islamic University، Riyadh

Abstract

The current research aims to identify the reality of educational implication of charitable work in promoting the Islamic value among students at Imam Muhammed Bin Saud Islamic University through revealing the reality of these implications in promoting the social values، the economical values، and personal values. To achieves the aims of the research، the researcher uses descriptive approach through designing a three pronged questionnaire to measure the educational implications of charitable work in promoting the social values، the economical values، and personal value. It was answered by a simple random sample studied at the

Shari'a college and the fundamentals of religion during the second semester of the academic year 1438/1439 H. The sample size was 435 students. The researcher used repetitions، arithmetical averages، standard deviations، T test، and mono-variance analysis to analyze data collected from the sample.

The results of the research showed that the reality of educational implication of charitable work in promoting the Islamic value was achieved greatly with average (4.06) and the arithmetic averages of the three axes: social values، economic values and personal values (4.20)، (3.72) and (4.34)، respectively. It also revealed that there were statically significant differences at level (.01) about the reality of educational implications of charitable work in promoting the personal values related to collage according to students at Shari'a college. In addition، there were statistically significant differences at the level of (0.01) on the reality of the educational implications of charitable work in promoting the economic values due to the variable of the academic level، in favor of the students in levels I to IV. The results also revealed significant statistical differences on the reality of the educational implications of charitable work in promoting social، economic، and personal values. In the total score of the

questionnaire، the variable number of volunteering was divided between (less than 5 charitable works) 5 to less than 10 charitable works for the category (5 to less than 10 charitable works).

Key Words

Charitable work، volunteer work، educational implications، Islamic values، social values، economic values، personal values، and values.

دور العمل التطوعي الخيري
في مَساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني لدى طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية

الدكتورة

هبة رافع عبيدات

الأستاذ الدكتور

هاني حتمل عبيدات

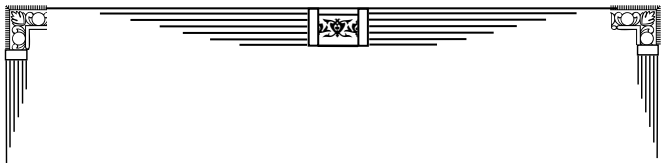

الملخـــــــص

هدفُ الدراسة الحالية التَّعرُّف إلىٰ دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني لدىٰ طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، وقد تم اعتماد المنهجين الوصفي المسحي والنوعي، حيث تم إعداد العديد من المشاريع التطوعية الخيرية التي تم تنفيذها من قبل الطلبة أثناء دراستهم لمساق المسؤولية المجتمعية، ولتنفيذ المنهج الوصفي تم إعداد أداتين للدراسة هما مقياس القيم الاجتماعية ومقياس السلوك المدني وتم التأكد من صدقهما وثباتهما، وقد طبقت هذه المقاييس علىٰ عيِّنة من طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا بلغت (٢٨٠) طالبًا وطالبة ممن يدرسون مساق المسؤولية المجتمعية، ولتنفيذ المنهج النوعي تم توزيع العديد من الأسئلة المفتوحة علىٰ عينة بلغت (٥٠) طالبًا وطالبة، وقد تم تحليل البيانات وَفْقَ منهجية البحث النوعي ستراوس وكوربن وقد أظهرت النتائج أنَّ العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية ساهم في تنمية القيم المجتمعية لدىٰ الطلبة بدرجةٍ كبيرة وبمتوسط حسابيٍّ بلغ (٢.٦٠٤) وانحراف معياري (١.٠٢)، كما ساهم في تنمية السلوك المدنيِّ بدرجة كبيرة، حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢.٥٠٦) والانحراف المعياري (١.٠٥)، كما أظهرت نتائج تحليل بيانات البحث النوعي أن هناك إجماعًا مِن قِبَلِ عيِّنة الدراسة علىٰ أهمية العمل التطوعي الخيري وفوائده، وبأنهم سيستمرون بالقيام بالأعمال التطوعية حتىٰ بعد الانتهاء

من مساق المسؤولية المجتمعية، وبينت النتائج كذلك أن اهم فوائد العمل التطوعي علىٰ المستوىٰ الشخصي من وجهة نظر أفراد الدراسة أنه نمَّىٰ شخصيتهم وزاد من ثقتهم بأنفسهم، وأصبح لديهم شعورٌ بأنهم قادرون علىٰ العطاء. أمَّا الفوائد علىٰ المستوىٰ الاجتماعي فقد كانت بأنَّه أشعرهم بشعور الآخرين ونمَّىٰ لديهم ضرورة التعاون مع الآخرين وعرَّفهم بهموم المجتمع وقضاياه، كما أظهرت النتائج أنه لتفعيل العمل التَّطوعي الخيري يجب تخصيص مساق إجباري يُعْنَىٰ بالعمل التطوعي الخيري داخلَ الجامعة، وأن يكون جانبًا عمليًّا للمساقات يكون الهدف منه تقديم عملٍ تطوعيٍّ خيريٍّ داخل الجامعة والمجتمع كلٌّ حَسَبَ تخصُّصِه، بالإضافة إلىٰ نشر ثقافة العمل التطوعي، كما بينت النتائج أنه من أهم مُعيقات العمل التطوعي الخيري هو أنه يحتاج إلىٰ إمكانات مادِّيَّة، والخجل من القيام بالأعمال التطوعية، وعدم تربيتهم منذ الصِّغَرِ علىٰ العمل التطوعي.

الكلمات المفتاحية:

العمل التطوعي الخيري، المسؤولية المجتمعية، القيم الاجتماعية، السلوك المدني، طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا.

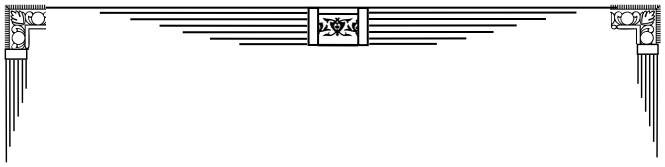

خلفية الدراسة

يُعتبر العمل التطوعي الخيري ظاهرة إنسانية منذ أقدم الحضارات بدأ بصورة فردية من خلال مساعدة الأفراد لبعضهم البعض، وتَحَوَّلَ مع مرور الزمن وتقدُّم المجتمعات إلىٰ صورةٍ جماعيَّةٍ، وتُعَدُّ المشاركة في الأعمال التطوعية الخيرية مطلبًا دينيًّا واجتماعيًّا وحاجةً إنسانيَّةً، وأصبح التَّطوُّع من مؤشرات المواطنة الصالحة الفاعلة والمسؤولة ودليلًا علىٰ مقدار تطور الأمم وتقدُّمها، وهذا يتوجَّب علينا أن نُربِّي أبناءنا تربيةً تقوم علىٰ التَّطوع ومساعدة الآخرين وعمل الخير وكل ما هو من شأنه أن يُسهم في تطوير المجتمعات، وذلك من خلال المناهج والكتب المدرسية والقدوة والأنموذج الإيجابي.

ولقد تعددت تعريفات العمل التطوعي بتعدد الأهداف والفلسفات والفئات المستهدفة من العمل التطوعي، فيرىٰ (morris،2000) أنَّ أيَّ عملٍ غير ربحيٍّ يقوم به أفراد المجتمع لمساعدة بعضهم البعض من أجلِ تقدم مجتمعهم وتنميته. أمَّا (علان ،٢٠٠٨) فيُعرِّفه علىٰ أنه أيُّ عمل يقوم به أفراد المجتمع لمساعدة بعضهم بدافع المسؤولية المجتمعية، والتطوع شرعًا كما يرىٰ (الصفار،٢٠٠٧) بأنه الأعمال والعبادات التي يُحبِّذُها الشرع دون أن تُعَدَّ واجبا علىٰ المكلف، وهي تُعدُّ من النوافل والمستحبات. ويشير (الهطالي ،٢٠١٠) إلىٰ أنَّ العمل التطوعي الخيري دائما يكون في الأعمال النافعة للمجتمع. وتعرفه

(بغدادي،٢٠١٣) علىٰ أنَّه تكريسُ جهدٍ من وقت الإنسان لعمل الخير لفئةٍ محتاجةٍ من البشر دون أي مقابل مادي أو معنوي.

ويرىٰ (أحمد،٢٠١٠) أن هنالك العديد من الأسباب التي تدفع الإنسان إلىٰ العمل التطوعي؛ منها الحصول علىٰ خبرة أو تنمية مهارة أو تعلم حرفة، كما أن هناك العديد من الأسباب منها اجتماعية تهدف إلىٰ تقديم العون والمساعدة للآخرين، وأسباب ذاتية تتعلق بشعور الفرد باحترام ذاته من خلال الأساس باحتياج الآخرين له، وأسباب نفسية تتعلق بالأمن النفسي والراحة النفسية التي تتبع السلوك والعمل التطوعي حيث يشعر الفرد بأنه يخدم الإنسانية.

وللعمل التطوعي العديد من الأشكال، فقد يكون من خلال تطوع الأفراد في جزء من وقتهم لخدمة الآخرين، وقد يكون تطوعًا ماديًّا من خلال تقديم المساعدات للآخرين، وقد يكون تطوُّعًا معرفيًّا من خلال تقديم المعرفة والنُّصح والإرشاد داخل المجتمع (أبو نصر،٢٠٠٧)، بينما يرىٰ (اليوسف،٢٠٠٥) أن أشكال العمل التطوعي تكمن بالمشاركة المعنوية من خلال التعريف بالمشاريع التطوعية ودعمها والدفاع عنها، ويكمن الشكل الآخر بالمشاركة المالية من خلال دعم المشاريع التطوعية بالمال، والشكل الأخير يتمثل بالمشاركة العضوية؛ كأن يكون الفرد عضوًا بالمشاريع التطوعية، وهذا يتطلب الجهد والتضحية بالوقت والتفكير.

ويشير (أبو القمبز،٢٠٠٧) إلىٰ شكلين من أشكال العمل التطوعي الأوَّل: العمل التطوعي الفردي وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسة، وبرغبة منه دون أي مردودٍ ماليٍّ، ويكون نابعًا من طبيعة تربيته الأسرية الاجتماعية والتربوية، أمَّا الشكل الثاني؛ فهو العمل التطوعي المؤسسي وهو أكثر

تقدُّما وتنظيمًا من الشكل السابق وأوسع انتشارا في العالم، ويتم تَبَنِّيه من قِبَلِ مؤسسات العمل التطوعي والجمعيات المختلفة، سواء كانت محلية أو عالمية.

بينما يُقدِّم (الريدي ،٢٠١١) شكلًا جديدًا للعمل التطوُّعيِّ وهو العمل التَّطوعي الخيري الافتراضي والذي يُعدُّ سمةَ القرن الحادي والعشرين، ويكون ذلك من خلال الترويج للعمل التَّطوُّعيِّ عبر مواقع التَّواصل الاجتماعي والتعريف بها، وبيان أهمِّيَّته ومجالاته وأهم الفئات المستهدفة، فمن خلال ذلك نستطيع أن نُنَمِّيَ قيم العمل التطوعي لدىٰ جميع الأفراد في أي مكان وأي وقت.

وللعمل التَّطوعي العديدُ من المجالات تكونُ من خلال الإرشاد وذلك من خلال تعليم العلماء أحكام الدِّين والتعليم المجَّاني لنشر العلم في المجتمع، بالإضافة إلىٰ التكافل الاجتماعي لأنه يَقضي علىٰ الفقر والجهل والمرض، والتعاون الصِّحِّي من خلال علاج المرضىٰ وتقديم الوعي الصِّحِّي بالإضافة إلىٰ الحفاظ علىٰ البيئة من التلوث والدفاع عن حقوق الناس المادية والمعنوية (اليوسف، ٢٠٠٥).

يتَّضح ممَّا سبق أن للعمل التطوعي أشكالًا متعدِّدةً بعضها مادي والبعض الآخر معنوي والبعض عضوي والبعض اجتماعي وافتراضي، وبغضِّ النَّظر عن تنوُّع الأشكال إلَّا أنَّ كلها تهدف إلىٰ تقديم العون والمساعدة للآخرين ونشر الخير والفضيلة.

والعمل التطوعي قديم جدًّا قِدَمَ الإنسان نفسه، فمنذ أن وُجد علىٰ سطح الأرض والناس تسعىٰ لمساعدة وحماية بعضها البعض، وقد دعا ديننُا الحنيف إلىٰ العمل التطوعي في أشكال متعددة، فقد دعا إلىٰ إصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع لحل الخلافات بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ

بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، كما دعا إلىٰ ضرورة إلىٰ التَّكافل الاجتماعي والتعاون لِما فيه خير للأُمَّه وحرصًا علىٰ التَّماسك والتَّآلُف بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة:٢]، كما دعا إلىٰ ضرورة الصدقة والإنفاق في سبيل الله بقوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١] ، كما دعا ديننا الحنيف إلىٰ ضرورة التطوع لخدمة ومساعدة الآخرين بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ﴾ [البقرة:١٨٤].

ويحتل العمل التطوعي أهمية كبرىٰ في القرن الحادي والعشرين ففي الولايات المتحدة الأمريكية ربع السكان ممن تزيد أعمارهم عن (١٦) عامًا يُشاركون في العمل التَّطوُّعي (vin in usa،2014) أمَّا عددُ المشاركين في العمل التَّطوُّعي في الاتحاد الأوروبي فقد وصل إلىٰ (٢٣٪) ممَّن تزيد أعمارهم عن (١٥) عامًا، ويُشكِّل الشباب الجزء الأكبر من المتطوعين في أوروبا الشرقية وإسبانياvesina and Crompton،2012»، أمَّا في الدول العربية فالعمل التطوعي حديث العهد كعملٍ مؤسسيٍّ ضمنَ مؤسسات منظمة وما زالت المبادرات متفرقة، وأغلبها تقتصر علىٰ الأعمال الفردية، وقد أشار (الطويسي،٢٠١١) أن نسبة (٦٨٪) من عينة دراسته في الأردن لديهم ضعف في ثقافة العمل التطوعي المؤسسي، حتىٰ إنَّ العمل التطوعي الفردي في تراجع.

وللعمل التطوعي فوائدُ متنوعةٌ بعضها يعود علىٰ الفرد نفسه والبعض الآخر يعود علىٰ المجتمع، وتكمن أهمية العمل التطوعي في تحقيق الأُلفة والمحبة

والمودة وزيادة التَّرابط والتماسك داخل المجتمع بكافة شرائحه (حماد ،٢٠١١). كما يهدف العمل التطوعي إلىٰ رفع الظلم عن المظلومين، وحماية الأفراد، ونشر الأخلاق والقيم وتعزيز أواصر التكاتف والتعاضد بين أفراد المجتمع المدني، واستثمار طاقة أفراد المجتمع وخاصة الشباب بأعمال إيجابية وتنمية مهاراتهم وروح المبادرة لديهم وإكسابهم مهارات القيادة (الحزيم، ٢٠١٢).

ويشير (يوسف،٢٠٠٦) إلىٰ أن العمل التطوعي يَزيد من ثقة الأفراد بأنفسهم ويُشعرهم بأنهم قادرون علىٰ خدمة مجتمعهم، ويساعدهم علىٰ التعرف علىٰ مشكلات مجتمعهم والمساهمة في حلها، كما يُنَمِّي لديهم العديد من المهارات مثل: مهارة الاتصال والتواصل، واتخاذ القرار، ومساعدة الآخرين، والتعاون، ممَّا يشكل لديهم نوعًا من الإشباع النفسي والاجتماعي لديهم وتنمية الجانب القيمي. أما (نوار،٢٠١٥) فيَعتبر أن نشر ثقافة العمل التطوعي تُسهم في حل مشكلات المجتمع وتعزز الولاء والانتماء لدىٰ الأفراد، وتساعد في بقاء المجتمعات واستقرارها واحتفاظها بهويتها وعاداتها وتقاليدها، وتُعزِّز من الشعور بالواجبات تُجاه مجتمعهم وأمَّتهم.

وللعمل التطوعي العديد من القيم التي تُمَثِّلُ وثيقةً أخلاقية له وتتمثل في "الشفافية، والمساءلة والمحاسبة، وعدم تحقيق منفعة شخصية للأفراد المتطوعين، وعدم السعي نحو تحقيق أرباحٍ شخصية، والمصداقية والثقة واحترام المنتفعين، واحترام استقلالية المنظمات التطوعية" (الحزيم، ٢٠١٢).

وعلىٰ الرغم من أهمية العمل التطوعي، إلَّا أنه ما زالت هذه الثَّقافة غير شائعة بصورة كبيرة كعملٍ مؤسسيٍّ داخلَ مجتمعاتنا، وتواجه العديد من المعيقات فيرىٰ

(الصفار،٢٠٠٧) أنَّ أسباب عزوف أفراد المجتمع عن العمل التطوعي تكمن بالآتي: انشغال الأفراد في تحقيق مصالحهم الخاصة، وتعدد الاهتمامات والانفعالات لدىٰ الأفراد، والقوانين والأنظمة غير المشجعة والمقيدة، والروتين السائد لدىٰ بعض المؤسسات التي تُسبب الإحباط والانزعاج من قبل الرَّاغبين في العمل التطوعي.

ويرىٰ (أحمد،٢٠١٥) أن أسباب ضعف العمل التطوعي الخيري تعود إلىٰ أنَّ سياسة الدولة لا تُشجِّع علىٰ العمل العام، ووجود مُناخِ عدمِ الثقة بين المواطن والدولة وبين المجتمع المدني والدولة، وغياب دور مؤسسات التَّنشئة الاجتماعية والتربوية في إرساء قيم العمل التطوعي الخيري، وخلوِّ المنظمات التطوعية من برامجَ جاذبةٍ للمتطوعين والاهتمام بهم، بالإضافة إلىٰ وجود تشريعاتٍ في بعض الدُّول تُعيق العمل التَّطوُّعي.

أما (زيناهم،٢٠١٦) فيرىٰ أن أهمَّ المعيقات التي تحول دون قيام طلبة الجامعة بالعمل التطوعي هو ضعف الدَّور الذي تقوم به مؤسسات التعليم والإعلام في التوعية بأهمية العمل التطوعي في تنمية المجتمع، وعدم نشر ثقافة التطوع بين الطلبة والتي أصبحت مطلبًا عالميًّا.

والبعض يَعزو سببَ ضعف العمل التطوعي الخيري إلىٰ غياب ثقافة التطوع لدىٰ الكثير من الناس وعدم إدراك الفوائد الإيجابية للعمل التطوعي، وتغليب المصلحة الخاصة علىٰ المصلحة العامة، والتركيز علىٰ قضايا تقليدية في العمل التطوعي وإهمال أمور أساسية تحتاج إلىٰ رعاية واهتمام، والأهم وجود قيادات تقليدية لمؤسسات العمل التطوعي غير قادرة علىٰ التجديد والفاعلية مع المتغيرات المعاصرة (اليوسف،٢٠٠٥).

يتَّضحُ مما سبق أن هنالك العديدَ من العوائق التي تحول دون قيام الأفراد بالعمل التطوعي الخيري بعضها يتعلق بالأفراد أنفسهم والبعض الآخر يَتعلَّق بضعف دور المؤسسات التربوية في غرس قيم العمل التَّطوعي والبعض يتعلق بقيادات العمل التطوعي التقليدية غير القادرة علىٰ مواكبة متطلبات العصر الحالي، والعائق الأخير يتمثل في سياسة الدول غير المشجعة علىٰ العمل التطوعي.

وقد نال موضوع العمل التطوعي اهتمام الباحثين حيث هدفت دراسة (توفيق، ٢٠١٨) إلىٰ التَّعرُّف إلىٰ الأبعاد التربويَّة لعمل المرأة في المجال التطوعي والمعيقات التي تحول دون ذلك ولتحقيق الهدف تم اتِّباع المنهج النوعي من خلال المقابلات الشخصية بهدف تقويم الواقع والإسهام في تطويره، وقد أظهرت النتائج أن للجمعيات التطوعية في سوهاج (مصر) دورًا في تقديم خدمات الرعاية الصِّحِّيَّة وتعليم الكبار والمحافظة علىٰ البيئة وتحفيظ القرآن، بالإضافة إلىٰ عقد ندوات توعوية حول المخدرات والتدخين، كما أظهرت النَّتائج أن أهم المعيقات التي تحول دون عمل المرأة بالعمل التطوعي تتعلق بالجانب الشخصي، ومنها ما هو إداري والبعض اجتماعي والأخير اقتصادي.

وسعت دراسة (العاني وآخرين ،٢٠١٧) إلىٰ الكشف عن دَور الجمعيات الأهلية في تحفيز الشباب للعمل التطوعي بسلطنة عُمان، وذلك من خلال تحليل العائدات الاجتماعية والاقتصادية للعمل التطوعي الذي يقوم به الشباب في الجمعيات الأهلية، وكذلك الكشف عن التسهيلات التي تقدمها هذه الجمعيات لتحفيز الشباب للعمل التطوعي، والقوانين والتشريعات المنظمة للعمل التطوعي للشباب = تمَّ استخدام المنهج النوعي من خلال تصميم بطاقة مقابلة مُقنَّنة لجمع

البيانات، طُبِّقَتْ علىٰ عيِّنة بلغت ٩٠ فردًا يُشكِّلون نسبة (٨٥٪) من المجتمع يُمثِّلون رؤساء الجمعيات الأهلية. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن العائدات الاجتماعية للعمل التَّطوُّعي للشباب تتمثل في توفير فرصٍ لهم لتوظيف طاقاتهم وقدراتهم لِما تُقدِّمُه هذه الجمعيات من برامجَ وورشِ عملٍ تُمَكِّنهم من الانخراط في العمل التَّطوُّعي. أما بالنسبة للعائدات الاقتصادية، فقد أظهرت نتائج الدراسة أنَّها لا تزال منخفضة. كما أظهرت نتائج الدراسة أن هناك عائداتٍ أخرىٰ ترتبط بتنمية المجتمع وفئاته تتمثل بالمسنِّين والأطفال. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك حاجةً إلىٰ تشريعاتٍ تُنظِّم العمل التطوعي وتحفظ حقوق المتطوعين لضمان استمرارية مشاركتهم في العمل التطوعي.

وسعتْ دراسة (زعارير وعبيدات،٢٠١٧) إلىٰ التعرف علىٰ أثر استخدام مشروعات التعلُّم الخَدَمِيِّ في تدريس التربية الوطنية والمدنية علىٰ تنمية التَّحصيل والمسؤولية الاجتماعية لدىٰ طلبة الصف العاشر الأساسي، وبغرض تحقيق هذه الدراسة استخدم المنهج شبه التجريبي، حيث تم تطبيق الدراسة علىٰ عيِّنةٍ من طلاب الصفِّ العاشر مكونةٍ من (٥٠) طالبًا تم توزيعهم علىٰ مجموعتين، إحداهما تجريبية تكونت من (٢٥) طالبًا درست باستخدام إستراتيجية التَّعلُّم الخدمي، وأخرىٰ ضابطة تكونت من (٢٥) طالبًا درست بالطريقة الاعتيادية، وقد أظهرت نتائج الدراسة وجودَ فروقٍ ذات دَلالة إحصائية عند مستوىٰ الدَّلالة ($\alpha = 0.05$) بين متوسطات أداء المجموعة التجريبية، ومتوسطات أداء طلبة المجموعة الضابطة في التحصيل والمسؤولية الاجتماعية لصالح المجموعة التجريبية، وقد خلصت الدراسة إلىٰ عددٍ من التوصيات ركَّزت علىٰ ضرورة تضمين مشاريع التعلُّم الخدمي في كتب التربية الوطنية والمدنية؛ لِما لها من أثر في

تنمية حسِّ المسؤولية لدىٰ الطالب وتنمية التحصيل، بالإضافة إلىٰ عقد دورات تدريبية لمعلمي التربية الوطنية والمدنية علىٰ كيفية تنفيذ مشاريع التعلم الخدمي.

وهدفت دراسة (المزين ،٢٠١٦) إلىٰ معرفة اتجاهات العمل التطوعي في الجامعات الفلسطينية، في ضوء بعض المتغيرات، وتم استخدم المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة (٣٠٩) من الطلاب، واستخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلىٰ النتائج الآتية: بلغ متوسط درجة الاستجابة الكلي لمجالات الاستبانة جميعها لدىٰ عينة الدراسة (١.٩٣) في حين بلغ الوزن النسبي لمجالات الاستبانة جميعها (٣٨.٨٢٪) وبلغ الوزن النِّسبي لمجال المجالات التطوعية التي يرغب الشباب الجامعي المشاركة فيها (٤٤.٦٣٪)، يليه درجة ممارسة الشاب الجامعي للعمل التطوعي بوزن نسبي (٣٧.٢٠٪)، وأخيرًا الفوائد التي يتوقعها الشاب الجامعي جرَّاء مشاركتهم في العمل التَّطوعي بوزن نسبيٍّ (٣٤.١٥٪). كما تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوىٰ دلالة ($a<0.05$) بين متوسطات تقدير عينة الدراسة لاتجاهاتهم نحو العمل التطوعي تُعْزَىٰ لمتغيرات: (الجنس، التخصص، والجامعة) في الدرجة الكلية للاستبانة.

وقام (الزيود والكبيسي،٢٠١٤) بدراسة للتعرف علىٰ اتجاهات طلبة جامعة البتراء في الأردن نحو العمل التطوعي، وقد تمَّ اتِّباع النهج الوصفي من خلال توزيع استبانة علىٰ عينة من الطلبة بلغت (٣٢٠) طالبًا وطالبةً، وقد خلصت الدراسة إلىٰ أن اتجاهات طلبة الجامعة نحو العمل التطوعي جاءت بدرجة مرتفعة، كما تبين أن هدفهم من العمل التطوعي هو خدمة المجتمع وتنميته والمساهمة في حل مشكلاته، وقد احتل الجانب الصحي المرتبة الأولىٰ في العمل

التَّطوعي ثم المجال البيئي، وأبرزت النتائج أنَّ أهم عائق للعمل التَّطوعي هو الجانب الاقتصادي.

وسعت دراسة جيج (Gage،2013) إلىٰ معرفة دوافع المتطوعين لدىٰ عينة من طلبة جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية، وقد تم استخدام المنهج الوصفي من خلال تصميم استبانة طُبِّقَت علىٰ عينة مؤلفة من (٣٤٠) طالبا، وقد أظهرت النتائج أن غالبية عينة الدراسة يمارسون العمل التطوعي، وأن هناك دورًا كبيرًا للأسر وللمعلمين في تشجيع الطلبة علىٰ الانخراط في العمل التطوعي وترغيبهم به، كما تبين أن أهم دوافع العمل التطوعي هي مساعدة الآخرين.

وأجرىٰ لوبنج (luping،2011) دراسة في الصِّين هَدَفَت إلىٰ التَّعرف علىٰ مستوىٰ دافعية طلبة الجامعة للمشاركة في الأعمال التَّطوعية في المجتمع، ولتحقيق الهدف تم اتباع المنهج النوعي وذلك من خلال أسلوب المقابلة الشخصية أو من خلال برامج التواصل الاجتماعي، وقد بلغت عينة الدراسة (٢٤)(طالبًا وطالبة من جامعة بيجنغ، وقد أظهرت النتائج أهم دوافع الطلبة للعمل التطوعي هي شعورهم بالمسؤولية المجتمعية من خلال تقديم العون والمساعدة لمن يحتاج ذلك، كما أن هناك أسبابًا أخرىٰ هو شعورهم بالسعادة والسرور أثناء مساعدة الآخرين ورغبتهم بقضاء أوقاتهم بأشياءَ مفيدةٍ.

تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها لموضوع العمل التطوعي، إلا أنها تختلف عنها بالآتي:

- الكشف عن دور العمل التطوعي الخيري في تنمية القيم الاجتماعية والسلوك المدني.

- الكشف عن أهمية العمل التطوعي بالنسبة للأفراد والمجتمع.
- الكشف عن أهم عوائق العمل التطوعي.

لكل ما سبق تُعد الدراسة الحالية إضافةً نوعية إلىٰ الدراسات السابقة.

❁ مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يعتبر العمل التطوعي من سمات الإنسانية في كل زمان ومكان، ويمكن أن يقوم به أي شخص حَسَبَ إمكاناته وقدراته، وعلىٰ الرغم من إيجابيات العمل التَّطوعي الخيري إلا أن هنالك عزوفًا من قِبَلِ أفراد المجتمع للقيام به إما لأسباب شخصية أو اجتماعية أو اقتصادية، وهذا ما أشارت إليه دراساتٌ عديدة منها (توفيق، ٢٠١٨؛ الزيود والكبيسي، ٢٠١٤؛ وزيناهم، ٢٠١٦ وغيرهم)، وقد لوحظ من خلال تدريس مساق المسؤولية المجتمعية أن إقبال الطلبة علىٰ العمل التطوعي كان بدرجةٍ كبيرةٍ وكان له انعكاسات علىٰ مشاريعهم وتحصيلهم، ونظرا لهذه الأهمية جاءت الدراسة الحالية للكشف عن دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني لدىٰ طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.

وتحاول الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية لدىٰ الطلبة؟

٢- ما دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية السلوك المدني لدىٰ الطلبة؟

٣- ما أثر العمل التطوعي الخيري علىٰ تنمية الشخصية المتكاملة للطلبة من وجهة نظرهم؟ ومعيقات تنفيذه؟

❁ أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلىٰ أنها:

- تتناول الدراسة الحالية إحدىٰ أهم المواضيع المتجددة في المجتمع وهو العمل التطوعي الخيري، وهي من الدراسات القليلة التي تناولت هذا الموضوع.

- يمكن أن يستفيد منها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والجامعات من خلال التعرف علىٰ دور العمل الخيري التطوعي في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني.

- ضرورة اعتماد الجامعات العملَ التطوعي الخيري كمساق إجباري ومتطلب للتخرج لتنمية القيم الإيجابية لدىٰ الطلبة.

- يمكن أن يستفيد من نتائجها المسؤولون في وزارة التربية والتعليم من خلال تضمين الأعمال التطوعية الخيرية ضمن المناهج والكتب المدرسية.

❁ التعريفات الإجرائية:

- العمل التطوعي الخيري: ويُقصد به الأعمال التطوعية التي يقوم بها الطلبة كمتطلَّب للنجاح في مساق المسؤولية المجتمعية ويُخصص لها (٢٠"٪) من علامات المساق وتكون من خلال مشاريع خدمية يقوم بها الطلبة للجامعة والمجتمع؛ مثل: (مشروع حلاوة الدنيا لمرضىٰ السرطان، ومشروع أسوة وتتمثل

بتقديم دورة عن الإسعافات الأولية للمدارس، ومشروع بسمة لدعم الأيتام، ومشروع لتنظيف وخدمة المسجد وتقديم المصاحف، ومشروع فزعتنا وفيه تم تعليم اللغة العربية للطلبة الأتراك في الجامعة والتبرع بالدم لمرضىٰ السرطان، ومشروع التكية من خلال توزيع طرود الخير علىٰ الفقراء والمحتاجين، ومبادرة شغف تم من خلالها عمل فطور جماعي وتقديم هدايا للأطفال المعاقين، وفريق إنسان تم توزيع هدايا علىٰ أطفال التَّوحد، ومبادرة كبارنا بركتنا وتم من خلالها زيارة كبار السن في دار البر لرعاية كبار السن).

- مساق المسؤولية المجتمعية: هو أحد مساقات جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية الاختيارية، والذي يهدف إلىٰ تنمية قيم المسؤولية المجتمعية لدىٰ طلبة الجامعة.

- القيم الاجتماعية: ويقصد بها ما يتصف به طلبة الجامعة من قيم إيجابية تم اكتسابها وتمثلها أثناء القيام بالعمل التطوعي الخيريِّ ضمن مساق المسؤولية المجتمعية وتتمثل بالتعاون، والألفة والمحبة، والإيثار، ومساعدة الآخرين، وحب الآخرين، والشعور بالآخرين، وإغاثة الملهوف، وحس المسؤولية، والتَّواصل الاجتماعي، والمحافظة علىٰ الممتلكات العامة، والانتماء، وزيارة المرضىٰ، والرقابة الذاتية، والتكافل الاجتماعي، والتسامح، والإخلاص في العمل، والمساهمة في حلِّ مشكلات المجتمع، وقبول الآخرين وتقديرهم، والمحافظة علىٰ النظام، والتعايش مع الآخرين.

- السلوك المدني: ويُقصَدُ به الأفعال والممارسات الإيجابية التي يقوم بها الطلبة وتهدف إلىٰ رقي مجتمعهم وتطوره.

- جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية: هي إحدىٰ الجامعات الأردنية

الحكومية وتقع في شمال المملكة الأردنية الهاشمية.

❁ محددات الدراسة:

– اقتصرت الدراسة الحالية علىٰ طلبة مساق المسؤولية المجتمعية في جامعة العلوم والتكنولوجيا للعام الدراسي (٢٠١٧-٢٠١٨)، الأمر الذي يُحِدُّ من تعميم النتائج خارج مجتمع الدراسة.

- يتحدد تعميم النتائج علىٰ أدوات الدراسة ومدىٰ صدقها وثباتها.

الطريقة والإجراءات:

❁ منهج الدراسة:

تم اعتماد كلٍّ من المنهج الوصفي المسحي والمنهج النوعي لمناسبتهم لتحقيق أهداف الدراسة.

❁ عينة الدراسة:

تألفت عينة الدراسة من (٢٨٠) طالبا وطالبة ممن يدرسون مساق المسؤولية المجتمعية. وقد تم اختيارهم بالطريقة القصدية نظرًا لقرب العينة من مركز عمل الباحثين، ولإظهار العيِّنة التعاون في تطبيق أداة الدراسة.

❁ أدوات الدراسة:

تألَّفت أدوات الدراسة الحالية من:

١- مقياس القيم الاجتماعية:

تم إعداد مقياس القيم الاجتماعية وَفْقَ الخطوات الآتية:

١- تحديد أهداف وأغراض بناء المقياس، وتتمثل بقياس القيم الاجتماعية لدىٰ الطلبة.

٢- تم مراجعة الأدب السابق، والأبحاث والدراسات، والدوريات، والكتب ذات العلاقة في مجال القيم الاجتماعية مثل (الجلاد،٢٠٠٧؛ دحمان،٢٠١٢؛ علي،٢٠١١؛ حمود،٢٠١١؛ الثقفي وآخرون،٢٠١٣؛ عبدالحميد وآخرون، ٢٠١٥).

٣- تم التوصل إلىٰ مجموعة من القيم الاجتماعية الواجب توافرها لدىٰ الطلبة.

٤- تم وضع تدرج ثلاثي لكل فقرة من فقرات المقياس، للحكم علىٰ الفقرات بالشكل المناسب.

٥. بلغ عدد فقرات المقياس بصورته الأولية (٢٢) فقرة.

❁ صدق المقياس:

تم التأكد من صدق المقياس بعرضه علىٰ مجموعه من المُحكّمين المُختصين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية تخصص مناهج دراسات اجتماعية، وعلم اجتماع، وعلوم سياسية؛ لإبداء الرأي في مدىٰ ارتباط القيم بالهدف المراد قياسه، ومدىٰ تغطية بنود المقياس لجميع القيم، وإبداء رأيهم في القيم وتقديم مقترحات بالحذف والاضافة، وبعد التحكيم أصبح المقياس جاهزًا بصورته النهائية للتطبيق مؤلفًا من (٢٠) قيمة، وقد تم اعتماد تدرج ليكرت الثلاثي لتصحيح أداة الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة

واحدة من بين درجاته الثلاث: (كبيرة، متوسطة، ضعيفة) وهي تمثل رقميًّا (٣، ٢، ١) علىٰ الترتيب.

❁ ثبات أداة الدراسة: القيم الاجتماعية:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق الاختبار، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين علىٰ عيِّنة من خارج عينة الدراسة ومن داخل مجتمعها مكوَّنة من (٢٠) طالبا وطالبة من ممن يدرسون مساق المسؤولية المجتمعية، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين اذ بلغ .٠.٩١

٢- مقياس السلوك المدني:

تم إعداد مقياس السلوك المدني وَفْقَ الخطوات الآتية:

١- تم تحديد أهداف وأغراض بناء المقياس وتتمثل بقياس مهارات السلوك المدني عند الطلبة.

٢- مراجعة الأدب السَّابق، والأبحاث والدراسات، والدوريات، والكتب ذات العلاقة في مجال السلوك المدني مثل (Bennett،2005)؛ بند حمان ،٢٠١٣؛ Amadu and Moses،2014).

٣- تم التوصل إلىٰ مجموعة من الأهداف والغايات والمواقف لمهارات السلوك المدني وتم إعداد قائمة ببنود قياس مهارات السلوك المدني بلغت بصورتها الأولية (٢٠) فقرة.

❁ صدق المقياس: السلوك المدني:

تم التأكد من صدق المقياس بعرضه علىٰ مجموعة من المُحكّمين المُختصين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية تخصص مناهج دراسات اجتماعية، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية؛ لإبداء الرأي في مدىٰ ارتباط المهارات بالمقياس، ومدىٰ تغطية بنود المقياس لجميع المهارات موضوع القياس، والتأكد من وضوح المفردات وملائمة صياغة الفقرات وبعد التحكيم أصبح المقياس جاهزًا بصورته النهائية للتطبيق مؤلفًا من (١٦) فقرة، تم اعتماد تدرج ليكرت الثلاثي لتصحيح أداة الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين درجاته الثلاث: (كبيرة، متوسطة، ضعيفة) وهي تمثل رقميًّا (٣، ٢، ١) علىٰ الترتيب.

ثبات أداة الدراسة: السلوك المدني:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق الاختبار، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين علىٰ عينة من خارج عينة الدراسة ومن داخل مجتمعها مكوّنة من (٢٠) طالبًا وطالبة ممن يدرسون مساق المسؤولية المجتمعية، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين إذ بلغ ٠.٨٩.

٤- أداة المقابلة:

❁ لتحقيق أهداف الدراسة تم اتباع الخطوات الآتية:

١-الاعتماد علىٰ طرح أسئلة مفتوحة علىٰ الطلبة الذين يدرسون مساق المسؤولية المجتمعية وتنص: ما رأيك بالعمل التطوعي الخيري؟ والسؤال الثاني:

هل استفدت من العمل التطوعي الخيري؟ أمَّا السؤال الثالث فنصُّه: ما إيجابيات العمل التطوعي الخيري؟ السؤال الرابع: لو طلب منك القيام بعمل تطوعي خيري بعد الانتهاء من دراسة المساق هل ستقوم بذلك، ولماذا؟ السؤال الخامس: ما مقترحاتك لتفيل العمل التطوعي الخيري في الجامعات؟ ما معيقات العمل التوعي الخيري؟ وقد تم عرض الأسئلة علىٰ مجموعة من المحكمين للحكم علىٰ مدىٰ تحقيق الأسئلة للهدف من الدراسة، والتأكد من صدق الأداة.

٢-تم توزيع الأسئلة علىٰ صورة أسئلة مفتوحة للإجابة عليها علىٰ عينة من الطلبة بلغت (٥٠) طالبا وطالبة، وبعد الحصول علىٰ إجابات الطلبة تم تحليل الإجابات وَفق منهجية البحث النوعي كما جاءت عند ستراوس وكوربن (strauss&corbin،1998)،

وذلك وفق الخطوات الآتية:

- قراءة كل ورقة لوحدها بطريقة متأنية ناقدة ولعدة مرات، ولكل جملة يتم تدوينها وذلك لهدف استخلاص الأفكار والسمات المتضمنة في بيانات الإجابات.

- تجزئة البيانات؛ أي القيام بالترميز المفتوح، حيث تم ترميز الأفكار والسمات التي تم ذكرها من قبل أفراد العينة، ووضعها بصورة منظمة كما وردت في الإجابات.

- القيام بعملية الترميز المحوري، وذلك من خلال قراءة الأفكار الموجودة في الترميز المفتوح، والتوصل من خلالها إلىٰ سمات وخصائص عامة تندرج

ضمنها هذه الأفكار، وبعد التوصل إلىٰ المجالات الرئيسة تم وضع الأفكار فرعية ضمنها للتوصل إلىٰ السِّمات العامة وإخراجها بصورة نهائية. وحرص الباحثان علىٰ أن تكون السِّمات الفرعية كما هي مكتوبة في الإجابة.

❁ إجراءات الدراسة:

لتَحقيق أهداف الدراسة، تم اتباع الإجراءات التالية:

١- تحديد مشكلة الدراسة وأسئلتها.

٢- الاطِّلاع علىٰ الأدب النَّظري والدِّراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، من أجل بناء الأدوات.

٣- تحديد مشاريع العمل التطوعي لمساق المسؤولية المجتمعية علىٰ النَّحو الآتي: (مشروع حلاوة الدنيا لمرضىٰ السرطان، ومشروع أسوة وتتمثل بتقديم دورة عن الإسعافات الأولية للمدارس، ومشروع بسمة لدعم الأيتام، ومشروع لتنظيف وخدمة المسجد وتقديم المصاحف، ومشروع فزعتنا وفيه تم تعليم اللغة العربية للطلبة الأتراك في الجامعة والتبرع بالدم لمرضىٰ السرطان، ومشروع التكية من خلال توزيع طرود الخير علىٰ الفقراء والمحتاجين، ومبادرة شغف تم من خلالها عمل فطور جماعي وتقديم هدايا للأطفال المعاقين، وفريق إنسان تم توزيع هدايا علىٰ أطفال التَّوحد، ومبادرة كبارنا بركتنا وتم من خلالها زيارة كبار السن في دار البر لرعاية كبار السن).

٤- تنفيذ المشاريع من خلال العمل في مجموعات وتوزيع الطلبة علىٰ المجموعات حسب رغبة الطالب في المشروع سواء داخل الجامعة أو خارجها.

٥- تم تحديد محاضرات عملية مخصصة ضمن مساق المسؤولية

المجتمعية لاجتماع الطلبة فيها وتقسيم العمل فيما بينهم ووضع خطة للعمل وتحديد أيام تنفيذ المشاريع.

٦- تم تنفيذ المشاريع بصورة عملية علىٰ أرض الواقع وتصوير مشاريع العمل التطوعي من خلال أجهزة تصوير حديثة وتحت إشراف أحد الباحثين.

٧- في نهاية الفصل تم عرض مشاريع العمل التطوعي التي تم تنفيذها علىٰ شكل فيديو قصير تضمن رؤية كل مجموعة للعمل والأهداف والعمل الذي قاموا به موثقا بالصوت والصورة.

٨-تم تطبيق أدوات الدراسة علىٰ عينة الدراسة خلال العام الدراسي (٢٠١٧/ ٢٠١٨).

٩-تم جمع البيانات وتفريغها ثم تحليلها وتفسيرها وتقديم التَّوصيات.

❁ المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن السؤالين الأول والثاني فقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياري.

❁ نتائج الدراسة ومناقشتها:

السؤال الأول ونصه: ما دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية لدىٰ الطلبة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة وللفقرات جميعها، والجدول رقم (١) يوضح ذلك:

جدول (١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية
لكل فقرة وللفقرات مجتمعة مرتبة تنازليًّا:

الرقم	القيم الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	مشاركتي في العمل التطوعي نمَّت لدي قيمة التعاون مع الآخرين	٢.٩١	٠.٩٠
٢	العمل التطوعي الخيري ولَّد لدي الألفة والمحبة للآخرين	٢.٨٦	٠.٩٢
٣	العمل التطوعي الخيري نمىٰ لدي قيمة الإيثار	٢.٨٣	٠.٨٨
٤	العمل التطوعي الخيري جعلني اساعد الآخرين	٢.٨٢	٠.٩٨
٥	العمل التطوعي الخيري جعلني أشعر بحب الآخرين	٢.٨١	١.٠٥
٦	العمل التطوعي الخيري جعلني أشعر بمشاكل الآخرين ومعاناتهم	٢.٧٧	١.٠١٦
٧	العمل التطوعي الخيري عرَّفني معنىٰ إغاثة الملهوف	٢.٧٦	١.٠٢

الرقم	القيم الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٨	العمل التطوعي الخيري نمَّىٰ لديَّ الإحساس بمسؤوليتي تُجاه مجتمعي	٢.٧١	١.٠٣
٩	العمل التطوعي الخيري زاد من مهارات التواصل الاجتماعي لديَّ	٢.٦٥	١.٠١
١٠	العمل التطوعي الخيري جعلني أدرك أهمية المحافظة علىٰ الممتلكات العامة	٢.٦٤	١.٠٤
١١	العمل التطوعي الخيري نمَّىٰ لديَّ الانتماء لجامعتي ومجتمعي ووطني	٢.٦٣	١.١٧
١٢	العمل التطوعي الخيري جعلني أدرك أهمية عيادة المرضىٰ	٢.٦٠	١.٠٧
١٣	العمل التطوعي الخيري ولَّد لديَّ الرَّقابة الذاتية في شؤون حياتي	٢.٥٧	١.١٨
١٤	العمل التطوعي الخيري بيَّن لي أهمية التكافل الاجتماعي	٢.٤٤	١.١١
١٥	العمل التطوعي الخيري أكسبني التسامح مع الآخرين	٢.٤١	١.٠٥
١٦	العمل التطوعي الخيري علمني ضرورة الإخلاص في العمل	٢.٣٩	١.٠٩

الرقم	القيم الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١٧	من خلال العمل التطوعي الخيري ساهمت في حل مشكلات المجتمع	٢.٣٦	١.٠٢
١٨	العمل التطوعي الخيري أكسبني قيمة قبول الآخرين وتقديرهم	٢.٣٣	٠.٩٩
١٩	من خلال العمل التطوعي الخيري تعلمت أهمية المحافظة علىٰ النظام	٢.٣١	١.١٢
٢٠	من خلال العمل التطوعي تعلمت قيمة التعايش مع الآخرين	٢.٢٨	١.٠٥
	المجموع	٢.٦٠٤	١.٠٢

يتَّضح من الجدول (١) أن المتوسط الحسابي لدرجة إكساب العمل التطوعي الخيري للقيم الاجتماعية بصورة مجتمعة بلغ (٢.٦٠٤) وانحراف معياري (١.٠٢) وهذا يَعني أن درجة تنمية العمل التطوعي الخيري للقيم الاجتماعية جاء بدرجة كبيرة. وقد يعود السبب في ذلك إلىٰ طبيعة مشاريع العمل التطوعي التي تم تنفيذها من قبل الطلبة والتي تُسهم بدرجة كبيرة في إكساب الطلبة القيم الاجتماعية المتنوعة من قيم التعاون والألفة والمحبة والإيثار ومساعدة الآخرين، أو قد يعود سبب ذلك إلىٰ طبيعة تنفيذ مشاريع العمل التطوعي العملية التي جعلت الطلبة يختلطون بفئات مختلفة من المجتمع من كبار السن والفقراء ومرضىٰ السرطان وأطفال التَّوحد وغيرهم مما ولَّد الشعور

لدىٰ الطلبة بمجتمعهم، ونمَّىٰ لديهم المسؤولية المجتمعية وجعلهم يُدركون ضرورة مشاركة الآخرين والإحساس بهم والتعايش معهم والشعور بمشاكلهم ومحاولة الوصول إلىٰ حلول لها. وتتفق هذه النتيجة مع ما يشير إليه كل من (يوسف،٢٠٠٦؛ ونوار،٢٠١٥؛ وحماد،٢٠١١؛ والحزيم،٢٠١٢).

السؤال الثاني ونصه: ما دور العمل التطوعي الخيري في مساق المسؤولية المجتمعية في تنمية السلوك المدني لدىٰ الطلبة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة وللفقرات جميعها، والجدول رقم (٢) يوضح ذلك:

جدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية
لكل فقرة وللفقرات مجتمعة مرتبة تنازليًّا

الرقم	مهارات السلوك المدني	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	أحافظ علىٰ الممتلكات العامة	٢.٧٩	١.٠٥
٢	أشارك في حملات العمل التطوعي الخيري باستمرار	٢.٦٩	٠.٩٩
٣	أخصص جزءًا من وقتي للعمل التطوعي الخيري	٢.٦٤	١.٠٢

الرقم	مهارات السلوك المدني	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٤	أنشر ثقافة مساعدة الآخرين	٢.٦٢	٠.٩٧
٥	ألتزم بالقوانين والانظمة	٢.٥٨	١.٠٦
٦	أحارب العنف المجتمعي والجامعي	٢.٥٧	١.٠٢
٧	أحرص علىٰ تحقيق التكافل الاجتماعي	٢.٥٣	١.٠١
٨	أحترم حقوق الآخرين	٢.٥١	٠.٩٥
٩	أتقبل آراء الآخرين	٢.٤٨	١.٠٨
١٠	أحافظ علىٰ هويتي الإسلامية	٢.٤٦	١.٠٧
١١	أعطف علىٰ الفقراء والمساكين وصغار السن	٢.٤٣	١.٠٢
١٢	أساعد كبار السن	٢.٤٠	٠.٩٦
١٣	أشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم	٢.٣٧	١.١٢
١٤	أحرص علىٰ المشاركة في العمل التَّطوعي الخيري داخل الجامعة	٢.٣٥	١.١٠
١٥	أشارك بعضوية الجمعيات الخيرية التطوعية	٢.٣٤	١.٠٦
١٦	أقدم حلولًا لبعض المشاكل الاجتماعية	٢.٣٤	١.٠٤
	المجموع	٢.٥٠٦	١.٠٥

يتضح من الجدول (٢) أن المتوسط الحسابي لدرجة إكساب العمل التطوعي الخيري للسلوك المدني بصورة مجتمعة بلغ (٢.٥٠٦) وانحراف معياري (١.٠٥)، وهذا يَعني أن درجة تنمية العمل التطوعي الخيري للسلوك المدني جاء بدرجة كبيرة، وقد يعود السبب في ذلك إلىٰ أن قيام الطلبة بمشاريع العمل الخيري التطوعي نمَّىٰ لدىٰ الطلبة السلوكيات الإيجابية للتعامل مع أنفسهم والآخرين داخل الجامعة والمجتمع وبالتَّالي ظهرت هذه السلوكيات من خلال مساعدة الآخرين وتقديم الهدايا، وتنظيف المساجد، وزراعة الأشجار، وزيارة المرضىٰ، جميع هذه السلوكيات حركت الجوانب الوجدانية لدىٰ الطلبة وأكسبتهم السلوك الإيجابي.

٥- السؤال الثالث: ما اثر العمل التطوعي الخيري علىٰ تنمية الشخصية المتكاملة للطلبة من وجهة نظرهم؟ ومعيقات تنفيذه؟

للإجابة عن هذا السؤال فقد تم توزيع أسئلة مفتوحة علىٰ الطلبة للإجابة عليها، وقد تم تحليل النتائج وَفق منهجية ستراوس وكوربن المستخدمة في تحليل الأبحاث النوعية وقد أظهرت نتائج التحليل الآتي:

أ- **تبين أن هناك إجماعًا من قِبَلِ عينة الدراسة علىٰ أهمية العمل التطوعي الخيري وفوائده،** وبأنهم سيستمرون في القيام بالأعمال التطوعية حتىٰ بعد الانتهاء من مساق المسؤولية المجتمعية، ومن الاقتباسات التي ذكرتها عينة الدراسة حول أهمية العمل التطوعي:

١-اقتباسات تتعلق بأهمية العمل التطوعي الخيري علىٰ المستوىٰ الشخصي:

- "العمل التَّطوعي نمَّىٰ شخصيتي".

- "زاد من ثقتي بنفسي".
- "أشعرني العمل التطوعي الخيري بأنني إنسان قادر علىٰ العطاء".
- "العمل التَّطوعي الخيري حرَّك مشاعري تُجاه الآخرين".
- "أشعرني بأني عنصر فاعل في مجتمعي".
- "عدَّل لدي بعض السلوكيات الخاطئة".
- "أشعرني بالسعادة".
- "أكسبني مهارات حياتية متنوعة".
- "جعلني أتقبل الآخرين وأنفتح عليهم".

٢-اقتباسات تتعلق بأهمية العمل التطوعي الخيري علىٰ المستوىٰ الاجتماعي:

- "جعلني العمل التطوعي الخيري أشعر بشعور الآخرين".
- "عرَّفني بهموم ومشاكل أفراد المجتمع".
- "أشعرني بالآخرين".
- "علَّمني ضرورة التعاون مع الآخرين".
- "بين لي أنني يمكن أن أسهم في بناء المجتمع".
- "أدخلت من خلال العمل التطوعي الخيري البهجة والسرور علىٰ نفوس الآخرين".
- "قرَّبني من أبناء مجتمعي".

- "شجعني علىٰ الانخراط مع جميع أطياف المجتمع".
- "عرَّفني أهمية العمل التطوعي الخيري في تقدُّم المجتمع".
- "أصبحت أدرك مسؤوليتي تُجاه مجتمعي".

ب_ اقتباسات من آراء عيِّنة الدراسة حول تفعيل العمل التطوعي داخل الجامعة والمجتمع:

- "تخصيص مساق إجباري يُعنىٰ بالعمل التطوعي داخل الجامعي".
- "أن يكون جانبًا عمليًّا للمساقات يكون الهدف منه تقديم عمل تطوعي خيري داخل الجامعة والمجتمع كلٌّ حَسَبَ تخصُّصِه؛ فمثلا طلبة كلية الطب يقومون بحملات توعوية في المجتمع للتوعية الصحية وهكذا بالنسبة لبقية التخصصات".
- "أن يكون العمل التطوعي الخيري متطلب تخرج للطالب بحيث يقدم ما يثبت بأنه خدم جامعته ومجتمعه بعدد معين من الساعات خلال فترة دراسته".
- "قيام عمادة شؤون الطلبة بعمل أنشطة تطوعية لتحفيز الطلبة علىٰ العمل الخيري التطوعي".
- "نشر ثقافة العمل التطوعي الخيري من خلال المساقات الدراسية المتنوعة".
- "أن تتبنىٰ الجامعات مبادرات للعمل التطوعي الخيري يتم من خلالها انخراط الشباب الجامعة فيها".

ج- اقتباسات من آراء عيِّنة الدراسة حول معيقات العمل التطوعي الخيري داخل الجامعة والمجتمع:

- "العمل التطوعي الخيري يحتاج إلىٰ إمكانات مادية كثيرة".
- "لم نُرَبَّ علىٰ ثقافة العمل التطوعي الخيري".
- "البعض ينظر إلىٰ العمل التطوعي نظرة سلبية، وأن الهدف منه المكاسب المالية أو الشهرة".
- "ثقافة العمل التطوعي الخيري ضعيف في مجتمعاتنا".
- "أخجل أثناء القيام بالعمل التطوعي الخيري".
- "لا يوجد دعم معنوي للعاملين بالعمل التطوعي الخيري".
- "أعتبر أن العمل التطوعي مضيعة لوقتي".
- "عدم وجود وقت فراغ كاف للقيام بالعمل التطوعي".
- "أشعر بأنني غير قادر علىٰ العمل التطوعي؛ حيث إنني لا أمتلك المهارات اللازمة للقيام به".

❁ التوصيات:

بناءً علىٰ نتائج الدراسة يُوصي الباحثان بالآتي:

١- تشير النتائج أن للعمل التطوعي الخيري دورًا في تنمية القيم الاجتماعية والسلوك المدني؛ لذا نوصي بضرورة تفعيل العمل التطوعي ضمن المساقات الدراسية المتنوعة.

٢- ضرورة نشر ثقافة العمل التطوعي الخيري ضمن المناهج والكتب الدراسية في مراحل التعليم العام والجامعي لأهميته بالنسبة للأفراد والمجتمع.

٣-تبني الجامعات ثقافة العمل التطوعي الخيري ضمن الأنشطة السنوية المعتمدة لديها.

المراجع العربية

١- أبو القمبز، محمد (٢٠٠٧) جدد شبابك بالتطوع.دار نشر الصياد.

٢- أبو النصر، مدحت (٢٠٠٧) إدارة منظمات المجتمع المدني. القاهرة: مترك للطباعة والنشر.

٣- أحمد، فتحي عز الدين (٢٠١٥). دليل العمل التطوعي. بغداد: منشورات (USAID).

٤- بغدادي، مروة (٢٠١٣) دور الدوافع والاتجاهات في نجاح العاملين بالعمل التطوعي. مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، العدد (٢٧).

٥- بندحمان، جمال (٢٠١٣) المواطنة المسؤولة. المغرب: المعهد العربي للتنمية والمواطنة.

٦- توفيق، فيفي (٢٠١٨) الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعي. دراسة ميدانية في محافظة سوهاج، المجلة التربوية، العدد (٥٢) ،٢٤٢-٣٤٨.

٧- الثَّقفي، عبدالله، والحموري، خالد، وعصفور ،قيس (٢٠١٣). القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتفكير التأملي لدى طالبات قسم التربية الخاصة المتفوقات أكاديميا والعاديات في جامعة الطائف. المجلة العربية لتطوير التفوق، العدد (٦) ٥٣-٧٠.

٨- الجلاد، ماجد (٢٠٠٧). تعليم القيم وتعلمها. عمان: دار المسيرة.

٩- الحزيم، يوسف (٢٠١٢) قوة التطوع. السعودية: مركز الأميرة العنود لتطوير الشباب، وارف.

١٠- حماد، نافذ (٢٠١١). العمل التطوعي ومجالاته في السنة النبوية. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة دراسات إنسانية)، ١٩(١)، ٣٩-٧٦.

١١- حمود، فريال (٢٠١١) منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية لدىٰ طلبة المرحلة الثانوية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق.

١٢- دحمان، زيرق (٢٠١٢)، دور المدرسة القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية للتلميذ. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة خضر بسكرة، الجزائر.

١٣- الريدي، آلاء (٢٠١١). الإنترنت ثورة حديثة في دفع العمل الخيري التطوعي إلىٰ مجالات أرحب. المركز الدولي للأبحاث والدراسات، مداد.

١٤- زعارير، محمد، وعبيدات، هاني (٢٠١٧) أثر استخدام مشاريع التعلم الخدمي في تدريس التربية الوطنية والمدنية علىٰ تنمية التحصيل والمسؤولية الاجتماعية لدىٰ طلبة الصف العاشر الأساسي، مجلة الجامعة الاسلامية غزة، ٢٥(٢)،١٢٣-١٣٦.

١٥- زيناهم، محمد (٢٠١٦) تصور مقترح لتفعيل دور الجامعة في تنمية ثقافة العمل التطوعي لدىٰ طلابها في ضوء خبرات بعض الدول. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة بنها.

١٦- الزيود، إسماعيل، والكبيسي ،سناء (٢٠١٤). اتجاهات طلبة جامعة البتراء نحو العمل التطوعي في الأردن. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية،٧(٣) ٤٣٨-٤٥٦.

١٧- الصفار، حسن (٢٠٠٥) العمل التطوعي في خدمة المجتمع. السعودية: أطياف للنشر والتوزيع.

١٨- الطويسي، باسم (٢٠١١) مكان العمل التطوعي في مؤسسات المجتمع المدني الأردني. عمان: مركز الأردن الجديد للدراسات.

١٩- العاني، وجيهة، ولاشين، محمد، والفهيدي، راشد، والحارثية، عائشة (٢٠١١) دور الجمعيات الأهلية في تحفيز الشباب للعمل التطوعي المرتبط بالعائدات الاجتماعية والاقتصادية في سلطنة عمان. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ٨(١) ٦٥-٧٩.

٢٠- عبد الحميد، زينب، وشحاتة، وسام، والقصاص، محمد (٢٠١٥) دراسة مقارنة لبعض القيم الاجتماعية لفئات عمرية مختلفة بمحافظة المينا. مجلة الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، ٦(٦) ٩٣٩-٩٥٤.

٢١- علي، تهاني (٢٠١١) القيم التربوية الاجتماعية في القرآن الكريم. المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية. جامعة أفريقيا العالمية/ المركز الاسلامي الأفريقي في الفترة ١٥-١٧/ ٢٠١١ ص ١٦٩-١٨٦.

٢٢- المزين، سلمان (٢٠١٦) اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي في جامعات محافظة غزة وسبل تفعيله في ضوء بعض المتغيرات. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، ٤(١٦) ،٣٢٣-٣٦٠.

٢٣- نوار، أحمد (٢٠١٥) الإعلام التربوي ودوره في تنمية قيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتوافرة في منظومة التعليم العربي، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد (٦٥) ١٩١-٢٤١.

٢٤- الهطالي، صالح (٢٠١٠) العمل التطوعي خطوات عملية للنهوض بالأمة. السعودية: المؤلف نفسه.

٢٥- يوسف، هالة (٢٠٠٦) فعالية استخدام إستراتيجية التعلم الخدمي في تنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنها مصر.

٢٦- اليوسف، عبدالله (٢٠٠٥) ثقافة العمل التطوعي. السعودية: المؤلف نفسه.

المراجع الأجنبية

F.(2014) Civic Awareness and ،and Moses،m،Amadu
Engagement in China:The Curricular Implication. European
1857-1887. ،10(4)،Scientific Journal

W.(2005) Learning in Changing Democracies: ،Bennett
Seattle:Center for ،Challenges for Citizenship and Civic Education
Communication and Civic Engagement

M.(2013).Analysis of the Volunteer Function Inventory ،Gage
and Leisure Constraints Models Pennsylvania State University.
50-66 ،15(3)،International Journal of Volunteer Administration

W.(2011) Motivation for Youth Volunteer Particpation: ،Loping
Types and Structure an Analyses of Interviews With Twenty-four
44(3)176-192.،Young Volunteers. Chinese Education & Society

S.(2000) Defining The Non profit Project Sector: Some ،Morris
Lessons from History(Civil Society Working)

s.(2012). Volunteering in canda. ،m and Crompton،Vezina
37-، Canadian Social Trends Catalogue No 11-008،Statistic Canada
55

Volunteering in the United States – "V in USA (2014)
http://www.bls.gov/news.release/volun.nr0.htm

العمل الخيري وأثره في النهضة العلمية والثقافية في البلاد الإسلامية

إعداد
الدكتور أحمد الخاطب

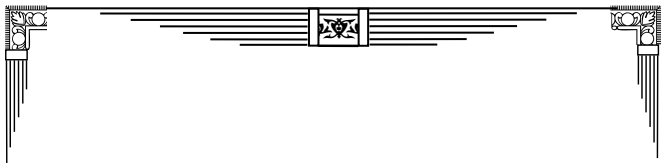

ملخص البحث

يشكل "الخير" قيمة مركزية في أنساق ومنظومات القيم والمثل الإنسانية والإسلامية العليا. واعتبارا لمقاصده السامية في الرسالة الإسلامية، بأبعادها الدنيوية والأخروية؛ فقد تعلق المسلمون علىٰ مر التاريخ بكل أوجه ومسالك العمل الخيري، سواء علىٰ الصعيد الفردي أو الجماعي؛ مما أسهم في إغناء الرصيد الحضاري للأمة الإسلامية بالكثير من المبادرات الخيرية في مختلف المجالات، من أهمها: المجال العلمي والتعليمي والثقافي.

في هذا الإطار، و في سبيل تثمين التجارب الخيرية الرائدة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، والنهوض بثقافة العمل الخيري في واقعنا المعاصر؛ يتوخىٰ هذا البحث تسليط الأضواء علىٰ تجربة جامعة القرويين بالمغرب الأقصىٰ، باعتبارها تجربة تاريخية متميزة في العمل الخيري العلمي والتعليمي؛ ذلك أن جامعة القرويين، التي تصنف كأقدم جامعة في العالم، تأسست منذ سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م، نتيجة مبادرة خيرية نسائية من طرف السيدة الفاضلة فاطمة الفهرية، في عهد دولة الشرفاء الأدارِسة (١٧٢-٣٧٥هـ/ ٧٨٨-٩٨٥م)، وظلت عبر التاريخ جامعة خيرية وقفية بامتياز، تحظىٰ باحتضان خاص من المجتمع المغربي، الذي أسهم في إغناء وإثراء رصيدها من الأوقاف المختلفة؛ مما مكنها من الموارد المالية الكفيلة بتسيير مختلف مرافقها، والوفاء بحاجيات علمائها وطلابها،

والاضطلاع برسالتها الحضارية بشكل مستقل عن ميزانية الدولة. وعرفت توسعاً وتطوراً عمرانياً وعلمياً كبيراً، فأصبحت تزخر بالخزانات والكراسي العلمية، والمدارس التابعة لها؛ مما جعلها قبلة لطلاب العلم من المغرب وخارجه. وتمكنت القرويين، بفضل ذلك، من تحقيق نهضة علمية وثقافية للمغرب عبر التاريخ، شملت العلوم الإسلامية والإنسانية والطبيعية، كما أسهمت في ترسيخ الهوية الإسلامية، وحماية الشخصية الحضارية للمغرب، وكذا الإسهام في الإشعاع العالمي للحضارة الإسلامية في الجناح الغربي لحوض الأبيض المتوسط.

ونعتقد أنه علىٰ ضوء هذه التجربة، وغيرها من التجارب الإسلامية الرائدة، ومن خلال ما أصبح يضطلع به الوقف الخيري من دور حيوي في النهوض بالبحث العلمي في البلدان الغربية اليوم، تدعو هذه المشاركة إلىٰ إحياء وتشجيع ثقافة الوقف والعمل الخيري بصفة عامة، وخاصة في المجالات العلمية والتعليمية؛ بما يسهم في تحقيق النهضة العلمية والثقافية المنشودة لأمتنا العربية والإسلامية.

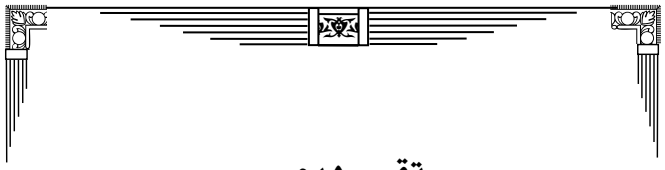

تقـــديم

يشكل"الخير" قيمة مركزية في منظومة القيم والمثل الإنسانية العليا، التي تحرص كل الأمم البشرية والشرائع السماوية والفلسفات الأرضية علىٰ تمثلها وتنزيلها والالتزام بها. وهو من أعظم خصائص الشريعة الإسلامية ومقاصدها الأساسية[1]، يستمد شرعيته من مصادر التشريع الإسلامي. وقد ورد الحديث عن "الخير" في الإسلام بألفاظ متعددة، تعبر عن نفس المعاني والمرامي، مثل: البر والإحسان والرحمة... وجاء الخطاب القرآني الكريم والنبوي الشريف متحدثاً عن النسق التطبيقي لمفهوم الخير، وأوجهه المختلفة في منظومة العلاقات الإنسانية، بصيغ متعددة، تخاطب الفرد/ المؤمن، كما تخاطب الجماعة/ الأمة، وتشمل:

- الدعوة إلىٰ الخير والأمر به والترغيب فيه: حيث قال – تعالىٰ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. [الحج: ٧٧]. وقال – تعالىٰ -: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾. [آل عمران:١٠٤].

(١) إبراهيم البيومي غانم، مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، ص.٢١.

وقال – عليه الصلاة والسلام –:«من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله».(رواه مسلم عن أبي مسعود الأنصاري).

– مدح أهل الخير والمسارعين إلىٰ فعله: قال – تعالىٰ –: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾. [آل عمران: ١٣٣]. وقال – تعالىٰ –: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾. [المؤمنون: ٦١].

– الثناء علىٰ فعل الخير في ذاته والتعاون عليه والتنافس فيه: قال – تعالىٰ –: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢]. وقال – عز وجل –: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

– وكما مدح الخطاب القرآني والنبوي وأثنىٰ علىٰ أهل الخير والداعين والمسارعين إليه، فقد ذم كل فعل مضاد للخير: قال – تعالىٰ – في التشنيع علىٰ بعض المشركين من خصوم النبي – ﷺ – وأعداء دعوته: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾. [القلم: ١٠-١٢]. وقال – تعالىٰ – علىٰ لسان قرين الإنسان يوم القيامة: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾ [ق: ٢٣-٢٥].

ولذلك، يعد التخلق بفضائل العمل الخيري من مقومات الإنتماء إلىٰ الأمة الإسلامية، كما يعد منعه أو تعطيله من مهددات الانتماء إلىٰ هذه الأمة ومرجعيتها، وتعطيلاً لمقاصدها وغاياتها السامية.

ويتميز العمل الخيري في الإسلام بجملة من الخصائص، أهمها: الدافعية الإيمانية، الشمولية، والتنوع، والاستمرارية. فالعمل الخيري، وإن كان – كما

ذكرنا سابقا – جزءاً من المشترك القيمي الإنساني، فإن دوافعه في الإسلام تكتسي عمقًا إيمانيًا وقدسية روحية لا تتوفر في باقي المرجعيات، باعتبار أن القوة الدافعة إلىٰ العمل الخيري في الإسلام هي قوة الإيمان، التي تجعل المؤمن يقدم علىٰ فعل الخير ابتغاء مرضاة الله – سبحانه وتعالىٰ –، وإخلاص النية والعمل له وحده – سبحانه –، والابتعاد عن كل الغايات والأهداف الأخرىٰ الدنيوية، مادية أو رمزية.كما يتميز بالشمولية والتنوع؛ فهو شامل لكل الإنسانية، بغض النظر عن الدين والمعتقد واللون والجنس والجنسية، كما أنه متنوع ومتعدد بتعدد مجالات الحياة الإنسانية: (الدينية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية). وهو – أيضا – متسم بالاستمرارية والاستدامة؛ لأنه مرتبط بعبادة الحق – سبحانه وتعالىٰ –، والالتزام بدينه الحنيف، الذي ينص، سواء من حيث شريعته أو عقيدته، علىٰ استمرارية العمل الخيري، والإيمان بفضله علىٰ صاحبه في الدنيا والآخرة؛ فيكتسي بذلك بُعداً أخرويًا لا يؤمن به إلا من آمن بقوله – عليه الصلاة والسلام –: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (رواه مسلم).

وإيمانا بالرسالة المحمدية ومقاصدها الشرعية؛ فقد تنافس المسلمون – عبر التاريخ – في التشبث بالعمل الخيري، وتنزيله في مجتمعاتهم، من خلال مجموعة غنية من المبادرات الخيرية، التي استهدفت كل مجالات الحياة: الدينية والاجتماعية والعمرانية...[1]. ومن أهم تلك المجالات، التي حظيت باهتمام خاص في التجربة الخيرية الإسلامية: المجال العلمي والتعليمي؛ فقد تنبه المسلمون – منذ وقت مبكر – إلىٰ أهمية الاهتمام بالعلم والعلماء، وجعلوه من

(١) محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الاسلامي، ج.١، ص. ٣.

أهم مجالات العمل الخيري التي تنافسوا فيها، فتوجهت اهتماماتهم إلىٰ بناء المؤسسات التعليمية، والإنفاق عليها، ورعاية طلاب العلم والعلماء... ونضج في هذا المجال ما يعرف بالوقف الخيري التعليمي، الذي اتخذ صيغا متعددة، منها: الوقف علىٰ المؤسسات التعليمية، والوقف علىٰ الكراسي العلمية، ووقف الكتب، وقف المدارس، وغير ذلك. وقد أسهمت هذه المبادرات، بشكل فعال، في تحقيق النهضة العلمية والتعليمية في الحضارة الإسلامية، والإسهام في تحقيق الإصلاح الفكري والاجتماعي في كثير من البيئات والأقطار بالعالم الإسلامي، وبروز مؤسسات علمية و ثقافية رائدة بالمشرق والمغرب، قدمت خدمات جليلة للحضارة الإسلامية والإنسانية، من أهمها: جامعة القرويين بمدينة فاس، التي تعد إحدىٰ التجارب النموذجية في مجال العمل الخيري العلمي والتعليمي في الحضارة الإسلامية.

فما أثر العمل الخيري في تأسيس هذا المشروع الجامعي؟ كيف أسهم العمل الخيري في تطور جامعة القرويين؟ ما أثر الوقف الخيري في النهضة الفكرية والثقافية لجامعة القرويين عبر التاريخ؟ ما أهم مظاهر وتجليات ذلك؟ و كيف يمكن الاستفادة من هكذا تجربة في تعزيز الوعي الحضاري بدور العمل الخيري في النهضة العلمية والثقافية المنشودة لأمتنا العربية والإسلامية؟

❁ ويتوخى هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- الإسهام في التأصيل التاريخي للعمل الخيري في الحضارة الإسلامية، والنهوض به ثقافة وممارسة في مجتمعاتنا المعاصرة.

- تثمين التجارب والمبادرات الرائدة للعمل الخيري في تجربتنا الحضارية، وخاصة في المجال العلمي والتعليمي.

- إبراز أثر العمل الخيري في النهضة العلمية والثقافية في الحضارة الإسلامية، من خلال تجربة جامعة القرويين بالمغرب كنموذج.

- الإسهام في تجديد الوعي الحضاري بأهمية العمل الخيري بصفة عامة، و في المجالات العلمية والتعليمية بصفة خاصة؛ بما يسهم في تحقيق النهضة العلمية والثقافية المنشودة لأمتنا العربية والإسلامية.

- التحسيس بأهمية العمل الخيري في النهوض بالبحث العلمي والتعليم العالي في المجتمعات الغربية المعاصرة، في أفق الاستفادة من تجاربها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

المبحث الأول

جامعة القرويين: تجربة رائدة في العمل الخيري الديني والتعليمي في الحضارة الإسلامية

❁ المطلب الأول: مبادرة خيرية نسائية تصنع تاريخ المغرب

❁ المطلب الثاني: جامعة القرويين في العصر المَرِيْنِي:
مشروع خيري جامعي متكامل

❁ المطلب الثالث: جامعة القرويين في العصر العلوي:
تنظيم الأوقاف الخيرية

المطلب الأول

مبادرة خيرية نسائية تصنع تاريخ المغرب

❁ تأسيس جامعة القرويين:

قبل أن تتأسس جامعة القرويين، كان المغرب الأقصىٰ علىٰ موعد مع حدث تاريخي كبير، شكَّل مقدمة لنهضة حضارية وعمرانية غير مسبوقة في تاريخه، يتمثل في تأسيس مدينة فاس، التي شكلت منذ ذلك الزمن العاصمة الثقافية والعلمية للمغرب. لكن قبل تأسيس هذه المدينة / العاصمة، حظي المغرب، بعد نجاح واستتباب الفتح الإسلامي المبارك، بشرف تأسيس أول دولة إسلامية مستقلة فوق أرضه، تحت لواء إمامة الشرفاء الأدارسة العلويين، بقيادة المولىٰ إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢هـ[١]. وبعد فترة التأسيس، خلفه ابنه المولىٰ إدريس الثاني، الذي تمت له البيعة بعاصمة الدولة وليلي سنة ١٨٨هـ، واستقام الناس له بالمغرب، وتوطأ له الملك، وكثر سلطانه، وعظمت جيوشه وأتباعه، وتوالت عليه الفتوحات شرقـًا وغربـًا، فوفدت عليه الوفود من البلدان، وقصد الناس نحوه

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. ١٧ -٢٨؛ محمد القبلي وآخرون، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ص. ١٥٨-١٦٣.

من كل ناحية ومكان[1]. ثم ما لبث في السنة الموالية (١٨٩هـ) أن وفدت عليه وفود العرب من بلاد إفريقية وبلاد الأندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والأزد وغيرهم؛ فسُرَّ بوفادتهم، وأجزَلَ صِلاتِهم، وقربهم، ورفع منازلهم، وجعلهم بِطَانَتَهُ؛ فاعتز بهم، واستوزر منهم عُمَير بن مصعب الأزدي، وكان من فرسان العرب وسادتها، واستقضىٰ منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي، "وكان رجلاً صالحًا وَرِعًا فقيها، سمع من مالك وسفيان الثوري، وروىٰ عنهما كثيراً، ثم خرج إلىٰ الأندلس برسم الجهاد، ثم جاز إلىٰ العدوة، فوفد منها علىٰ إدريس فيمن وفد عليه من العرب"[2]. وتوالت الوفود عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق؛ فكثر الناس، وضاقت بهم عاصمة الدولة وليلي. ولما رأىٰ المولىٰ إدريس الثاني أن الأمر قد استقام له، وعم ملكه وكثرة جيوشه، وأن المدينة قد ضاقت بهم؛ عزم علىٰ الانتقال منها، فأراد أن يبني مدينة جديدة يسكنها هو وخاصته وجنوده وأهل دولته، فانتهىٰ به المطاف إلىٰ تأسيس مدينة فاس، بعد أن اختبر تربتها وهواءها ورياحها وماءها وموقعها. ومن حرصه – رضي الله عنه – علىٰ بناء هذه المدينة علىٰ أساس طيب، أنه قام بشراء أرضها برضىً تام من أهلها بستة آلاف درهم، موزعة بين قيمة موضع عدوة الأندلس، التي كانت لبني يزغتن، وهي ألفي درهم وخمسمائة، وقيمة موضع عدوة القرويين، التي كانت لبني الخير الزواغيين، وهي ثلاثة آلاف درهم وخمسمائة. فكان ذلك فأل خير عليهم جميعا؛ حيث انتقلوا من الاقتتال المستمر بينهم علىٰ حدود الأرض إلىٰ التصالح التام، بعد أن حضر الفريقان بين يدي المولىٰ إدريس فأصلح بينهما، ثم اشترىٰ منهم

(١) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص. ٣٤.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص. ٣٥.

الغيضة...فرضوا جميعاً ببيعها وإخراجها من يد الفريقين، ثم شرع في البناء[١].
ولم تزل مدينة فاس من حين تأسيسها دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها[٢]. ولم تزل كذلك منذ تأسيسها مأوىٰ الغرباء، مَن دَخَلَها استوطنها وصلح حاله بها. وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم؛ فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب علىٰ مر الزمان؛ وذلك ببركة بانيها المولىٰ إدريس – رضي الله عنه –، فإنه لما أراد الشروع في بنائها دعا الله – تعالىٰ – فقال:" اللهم اجعلها دار علم وفقه، يُتلىٰ بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها. ثم أخذ المِعْوَلَ بيده فابتدأ بحفر الأساس. فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنة، والجماعة بها قائمة[٣]. ولما فرغ من بناء المدينة، وحضرت الجمعة، صعد المنبر، وخطب في الناس، ثم رفع يديه آخر خطبته، فقال:" اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها، ويُتلىٰ بها كتابك، وتقام بها حدودك وشرائع دينك، وسنة نبيك – ﷺ – ما أبقيت الدنيا"[٤]. وتأسست هذه المدينة المباركة علىٰ قسمين وعلىٰ مرحلتين: عدوة الأندلس في يوم الخميس من مهل شهر ربيع الأول سنة ١٩٢هـ، وخصصها المولىٰ إدريس لأهل قرطبة الذين أوقع بهم الحَكَم بن هشام وأجلاهم

(١) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص. ٣٩.
(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.٤٠.
(٣) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص. ٤٥.
(٤) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص. ٥٩.

عن الأندلس، وصعدوا الىٰ مدينة فاس، وكانوا قرابة ثمانية آلاف بيت، فنزلوا في عدوة الأندلس، وشرعوا في بنائها يمينـًا وشمالاً، وعدوة القرويين في مهل شهر ربيع الأول سنة ١٩٣هـ، وكان أول من نزلها مع المولىٰ إدريس ثلاثمائة بيت من أهل القيروان؛ فنسبت إليهم[١].

و كان في عداد المهاجرين القَيْروانيين، الذين وفدوا علىٰ المولىٰ إدريس بن إدريس، فريق من أسرة فِهْرِيَّةٍ، لم يلبث أن التحق به بقية أفراد الأسرة في أيام الإمام محيي الدين يحيىٰ الأول - حفيد المولىٰ إدريس - (٢٤٩-٢٣٤هـ). ومن بين هؤلاء الوافدين الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفِهْرِي القَيْرَواني، الذي وافته المَنِيَّةُ – رحمه الله - بعد وصوله فاس، فترك ذرية صالحة: كريمتيه فاطمة أم البنين ومريم، وكانتا قد استقرتا بالقرب من موضع جامع الشرفاء، الذي بناه المولىٰ إدريس بعدوة القرويين. وقد تأكد أن هاتين السيديتن كانتا علىٰ جانب من العلم والفضل معـًا؛ حيث عزمت كل منهما علىٰ تحقيق مشروع خيري، ظل إلىٰ اليوم شاخصـًا ناطقـًا يرفع من شأن المرأة المسلمة إلىٰ الأبد[٢]، فعزمت الأولىٰ علىٰ بناء مسجد بعدوة القرويين، وعزمت الثانية علىٰ بناء مسجد بعدوة الأندلس، بعدما ظهر أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس؛ لضيق الجامعين القديمين هناك؛ بفعل ازدياد الحركة العمرانية التي عرفتها المدينة بعدوتيها بأمر من المولىٰ إدريس[٣]. وتختلف الروايات التاريخية في مصدر المال الذي ستوظفه فاطمة أم البنين في بناء جامع القرويين، فيبنما يذهب ابن أبي زرع إلىٰ أن مصدر المال هو ما ورثته من زوجها وأختها: "فورثت منهما مالاً جسيمـًا

(١) الجزنائي، زهرة الآس، ص. ٢٤-٢٦.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٤٦.

(٣) الجزنائي، زهرة الآس، ص. ٢٦.

حلالاً طيبـًا، ليس فيه شبهة، لم يتغير ببيع ولا شراء، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير"[١]، يذهب الجزنائي إلىٰ أن مصدر المال هو ما تحصل لفاطمة أم البنين بالميراث بعد وفاة والدها وزوجها، وتحصل لأختها مريم نصيبها من الإرث من والدهما كذلك، إذ"تحصل لهما بالميراث مال كثير طيب"، رغبتا أن تصرفاه في وجوه من الخير[٢]. كان موضع القرويين الذي اشترته فاطمة أم البنين يرجع لأحد رجال الفضل من هوارة قد آل إلىٰ أبنائه بعده، اشترته بمالها الحلال الطاهر منهم بستين أوقية، وشرعت في حفر أساسه وبنائه، وذلك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة ٢٤٥هـ. ومن شدة حرصها علىٰ أن تكون مبادرتها قائمة علىٰ تقوىٰ من الله حلالاً طيبـًا؛ قررت أن تكون مواد البناء من صميم باطن الحقل ذاته، فبادرت إلىٰ الحفر في وسطه لاستخراج مواد البناء من التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب، فبنت به الجامع المذكور كله حتىٰ تم، ولم تدخل فيه من تراب غيره. وفعلت نفس الشيء مع الماء؛ حيث حفرت البئر التي في الصحن، وكان البناؤون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم، حتىٰ فرغ من بنائه، ولم تصرف فيه سواه؛ احتياطـًا منها وتَحَرِّيـًا من الشبهة[٣].

وزادت فاطمة الفِهْرية في تحصين مشروعها، "فلم تزل صائمة من يوم شرع في بنائه إلىٰ أن تم، وصلت فيه شكرا لله – تعالىٰ – الذي وفقها لأعمال الخير"[٤].

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.

(٢) الجزنائي، زهرة الآس، ص. ٤٥.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٦٨-٦٩.

(٤) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص.٦٩.

فكأنما نبهت فاطمة بذلك عزائم الملوك. وقد أكبر الإمام يحيىٰ مبرة أم البنين علىٰ مقربة من عرينه؛ فكان يطالع البنائين بنفسه إلىٰ جانب الفقهاء والعلماء[1]. وقدم الدكتور التّازِي وصفـًا دقيقـًا لجامع القرويين الأولىٰ، اعتماداً علىٰ المصادر التاريخية، فقد كان تصميم جامع القرويين مربعـًا علىٰ نحو ما عرف في معظم المساجد الأولىٰ، ولكنها تربيعة غير تامة؛ حيث كان عرضه أكبر من طوله، وكان طوله يبلغ من مائة وخمسين شبرا (أي حوالي ١٦٠٠ متر مربع). وتألف من أربع بلاطات أفقية تمتد من الشرق إلىٰ الغرب موازية لجدار القبلة، ومن ثنتي عشرة بلاطة عمودية، تنزل من الجنوب إلىٰ الشمال، خمس غربي البلاط الأوسط الممتد من المحراب للصحن، وست شرقي البلاط المذكور. وعند نهاية قاعة الصلاة كان يوجد الصحن الأول للمسجد. وكانت القرويين الأولىٰ تتوفر علىٰ أربعة أبواب: بابان متسامتان، أحدهما في اتجاه باب ابن حيون شرقا، والثاني في اتجاه باب الكتبيين غربا. والبابان الباقيان ينفتحان علىٰ الجهة الشمالية من جهة الصحن[2].

وهكذا، يسجل التاريخ الإسلامي والمغربي أول مبادرة نسائية وقفية خيرية، تنتهي بتأسيس مسجد دون سائر مساجد العالم الإسلامي؛ فهو أول بيت لله تشيده فتاة مسلمة. وتشرفت فاس والمغرب الأقصىٰ باحتضان هذا المنجز الوقفي الحضاري في ذلك الزمن المبكر. وقد كان من المعهود حتىٰ ذلك التاريخ أن الدولة، ممثلة في العاهل أو من يمثله، هي التي تقوم بنفسها ببناء المساجد. ولذلك، دخلت فاطمة الفِهْرية التاريخ بفعلها العظيم هذا في مدينة تعد أول عاصمة للإسلام في هذا القطر. ولا شك أن هذه الخصائص كان لها أثر فيما

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص.٤٧

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.١، ص. ٤٧.

أطبقت عليه الموسوعات الدولية من اعتبار مدينة فاس في صدر المدن المقدسة، بل إنها تأتي في المرتبة الرابعة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة القدس الشريف(١).

وبعد نحو قرن من تأسيسها، أصبحت القرويين تشكو الضيق، وتتوق إلىٰ الإصلاح. وكانت الدولة الإدريسية قد انقرضت وذهب أثرها، وحل محلها أمراء زناتة حلفاء بني أمية بالأندلس، في إطار مواجهتهم للفاطميين بإفريقية، الطامعين في السيطرة علىٰ المغرب الأقصىٰ، فتولىٰ الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي، منذ سنة ٣٢٢هـ، توسعة الجامع وترميمه، وكتب بذلك إلىٰ الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر يستأذنه في ذلك، فاعتبر هذا الأخير ذلك تكريماً له وتشريفاً من حليفِهِ المغربي، ولم يكتف بالإذن له في ذلك، ولكنه أسهم بالعمل بمال كثير من أخماس غنائم الروم؛ فزيد في الجامع من الجهات الثلاثة الغربية والشرقية والشمالية، مع اقتفائه الخطوط الكبرىٰ للقرويين الأولىٰ، وأصبحت مساحته بعد هذه التوسعة ٤٠٠٠ متر مربع. واكتسبت القرويين، بفضل هذه المبادرة العمرانية الزناتية، مئذنة الجامع التي ما تزال شاخصة لحد الآن(٢).

ومنذ ذلك التاريخ ظلت القرويين تحظىٰ بالأولوية والعناية القصوىٰ من كل الدول والملوك المتعاقبين علىٰ حكم المغرب، مهما كانت الظروف والأحوال؛ إذ "لم تزل الأمراء والملوك يهتمون بالزيادة في الجامع المكرم، وإصلاح ما تهدم؛ تبركاً به، وابتغاء ثواب الله – تعالىٰ –"(٣).

(١) التازي، جامع القرويين،ج.١، ص. ٤٧.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٤٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.٣٤..

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. ٧٣.

كما أنها، وباعتبارها مبادرة خيرية شعبية في منطلقها، ظلت كذلك حاضرة في وجدان المجتمع عبر الوقف الخيري متعدد الأوجه، والشوق إلىٰ رحابها لتلقي أنوار العلم منذ فجر تاريخها، وخاصة منذ تحولها إلىٰ جامعة ذات إشعاع عالمي.

وقبل أن نتحدث عن ذلك الإشعاع، نريد استكمال الحديث عن التطوير العمراني الذي عرفته االقرويين، بفضل الوقف الخيري، الذي تكرس سلوكًا رسميًا وشعبيًا منذ مبادرة فاطمة الفِهْرِية؛ ففي عصر المرابطين، وعلىٰ الرغم من تأسيسهم عاصمة جديدة للمملكة، هي مراكش؛ لتكون قريبة من صحرائهم، فإنهم جعلوا القرويين محط عنايتهم؛ باعتبارها أهم جامع في العاصمة الأولىٰ للإسلام بالمغرب. وهكذا، سيشهد العصر المرابطي توسعة كبرىٰ للقرويين برعاية أمير المسلمين علي بن يوسف، واستشارة العلماء والقضاة، وبتمويل وقفي خالص، إذ لما ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة، حتىٰ إنهم كانوا يصلون بالأسواق والشوارع والطرق المجاورة، اجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا في ذلك مع قاضي المدينة، الفقيه محمد بن داوود، وكان من القضاة الفضلاء من أهل العلم والدين والورع، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما رفع إليه من أمر الجامع المكرم، فاستأذنه في الزيادة. ولم يكتف الأمير بالترخيص، بل اقترح أن" يكون الإنفاق في ذلك من بيت المال"، لكن القاضي رجح تمويل إصلاح القرويين من مالية الأوقاف، حيث أجاب أمير المسلمين قائلاً:"نسأل الله أن يغنيه من ماله الذي تجمع من أحباسه بأيدي الوكلاء"؛ مما يدل علىٰ تقديره لأهمية الوقف المتحصل لفائدة القرويين، رغم ما عرفته البلاد من اضطرابات سياسية وأمنية خلال المرحلة الفاصلة بين العصرين الإدريسي والمرابطي. واكتفىٰ أمير المسلمين بأمر القاضي بتقوىٰ الله – تعالىٰ – والتحري في ذلك من الشبهات،

والاجتهاد في أمر الجامع وبنائه والزيادة فيه، والنظر في أحباسه وجميع أحواله واستخراجها[١].

واستغل القاضي الدعم الأميري له ليقوم علىٰ تصحيح وضع الأوقاف، فقد سأل عن أحباس القرويين "فوجدها في أيدي أقوام قد أكلوها وحسبوها من أموالهم، فأزالها من أيديهم"، ونصب لها جهازاً جديداً يشرف عليها، حيث قدم لها وكلاء جدد ممن يوثق بدينهم، وحاسب الوكلاء المعزولين الذين كانت بأيديهم، وطالبهم بغلة الرِّباع والأرضين المحبسة، فخرّج عليهم بالمحاسبة أموالاً كثيرة، فأغرمهم إياها، وأضاف إليها غلات تلك السنة؛ فاجتمع من ذلك ما يزيد علىٰ الثمانين ألف دينار[٢].

وقد مكنت هذه الأموال المسترجعة والمحصلة من الزيادة في الجامع من قبلته وشرقه وغربه. ولما كان ذلك يقتضي التوسع علىٰ حساب الجيران، فقد تعامل القاضي معهم معاملة الإحسان بامتياز؛ حيث "ابتدأ بشراء الأملاك والديار التي بقبلة الجامع وغربه وشرقه، فاشترىٰ منها ما أحب واحتاج إليه بأحسن شراء وأتم ثمن، دون غبن علىٰ أحد في ذلك"[٣]. وعبثًا حاول بعض اليهود عدم تسليم متاجرهم، لكن الفقهاء اقتدوا بعمل الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حينما زاد في المسجد الحرام، فأصدروا فتوىٰ بتقويم الأمكنة، وإرغام اصحابها علىٰ تَسَلُّمِ المبالغ[٤]. وكما كان في القرويين الأولىٰ، فقد احتاط المسؤولون في

(١) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص. ٧٣.

(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ٧٣.

(٣) ر ابن أبي زرع ، وض القرطاس، ص. ٧٤؛ التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٦٦.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. ٧٤؛ التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٦٦.

البناء ما أمكنهم ذلك؛ حتىٰ تِسْلَمَ هذه الزيادة من أي شائبة من شوائب الشبهة والريبة؛ فاستخرجت من أعماق أرضها الصخور والرمال، بل اعتمد في البناء علىٰ نفس البئر التي حفرتها فاطمة الفِهْرية بالقرويين الصغرىٰ[١].

ومن أَنْفَسِ ما أحدثه المرابطون في القرويين ذلك المنبر الفريد من نوعه، الذي يشكل تحفة فنية لم يكن له مثيل في العالم الإسلامي آنذاك. وهو من أهم منجزات الوقف الخيري في القرويين في العصر المرابطي، أنجز بأمر من أمير المسلمين علي بن يوسف؛ حتىٰ يكون بديلاً للمنبر الأموي الذي عوض المنبر الفاطمي. وتولىٰ القاضي أبو محمد عبد الحق بن معيشة الغرناطي الكناني صنعه، لكنه لم يتم في أيامه، وتم في أيام الفقيه القاضي أبي مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي، وذلك في شعبان ٥٣٨هـ. وقد بلغت جملة النفقة عليه من مالية الأوقاف المتخرج من النظار ٣٨١٧ ديناراً فضية[٢].

وظل هذا المنبر محل عناية زائدة لملوك المغرب، ومحل تنافس بين رجالات العلم والدين[٣].

وخلال العصر المُوَحِّدِي، وأمام تزايد الإقبال علىٰ الوقف الخيري لفائدة القرويين، تحصلت لها ثروة ضخمة وموارد مالية هامة، حتىٰ إنها أخذت تنافس خزينة الدولة نفسها، فأصبحت تقتضي من المسؤولين احتياطًا زائداً علىٰ الأموال المدخرة؛ ففكروا في بناء المستودع الذي صار بمثابة المخزن الحصين أو البنك الذي تودع فيه الودائع الثمينة، وذلك تحت إشراف الناظر المشرف علىٰ بنائه،

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٦٦.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٦٦.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٦٨.

وهو الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن حميد، واغتبط الناس كثيرا بهذه المنشأة[١].

وحظي تزويد القرويين بالماء بعناية كبرىٰ منذ تأسيسه. وفي العصر المُوَحِّدِي أحدثت السقاية الكبرىٰ في عهد الفقيه الإمام المبارك يسكر الجورائي، فقد بادر أحد المؤمنين للإنفاق علىٰ إحداث هذه السقاية ودار الوضوء، لكن الفقيه الجورائي لم يأذن له أن ينفق ماله، رغم تأكيده له أنه مال طيب ورثه عن أبيه عن جده، لم يتغير ببيع ولا بشراء، وأصله من الحرث والماشية، "فامتنع الفقيه يسكر أن يقبل منه شيئا، أو يصرف منه درهما في الجامع المذكور، فألح عليه أن يعمل سقاية ودار وضوء بإزاء الجامع، تكون عونا للمصلين، فلم يتركه، ولم يقبل منه، حتىٰ أخذ بيده وحمله إلىٰ محراب الجامع المكرم، وأعطاه ختمة من الكتاب العزيز، فاستحلفه فيها في وسط المحراب أن ذلك المال حلال طيب من تركة والديه وجده، لم يتغير ببيع ولا بشراء، فلما حلف قال له: اشرع الآن فيما أردت من عمل الميضأة والسقاية... وذلك في صفر من سنة ست وسبعين وخمسمائة[٢] وفي العصر المُوَحِّدِي كذلك، حلت إشكالية إنارة القرويين، وقد أتىٰ ذلك من وجهة نظر ذائعة في أوساط الفقهاء، تهدف إلىٰ تكثير السُّرُج وتغليظ الفتائل؛ لما في الإضاءة من بهاء للدين، وهداية السابِلة، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلام[٣]. ولم تقتصر الإنارة علىٰ داخل الجامع، بل تعدته إلىٰ محيطه، فكان المؤمنون وهم في طرقهم إلىٰ الجامع يشعرون قبل الوصول إليه بالانشراح والبهجة. ويشرف علىٰ مرفق الإنارة الوَقَّادُ يساعده عدد من الأعوان. وكانت تحت إمرته كميات

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٧٦.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص. ٨٥.

(٣) الجزنائي، زهرة الآس، ص. ٧٩.

وافرة من الزيت والفتائل والآلات، وله بيت خاص به علىٰ مقربة من الجامع، وجرايات مهمة من أوقاف الجامع[١]. وفي نفس السياق، ازدانت القرويين بالثريا الكبرىٰ في عصر الخليفة الناصر المُوَحِّدِي، باقتراح من القاضي الخطيب أبي محمد عبد الله بن موسىٰ المعلم، وكلف إنجازها سبع مائة وسبعة عشر ديناراً فضيـًا ودرهمين ونصف الدرهم، بتمويل من مالية الأوقاف[٢].

وعرفت القرويين - كذلك - أوقافـًا خاصة بالأبواب؛ لصيانتها وفتحها وإغلاقها...[٣]. وهكذا، يتبين حرص جميع المسؤولين، من أمراء وقضاة وفقهاء، علىٰ مالية وموارد القرويين، فلم يكن يسمح بأن يدخل في ميزانية إصلاحاتها إلا المال الحلال الطيب. و تدريجيـًا ازدهرت أوقاف القرويين، وتنوعت لتشمل كل مرافق الجامع والخدمات المقدمة داخله.

(١) التازي، جامع القرويين،ج.١، ص. ٨٠.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص. ٧٦-٨٠.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٩١.

المطلب الثاني

جامعة القرويين في العصر المَرِيْنِي:
مشروع خيري جامعي متكامل

بحلول العصر المَرِيْنِي كانت القرويين قد استكملت سائر مقوماتها الجامعية من الناحية العمرانية والفكرية، وليس كما ذهب بعض المستشرقين الذين يؤرخون لذلك بالعصر المَرِيْنِي، بحجة أن القرويين لم تصبح مركزاً دراسيًا مستقطبًا للدراسات إلا في عهد بني مَرِيْن، وهو رأي لا تؤيده وظيفة الجامع في الإسلام؛ حيث كان مكانا للصلاة والتعليم معًا، فضلا عن القرائن التاريخية التي تؤكد الوظيفة التعليمية للقرويين منذ نشأته وطيلة العصرين المرابطي والمُوَحِّدِي[1]. ولذلك، لم تكن لبني مَرِيْن حاجة إلىٰ تغيير معالم القرويين الكبرىٰ، ولم يكن في مستطاعهم إلا ثلاثة أشياء:

أولا: الصيانة التامة لجامع القرويين وتعهده كما يجب،

والثانية: تأثيث البناية المقدسة بما يضمن سيرها، ليس كجامع فحسب، ولكن - كذلك - كجامعة إسلامية كبرىٰ، تعتمد عليها الدولة في تكوين أطرها وقادتها،

(١) السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، ص. ٩، ص. ٢٣- ٢٥.

والثالثة: إنشاء المزيد من المدارس لتلبية حاجة العدد المتزايد من الطلبة الوافدين[١]. ففي مجال الصيانة، رخصت الدولة بإصلاح القرويين لتأثره بالأمطار وعوارض الجو في أواخر العهد المُوَحِّدِي، مشترطة أن يكون ذلك من خزينة الدولة من أموال الجزية والأعشار: أعشار الروم، إذا نفذت أموال الأوقاف[٢]. وبادر الأمير أبو يعقوب المَرِيْنِي (ت ٧٠٦هـ) إلىٰ استئذان الفقيه القاضي أبي غالب بن القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي، من أجل الإسهام في إعادة بناء الجدار الشمالي للجامع، ووقف لذلك خِلْخَالين من الذهب زنتهما خمسمائة دينار ذهبـًا. ولم يكن الأمر هينـًا بالنسبة له؛ حيث كان عليه أن يقنع الفقيه القاضي بشرعية وقفه هذا، فقال له:"اصرف الخلخالين في بناء الحائط المذكور، فإنهما حلال محض، فقد منحهما والدي أمير المسلمين لوالدتي مما أفاء الله – تعالىٰ – عليه من أخماس غنائم الروم من بلاد الأندلس، فورثتهما عنها، ولم أر لتصريفهما موضعـًا أوجب من هذا، فعسىٰ الله – تعالىٰ – أن ينفع به"[٣]. وتوالىٰ الإنفاق من مال الأوقاف علىٰ كل الإصلاحات والإضافات العمرانية التي عرفتها القرويين في العهد المَرِيْنِي: إحداث العنزة، ومقصورة الخليفة، وإصلاح الصومعة والثريات والنواقيس...[٤].

وقد تميز العصر المَرِيْنِي بإنجازات وقفية عظمية لفائدة القرويين، ويتعلق الأمر بالشروع في إنشاء الخزانات العلمية، فإلىٰ جانب خزانة أبي يوسف يعقوب

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٣١٨.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٣١٨.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٣١٩.

(٤) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٣١٩- ٣٢٢.

بمدرسة الصفارين، التي أحدثت سنة ٦٧٩هـ، وخزانة أبي سعيد وأبي الحسن، بادر السلطان أبو عنان إلىٰ إنشاء خزانة القرويين، وجعلها وقفًا مؤبداً لجميع المسلمين، فقد "أنشأ هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة علىٰ الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية علىٰ أنواع العلوم، الواجب لها التعظيم والتكريم، جعل ذلك – نصره الله – وقفا مؤبداً لجميع المسلمين حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها...حضًا منه – أيده الله – علىٰ طلبة العلم وإظهاره وإتقانه واشتهاره، وتسهيلاً لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلىٰ المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم...وذلك في جمادىٰ الأولىٰ عام خمسين وسبعمائة"[(١)]. وعهد العاهل المَرِيْنِي إلىٰ أحد العلماء الأعلام بالسهر عليها، فكان بمثابة القيِّم. وإضافة إلىٰ هذه المكتبة العلمية، جعل السلطان أبو عنان مكتبة خاصة بالمصاحف القرآنية، التي كانت لها بدورها وظيفة تعليمية، فضلاً عن وظيفتها الدينية، فقد أعد لها جملة كثيرة من المصاحف الشريفة الحسنة الخطوط البهية؛ ليسهل علىٰ الناس تلاوة القرآن الكريم، وأعد لها قيِّما بجراية كافية؛ ليرضي رغبة الناس، ويتناول المصاحف القرآنية بالعناية والصيانة. وقد كتب علىٰ علىٰ كل جزء بخط يده إشارة إلىٰ وقفها مدىٰ الأعوام والليالي[(٢)]. وأحدث السلطان أبو سالم ما يعرف بخلوة الأسبوع لختم القرآن طيلة الأسبوع، وهي بمثابة زاوية للقراء، يتلون كتاب الله ويختمونه كل سبعة أيام، وأجرىٰ لهم جراية

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ٣٣١.

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص. ٣٣٢.

في كل شهر ينتفعون بها، فكان عمله هذا غير مسبوق[1]. وتضمنت الحوالات الحبسية بيانات الأوقاف المخصصة لزاوية القراء.

ورغم أهمية هذه المنجزات الوقفية بالقرويين، فإن ميزة العصر المَرِيْنِي كانت في بناء المدارس العلمية، فخلال هذا العصر، استكملت القرويين ارتقاءها من جامع إلىٰ جامعة، فأصبح المقصود بجامعة القرويين أربعة مراكز دراسية: جامع القرويين نفسه، وكان - في الغالب - مكان دروس كبار العلماء، وفي الوقت ذاته يتمتع بالصدارة علىٰ باقي مراكز التعليم في فاس، حيث كانت هذه الأخيرة بمثابة فروع مختلفة.

الثاني: المدارس، وتعتبر معاهد للفقه والنحو والقراءات.

والثالث: بقية جوامع نفس المدينة ومساجدها، وهي – في الأكثر - كمعاهد للدروس الابتدائية والثانوية.

الرابع: الحلقات الخاصة التي عقدها بعض الأساتذة في منازلهم مع خواص الطلاب. هذا فضلا عن الكتاتيب القرآنية، كمدارس أولية للصغار، فتعتني بتحفيظ القرآن الكريم وتلقين الخط، وتهتم - إلىٰ جانب ذلك - بتحفيظ بعض المصنفات الابتدائية وتحليلها للمتعلمين[2]. وكان لهذه المدارس نظام خاص يستوعب المواد المدروسة والأساتذة والطلبة؛ حتىٰ تتميز عن التعليم في الجوامع. ويهمنا أساساً في هذا السياق مصدر النفقة عليها، فقد كانت نفقاتها من ريع الأحباس الموقوفة عليها من جهة بناتها وغيرهم، سواء تعلق الأمر بالنفقة

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص. ٣٣٢.

(٢) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين، ص. ٢٥٣-٢٥٤.

علىٰ الطلاب من حيث السكنىٰ والتموين والكسوة، أو مرتبات الموظفين بها [1].
لقد كان تأسيس هذه المدارس يندرج في مشروع سياسي وعلمي للدولة المَرِيْنِية، استجابة لحاجتها من الأطر الدينية القادرة علىٰ نشر أفكارها والترويج لإيديولوجيتها الرسمية، وفي نفس الوقت لتكون بمثابة أحياء جامعية تستقطب أكبر عدد من الطلاب الوافدين علىٰ فاس وغيرها من المدن، من الأرياف والمناطق البعيدة، الذين لا يقدرون علىٰ تحمل تكاليف وأعباء السكنىٰ والدراسة. كما قامت هذه المدارس بدور في تدعيم المساجد والجوامع في النهوض بالوظيفية التعليمة والعلمية علىٰ أوسع نطاق. وقد احتضنت فاس، باعتبارها العاصمة السياسية والعلمية للمَرِيْنيين، أهم المدارس. وهكذا تأسست بها مدرسة الحلفاويين أو مدرسة الصفارين (٦٧٠هـ)، ويسميها الجزنائي المدرسة اليعقوبية؛ نسبة إلىٰ مؤسسها السلطان أبي يوسف يعقوب، ويسميها "روجي لي تورنو" بمدرسة النحاسين. وهي أول مدرسة في العصر المَرِيْنِي بعد تأسيس المدينة البيضاء (فاس الجديد)[2]. وقد زودها السلطان أبو يوسف يعقوب علىٰ تزويد المدرسة بخزانة علمية هامة من الكتب، وجعلها وقفا مؤبداً ابتغاء وجه الله، إضافة إلىٰ تلك القائمة الطويلة من الكتب التي بعث بها إليه ملك إسبانيا "شانجه" بعد عقد الصلح معه، وكان عددها ثلاثة عشر حملا[3]. ومدرسة المدينة البيضاء، أو مدرسة فاس الجديد، هي من تأسيس السلطان أبي سعيد سنة ٧٢٠هـ، وهي أول مدرسة أسست بغرض تدريس العلم بعدما كانت مدرسة

(١) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين، ص. ٢٥٦.
(٢) الجزنائي، زهرة الآس، ص. ٨١؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص. ١٦٢-١٦٣.
(٣) الناصري، الاستقصا، ج. ٢، ص. ٥٤؛

الحلفاويين مخصصة للصلاة وسكنىٰ الطلبة. وتعرف هذه المدرسة – كذلك – بمدرسة دار المخزن؛ لكونها تقع داخل القصر السلطاني. وبعد بنائها رتب لها السلطان أبو سعيد الطلبة لقراءة القرآن، والفقهاء لتدريس العلم، وأجرىٰ عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر، وحبس عليها الرباع والمجاشر(١). ومدرسة الصهريج (٧٢١هـ)، التي أسسها السلطان أبو الحسن أيام ولايته العهد، وخصصها لسكنىٰ الطلبة، وحبس عليها رباعا كثيرة(٢). وتوفرت هذه المدرسة علىٰ خزانة علمية هامة من تحبيس السلطان أبي الحسن. ومدرسة السبعين (٧٢١هـ)، التي تأسست في نفس تاريخ مدرسة الصهريج، وكانت مخصصة للطلبة الذين يقرأون القرآن بالقراءات السبع(٣). ومدرسة الوادي (٧٢١هـ)، أنشأها السلطان أبو الحسن، وشكلت مركزاً ثقافيـًا وعلميـًا متميزاً، بحيث لم يكن ليستفيد منها إلا الطلبة المتمكنون من حفظ مختصر الحاجبي(٤). ومدرسة العطارين (٧٢٥هـ)، التي بنيت قرب القرويين في عهد السلطان أبي سعيد عثمان، الذي رتب فيها الفقهاء لتدريس العلم، وأسكن بها الطلبة، وحبس عليها الأملاك والرباع؛ من أجل تمكينها للقيام بوظيفتها احتسابا لله: "فهذا ما حبس...أبو سعيد بشأن المدرسة التي أتم بناءها في عام خمسة وعشرين وسبع مائة...فمن ذلك ثلاثة عشر حانوتا... ومن ذلك دار الصابون مع الحوانيت الثلاثة...والدار

(١) التازي، جامع القرويين،ج. ٢، ص. ٣٦١.

(٢) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،ج. ٢، ص. ١٣٤؛ السعيد بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية،ج.١، ص. ٨١.

(٣) التازي، جامع القرويين، جز٢،ص. ٣٦٢.

(٤) التازي، جامع القرويين، ج.٢،ص. ٣٦٢-٣٦٣؛ بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية، ج. ١،ص. ٨٣.

المصرية وأربعة حوانيت مع الطراز...وثلاثة مع المصرية، وسبعة أثمان فندق الحدودي..."[1]. والمدرسة المصباحية (٧٤٥هـ)، التي أسسها السلطان أبو الحسن قرب القرويين، وكانت مخصصة للدراسة وإقامة الصلاة وإسكان الطلبة. وتوفرت علىٰ قوائم طويلة من الموقوفات؛ مما جعلها أغنىٰ المدارس المَرِيْنِية من حيث الرباع الموقوفة[2]. ثم المدرسة المتوكلية (٧٥٨هـ)، التي أسسها - أيضا - السلطان أبو عنان لتكون منارة لتدريس العلوم المختلفة، وخصص لها أوقافاً هامة، وجرايات كافية لإعانة الطلاب وتمكينها من الاضطلاع بوظيفتها. ومما حبسه عليها من أوقاف هناك حمَّامٌ، ونُزُلٌ مجاورٌ لها، ورحىٰ بجوارها، وفرن، واصطبلات، ودكاكين بزنقة غابة القصر، وحوالي أربع وسبعين دكاناً[3]. وإضافة إلىٰ الخزانات والمدارس، عرف العصر المَرِيْنِي ازدهار مؤسسة الكراسي العلمية بالقرويين وفروعها، والتي سنعود للحديث عنها في مبحث لاحق[4]. وفي أواخر العصر المَرِيْنِي، وخلال العصر الوطاسي، تأثرت أوضاع البلاد؛ نتيجة اختلال الأمن، واحتلال الإيبريين للسواحل والثغور المغربية؛ فانعكس ذلك سلبا علىٰ وضعية الأوقاف عموما، وأوقاف القرويين خصوصا؛ ونتيجة لذلك امتدت أيادي بعض المسؤولين إلىٰ مداخيل الأوقاف، وصرفها في غير مجالاتها الموقوفة

(١) التازي، جامع القرويين، ج.٢، ص. ص. ٣٥٦-٣٥٩.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.٢،ص. ص. ٣٥٩- ٣٦٠ ؛ بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية، ج.١،ص، ٨٦.

(٣) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج. ٢، ص. ١٣٥.

(٤) محمد عزي، دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب في عهد الدولة المَرِيْنِية، ص. ٢٩٨-٣٢٣.

عليها[1]. ورغم ذلك لم يخل هذا العصر من مآثر وقفية، ومنها - علىٰ الخصوص - استمرار انتشار الأوقاف علىٰ الكراسي العلمية بجامع القرويين وبالمدارس التابعة لها[2].

وبعد تمكن السعديين من إعادة بناء الدولة، وتوحيد البلاد وتحريرها، ورغم اختيارهم مراكش عاصمة لهم، كان لا بد لهم من الاعتناء بالقرويين؛ باعتبارها الجامع والجامعة المغربية والإسلامية المعظمة عند جميع المغاربة، فأضافوا منشآت عمرانية إليها، ومنها - خاصة - مقصورة المفتي؛ لتقريب الفتوىٰ من الناس، وزاوية الحزابين بالركن الجنوبي الغربي للجامع؛ لتلاوة القرآن. لكن أهم منشأة وقفية علمية أضافها السعديون للقرويين هي الخزانة العليا. فعلىٰ غرار السلطان المَرِيْنِي أبي عنان، أنشأ الخليفة السعدي أحمد المنصور خزانته العلمية بها سنة ١٠١٠هـ، بالركن الجنوبي للقرويين؛ لإرضاء الرغبات المتزايدة لطلاب العلم، وسِيمت - نسبة إليه - بالخزانة الأحمدية الشريفة[3]. واهتم السلطان أحمد المنصور بإغنائها بالكتب من مختلف الأصقاع، حيث ربط اتصالات مع مختلف جهات المعمور في سبيل ذلك. فاتصل بعلماء مصر، وعلماء الدولة العثمانية، والعلماء والأمراء بالحرمين الشريفين، وصانَع مرة أخرىٰ الإسبان للتوصل إلىٰ الخزانة العلمية الأندلسية، فما إن بلغه خبر مصنف أو مؤلف في

(١) وثيقة حبسية مؤرخة عام ٩٦١هـ، نشرها عبد الهادي التازي في: جامع القرويين،ج٢،ص. ٦١٨؛ مصطفىٰ بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ج.١، ٧٨.

(٢) محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامع القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد ٦-٧، فبراير- مارس، ١٩٦٦، ص. ٦١.

(٣) عرفت - أيضا - بالخزانة السعدية أو الخزانة العليا أو الخزانة المنصورية.

المشرق أو في المغرب إلا ويرسل إلىٰ مصنِّفه أو مؤلِّفه ليبعث به إليه[1]. وكان مهتماً بجعل تصحيحاته علىٰ الكتب الموقوفة بها[2]. فكانت الخزانة العليا مفخرته الوقفية بالقرويين.

(١) بنعلة، تاريخ الأوقاف بالمغرب في عصر السعديين،ج.٢،ص. ٣٦.

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.٢،ص. ٣٤١.

المطلب الثالث

جامعة القرويين في العصر العلوي
تنظيم الأوقاف الخيرية

مع مجيء دولة الأشراف العلويين، انصرفت جهودهم إلىٰ العناية بالقرويين، التي أحاطوها بمختلف أنواع الرعاية، فوجهوا اهتمامهم إلىٰ الحفاظ التام علىٰ التراث العظيم الذي سلم من هذا الجامع منذ عصر المرابطين، وتجلىٰ ذلك في ترميم الجهات المهددة بالانهيار، والاستفادة من الساعات العصرية التي ظهرت في أوربا. ومن أهم المنجزات العلوية في خدمة القرويين: إنشاء المولىٰ الرشيد للمدرسة الرشيدية بجوار القرويين، وخزانة علمية بفاس الجديد. وشرع في إنشاء مدرسة الشراطين (١٠٨١هـ)، التي أكملها بعده المولىٰ إسماعيل، وكان لها – علىٰ غرار مثيلاتها – عدد من العقارات من الحوانيت والمعامل والفدادين من الأراضي[1]. وعمد – كذلك – إلىٰ الخزانة القروية فأولاها من عنايته، وعمل علىٰ تنظيمها. وبعد وفاته، واصل أخوه السلطان المولىٰ إسماعيل مشروعه، فاهتم بترتيب الخزانة، وأهدىٰ إليها الكتب التي كان يجمع الخطاطين لنسخها، وكان يحصل عليها بمختلف الطرق، حتىٰ إنه استغل قضية الرهائن الأجانب الذين كانوا تحت يديه ليطلب من دولهم أن تعطيه في مقابل"الخمسين أسيرا

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٣،ص. ٦٧١.

نصرانيا"، من المائة التي كانت عنده، خمسة آلاف كتاب: مائة كتاب عن كل نصراني، يكون الكتاب من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المحجوزة في خزائنهم بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرىٰ. ووضع المولىٰ إسماعيل فهارس للمخطوطات في مختلف العلوم، وجعل تلك الكتب موقوفة كلها في الخزانة العلمية؛ "للانتفاع بها بالمطالعة والمراجعة، وردها لمحلها بعد قضاء الغرض منها"[(١)]. وعلىٰ نفس المنوال سار الملوك العلويون؛ فأسهم كل منهم بنصيبه في إغناء خزانة القرويين بمخطوطات وكتب في مختلف التخصصات؛ مما اضطرهم إلىٰ التفكير في توسيعها. وتنافست في ذلك الأميرات العلويات الفضليات. وهكذا نجد الأميرة للافاطمة الزهراء بنت السلطان المولىٰ الحسن الأول، وزوج قاضي مراكش مولاي مصطفىٰ العلوي، تحبس عددا من المخطوطات القيمة علىٰ القرويين، بلغت ٢٧٣ سفراً[(٢)]. وقبيل فرض الحماية علىٰ المغرب ١٩١٢، كانت خزانة القرويين تحتوي علىٰ نحو ثلاثين ألف مخطوط[(٣)]. وعمل السلطان محمد بن يوسف علىٰ توسيع خزانة القرويين، وإعاد الاعتبار لها مرتين خلال فترة الحماية ١٩٢٩و١٩٤٠، وشحنها بمختلف أنواع الكتب والمخطوطات. كما أعاد الحياة لخزانة السلطان أبي عنان المَرِيْنِي، وخصصها للكتب التي تعتمد في الدراسة النظامية في الجامعة. ونظرا لأن القرويين الأم لم تعد وحدها كافية للوفاء بتطلعات الطلاب الكثيرين المتنافسين علىٰ الإقبال عليها والنيل من منابعها؛ فقد زَكَت لها فروع هنا وهناك في أطراف المدينة،

(١) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٦٦٨.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٦٦٩.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٦٦٩.

وهي المساجد التي أمست بمثابة مراكز للعلم تتمتع بالإمام والأستاذ، وأحيانا بالكراسي العلمية وخزائن الكتب[١].

ورغم أهمية هذه الأعمال الخيرية لصالح الحركة التعليمية بالقرويين، فإن أهم ما أسداه هؤلاء السلاطين لجامعة القرويين هو رعايتهم الكبرىٰ للأوقاف بصفة عامة، وأوقاف القرويين بصفة خاصة، منذ المولىٰ الرشيد، الذي يرجع له الفضل في إحياء سجل الأوقاف في المغرب، وإنقاذ أملاك القرويين وإعادتها إلىٰ مصادرها الأولىٰ[٢]. كما صرف المولىٰ إسماعيل وجه اعتنائه وجميل خصاله وكريم خلاله إلىٰ ترفيعها وتبجيلها، بتفقد جباياتها وتنمية أموالها، وخصوصا جامع القرويين، فوجه إليها "من يلم شعثها، ويضم متفرقها، ممن عرف بالصفا، وسار في الأحباس بسيرة الوفا"[٣]. كما قرر الإصلاحات التي عرفها العصر المَرِيْنِي في مجال الأوقاف، بضم سائر المساجد إلىٰ أوقاف القرويين؛ لتمكين الأوقاف من حراسة دائمة ساهرة علىٰ النظار والشهود. وقام - لأول مرة في تاريخ الأوقاف - بتدريس سجلات الأوقاف علىٰ أساسين: يخص الأول ما تمخض للقرويين والعلماء والطلبة والسير المادي للجامع، من حيث إنارته وسقيه وفرشه، ويخص الثاني ما تمخض لأعمال البر والإحسان، مما يمكن أن يدرج في أوقاف "المارستان"[٤]. وهكذا ميز الإصلاح الإسماعيلي بين الأوقاف

(١) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٦٨٢.

(٢) المكي الناصري، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، ص.١٦-١٧.

(٣) عبد الحق بن المجدوب الحسني، الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية،ج.١، ص.١١٤.

(٤) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٧٠٤.

المخصصة لجامع القرويين في حوالة خاصة، وما يفضل عنها يصرف في المشاريع الخيرية الأخرىٰ في حوالة أخرىٰ، عرفت بأوقاف المارستان. وتم التنصيص علىٰ ذلك في الحوالة الإسماعيلية، حيث ميزت بين الأوقاف علىٰ جامع القرويين باعتباره مسجداً وجامعاً للفقهاء والعلماء والطلبة، والأوقاف المخصصة لغير ذلك من المشاريع الإنسانية. وتوالىٰ إصدار الحوالات الحبسية كتقليد رسمي للسلاطين العلويين؛ بهدف ضبط الأوقاف وحمايتها، مع ترسيخ التقليد الإسماعيلي بالتمييز بين مخصصات القرويين وأوقاف المارستان. واستمر هذا الحرص حتىٰ الفترة المعاصرة. وكنتيجة لذلك الحرص المتزايد للسلاطين العلويين علىٰ أوقاف القرويين، ورغم حالات الانفلات والغش؛ فقد بلغت أوقاف القرويين درجة كبيرة من الغنىٰ التي تشهد بها الحوالات الحبسية، وخاصة الحوالات الإسماعيلية؛ فقد بلغت أوقاف القرويين، من مختلف أنواع العقار، زهاء أربعة آلاف في داخل فاس وحدها: ٣٤٥٦ عقاراً في عهد المولىٰ إسماعيل، و٣١٩٩ عقاراً في عهد المولىٰ سليمان، حتىٰ كان أهل فاس إذا طلبوا من الله مزيداً من الرضا علىٰ أحد ما أن يقولوا:"الرضا عليك حبس ما تحبس علىٰ القرويين والأندلس"[1].

وتعددت الأوقاف علىٰ مختلف الخدمات والمرافق في القرويين: فهناك أحباس علىٰ من يتلون القرآن في أماكن وزوايا مختلفة من الجامع، وأحباس علىٰ القائمين بتكتيب المبتدئين في السن، الذين فاتهم التعليم في وقت الصغر، وأحباس علىٰ الكراسي العلمية، كل كرسي علىٰ حدة، وأحباس الكتب الموقوفة، وأحباس الخزانات العلمية المتعددة المَرِيْنِية والسعدية والعلوية، وأحباس علىٰ توزيع

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٣، ه:٢١، ص. ٧١١.

المياه علىٰ القرويين والمدارس التابعة لها، والسقايات العمومية وفيوضات المياه الجارية... وكان للقائمين علىٰ القرويين نصيب كبير من الأوقاف، في مقدمتهم العلماء والفقهاء والطلبة، حتىٰ لقد كانت مهمة الفقيه مغرية أكثر من أي وظيف آخر في الدولة[1]. هذه صورة مقتضبة عن العناية الكبرىٰ التي حظيت بها أوقاف القرويين منذ تأسيسها إلىٰ التاريخ المعاصر، حيث يتبين أن جامعة القرويين، ومنذ تأسيسها، كانت مبادرة خيرية دينية وعلمية، صادرة عن امرأة فاضلة مباركة، واستمرت - كذلك - ملتقىٰ المبادرات الخيرية الوقفية للمجتمع المغربي وملوكه؛ خدمة لدين الله، ورسالة العلم والعلماء.

(١) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٧٠٨-٧٠٩.

المبحث الثاني

الأوقاف الخيرية لجامعة القرويين وأثرها في النهضة العلمية والثقافية بالمغرب

- **المطلب الأول: أثر القرويين في تحقيق الإشعاع الثقافي والحضاري لمدينة فاس والمغرب الأقصى:**

- **المطلب الثاني: الأوقاف الخيرية وأثرها في النهضة العلمية والثقافية لجامعة القرويين:**

المطلب الأول

أثر القرويين في تحقيق الإشعاع الثقافي والحضاري لمدينة فاس والمغرب الأقصى

تساءل الدكتور/ عبد الهادي التازي، في كتابه "جامع القرويين"، وهو يتحدث عن فضائل فاس، من خلال الكتابة التاريخية، تساءل قائلا: "وهل عرف العالم كله بلاد المغرب إلا إذا قرنت باسم فاس؟!"(١). وبدورنا نتساءل، ونحن نتقصىٰ فضائل القرويين كمؤسسة وقفية في تاريخ المغرب: "وهل عرف العالم كله مدينة فاس إلا إذا قرنت باسم القرويين؟!". نعم، لقد ارتبط إشعاع فاس بإشعاع القرويين، وارتبط إشعاع المغرب بإشعاع فاس، وهكذا صارت القرويين مركز إشعاع المغرب، وتمكنت من الحفاظ علىٰ وظيفتها وإشعاعها تاريخيا، مقارنة مع مثيلاتها في العالم الإسلامي(٢).

وقد تتبع المؤرخون والجغرافيون والرحالة صورة فاس وديناميتها التاريخية، فلم يجدوا لها هوية دون الهوية العلمية التي ارتبطت بالقرويين، بل إن هوية المغرب الثقافية والدينية والحضارية ظلت مرتبطة بهذا الجامع المبارك المعظم

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ١١٠.

(٢) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص.١١٣.

منذ نشأته. هذا الجامع الذي تأسس علىٰ تقوىٰ من الله، بفضل مبادرة وقفية خيرية، لم يكن مؤسسة لإقامة الصلاة فقط، ولكنه شكَّل - إلىٰ جانب ذلك - مركزا للعلم والتعليم منذ تلك المرحلة المبكرة من تاريخه. وهو في ذلك مقتف لأثر المسجد النبوي الشريف، الذي شكل منذ فجر الإسلام مركزا للعلم والتعليم، ثم تبعه جامع البصرة والكوفة والفسطاط. وكانت أول قبلة اختطت بشمال إفريقيا في القيروان، ثم تبعتها مساجد انتشرت في أصقاع الغرب الإسلامي، مثل: جامع الزيتونة بإفريقية ١١٦هـ، وجامع القرويين بالمغرب ٢٤٥هـ، ثم الجامع الأزهر بمصر ٣٥٩هـ. غير أن هذه المساجد لم تظل باستمرار مهيأة للتعليم، منها ما انتهت منها هذه المهمة منذ زمن مبكر، ومنها ما انقطعت منه مدة من الزمن. إلا أن جامع القرويين ظل منذ نشأته مركزاً للعلم والتعليم. كيف لا وقد نشأ في مدينة أريد لها أن تكون منذ البداية "دار فقه وعلم". واستمرت الدراسة بها بشكل مضطرد. ولم تتفكك حلقاتها العلمية حتىٰ في فترات الترميم والبناء والإصلاح. وحتىٰ عندما اتخذت بعض الدول المتعاقبة علىٰ حكم المغرب (المُرابِطية، والمُوَحِّدِية، والسَعدِية) مدينة مراكش عاصمة لها عِوَض فاس، ظلت القرويين مركز إشعاع علمي. ورغم تأسيس المرابطين لجامع ابن يوسف بمراكش، ظلت النفوس والأفئدة تتطلع دائما إلىٰ رحاب القرويين من كل أصقاع المغرب بادية وحاضرة، ومن العاصمة مراكش ذاتها. ورغم أن القيروان كان لها الفضل الأول في تكوين جامعة فاس: القرويين، وكانت هذه بمثابة الفرع من الشجرة، فإن القيروان تعثرت في القرن الخامس الهجري؛ بسبب تغلب عرب بني هلال، وأصبحت أثرا بعد عين، فكان من شأن ذلك أن تبرز جامعة القرويين، فتألق نجمها، وقوي ساعدها، في الوقت الذي ضعف فيه شأن القيروان. وكذلك الشأن مع جامع الزيتونة، التي قطع الإسبان مسيرتها أواسط القرن العاشر. أما

الأزهر الشريف، الذي نهض بعبء الرسالة الإسلامية بعد سقوط بغداد، لم يلبث أن أصابه الركود بعد ظهور بيت الحكمة (٣٩٥هـ)، ولم ينج من التقلبات والتدخلات. كما اندرست مدارس بغداد الثلاثين، ومنها المدرسة النظامية. وهكذا، لم يبق في العالم الإسلامي إلا القرويين محافظة علىٰ مسارها ورسالتها بشكل متواصل ومستمر، بل لم تزدها تقلبات التاريخ إلا صموداً وتألقـًا وإشعاعـًا. وظل المغاربة متشبثون بالقرويين تشبثهم بالدفاع عن بلادهم ومقوماتهم الدينية والحضارية. فلم تتأثر مدينة فاس، ومعها جامعة القرويين، بالرجات والتقلبات التي عرفتها باقي جامعات العالم الإسلامي. أما في العالم الغربي، فلم تعرف الجامعة إلا في القرن الثاني عشر مع جامعة بولونية بإيطاليا (١١٥٨) وجامعة السوربون (١٢٠٠)، ثم بعدهما جامعتي أوكسفورد وسلامنكا. ولذلك تظل جامعة القرويين جديرة بالتقدير من الناحية التاريخية، ومن الناحية العلمية أيضا، وتظل معها مدينة فاس متألقة عاصمة للعلم والعلماء بالمغرب الأقصىٰ، يشهد بهذا القدامىٰ والمُحْدَثون؛ فهي قطب المغرب، ومدار المدن به، وهي حاضرته الكبرىٰ، ومقصدها الأشهر، إليها تشد الركائب، وتقصد القوافل، ليس للتجارة فحسب، ولكن للعلم والتعليم. ولذلك وصفها المؤرخ المُرَاكُشِي، وهو الذي عاصر مُرَاكُش، وقد أصبحت عاصمة الدولة المُوَحِّدِية، وصفها بأنها "بغداد المغرب"، حيث يقول:" إنها حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس لما كانت القيروان حاضرة المغرب. فلما اضطرب أمر القيروان – كما ذكرنا – بعبث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن عامر وإبنه، رحل من هذه وهذه من كان فيها من العلماء والفقهاء من كل طبقة؛ فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم علىٰ غاية الحضارة...وما

زلت أسمع المشايخ يدعونها "بغداد المغرب". وبحق ما قالوا من ذلك...لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب"[١]. ثم حاول تبرير اتخاذ المرابطين والمُوَحِّدِين مُرَاكُش عاصمة لهم عِوَضَ فاس فقال:" ولم يتخذ لمتونة والمصامدة مدينة مراكش وطنا لهم، ولا جعلوها دار مملكة لأنها خير من مدينة فاس في شيء من الأشياء، ولكن لقرب مُرَاكُش من جبال المصادة وصحراء لمتونة، فلهذا السبب كانت مُرَاكُش كرسي المملكة، وإلا فمدينة فاس أحق بذلك منها"[٢]. ثم جاء ابن أبي زرع الفاسي في العصر المَرِيْنِي لتعكس كتابته عنها ما أصبحت عليه مدينة فاس، وقد استردت كرسي المملكة إليها، وزادت تألقاً وإشعاعاً بفضل القرويين ومدارسها وأوقافها؛ فنزل بها كثير من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء والأطباء وغيرهم، فقال عنها: "فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، ولم يزل ذلك علىٰ مر الزمان"[٣]. وتوالت عليها الشهادات التاريخية من القدامىٰ والمُحْدَثين المغاربة والأجانب[٤]. ومن هؤلاء، كتب الأستاذ "ديلفان" يقول:" لقد كانت مدينة فاس بحق دار العلم بالمغرب، وتعد جامعة القرويين فيها أول مدرسة في الدنيا"[٥]. وكتب المستشرق الروسي "جوزي" يقول: "إن أقدم كلية في العالم ليست في أوربا كما كان يظن، بل في إفريقيا في مدينة

(١) المُرَاكِشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص. ٥٠٤.

(٢) المُرَاكِشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص. ٥٠٥.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص.٤٥.

(٤) اعتمدنا علىٰ الشهادات التي أوردها الدكتور التّازي في: جامع القرويين، ج. ص. ١١١- ١١٤.

(٥) Le Maroc de demain.1989.

فاس عاصمة المغرب"[١]. وتحدث "الأخوان جان وجيرون" عنها قائلين:" في هذه القرويين، حيث كانت تزدهر علوم الميقات وفن الجبر، في وقت لم يعتن أحد فيه بهذين الفنين، إلا في إيطاليا وحدها، بل في فرنسا كذلك"[٢]. وتحدث عنها "روم لاندو" قائلا: "وقد شيد في فاس، منذ أيامها الأولىٰ، جامع القرويين، الذي هو أهم جامعة وأقدمها، وفي القرويين هنا كان العلماء منذ حوالي ألف سنة يعكفون علىٰ المباحث الدينية والمناظرات الفلسفية، التي قد تتجاوز دقتها إدراك فكرنا الغربي، وكان المثقفون يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات، ويشرحون "أرسطو" وغيره من مفكري الإغريق..."[٣]. وتحدث عنها "روجي لوتورنو" فقال: "ويمكن الاعتقاد (...) بأن هناك دروسا كانت تعطىٰ بكل تأكيد في هذه القرويين منذ أيامها الأولىٰ...". ثم قال: "ولم تعدم فاس، في كل وقت من الأوقات، أوساطا مثقفة كان عشها الذي ترعرعت فيه ذلك المسجد الذي يسمىٰ القرويين"[٤]. وذلك الواقع هو الذي انعكس علىٰ آثار كل المفكرين الذين تحدثوا عن القرويين. أما المؤرخ عبد الهادي التَّازِي، وهو قمة المتخصصين المعاصرين في تاريخ فاس والقرويين، فقد ربط بدوره بين فاس والقرويين، جاعلا من هذه الأخيرة قوام الأولىٰ، فقال: "عندما يتحدث التاريخ عن حضارة مدينة ما من المدن، فإنه يقصد إلىٰ عدد من الكيانات وطائفة من المقومات، جعلت من تلك المدينة حاضرة، وفيما يخص فاس بالذات، فهي علىٰ الرغم من أنها

---

(١) مجلة المغرب الجديد، عدد ربيع الثاني، ١٣٥٥.

(٢) .Fez ou les bourgeois de l islam.1930.

(٣) رسالة المغرب، الرباط، ١١يونيو، ١٩٥١.

(٤) .Fez avant le protectorat.o.453-454.

العاصمة الأولىٰ للدولة الإسلامية في هذه الديار، فيها شيء آخر كان وراء هذه العاصمة، وهو قلبها وهو عصبها وهو روحها وبصرها، وهو كل شيء فيها، ولم يكن هذا الشيء غير "القرويين"، التي ظلت القلب النابض والعقل المفكر لتلك الحاضرة"[1].

(١) التّازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ١١١.

المطلب الثاني

الأوقاف الخيرية وأثرها
في النهضة العلمية والثقافية لجامعة القرويين

لم يكن المولىٰ إدريس الثاني ليفكر في تأسيس عاصمة جديدة لمملكته الناشئة إلا بعد أن ضاقت به وبرعيته عاصمته الأولىٰ ولِيلي، خاصة وقد توافدت عليه الوفود من المهاجرين من القيروان وبلاد الأندلس، وكان من هؤلاء المهاجرين إلىٰ فاس عدد من العلماء والفقهاء وأهل الفضل، وفي طليعتهم يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي: صاحب مالك وراوي الموطأ عنه، وجالبها إلىٰ المغرب. وقد أسهم هؤلاء العلماء في إطلاق شرارة الحركة العلمية بفاس، خاصة المتعلقة منها بالدين. وكان لذلك أثره العظيم في بناء مؤسسات دينية أخرىٰ بمدينة فاس، ازدهر عطاؤها بفضل الأوقاف الإسلامية، وانطلق إشعاعها المعرفي والفكري في طول البلاد وعرضها. ومن أهم هذه المؤسسات وأعظمها علىٰ الإطلاق: جامع القرويين، التي تعتبر المؤسسة الأم التي يرجع لها معظم أوقاف فاس[1]. وهنا تطرح إشكالية الوظيفة التعليمية لجامع القرويين، خاصة في هذه الفترة المبكرة من تاريخها، في ظل غياب النصوص والمصادر التاريخية المعاصرة لتلك

(١) بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، ص. ٤٦.

المرحلة. لكن، اعتباراً للعلاقة الجدلية بين مؤسسة الجامع والتعليم في الإسلام[1]، نعتقد أن حلقات الدرس الأولىٰ قد انعقدت في رحاب القرويين منذ تأسيسه؛ ابتهاجاً بهكذا معلمة دينية وحضارية في ذلك الزمن المبكر. ولعل العلماء الذين وضعوا قبلة القرويين كانوا أول من حلق فيها لِبَثِّ العلم والمعرفة، خاصة وأن الجامع قد حظي برعاية إمارة المؤمنين بمباركة الأمير يحيىٰ الأول (٢٤٩هـ)، الذي كان بيته مجاورا له. وفي عهده استَبْحَرَ عُمران فاس، ورحل إليه الناس من الشرق والقيروان والأندلس. ولا بد أن يكون في أوائل الذين عقدوا مجالس علمية حافلة بالقرويين الحافظ الثقة الشاعر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي (٢٩٦هـ)، الذي ورد علىٰ فاس باستدعاء خاص من الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس، الذي كان علىٰ سابق معرفة به، تجمعهما رابطة العلم والأدب، وقد عرف بمجالسه، سواء في بلده أو بالقيروان أو بغداد.. فكيف لا يجلس للعلم بجامع القرويين؟

ولا شك أن الإقبال علىٰ حلقات التعليم بهذا الجامع قد تعزز في عهد الأمير يحيىٰ الرابع (٣٠٧هـ)، الفقيه العارف، الذي كان يقصده العلماء والشعراء من كل جهات العالم الإسلامي، وهو الذي كان يتوفر علىٰ عدد من الوراقين لا شغل لهم إلا نسخ الكتب؛ مما يدل علىٰ انتشار حركة تعليمية لا شك أن جامع القرويين كان محتضنها الأول. وللأسف الشديد، فقد ضاعت بعض المصادر التاريخية التي كان من الممكن أن تسلط الضوء علىٰ الحياة التعليمية في القرويين في تلك الفترة المبكرة، ولكن كل القرائن تدل علىٰ أن القرويين عرفت الحلقات العلمية منذ أيامها الأولىٰ؛ فكبار العلماء الذين نبغوا في تاريخ المغرب، إنما نبغوا بعد

(١) كنون، النبوغ المغربي، ص. ٤٧.

تاريخ تشييد هذا المسجد العامر[1]. وكيف يتأتىٰ ذلك في قرطبة والقيروان، ولا يتأتىٰ في فاس، مع أنها ظلت علىٰ صلة وثيقة بهذه و بتلك في كل الحالات. وهكذا، عرفت فاس في هذه الفترة الإدريسية انتشاراً للثقافة الإسلامية، وخاصة الفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية، ودخلت إليها أمهات كتب المذهب المالكي، وفي مقدمتها الموطأ ومدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد القَيْرَواني ورسالته، والتهذيب للبراذِعِي، والواضحة لابن حَبِيب، وغيرها. وكل منها أنشئ له كرسي علمي مدعم من قبل الأوقاف؛ من أجل أداء مهمته العلمية[2]. وفي أواسط القرن الرابع الهجري، تحدث الجزنائي عن مسجد الأندلس، توأم القرويين، فقال عنه:" وكان جملة من الفقهاء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع، وكانوا أهل الشورىٰ ممن يقتدىٰ بهم، يقصدهم الناس من أقطار البلاد، فمن مدرس، ومن طالب ما شاء من فنون العلم، في مجالس شتىٰ يقصدهم الناس للفتوىٰ وطلب العلم، كالفقيه جبر الله بن القاسم...". إذا كان الأمر هكذا بالنسبة لمسجد الأندلس، فكيف يمكن أن يكون بالنسبة للجامع الأعظم؟ لا شك أن جامع القرويين كان أكثر تألقا بحلقات الدرس والعلم، خاصة وقد تنافست السلطات المتعاقبة علىٰ فاس في الاعتناء به، ووضع محرابه باعتباره رمزاً دينيـًا وعلميـًا كذلك. وهكذا، لا يمكننا بأي حال أن نمنع انتساب الأجيال الأولىٰ من علماء فاس إلىٰ القرويين. ومن هؤلاء نذكر: دراس إسماعيل الفاسي، جبر الله الفاسي، الشيخ أبي جيدة، وغيرهم. ولعل أقدم رواية تنص مباشرة علىٰ الجلوس للتدريس بالقرويين ترجع للعصر المرابطي، حيث تذكر أن

(١) كنون، النبوغ المغربي، ص. ٤٧.

(٢) بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، ص. ٤٦.

ابن أبي جامع الأنصاري الجياني كان يعطي درسًا له بالجهة الغربية من القرويين سنة ٥١٥هـ. أي قبيل قيام المرابطين بإصلاحاتهم في الجامع المبارك. كما تذكر أن أبا الحسن علي القيسي كان يعطي دروسه سنة ٥٥٤هـ. وفي هذه الفترة المبكرة من تاريخ القرويين تذكر بعض الروايات التاريخية توافد عدد من علماء الأندلس إلىٰ مدينة فاس للتخصص في بعض العلوم: علم الكلام وعلوم الحديث...علىٰ أيدي جماعة من مشايخ القرويين، مثل: االقاضي أبي محمد عبد الحق بن معيشة، وابن الملجوم، وأخيه أبي العباس، وابن أبي داوود، وأحمد بن دبوس، وابن الغرديس، وابن المغيلي...[١].

والواقع أنه في العهد المَرِيْنِي اكتملت جامعية مدينة فاس، ممثلة في جامعة القرويين بفروعها المحلية. وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنصال": "وقد وجهت الأنظار إلىٰ فاس بعد أن أصبحت مركزاً هامًا من مراكز الثقافة منذ بدء القرن الرابع عشر علىٰ وجه الخصوص، أي بعد أن هاجر إلىٰ (مُرَاكُش) كثير من العلماء الذين يحملون علم الثقافة الإسلامية، بعد أن وقعت شبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال) في أحضان المسيحية من جديد، وذلك – تقريبا – في القرن الرابع عشر، فأضفىٰ ذلك علىٰ فاس ثوبًا علميًا يرجع الفضل فيه إلىٰ تلك الجامعة العريقة: جامعة القرويين"[٢]. ومن أبرز مظاهر الازدهار الذي عرفته الحركة التعليمية بالقرويين في العهد المَرِيْنِي، كنتيجة مباشرة لنظام الأوقاف: الكراسي العلمية، فبعد العملية الضخمة التي أنجزها المَرِيْنِيون في مجال التعليم، والمتمثلة في تشييد المدارس والخزنات العلمية في مدن مختلفة

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١، ص. ١١٤.

(٢) الكتاب الذهبي لجامع القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، ص. ٨٥.

من المغرب، وتخصيص أوقاف خاصة لهذه المؤسسات والساهرين عليها، ورجالات العلم والتعليم بها، والمستفيدين منها من الطلبة، وفق نظام خاص يَرُوْمُ تحقيق الجودة في التكوين والاستحقاق في المنح الوقفية[1]، كان من نتائج ذلك تأسيس الكراسي العلمية، التي كانت تعبيراً صادقاً وصورة حية عن مستوىٰ الحركة الثقافية بالمغرب المَرِيْنِي. وقد عمت هذه الكراسي منذ بداية انتشارها جامعة القرويين[2]، التي كانت تشتمل علىٰ كراسي علمية منتشرة بين جدرانها. وغالبا ما كانت تسمىٰ بأسماء العلماء اللامعين القائمين عليها. وتنقسم هذه الكراسي إلىٰ قسمين[3]:

القسم الأول: يمكن تسميته بكراسي التعليم الشعبي، وكان مفتوحا في وجه عامة المسلمين، الذين كانوا يفدون علىٰ جامع القرويين لحضور المجالس العلمية التي كانت تقدم فيها دروس وعظية توجيهية في العلوم الأخلاقية والروحية[4].

أما القسم الثاني: فقد كان تعليماً خاصاً أو تعليما عالياً، كان مخصصاً للطلبة الذين حصلوا علىٰ المبادئ الأولىٰ للعلم والمعرفة. وكانت الدروس في هذا القسم تختلف عن دروس القسم الأول؛ حيث كان يتولاها علماء كبار، متضلعون في مختلف فروع المعرفة، يلقون دروسهم علىٰ هؤلاء الطلبة لقاء مرتبات

(١) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين، ص. ٢٥٤.

(٢) الوزان، وصف إفريقيا، ج.١، ص. ٢٢٣-٢٢٤؛ التازي، جامع القرويين، ج.٢، ص. ٣٧٠.

(٣) محمد عزي، دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب في عصر المَرِيْنيين، ص. ٣١٤.

(٤) الوزان، وصف إفريقيا، ج.١، ص. ٢٢٤.

حسنة[1]، زيادة علىٰ استفادتهم من الكتب والمؤلفات العلمية التي كانت تقدم بالمجان، إضافة إلىٰ الإنارة، وهذا كله مساعدة لهم علىٰ التفرغ لإلقاء دروسهم العلمية بموازاة مع الدروس الأخرىٰ التي كانت تلقىٰ بالمساجد والجوامع[2]. وقد أسهمت هذه الكراسي العلمية في توسيع دائرة انتشار الحركة العلمية إلىٰ أكبر قاعدة شعبية من الناس؛ حيث كانت هذه الكراسي مفتوحة في وجه كافة أفراد الشعب، بمختلف مستوياتهم وشرائحهم الاجتماعية، بمن فيهم الصناع والتجار والحرفيون. وكانت المدينة تزخَر بحركة علمية متميزة؛ بسبب الانتشار الواسع للكراسي العلمية، وعقد المجالس العلمية بساحة جامع القرويين؛ مما أضفىٰ علىٰ المدينة طابعها العلمي المتميز، وغدت بفضل ذلك قبلة المتعلمين والدارسين، حيث استطاعت الكراسي العلمية الإسهام في الرفع من مستوىٰ الحركة العلمية، جنبا إلىٰ جنب مع المساجد والمدارس[3]. وقد اضطلعت هذه الكراسي، مثلها مثل المراكز العلمية والثقافية، بوظيفة التدريس لمختلف العلوم الدينية وعلم اللغة والعلوم العقلية، فكانت تدرس بالكراسي مختلف العلوم الشرعية، من تفسير وحديث وفقه وسيرة وتاريخ، وغير ذلك.

أما أهم الكتب التي كانت معتمدة للدراسة بهذه الكراسي، فهناك: تفسير القرآن للثّعْلبي (ت٤٢٧هـ) وحلية الأولياء لأبي نُعَيْم (ت٤٣٠هـ)، وإحياء علوم

(١) الوزان، وصف إفريقيا، ج.١، ص. ٢٢٤.

(٢) مجلة دعوة الحق، العدد، ٣٦٣، ص. ٩٣-٩٤؛ جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ص. ١٣٩؛محمد عزي، دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب، ص. ٣١٣-٣١٦.

(٣) وصف إفريقيا،ج.١، ص. ٢٢٤؛ محمد عزي، دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب، ص. ٣١٥.

الدين للغزَّالي (ت ٥٠٥هـ)[١]، وكذا كتاب الشِّفا للقاضي عياض. وكانت رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) تدرس بمدرسة الصهريج ومسجد الأندلس، ومدونة سحنون (ت٢٤٠هـ) تدرس بمدرسة الحلفاويين ومدرسة العطارين، ومدرسة الوادي، والتهذيب في اختصار المدونة للبراذعي (ت٣٧٢هـ) بالمدرسة المصباحية والمدرسة المتوكلية، ومدرسة فاس الجديد، ومدرسة الصهريج، التي كان بها بالإضافة إلىٰ كرسي التهذيب، كرسي لتدريس البيان والتحصيل لابن رشد (ت٥٢٠هـ)[٢]. وكانت الدراسة بالكراسي العلمية موازية للدراسة بالجامع الأم. ولا يمكن الحديث عن ازدهار حركة التعليم في العصر المَرِيْنِي بالقرويين وملحقاته دون الحديث عن السند الرئيس لهذه الحركة، وهو الوقف الخيري التعليمي، وقد خصت السلطة الحاكمة والمجتمع هذه الكراسي التي نتحدث عنها بأوقاف غزيرة لمساعدتها علىٰ أداء وظيفتها، وكانت عبارة عن أصول ورباع، أو عبارة عن كتب علمية لهذا الغرض[٣]. ومن من أهم كراسي القرويين في العصر المَرِيْنِي: كرسي المحراب، الذي يرجع ظهوره إلىٰ سنة ٦٥١هـ، إذ تعاقب عليه كبار العلماء لتدريس تفسير القرآن للثعلبي، والحلية لأبي نُعَيْم، والإحياء للغزَّالي، وكتاب الشِّفا للقاضي عياض. وتبارىٰ الناس علىٰ طول الزمن في الاقتداء بأولئك الذين خصصوا الجرايات والأوقاف لهذا الكرسي المقدس،

(١) التازي، جامع القرويين، ج. ٢، ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ص. ١٣٩- ١٤٠.

(٣) جامع القرويين،ج.٢، ص. ٣٧٢-٣٧٣؛ مجلة دعوة الحق، العدد. ٢٤٤، ص. ١٠٣؛ انظر: أوقاف الكراسي العلمية بالحوالة الإسماعيلية ميكروفيلم، ١٥٩، ص. ١٧٦-١٩٦-١٩٧ - ٢٠١.

فتسابقوا إلىٰ البذل والعطاء علىٰ الكرسي المذكور. وتضمنت الحوالات الحبسية لوائح المحبسات التي وقفها الأولون لمن يتأهل لشغل منصب كرسي المحراب. ولأهمية هذا الكرسي، باعتباره يقع في قلب المسجد الأعظم؛ فقد تنافس عليه العلماء و الفقهاء، وتعاقب عليه كثير من أهل الفضل. واضطر القائمون عليه إلىٰ تنظيم الاشتغال به في الصباح والمساء بالتناوب، ولم يعرف التعطل لا شتاء ولا صيفا[1]. ومن نماذج كراسي المدارس المَرِيْنِية نذكر كرسي مدرسة الحلفاويين للفقه والنحو، وكرسي المدرسة المصباحية للفقه والنحو، وكرسي مدرسة العطارين للفقه والنحو كذلك، وكرسي المدرسة المتوكلية للفقه والنحو والتفسير والحديث. وبالإضافة إلىٰ كراسي القرويين الأم والمدارس العلمية، كانت المساجد بدورها تحتضن كراسي علمية علىٰ نطاق واسع، ومن هذا الصنف نذكر كرسي مسجد الأصدع، وهو من أهم الكراسي العلمية بمساجد فاس من غير كراسي جامعي القرويين والأندلس، و كان يعرف حركة علمية كبيرة، وحضوراً مكثفاً؛ اعتباراً للشخصيات العلمية المتميزة التي تعاقبت عليه، مثل: الإمام أبي الحسن الزريولي، المعروف بأبي الحسن الصُّغَيّر، الذي كان يدرس به المُدوَّنة لابن البراذِعي[2].

وهكذا، عرف العصر المَرِيْنِي ازدهاراً كبيراً للحركة العلمية والتعليمية؛ فاستفادت العلوم الشرعية بالدرجة الأولىٰ من تفسير وحديث وفقه... لارتباطها بالدين وبقلوب المغاربة، وبرز فيها علماء كبار، مثل: ابن العابد الفاسي في التفسير، و يحيىٰ بن رشيد الفِهْرِي (ت٧٥٠هـ) في الحديث الشريف. أما الفقه،

(١) التازي، جامع القرويين ، ج. ٢،ص.، ٣٧٢.

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص. ٣٨٩.

فيعتبر العصر المَرِيْنِي عصر الفقه بامتياز؛ حيث استرجع المذهب المالكي سيادته التي ضايقه فيها المذهب الظاهري خلال العصر المُوَحِّدِي، فكثر العلماء المشتغلون بالفقه والمتبحرون فيه، مثل: محمد بن الفتوح التّلمِساني (ت ٨١٨هـ)، الذي كان أول من أدخل مختصر خليل بن إسحاق المالكي المصري إلىٰ فاس [١]. ومن أهم الكتب الفقهية المتداولة خاصة بالقرويين، نذكر: المدونة الكبرىٰ لسَحْنُون، التي كتبها فقهاء فاس من حفظ أبي الحسن علي بن عشرين عند ظهور ملوك بني مَرِيْن، والتي كان الموحِّدُون قد أحرقوها من قبل في سياق محاربتهم لفقه الفروع المالكية. والرسالة لابن أبي زيد القَيْرَواني، وتهذيب المدونة للبراذعي، ومختصر ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، ومختصر خليل بن إسحاق المالكي المصري (ت٧٧٦هـ). كما برزت أسماء أخرىٰ لامعة في الأصول والتاريخ والسيرة...وعموما تميز العصر المَرِيْنِي بكثرة الخريجين من علماء القرويين وفروعها، مستفيدين من احتضان السلطة والمجتمع للحركة العلمية والتعليمية عبر الوقف الخيري، الذي يسر كل الصعوبات المادية أمام طلبة العلم؛ مما شجعهم علىٰ التوافد علىٰ القرويين وفروعها لتلقي العلم والترقي الاجتماعي. فأصبح المجتمع يعج بالعلماء والفقهاء. ولا أدل علىٰ ذلك من العدد الهائل من العلماء الذين كانوا يرافقون السلطان أبا الحسن المَرِيْنِي خلال سفره إلىٰ تونس، حيث غرق أربعمائة منهم في البحر. فإذا كان هذا هو حال العلماء في السفر، فكيف بعددهم في حالة الحضر؟ ومن مفاخر العصر المَرِيْنِي – كذلك – عقد المجالس العلمية التي كانت تنظم تحت إشراف السلاطين وبحضورهم، وهي تقليد علمي لم يعرف العالم له مثيلا[٢]. ومنها مجالس السلطان أبي

١٠٠ – الكتاني، سلوة الأنفاس، ج.١،ص. ٣٨٣.

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص.٣٦٨.

الحسن، ومجالس السلطان أبي عنان. وقد كان علماء هذه المجالس، علىٰ الرغم من كثرتهم، يتلقون رواتب من ميزانية الأوقاف، التي كانت متكفلة بالإنفاق علىٰ العلماء والطلبة. فكان أحد المرتبين شهريـًا، والآخر سنويـًا من مالية الأوقاف، فضلاً عن الهدايا والهبات السلطانية بين الفينة والأخرىٰ[1]. وكان الراتب الشهري يكفي العالم لقضاء مآربه العادية من مأكل ومشرب، أما السنوي فيتناول توزيع الحبوب والدهن واللباس. واستفاد العلماء من تزايد ثروة الأوقاف بفضل إقبال عامة الناس وخاصتهم علىٰ الوقف الخيري التعليمي بشكل كبير، حتىٰ إن الأوقاف لم تكن تفي فقط بمرتبات العلماء ونفقات الطلبة والقيِّمين الدينيين، بل كانت الخطط والوظائف الشرعية الأخرىٰ من فتوىٰ وقضاء بدورها تستخلص من مالية الأوقاف. وكانت الدولة تقف بجانب الأوقاف لدعمها وإسنادها باستمرار، وخاصة في حالات العجز، وهي نادرة جداً. واستمر تقليد الكراسي العلمية قائمـًا بالمغرب، وبالقرويين بشكل خاص، خلال العصور اللاحقة الوطَّاسية والسعدية والعلوية، مستفيدة من تزايد الأوقاف عليها، سواء من طرف الأمراء والملوك أو الخواص. وانعكس ثراء الوقف الخيري التعليمي علىٰ الحياة التعليمية خلال هذه العصور. ولا أدل علىٰ ذلك من ارتباط أسماء كبار العلماء بالقرويين، فمن علماء العصر الوطاسي نذكر – مثلا –: أبو العباس أحمد الوَنْشَرِيْسِي (ت ٩١٤هـ) نزيل فاس ومفتيها. وقد أكب علىٰ تدريس المدونة وفرعي ابن الحاجب. وكان يدرس بعد قدومه من تِلِمْسان بالمسجد المعلق بالشراطين قبل أن تسند إليه الكراسي الوقفية في أهم مساجد فاس و مدارسها، وابنه عبد الواحد الوَنْشَرِيسِي (ت٩٥٥هـ)، الذي درس بالمدرسة المصباحية، وكان له كرسي بجامع القرويين.

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص. ٤٣٧.

وخلال العصر السعدي، برز عدد كبير من العلماء الذين أشع نورهم من داخل القرويين[1]، منهم العالم أبو العباس ابن المَنْجُور الفاسي (ت٩٩٥هـ)، وكان يقرأ التفسير علىٰ الكرسي الكائن عن يسار الداخل المقابل لباب القراقين من جامع القرويين القريبة للمنار، وكان يقرأ – أيضا – صبيحة يوم الخميس ويوم الجمعة قصيدة ابنِ زَكْرِي في التوحيد علىٰ الكرسي الكائن عن يمين الطالع للمستودع الكائن عن يمين الداخل من باب الحفاة بجامع القرويين. وكان له – كذلك – كرسي في الحديث قريب من باب الكتبيين من القرويين، يقرأ فيه صحيح مسلم بين العشائين، وكان له – أيضا – كرسي في الفقه يقرأ عليه – بعد صلاة الظهر، أسفل السبع الكائن عن يسار الداخل من مسجد الجنائز للجامع المذكور – مختصر ابن الحاجب، كما كان يقرأ عليه صغرىٰ السَّنُوسِي. ومن هؤلاء العلماء أبو العباس أحمد بن علي الزموري (ت١٠٠١هـ) وكان له كرسي للتفسير بجامع الأندلس يخصصه لتفسير الفخر الرازي لكون الحبس عليه، وكرسي بجامع القرويين، وآخر بمدرسة العطارين. وغيرهما كثير ممن يصعب الإحاطة بهم جميعـًا في هذا المقام. وكان من أثرىٰ الكراسي العلمية بالقرويين في العصر السعدي كرسي الونْشَرِيسِي؛ اعتبارا لكثرة أوقافه [2].

وفي العصر العلوي، عرفت الحياة الفكرية والتعليمية مزيداً من التطور والازدهار؛ بفضل عدة عوامل، من أهمها: الوقف الخيري التعليمي؛ فقد لاقىٰ الوقف من قبل ملوك الدولة العلوية عناية ورعاية واهتمامـًا زائداً؛ إذ أصلحوا جهازه، وأدخلوا عليه عدة تنظيمات كفلت استمراه في أداء رسالته المنوطة به في

(١) بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، ص. ١١٧-١٢٨.

(٢) التازي، جامع القرويين،ج.٢،ص. ٣٨٠..

الحياة المجتمعية عامة، وفي الحياة العلمية والثقافية خاصة. وأسهمت القرويين – كعادتها – بأوفر نصيب في هذه الحركة فقد اهتم السلاطين العلويون، منذ بداية عهدهم، بإحياء الأوقاف، بعد الأزمة السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب نهاية دولة السعديين، فجمعوها في سجلات خاصة (الحوالات)؛ حتىٰ تستمر في أداء رسالتها وفق مقاصد الواقفين، وفي مقدمتها نشر العلوم وتنميتها، وذلك بخدمة العلماء والطلبة والمؤسسات التعليمية والدينية، وفي مقدمتها عين فاس والمغرب: جامعة القرويين وأهلها. فنشطت الكراسي العلمية بالقرويين وفروعها، وفي كافة المدن. وكانت ولاية كراسي القرويين منصباً سامياً لا يصدر التعيين فيه إلا بأمر السلطان. وكانت لها أوقاف خاصة صادرة عن السلاطين وعن أفراد المجتمع. وتزخر حوالات القرويين بعدة لوائح فيها أوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين و الكتب الموقوفة عليها. وقد بلغ عدد الكراسي العلمية التي احتضنتها القرويين بين جنباتها في هذا العصر ١٨ كرسيا: كرسي المحراب، وكان مخصصا للسِّيَر والتاريخ، وكرسي الورياكلي (٨٨٠هـ) وهو من أعظم كراسي القرويين من حيث الشيوخ المتعاقبون عليه، ومن حيث أوقافه والكتب الموقوفة عليه، وقد اختص بالعلوم والفنون[١]. كرسي باب الرواح الأدنىٰ، كرسي النحو، كرسي باب الصالحين الأيمن، كرسي باب الصالحين الأيسر، كرسي باب الشماعين، كرسي باب الصومعة: وهو من أهم الكراسي التي استمرت قائمة بالقرويين منذ العصر المُوَحِّدِي حتىٰ عهد السلطان محمد الخامس – رحمه الله –، كرسي مستودع باب الحفاة، وهو من أنشط الكراسي في العصر السعدي والعلوي، كرسي مستودع ابن عباد: كان يدرس عليه التوقيت

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص.٣٧٨.

والتعديل، كرسي ظهر الخصة وكرسي الوَنْشَرِيْسِي: وكانا معا من أغنىٰ الكراسي من حيث الكتب الموقوفة عليهما، ومن حيث الأوقاف. كرسي الركن الشمالي الشرقي للقرويين، ثم كرسي الثريا الكبرىٰ وسط القرويين، وكرسي العنزة. وإذا أضفنا إلىٰ هذه الكراسي، المجالس العلمية التي كانت تنعقد بالقرويين وفروعها بفاس، سنقف علىٰ تسعين مجلساً علمياً منتظماً بمدينة فاس وحدها. ومعظمها وأكثرها أهمية بجامع القرويين. وكانت بعض هذه الكراسي تتميز بالتخصص في علم من العلوم، مثل: كرسي المحراب، الذي كان متخصصا في التاريخ والسِّيَر، وكانت كراسي أخرىٰ متخصصة في النحو و الفقه، وبعضها الآخر متعدد الاختصاصات، كما هو واضح من قائمة الكتب الموقوفة عليها، مثل: كرسي ظهر خصة العين؛ حيث كانت موقوفة عليه كتب من علوم متعددة: كتاب الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان الكَلَاعِي (٦٤٣هـ)؛ كتاب حلية الأولياء لأبي نُعَيْم الأصبهاني (٤٣٠هـ)؛ كتاب التفسير للثعلبي (٤٢٧هـ)؛ كتاب روض الصالحين لمحيي الدين أبي زكرياء يحيىٰ بن شرف النووي الشافعي؛ كتاب إحياء علوم الدين للغزّالي (٥٠٥هـ)؛ كتاب صحيح البخاري (٢٥٦هـ)، وغيره من الصحاح الستة. ومن فضائل هذا الكرسي استفادة النساء منه؛ حيث كان مقصود السماع من لدن فضليات المدينة وفقيهاتها اللاتي كن يشرفن عليه من الرواق الخاص بهن في مستودع ابن عباد[1].

ولم تكن الكتب الموقوفة مقتصرة علىٰ العلوم الشرعية فقط، بل شملت – كذلك – العلوم العقلية، كما يتضح من خلال قائمة الكتب الموقوفة علىٰ خزانة

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٢، ص. ٣٧٩.

جامع القروين في مجالي الحساب والطب، وهي[1]: مجموع ابن معيوب (١٠٢٢هـ) أوله: الاستبصار في التوقيت وفي الجبر والمقابلة؛ كتاب التوقيت لأبي القاسم القرشي (٦٨٧هـ)؛ كتاب كليات ابن رشد في الطب؛ كتاب التشريح الكبير لجالينوس؛ كتاب أبي الصّلت في الأدوية (٥٢٩هـ)؛ كتاب تحفة المتوسل للشقوري؛ كتاب أرجوزة ابن طفيل (٥٨١هـ) وتحتوي علىٰ سبعة آلاف بيت؛ كتاب اختصار القانون للشريف؛ المجلد الثاني من كتاب صناعة الطب؛ كتاب جامع الأطباء للمعافري؛ كتاب مناهج الدكان في الطب؛ كتاب المقالات لأبي إسحاق ابن حنين؛ كتاب إرشاد القاصد إلىٰ أسنىٰ المقاصد؛ كتاب الحميات للإسرائيلي؛ كتاب شرح أرجوزة في الطب لابن سينا؛ كتاب لابن الخطيب في الطب.

وهكذا، استطاعت القرويين أن تسهم في خلق نهضة ثقافية وعلمية شاملة لمختلف الفنون والمعارف والعلوم، وتمكنت من تخريج أجيال من العلماء والفقهاء، الذين اكتسبوا من المقومات الفكرية والكفايات التعليمية ما جعلهم قادرين علىٰ الإحاطة بمختلف علوم وفنون عصرهم؛ فأسهموا في تنشيط الحركة التعليمية بالمغرب عبر كل العصور، انطلاقًا من رحاب جامعة القرويين، التي احتضنت كل العلوم: علم الأدب أو الدراسات الأدبية، علم أسرار الحروف، ويعني طبائع الحروف وخصائصها، كما هو معروف في مؤلفات أبي العباس البوني (٦٢٢هـ) وابن عربي (٦٣٨هـ)، فن الأوفاق والجدول، وهو من العلوم الكونية التي كانت تعتمد فيها علىٰ مؤلفات المغاربة، فنون البلاغة بعلومها

(١) الحوالة الإسماعيلية رقم الميكروفيلم ١٥٨ ص. ٤١٥-٤١٨؛ بوركبة، دور الوقف في الحياة الثقافية، ج.١، ص. ٢٥٤.

الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، علم التاريخ وما يرتبط به من السيرة والجغرافيا، علم التصوف، علوم التفسير والقراءات السبع وتوابعها من التجويد والرسم والتلاوات المأثورة والغريبة وتوجهاتها، علم التوقيت والتعديل والهئية بسائر فروعها، وعلم الأزياج، علم الكلام أو التوحيد، وما يتبعه من علوم المنطق، علوم الحديث وكتبه، علوم الحساب بفرعيه الجبر والمقابلة، واعتمدت في ذلك كتب ابن البناء المُراكشي،كما اعتمدت الأرقام العربية، و مادة الطب، والذي يعد من فروع الطبيعيات، ويشمل الصيدلة وخصائص الأغذية. واستعان العلماء في هذا المجال بكتاب "جالينوس" في الطب، بما أضيف إليه من تجارب ابن زهر وغيره من نوابغ الأطباء، أمثال: أبي الحسن المُراكشي، الذي وضع كتبه برسم خزانة السلطان أبي الحسن المَرِيْنِي. و علم الفقه: سيادة المذهب المالكي ومؤلفاته مع وجود مجالس للخلاف العالي. وقد كان من المواد المتعلقة في القرن التاسع مادة "العمل الفاسي". و كتب اللغة، التي كانت تحفظ في البيئات المثقفة بالمغرب. و علم النحو وفن الصرف، ومن الكتب المعتمدة: كتاب سِيبويَه، كتاب السيرافي (٣٨٥هـ) ومؤلفات ابن مالك (٦٧٢هـ)، بما فيها الألفية، ورسالة ابن آجُرُّوم الفاسي (٧٢٣هـ). علم المقادير: وهو من جملة العلوم العقلية وما يشمله من هندسة وأرتماطيقي وموسيقىٰ... فكانت القرويين وراء تخريج علماء وفقهاء المغرب، الذين لا يسمح المجال لذكرهم، عبَّر عن ذلك الدكتور/ عبد الهادي التّازي بقوله: "وفي اختصار مقتضب نذكر أن كل قضاة المغرب، بدون استثناء، وعلماءه وفقهاءه، لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بالقرويين.. إسأل عن العلماء

في الجبال، وعنهم في السهول والشعاب، تجدهم منتسبين إلىٰ مكان بفاس، اسمه القرويين"[١].

وشعوراً من السلاطين العلويين بأهمية القرويين، باعتبارها القلب النابض للدولة والمجتمع؛ لم يترددوا في رعايتها بالإصلاح البيداغوجي، عندما اقتضت الضرورة والمصلحة العليا للوطن. ولعل أول هؤلاء المصلحين السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي أصدر منشوراً / مرسومًا سلطانيًا عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، يحدد بموجبه المواد الدراسية والكتب التي ينبغي الاقتصار علىٰ تدريسها، مع تحديد مصادر كل مادة ومراجعها. فكان السلطان يبتغي تحقيق إصلاح جوهري في النظام التعليمي بالقرويين، مسنداً الأسبقية للعلوم الدينية، ولكن منددا بهجر المؤلفات الأصلية، واعتماد الملخصات والمختصرات التي لا تزيد مع الزمن إلا إجحافا بالمعاني الأصلية والحقيقية. كما نهىٰ عن دراسة كتب التوحيد المؤسسة علىٰ الجدل الكلامي، والرجوع بالمقابل إلىٰ مذهب السلف في الاعتقاد[٢]. كما أمر المرسوم السلطاني بتدريس القرآن بمختلف التفاسير، والحديث بصحيحي البخاري ومسلم والمسانيد، وفي مجال الفقه أمر بالاقتصار علىٰ المدونة، والبيان والتحصيل، والمقدمات لابن رشد الجد، والجواهر لابن شاس، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل بشرح بهرم الكبير (٨٠٥هـ)، والمَوَّاق والحطاب والخِرَشي الكبير لا غير[٣]. أما في مجال السيرة النبوية، فأمر بتدريس كتاب الالكتفاء للكَلَاعي، وعيون الأثر لابن سِيد الناس

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٢،ص. ٤٠٣.

(٢) حسن عزوزي، جامعة القرويين ودورها التاريخي في البناء الحضاري، ص. ٤٠

(٣) الناصري، الاستقصا، ج.٨، ص. ٦٧.

العمري، في حين يدرس النحو بكتاب التسهيل والألفية لابن مالك. أما المتفرغ لعلوم الفلك والحساب، فعليه أخذ حظه من علم التوقيت؛ لمنفعته العظيمة لأوقات الصلاة والميراث. ومع إبداء السطان شكوكه في جدوىٰ تدريس علوم الفلسفة؛ فقد أكد علىٰ أهمية تحصيل علوم الحساب والرياضيات والهندسة؛ ولذلك عمد إلىٰ إرسال بعثات من أبناء القرويين إلىٰ أوربا لاستكمال دراستهم في هذه العلوم. وهو الأمر الذي توالىٰ مع السلطانين الحسن الأول والمولىٰ عبد العزيز وغيرهما. وحاول السلطان تدعيم إصلاحاته هذه بتأسيس المدارس والمعاهد لتدعيم القرويين. وسار علىٰ نهجه ابنه السلطان المولىٰ سليمان (ت ١٢٣٨هـ)؛ حيث عرفت النهضة العلمية في عهده حركة ونشاطاً متميزين. ولعل هذا ما جعل المؤرخ الإسباني "باديا ليبليش"، الذي زار مدينة فاس عام ١٢١٧هـ، يقول عنها: "إن فاسا كانت في إفريقيا من حيث مركزها الثقافي تحاكي أثينا في أوربا"[1]. وتوالىٰ مسلسل إصلاح القرويين خلال مرحلة الحماية الفرنسية، وبعد الاستقلال إلىٰ وقتنا الراهن؛ بهدف ضمان استمرار القرويين في الاضطلاع برسالتها الحضارية باعتبارها وقفا للمسلمين.

(١) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٧٢٦.

المبحث الثالث

جامعة القرويين وأثرها في ترسيخ الهوية الإسلامية و تحقيق الإشعاع الحضاري للمغرب

❁ المطلب الأول : القرويين وترسيخ الهوية الإسلامية والشخصية الحضارية للمغرب :

❁ المطلب الثاني : جامعة القرويين وأثرها في الإشعاع والانفتاح الحضاري للمغرب :

المطلب الأول

القرويين وترسيخ الهوية الإسلامية والشخصية الحضارية للمغرب

بعد الفتح الإسلامي، أصبح المغرب جزءاً من خريطة الدولة الإسلامية، متفاعلاً مع التطورات السياسية والفكرية التي تحدث في المشرق الإسلامي، ويتلقف ما يصل إليه من أفكار وآراء مذهبية بواسطة المبعوثين والرسل والحجاج والرحالة، وكذلك المضطهدين، الذين كانوا يجدون في المغرب حماية منيعة لهم من متابعة الحكام في الشرق. ونتيجة لذلك؛ تسربت الأفكار والمذاهب العقدية والفقهية والسياسية المختلفة إلىٰ بلاد المغرب، تمكن بعضها من بلورة مشروعات سياسية، انطلقت بثورات الخوارج ضد بعض الولاة الأمويين، وصولا إلىٰ الاستقلال عن دولة الخلافة، وتأسيس كيانات سياسية علىٰ أسس مذهبية مختلفة، وبعضها الآخر اقتصر علىٰ الحضور الفكري والاجتماعي؛ مما جعل المغرب يدخل مرحلة من التجزئة السياسية والمذهبية والقبلية، استمرت قرابة ثلاثة قرون، وما ترتب عنها من حروب ونزاعات مذهبية وسياسية وعصبية. ازدادت هذه الوضعية خطورة بتلاشي المشروع السياسي الإدريسي الوحدوي، عقوداً قليلة بعد وفاة المولىٰ إدريس الثاني (٢١٣هـ) مؤسس مدينة فاس، وسقوط المغرب في دائرة الصراع الفاطمي الأموي (الشيعي / السني)، حيث حاولت الدولة الفاطمية، انطلاقًا من إفريقية، السيطرة السياسية والمذهبية علىٰ شمال إفريقيا؛ مما اضطر الدولة الأموية إلىٰ التصدي لمشروعها التوسعي. فكانت بلاد

المغرب الأقصىٰ ساحة للصراعات والحروب المذهبية والعسكرية؛ فأصبحت رحاب جامع القرويين ومنبرها محل تنافس بين أنصار قرطبة والقيروان، حتىٰ ساعدت الظروف الدولية علىٰ تخليص فاس والمغرب من التدخل الأجنبي، بسقوط القيروان كعاصمة سياسية ومذهبية للشيعة العبيديين، وتحويل وجهتهم نحو مصر، واختلال أحوال الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري. لكن مع ذلك، لم تعرف البلاد الاستقرار والسلم الذي كانت تنشده؛ بسبب الخلافات بين رؤساء زناتة وأمرائها، وتسلطهم علىٰ المجتمع بالجبايات والمغارم. خلال هذه المرحلة المبكرة، بدأ دور القرويين ونوره يشع، من خلال الخلايا الأولىٰ لفقهاء المذهب المالكي، التي مكنت تدريجيًا من السيطرة علىٰ الساحة الفقهية بالتغلب علىٰ المذهب الكوفي، الذي كانت له الصولة في المغرب؛ وبالتالي قضاؤه علىٰ المذاهب الأخرىٰ التي كانت منتشرة في جهات مختلفة من هذا القطر، كالمذهب الخارجي، الذي كانت تعتنقه إمارة بني مدرار في سجلماسة، والبرغواطي بمنطقة تامسنا، والاعتزالي الذي كان منتشراً هنا وهناك، والمذهب الشيعي في منطقة سوس. ولم يتوطد أمر المذهب المالكي في هذا العصر فقط كمذهب فقهي، ولكن كمذهب عقدي - أيضا -؛ اعتباراً للتلازم بين طريقته في الفقه والاعتقاد، وهي اتباع السنة ونبذ الرأي والتأويل[1]. ومن نجوم القرويين في هذه المرحلة دَرَّاس بن إسماعيل الفاسي (ت٣٧٥هـ)، الذي كان يجذب إليه كبلار الدارسين، أمثال: ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة، وأحد أئمة المذهب المالكي، ليأخذ عنه[2]. ثم ما لبث مالكية المغرب الأقصىٰ أن أخرجوا للوجود مشروعًا

(١) كنون، النبوغ المغربي، ص. ٤٨.

(٢) علال الفاسي، رسالة القرويين في الماضي والحاضر والمستقبل، ضمن كتاب: جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ص. ٥٣.

سياسياً إصلاحياً لتوحيد البلاد والعباد، ويتعلق الأمر بالمشروع الذي أفضىٰ إلىٰ تأسيس الدولة المرابطية علىٰ أساس المذهب المالكي وعقيدة أهل السلف. فما هي إلا بضع سنوات بعد التقاء الإرادة الإصلاحية لأبي عمران الفاسي و وجاج بن زلو اللمطي وعبد الله بن ياسين الجزولي مع أمراء صُنهاجة حتىٰ كانت دولة المرابطين قد وحدت بلاد المغرب، وأجزاء واسعة من الغرب الإسلامي، تحت راية المذهب المالكي. فعرفت الحياة الفكرية بتلاقح المغرب والأندلس ازدهاراً كبيراً في مختلف الفنون والمعارف. ورغم اتخاذ المرابطين مدينة مُراكش عاصمة لملكهم؛ لقربها من صحرائهم، فقد حافظت مدينة فاس - باعتبارها عاصمة المغرب الأولىٰ – علىٰ دورها الريادي من الناحية الفكرية والحضارية، وجددت القرويين انطلاقتها خدمة للهوية السنية المالكية للمغرب الأقصىٰ والغرب الإسلامي، خاصة وأنها أصبحت في ظل حماية دولة راعية لهذا التوجه. لقد أصبحت الهوية المغربية، خاصة منذ العصر المرابطي، مرتبطة كليا بالمذهب المالكي. ورغم أن الأندلس كانت تلقي بظلالها علىٰ المغرب في هذه المرحلة، فإن نبوغ عدد كبير من علماء المغرب وفقهائه، واستماتتهم في الدفاع عن المذهب المالكي في مواجهة النزعة الظاهرية للدولة المُوَحِّدِية، قد أثبت عمق تغلغل هذا المذهب في نفوس وقلوب المغاربة. ولذلك؛ لم تنفع محاولات استئصاله بإحراق كتبه من طرف خلفاء المُوَحِّدِين. وكان فقهاء القرويين في مقدمة من حفظ هذا المذهب وخدمه بحفظ مدوناته. وكان اختيار الدولة المَرِيْنِية هو إعادة الاعتبار للمذهب المالكي وفقهاء المالكية. وهي الدولة التي يرجع لها الفضل في الارتقاء بجامع القرويين إلىٰ جامعة متكاملة الأركان، كما سبق الذكر. وهو الاختيار الذي ظل راسخاً وعنواناً للهوية المغربية إلىٰ اليوم.

وخدمة لهكذا مشروع؛ اضطلعت القرويين بحمل الرسالة التي أوكلت إليها منذ تأسيسها، والمتمثلة في نصرة الشريعة والعقيدة الإسلامية، وخدمة اللغة

العربية والتراث العربي والإسلامي بصفة عامة. وكان لها بذلك دور مهم في الحفاظ علىٰ الشخصية العربية الإسلامية، وتشكيل الشخصية المغربية عبر القرون؛ فصهرت بذلك المجتمع المغربي في بوتقة الوحدة المذهبية المالكية والعقدية واللغوية، التي عمل علماء وفقهاء القرويين علىٰ ترسيخها بقوة، من خلال الالتزام بالتدريس والتعليم في إطار المنظومة المعرفية الخادمة لتلك الوحدة والمحافظة عليها. فبفضل جامعة القرويين استقرت كثير من أصول الهوية المغربية – بعدما نجحت في مواجهة المد الشيعي الفاطمي والخارجي – خاصة في العصر المَرِيْنِي، الذي يعتبر العصر الزاهر لهذه الجامعة، حيث تحققت للمغرب علىٰ أيدي علماء القرويين ورعاية حكام المَرِيْنِيين الوحدة اللغوية والتشريعية والعقدية[1]. فقد كان من أبرز مميزات الحياة الثقافية والدينية في العصر المَرِيْنِي توحيد اللغة القومية في نطاق تعميم اللغة العربية إلىٰ أقصىٰ حد ممكن، علىٰ خلاف ما كان عليه الحال في العصر المُوَحِّدِي. وكان للقرويين الأم وفروعها (المدارس والمساجد) دور كبير في ذلك، من خلال الازدهار الكبير لحركة تدريس علوم اللغة العربية وآدابها، ومختلف آلياتها النحوية والبلاغية؛ تحقيقا للوحدة اللغوية. فأسهمت بذلك في إنجاح سياسة التعريب الشاملة التي تبناها سلاطين بني مَرِيْن[2]. كما أسهمت القرويين في ترسيخ الوحدة التشريعية للمجتمع المغربي في إطار المذهب المالكي[3]؛ حيث اتخذت المادة العلمية المدروسة بالقرويين الاتجاه المالكي في الفقه منذ فجر تأسيسها، ففي عهد الأدارسة وردت الطلائع الأولىٰ لمذهب مالك، وتعزز ذلك بمناصرة سلاطين

(١) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين،ص. ٤٣٠.

(٢) حسن عزوزي، جامعة القرويين ودورها التاريخي في البناء الحضاري، ص. ٢٠-٢٢.

(٣) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين ، ص. ٤٣٢.

وملوك المغرب للمذهب المالكي، والسعي إلىٰ ترسيخه في البلاد. ووجد المذهب المالكي في الدولة المرابطية، باعتبارها دولة الفقهاء المالكية، خير سند له. ورغم أن دولة المُوَحِّدِين حاولت تغيير الوجهة التشريعية للمجتمع، من خلال دعوة خلفائها وفقهائها – بزعامة ابن تومرت – إلىٰ مباشرة الأخذ من أصول التشريع الإسلامي وفتح باب الاجتهاد، وتجاوز المذهب المالكي، فإنها لم تستطع ذلك، وظل المذهب المالكي محفوظاً في صدور فقهاء القرويين. وأبدىٰ الفقهاء المالكية مقاومة قوية للسياسة المذهبية المُوَحِّدِية، المتمثلة في مناهضة فروع المذهب المالكي، وإحراق كتبها، والقول بعصمة الإمام، وإجبار الخطباء علىٰ استعمال الأمازيغية في الخطب المنبرية، بما فيها منبر القرويين، وواجهوا ذلك بالتباري في حفظ الفروع؛ حتىٰ يقطعوا الطريق علىٰ كل الذين يريدون النيل منها، والتشبث بالعربية، وكانوا أنشط ما يكون لتعقب الآراء التي يريد الموحدون نشرها بين العامة[1].

ولذلك، لم يجد المذهب المالكي صعوبة في العودة القوية للحياة التشريعية للمجتمع مباشرة مع انقراض حكم المُوَحِّدِين علىٰ أيدي المَرِيْنِيين، حيث دعا هؤلاء إلىٰ الرجوع إلىٰ مذهب مالك، وحرصوا علىٰ الاهتمام بجامع القرويين، وتشييد المدارس التعليمية، التي أسهمت بدورها في ترسيخ المذهب المالكي، ونشره، والانتصار له. فوقع التخلي عن الأعراف والتقاليد التي كانت تسود في بعض القبائل المغربية، وأصبح الجميع يحتكم للمذهب المالكي[2]. وأصبح الفقه المالكي علىٰ رأس العلوم المدروسة بالقرويين ومدارسها، حتىٰ صار

(١) التازي، جامع القرويين، ج.١،ص.١٢٠.

(٢) المنوني، ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين ، ص. ٤٣٢.

العصر المَرِيْنِي عصر فقه بامتياز [1]. ومن إبداع علماء القرويين في التشريع وفق المذهب المالكي تمكنهم من تطوير نظرية ما جرىٰ به العمل، بإبداع نظرية العمل"العمل الفاسي"[2]. والحقيقة أن المغرب أصبح، بفضل تلاحم جهود علماء القرويين وملوكه وسلاطينه، وطناً مالكياً بامتياز. وارتباطاً بالوحدة التشريعية، كانت القرويين وراء تحقيق الوحدة العقدية للمجتمع، أولاً بترسيخ الهوية الإسلامية السنية وعقيدة أهل السلف، التي تمسك بها فقهاء القرويين منذ البداية في مواجهة المذاهب الأخرىٰ منذ العهد الإدريسي، الذي كان عهداً سنياً رغم انتساب الأدارسة العلويين لآل البيت، ثم مواجهة المد الفاطمي الشيعي، ومواجهة الخوارج والاعتزال، والنِّحَل المنحرفة والبدع الضالة، ومواجهة النزعة التلفيقية للمذهب المُوَحِّدِي، والتمسك بالعقيدة السنية في وجهها السلفي مع دولة المرابطين، ووجهها الأشعري، خاصة منذ العصر المَرِيْنِي، حيث تعززت الوحدة القومية للمجتمع المغربي باجتماعه علىٰ العقيدة الأشعرية بعد تنقيحها من الشوائب المُوَحِّدِية. وبذلك استطاع المغاربة أن يبتعدوا عن الفرقة والخلافات العقدية. ولم يكن هذا المسار سهلاً ويسيراً؛ بل تطلب تضحيات جسيمة من علماء الأمة المغربية: علماء القرويين.

(١) محمد عزي، دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب في عهد الدولة المَرِيْنِية، ص. ٣٣٤.

(٢) إدرس الفاسي:" المذهب المالكي وجهود علماء القرويين في تطويره " نموذج العمل الفاسي"، ضمن: جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي: الأصالة والامتداد، ص. ٦٢.

المطلب الثاني

جامعة القرويين وأثرها في الإشعاع والانفتاح الحضاري للمغرب

وموازاة مع تشبثها بالهوية العربية الإسلامية للمغرب، وفضلها الكبير في تكوين الشخصية المغربية وتعزيز الهوية الوطنية، كانت القرويين نافذة للانفتاح الحضاري علىٰ العالم، وتجلىٰ ذلك بعدم الاقتصار علىٰ تدريس العلوم الهوياتية فقط (العلوم الشرعية وعلوم اللغة والتاريخ)... ولكنها احتضنت بين رحابها وجنباتها العلوم الكونية: الرياضيات والهندسة والهيئة والطبيعة والطب والأرتماطيقي والموسيقىٰ والمساحة والتعديل والتقويم...وبلغت تآليف بعض علمائها في هذه العلوم درجة العالمية، ومنها: مؤلفات عالم الرياضيات ابن البناء المراكشي (٧٢٣هـ)، التي شاعت في جميع أرجاء العالم، وخاصة كتابه "تلخيص أعمال الحساب"، الذي ظل أحد المصادر المعتمدة في أوربا، وتمت ترجمته حتىٰ عام ١٨٦٤م إلىٰ اللغة الإنجليزية، وإلىٰ الفرنسية عام ١٨٨٥م. كما انتشرت مؤلفاته في البلدان العربية والأندلس. وقدمت القرويين نموذجاً في الانفتاح علىٰ العطاء العلمي للأمم الأخرىٰ غير الإسلامية؛ حيث كانت مؤلفات أبوقراط وجالينوس في الطب تشكل أساس منهج التعليم الطبي إلىٰ جانب مؤلفات الأطباء المسلمين من المشرق والأندلس والمغرب. وكانت بعض معاهد العلم والترجمة

بإسبانيا تضطلع بنقل تراث علماء القرويين وغيرهم، خاصة في حقول المنطق والطب والرياضيات والفلك، إلىٰ اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية[١].

وكانت للقرويين إسهامات – أيضا – في تحقيق التعارف الثقافي والحضاري مع أوربا، بقدوم بعض رجال الدين والمستشرقين إليها؛ لتعلم العلوم والمعارف واللغة العربية[٢]. ومن هذه الشخصيات نذكر: البابا "سلفيستر الثاني" Sylvestre II (ت ١٠٠٣م)، الذي يشكل قدومه إلىٰ القيروان اعترافاً مبكراً بإشعاعها ومكانتها العلمية في القرن الرابع الهجري (١٠م). تحدث عن هذه الزيارة المستشرق "كريستوفيتش" krestovitick حيث قال: "إن أقدم مدرسة كلية في العالم أنشئت لا في أوربا كما كان يظن، بل في إفريقية، في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقا؛ إذ قد تحقق بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعىٰ (كلية القرويين)، وقد أسست في الجيل التاسع للميلاد، وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم، بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقىٰ فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة حينما كان سكان باريز وأكسفورد وبارو وبولونيا يعرفون من الكليات إلا الاسم، فكانت الطلبة تتوارد علىٰ كلية القرويين من أنحاء أوربا وإنجلترا، فضلا عن بلاد العرب الواسعة؛ للانخراط في سلك طلابها، وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم، ومن جملة من تلقىٰ علومه في هذه الكلية من الأوربيين "جيربرت" (Gerbert) أو "البابا سلفستر"[٣].

(١) حسن عزوزي، جامعة القرويين ودورها التاريخي في البناء الحضاري، ص.٦٤.

(٢) حسن عزوزي، جامعة القرويين...،ص. ٦٨-٧٠.

(٣) التازي، جامع القرويين،ج.١،ص. ١١٥.

ولنعرف قيمة هذه الشخصية؛ يضيف صاحب هذا القول: إنه أول من أدخل إلىٰ أوربا الأعداد العربية، وطريقة الأعداد المألوفة عندنا، بعد أن أتقنها جيداً في الكلية المذكورة، كما يظهر ذلك من رسالته إلىٰ الإمبراطور "أتون" (Othon) مساعده، التي أتىٰ فيها علىٰ ذكر الصفر العربي، بقوله: إني أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة، الذي يزداد قيمة بوضع أعداد أخرىٰ عن يساره..."[1].

ومن الوافدين إلىٰ القرويين – أيضا -: القسيس "نيكولا كلينار" Nicolas clenard، الذي جاء من جامعة لوفان louvan ببلجيكا (١٥٤٠م)؛ لدراسة اللغة العربية، وكان يقدم هو دروسًا في اللغتين اللاتينية والبرتغالية [2]. والهولندي "جولييس" Golius(١٦٢٢م) الذي كان له أثر كبير في تطوير الدراسات العربية بهولندة، وغيرهم. وبذلك تكون القرويين قد أسهمت في تنمية البحث العلمي في أوربا، وإرساء التواصل الحضاري معها باستقبال علمائها وطلابها[3].

ومن جهة أخرىٰ، كان من تجليات الوعي الحضاري لعلماء القرويين، استيعابهم للتحولات الدولية التي عرفها العالم في أواخر القرن ١٩ وبداية

(١) التازي، جامعة القرويين، ج.١، ص. ١١٥-١١٧.

(٢) التازي، جامع القروين، ج.٢، ص. ٤٤٩.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.٢، ص. ٤٨٥.

القرن٢٠، وتحليلهم لأسباب التجاوز الحضاري الغربي الهائل للبلاد الإسلامية، ومنها المغرب[١].

وعبر بعض هؤلاء العلماء، الذين شكلوا عمدة السلك الديبلوماسي المغربي الحديث بأوربا، عن هذا الوعي من خلال تدوينهم لرحلاتهم الديبلوماسية، مثل: الفقيه محمد الطاهر بن عبد الرحمن الفِهْري، الذي كان مبعوث المغرب إلىٰ إنجلترا سنة ١٨٦٠م، ودوَّن رحلته في كتاب "الرحلة الإبريزية إلىٰ الديار الإنجليزية"[٢]، وإدريس بن محمد العمراوي، الذي بعث إلىٰ فرنسا عام ١٨٦٠م، ودوّن رحلته تحت عنوان: "تحفة الملك العزيز بمملكة باريز"[٣]. وأحمد بن محمد بن عبد القادر الكلالي، الذي بعث إلىٰ إسبانيا (١٨٨٥م)، ودون رحلته تحت عنوان: "التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية"[٤].

وشعوراً منهم بخطورة التفاوت الغربي؛ كان علماء القرويين في مقدمة المطالبين بالإصلاح الشامل للدولة المغربية بمختلف مرافقها، فألفوا في ذلك تآليف رائدة[٥]، نذكر منها – مثلا – مؤلف الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي

(١) عبد المجيد القدوري، سفراء مغاربة في أوروبا ١٦١٠-١٩٢٢، في الوعي بالتفاوت، المغرب،١٩٩٥.

(٢) تحقيق: محمد الفاسي، فاس، ١٩٦٧.

(٣) تقديم وتعليق: زكي مبارك، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة ١٩٨٩.

(٤) المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣.

(٥) أحمد الأزمي في: "جوانب مضيئة من العمل السياسي والفكري لعلماء القرويين خلال نهاية القرن ١٩ و مطلع القرن ٢٠، ضمن:جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي، ص. ٥٨٦-٦١٦.

الفاسي(ت ١٨٥٢م) في الإصلاح العسكري:"كشف الغمة في أن حرب النظام حق علىٰ هذه الأمة"[١]، ومؤلف الفقيه علي السوسي السملالي (ت ١٨٩٣م) في الإصلاح الجبائي: "الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة"[٢]، والمذكرات الإصلاحية للفقيه محمد بن الحسن الحجوي للسطان المولىٰ عبد الحفيظ، حول الإصلاح الإداري الشامل[٣]، ومذكرات لاحقة لعلماء آخرين حول الإصلاح الدستوري والنيابي علىٰ غرار التجارب الغربية والإسلامية الرائدة، وغير ذلك من قضايا التحديث والإصلاح، التي ما تزال تستأثر باهتمام علماء القرويين إلىٰ اليوم، بشكل يجسد استيعابهم العميق لمتطلبات النهوض الحضاري.

لكن القرويين، وهي تنفتح علىٰ العالم الحديث، وتطالب بالإصلاح، كانت - في نفس الوقت - وفيَّة لمقومات المغرب الحضارية؛ ولذلك ظلت دائما إلىٰ جانب مؤسسة إمارة المؤمنين في مواجهة الحماية الأجنبية، التي فرضت علىٰ المغرب (١٩١٢م)، حيث أدرك علماؤها أن معركة الفرنسيين ضد المغرب لن تدار فقط بالبنادق والسلاح الناري، بل – أيضا - بالكلمة والقلم، وأن المستهدف ليس تراب الوطن فقط، ولكن - أيضا - مقوماته الدينية والثقافية. وكانت سلطات الحماية الفرنسية، برئاسة المقيم العام الماريشال "ليوطي"، علىٰ علم بالخطورة التي تشكلها القرويين علىٰ الوجود الاستعماري بالمغرب؛ ولذلك كان

(١) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج.١، ص. ٢٣.

(٢) أحمد العماري: "نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي، من خلال كتابه: عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة"، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن ١٩، ص. ٩١-١١.

(٣) محمد الخلوفي:" انتحار المغرب الأقصىٰ بيد ثواره"، دواعي الإصلاح والتنظيم: مذكرة الحجوي: نموذج من الكتابات السياسية في مطلع القرن العشرين، ص. ٧٥-٧٨.

يلقبها بـ"البيت المظلم"[١]، وكان يحذر مسؤولي الإدارة الفرنسية منها، وحاول التعجيل بالتدخل فيها بدعوىٰ الإصلاح، لكن التحالف القوي بين مؤسسة العلماء وإمارة المؤمنين، بقيادة المولىٰ يوسف، حافظ للقرويين علىٰ وجهها الحضاري ورسالتها الوطنية؛ فاستمرت بمثابة القلعة الحصينة التي تولت حماية الشرعية، والهوية الإسلامية، في مواجهة السياسة الاستعمارية، بالكلمة تارة، وبالسلاح تارة أخرىٰ، كما فعل زعيم حركة المقاومة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي، خريج جامعة القرويين، وغيره من أبطال الحركة الوطنية[٢]، وحماية الوحدة المجتمعية بمقاومة التفرقة العنصرية بين العرب والأمازيغ، التي حاول الاستعمار تمريرها عبر الظهير البربري (١٩٣٠م)، حين انطلقت حركة قراءة اللطيف، والمظاهرات الاحتجاجية بقيادة طلبة القرويين، لتعم أرجاء المدن والبوادي المغربية. واستمرت القرويين في مواصلة رسالتها الوطنية من خلال النضال الوطني؛ فكان زعماء الحركة الوطنية من أبرز طلبتها وخريجيها البررة خلال كل مراحل النضال الوطني من أجل التحرر والاستقلال، فرفضت مطلقا النفي الاستعماري للسلطان الشرعي محمد بن يوسف (١٩٥٣-١٩٥٥م)، وتشبثت بالشرعية التاريخية [٣] والتحرر الوطني. وكان انخراط علماء القرويين في كل معارك النهضة والإصلاح والتحديث بعد الاستقلال؛ إيمانا منهم برسالة القرويين الحضارية والوطنية والعالمية الخالدة.

(١) التازي، جامع القرويين،ج.٣، ص. ٧٤٢.

(٢) علال الفاسي، رسالة القرويين...، ص. ٥٥.

(٣) التازي، جامع القرويين، ج.٣، ص. ٧٧٢.

خاتمة البحث ونتائجه

اعتباراً لمركزية قيمة الخير في المنظومة الإسلامية؛ فقد شكل العمل الخيري أحد خصوصيات التجربة الحضارية الإسلامية؛ حيث تزخر بالكثير من المبادرات الخيرية الرائدة في مجالات مختلفة، من أهمها: المجال العلمي والثقافي. وإننا إذ نستعرض في خاتمة هذا البحث حصيلة تجربة خيرية علمية وتعليمية وثقافية متميزة في تاريخنا المغربي والإسلامي، تتمثل في جامعة القرويين، التي تأسست علىٰ تقوىٰ من الله، بمبادرة خيرية نسائية، منذ القرن الثالث الهجري (٩م)، نعتقد أننا نسهم في التأصيل التاريخي للعمل الخيري في الحضارة الإسلامية، وتثمين التجارب والمبادرات الخيرية الرائدة في تجربتنا الحضارية، خاصة في المجال العلمي، وكذا إبراز أثر العمل الخيري في النهضة العلمية والثقافية في الحضارة الإسلامية، من خلال تجربة جامعة القرويين بالمغرب الأقصىٰ.

وعليه، فإننا نقدر النجاح التاريخي الذي تحقق لهذا المشروع العلمي الخيري عبر مسيرته الطويلة؛ بفضل التمسك بالعمل الخيري ثقافة وسلوكـًا. ومن أهم تجليات ذلك النجاح، استمرارية جامعة القرويين التاريخية، عبر اثني عشر قرنـًا، متحدية كل التقلبات التي طبعت تاريخ المغرب، وتمكنها من الاضطلاع برسالتها الدينية والحضارية الخالدة، التي تأسست من أجلها، وهي عبادة الله، ونشر أنوار العلم والمعرفة؛ فقد ارتبطت الشخصية الحضارية للمغرب الأقصىٰ بجامعة القرويين، فكانت وراء ترسيخ هويته الإسلامية السنية، المتميزة بالوسطية

والاعتدال والتسامح والتعايش. وكانت منطلقاً ومركزاً لصناعة واحتضان نهضته العلمية والثقافية عبر تاريخه الإسلامي، وتحقيق إشعاعه الحضاري في اتجاه الشرق الإسلامي والغرب المسيحي. وتميزت هذه النهضة بطابعها الشمولي؛ حيث ازدهرت في أحضان جامعة القرويين مختلف العلوم، منها: العلوم الإسلامية برجالاتها من الفقهاء والعلماء، ومؤلفاتهم الغنية والمتنوعة في مختلف المجالات، والتي ما زال الكثير منها في قائمة المخطوطات، وكذا المعارف والعلوم الإنسانية والطبيعية (الطب، الرياضيات، الهندسة، الفلك، الموسيقىٰ...)، والتي ظلت عنوان تميز ونبوغ الحضارة الإسلامية طيلة قرون، مقارنة مع الحضارة الغربية، وشكلت رافداً من روافد نهضتها ومصدراً من مصادرها التعليمية إلىٰ غاية القرن ١٩م. فكانت القرويين واجهة للتعارف الحضاري للمغرب والحضارة الإسلامية بالغرب المسيحي، معززة النافذة الأندلسية، ومستكملة لمشوارها، بعد انسداد هذه الأخيرة في القرن التاسع الهجري (١٥م). وبموازاة رسالتها الدينية والمعرفية، ظلت القرويين حصناً حصيناً للأمة المغربية، في التاريخ الحديث والمعاصر، ضد موجات الاستعمار والتغريب، ومنطلقاً للحركات الإصلاحية الوطنية في مختلف المجالات، استناداً إلىٰ مرجعيتها وهويتها الحضارية، وانفتاحها علىٰ الحضارة الإنسانية بالاستفادة من المنجز الحضاري الإنساني، انسجاماً مع المبدأ القرآني الخالد: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣] [الحجرات:١٣].

ولم يكن ذلك العطاء الزاخر ليتأتىٰ لهذه الجامعة العريقة دون التفاف أهل الخير حولها، باعتبارها مشروعاً خيرياً رائداً من الناحية العلمية والاجتماعية؛ فحظيت بالاحتضان والرعاية والدعم من المجتمع والدولة، مع حفاظها علىٰ استقلاليتها عن هذه الأخيرة؛ مما أفرز بنكاً وقفياً متعدد الأصول و"الأسهم" لتدبير شؤون هذه الجامعة بكل مرافقها وخدماتها وروادها، ومنها: الخدمات

العلمية والتعليمية، والخدمات الخاصة بالموارد البشرية من طلاب وعلماء وفقهاء، وخدمات جهازها الوقفي، الذي كان له فضل السهر علىٰ أوقافها الخيرية وتنميتها وصرفها، وضمان استمراريتها وحمايتها وحسن تدبيرها. فكانت القروينن تفيض بالخيرات والموارد المالية؛ فأسست لها فروعاً متعددة من مدارس ومساجد، كانت تعيش هي الأخرىٰ علىٰ نفقة الجامعة الأم، أي القرويين، في استقلال تام عن مالية الدولة.

واليوم، ونحن نتوخىٰ الإسهام في تجديد الوعي الحضاري بضرورة تشجيع ثقافة العمل الخيري في المجتمعات الإسلامية، في سبيل النهوض بالمجال العلمي والتعليمي، نعتقد أنه من اللازم التنبيه إلىٰ أهمية العمل الخيري في النهضة العلمية في العصر الراهن في المجتمعات الغربية. ولذلك، نرىٰ أنه – وبعد الاستناد إلىٰ مقوماتنا المرجعية وتجاربنا التاريخية، ومنها تجربة جامعة القرويين، وغيرها من التجارب الرائدة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة – من الضروري الانفتاح علىٰ التجارب الناجحة للعمل الخيري في المجال العلمي والتعليمي في المجتمع الغربي المعاصر[1]، خاصة وأن الدراسات تؤكد استفادة التجربة الوقفية الغربية من نظيرتها الإسلامية؛ حيث كان لقانون الوقف الإسلامي أكبر الأثر في تطور المؤسسة الوقفية في الغرب عموما[2]. وتعد التجربة الأمريكية أكثر التجارب الغربية ريادة في تطوير دور الأوقاف الخيرية في المجالات العلمية والتعليمية؛ حيث تشكل الأوقاف رصيداً أساسيًا لتمويل عدة جامعات أمريكية

(١) أسامة عمر الأشقر، تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية، ص.٥.

(٢) دلالي الجيلالي:"دور الوقف في النهضة العلمية والثقافية – قراءة في التجربتين الإسلامية والغربية– "، في الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية أ/ قسم العلوم الاقتصادية و القانونية، العدد –١٧ جانفي ٢٠١٧. ص ١٣٩–١٥١.

بمختلف بنياتها التعليمية والبحثية، حتىٰ إنه أصبح من غير الممكن تصور بنية بحثية علمية في الجامعات الأمريكية بدون الوقف. وتعتبر جامعة "هارفارد" النموذج الرائد في مجال إسهام الاستثمارات الخيرية في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية(١).

ونتمنىٰ من خلال هذا البحث، أن نكون قد أسهمنا في التذكير – بقدر معين– بضرورة الالتفات إلىٰ مثل هذه التجارب الرائدة التاريخية والمعاصرة في الحضارة الإسلامية، و كذا الغربية؛ من أجل استنهاض الهمم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ للرقي بالعمل الخيري بمختلف آلياته التراثية الأصيلة والمعاصرة؛ لتطوير التعليم العالي والبحث العلمي، في سبيل النهضة العلمية والحضارية المنشودة لأمتنا العربية والإسلامية. راجياً من الله – تعالىٰ – التوفيق والسداد.

❁ توصيات البحث:

– العمل علىٰ نشر وترسيخ ثقافة العمل الخيري في المجتمعات العربية والإسلامية، بواسطة مختلف وسائل ومؤسسات التنشئة التربوية والاجتماعية.

– التعريف بالتجارب والمبادرات الخيرية الرائدة في الحضارة الإسلامية في المناهج والبرامج التعليمية.

– تشجيع مبادرات العمل الخيري في البلاد العربية و الإسلامية، وتبسيط المساطر الإدارية والقانونية لتنزيلها.

---

(١) طارق عبد الله، هارفرد وأخوتها: دلالات الوقف التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة أوقاف، العدد ٢٠، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ماي، ٢٠١١، ص. ٥٦-٥٧.

- إنشاء مجلس للخبراء في العمل الخيري، يتولىٰ دراسة وتشخيص الحاجيات، واقتراح أولويات الاستثمار الخيري في البلاد العربية والإسلامية.

- تشجيع المؤسسات الاستثمارية علىٰ العمل الخيري في مجالات البحث العلمي والتعليم العالي، بتمويل إنشاء مؤسسات ومعاهد ومختبرات بحثية، ورعايتها علىٰ غرار التجارب الغربية.

- توجيه الاستثمارات الخيرية في البلاد العربية والإسلامية إلىٰ النهوض بجودة التعليم ومحو الأمية؛ باعتبار أن التعليم مفتاح التنمية.

- تثمين المبادرات الخيرية الناجحة في مختلف المجالات، وتحفيز القائمين عليها.

- تبادل الخبرات والتجارب الرائدة في العمل الخيري بين البلدان العربية والإسلامية والبلدان الأجنبية.

- الاستفادة من التجارب الخيرية الرائدة في مجالات التعليم العالي والبحث العلمي في الدول الغربية.

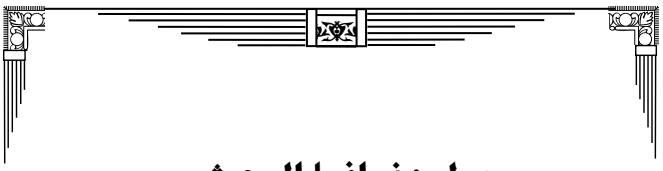

ببليوغرافيا البحث

١- ابن أبي زرع الفاسي، علي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه: عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.

٢- ابن أبي زرع الفاسي، علي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المَرِيْنِية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

٣- ابن المجدوب الحسني، عبد الحق: الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية، ٢ج، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، دار الحديث الحسنية بالرباط، ١٩٩٥.

٤- الأشقر، أسامة عمر، تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية، دار النفائس، الأردن، ٢٠١٢.

٥- بنعلة، مصطفىٰ: تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس،٢ج، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٧.

٦- بوركبة، السعيد: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية،٢ج، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٩٦.

٧- البيومي غانم، إبراهيم: مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، مكتبة الشروق الدولية.

٨- التازي، عبد الهادي: جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري،٣ج، دار النشر للمعرفة، الرباط، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.

٩- الجزنائي، علي: جنىٰ زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، المطيعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٨.

١٠- الفاسي، علال: رسالة القرويين في الماضي والحاضر والمستقبل، ضمن كتاب: جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الهادي التازي سعود، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦.

١١- القبلي، محمد وآخرون: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ٢٠١١.

١٢- القدوري، عبد المجيد، سفراء مغاربة في أوروبا ١٦١٠-١٩٢٢، في الوعي بالتفاوت، الرباط، ١٩٩٥.

١٣- المنوني، محمد: مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج.١، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

١٤- المكي الناصري، محمد: الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، ١٩٩٢.

١٥- عزوزي، حسن: جامعة القرويين ودورها التاريخي في البناء الحضاري، مطبوعات المجلس العلمي المحلي لفاس، فاس، ٢٠٠٨.

١٦- الأزمي، أحمد:"جوانب مضيئة من العمل السياسي والفكري لعلماء القرويين خلال نهاية القرن ١٩ و مطلع القرن ٢٠، ضمن: جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان ، الرباط، ٢٠١٤.

١٧- الجيلالي، دلالي:"دور الوقف في النهضة العلمية والثقافية – قراءة في التجربتين الإسلامية والغربية- "، في الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية أ / قسم العلوم الاقتصادية و القانونية، العدد –١٧، جانفي، ٢٠١٧.

١٨- الخلوفي، محمد: "انتحار المغرب الأقصىٰ بيد ثواره"، دواعي الإصلاح والتنظيم: مذكرة الحجوي، نموذج من الكتابات السياسية في مطلع القرن العشرين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٥.

١٩- السائح، الحسن: التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، ١٩٩٧.

٢٠- العماري، أحمد: "نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي، من خلال كتابه: عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن ١٩، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٦.

٢١- العمراوي، إدريس بن محمد، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، تقديم وتعليق: زكي مبارك، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال - طنجة، ١٩٨٩.

٢٢- الفاسي، إدريس:"المذهب المالكي وجهود علماء القرويين في تطويره "نموذج العمل الفاسي"، ضمن: جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي: الأصالة والامتداد، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٤.

٢٣- الفهري، محمد الطاهر بن عبد الرحمن، الرحلة الإبريزية إلىٰ الديار الإنجليزية، تحقيق: محمد الفاسي، فاس، ١٩٦٧.

٢٤- المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة

السابعة، ١٩٧٨.

٢٥- المنوني، محمد: كراسي الأساتذة بجامع القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد ٦-٧، فبراير- مارس، ١٩٦٦.

٢٦- المنوني، محمد: ورقات عن حضارة المَرِيْنِيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

٢٧- الناصري، أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ، ج.٢،ج٨، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري وأحمد بن خالد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

٢٨- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، ج.١، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

٢٩- حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج. ٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

٣٠- عبد الله، طارق: هارفرد وأخواتها: دلالات الوقف التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة أوقاف، العدد ٢٠، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ماي، ٢٠١١.

٣١- عزي، محمد: دور الوقف في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب في عهد الدولة المَرِيْنِية، أطروحة لنيل الدكتوراه في العلوم الإسلامية، دار الحديث الحسنية، الرباط، المغرب، ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥.

٣٢- كنون، عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٠.

٣٣- الكلالي، أحمد بن محمد بن عبد القادر، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣.

دور العمل الخيري
في مواجهة الانحراف الفكري

إعداد

د/ عبدالبصير بن علي الحقرة

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

إن "العمل الخيري" و "الأمن الفكري" من أبرز المصطلحات وأوسعها انتشاراً في أوساط الفكر والمعرفة اليوم. وفي عصر اتسعت فيه دوائر الفتن، وزادت فيه بؤر الصراعات، وكثرت فيه المنغصات التي أخذت من راحة الإنسان وأمنه، ومن عقله وفكره، ومن ماله وآماله؛ أصبح البحث والحديث عن هذين المصطلحين في بؤرة شعور الشعوب والمجتمعات، ومركز اهتمام الأنظمة والحكومات، فعقدت لهما الكثير من الندوات والمؤتمرات، وخصصت لهما العديد من الأبحاث والدراسات، وتسمت بهما العديد من المنظمات والمؤسسات والهيئات، وخصص يوم الخامس من ديسمبر من كل عام، منذ عام ١٩٨٥م، يومـًا عالميـًا للتطوع.

والارتباط وثيق ومتبادل بين الأمن الفكري والعمل الخيري، والعلاقة بينهما علاقة الفرع بالأصل، والنتيجة بالمقدمة، والتناسب بينهما طردي؛ كلما نشط طرف نشط الطرف الآخر.

وتاريخ العمل الخيري في حياة الإنسان مرتبط بوجوده في هذه الحياة؛ فنزعة الخير وفطرة المعروف متأصلة في الإنسان منذ نشأته، وما ضعفت تلك النزعة وطمست هذه الفطرة إلا بفعل آفات طارئة، وظروف عارضة.

والعمل الخيري معادلة بين طرفين، قوامها سعادة الأول بالبذل والإعطاء، وسعادة الآخر بالدعم والبناء. ويأخذ العمل الخيري بيد الإنسان إلىٰ آفاق واسعة، تتخطىٰ حدود جغرافية البلدان، واختلاف الأديان، وتعدد الثقافات واللغات، واختلاف الأعراف والعادات، وتغير الألوان والأجناس والأعراق..، بل وتتخطىٰ عالم الإنسان، لتشمل بخيرها عوالم أخرىٰ كالحيوان والنبات. ويكفي العمل الخيري قيمة ومكانة أن جعله الله رسالة خير البشر وأحبهم إليه، فما سأل الأنبياء والمرسلون علىٰ رسالتهم أجراً، وما انتظروا من أقوامهم شكراً.

والعمل الخيري أنسب ما يجتمع عليه البشر اليوم علىٰ اختلافهم وتنوعهم، وما اجتمعت في هذا العصر رايات مختلفة، وما انضمت مجتمعات متباينة تحت سقف واحد، إلا تحت راية وسقف العمل الخيري، فهو الأجدر لتحقيق لغة مشتركة عالمية، ترسي قواعد الأمن والسلام في ربوع العالم.. ولقد أفاق العالم كله – خاصة في العقود الأخيرة – علىٰ ما للعمل الخيري من دور شامل في التنمية والبناء، وتحقيق الاستقرار للفرد والمجتمع، وقدرته علىٰ حل المشكلات وسد الثغرات، والتفاعل البنَّاء مع القضايا والمُلِمَّاتِ؛ حتىٰ غدا راية ترفعها أكبر الدول اقتصاديـًا، وتتباهىٰ كل دولة بما يسهم به العمل الخيري في التنمية والبناء[1].

(١) فقد قدر إسهام العمل التطوعيي في أمريكا عام ٢٠٠٣ بـ(٢٦٦)بليون دولار ، وفىٰ بريطانيا بلغ عدد المتطوعين ٢٠.٣ مليون متطوع، بإجمالي (٢٥.٣) مليار جنيه إسترليني. لمزيد من =

وإيمانا بما للعمل الخيري من دور لا ينكر، ومن أثر يذكر فيشكر؛ عقدت الدول له العديد من المؤتمرات واللقاءات، وكانت دول الخليج لها الريادة في ذلك؛ ففي الفترة من ٢٠٠٠م – ٢٠٠٨م عقد عدد ٧٨ مؤتمراً عن العمل الخيري، بمتوسط ٦ مؤتمرات ونصف في العام، بمعنىٰ أنه ما إن ينتهي مؤتمر إلا ويبدأ الاستعداد للآخر[١]، فضلاً عن تخصيص العديد من الجوائز الدولية والعالمية للعمل التطوعي.

وتتعدد تعريفات العمل الخيري، وإن دارت كلها حول مفهوم (نفع الناس وإسعادهم، والتخفيف من معاناتهم، بما يبذل لهم من مال أو جهد أو وقت)[٢]، (وسواء قام بذلك فرد أو منظمة، أو مؤسسة رسمية أو غير رسمية، بصورة منظمة من غير مقابل، أيـًا كان العمل، وفي أي زمان ومكان، وسواء كان بصفة مستمرة أو مؤقتة، بهدف التقليل من حجم المشكلات والإسهام في حلها بالمال أو الجهد أو الفكر)[٣]. ويتسمىٰ العمل الخيري بالعديد من الأسماء، منها: (العمل التطوعي)،

= _____

الإحصائيات ينظر: العمل التطوعي: خطوات عملية لنهضة الأمة، د/ صالح الهطالي، ص ٥٩-٦٠، ط. مكتبة الضامري – سلطنة عمان، ط ١/ ٢٠١٥م.

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه المؤتمرات، وما تم بحثه وتناوله فيها، يراجع- مؤتمرات وندوات العمل الخيري بدول مجلس التعاون الخليجي: ٢٠٠٠-٢٠٠٨، د/ أحمد عبادة العربي/ ط. المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، ١٤٣٠هـ.

(٢) ثقافة العمل الخيري، عبد الكريم بكار، ص ٩ بتصرف، ط. دار السلام للنشر، ط ١/ ٢٠١٢م.

(٣) العمل الخيري في مكة المكرمة في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، د/ آمال صديق، ص ٢٠، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسة تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ.

(العمل اللّاربحي)، (القطاع الثالث) مقابل القطاع الأول (الحكومي) والقطاع الثاني (الخاص) [١].

والنصوص في شرعية العمل الخيري أكثر من أن تحصىٰ وتعد، والحديث عن ضوابطه وخصائصه ومصادره ومجالاته وآلياته مع المسلمين وغيرهم من السعة ما لايتسع لعرضه المقام [٢]، وإن ذكر بعض من ذلك في ثنايا البحث، مما يتسق مع محوره وفكرته.

والمقصود من دور العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري هو: بيان ما للعمل الخيري من قدرات وخصائص، سواء علىٰ صعيد وقائي أو علاجي – خاصة علىٰ المستوىٰ المؤسسي – في التصدي للانحراف الفكري بصوره المختلفة، والتي تعاني منها المجتمعات البشرية اليوم عموما، ومجتمعاتنا العربية والإسلامية علىٰ وجه الخصوص [٣].

---

(١) لتفصيل ذلك يراجع: القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، د/ محمد السلومي، ط ١/ ١٤٣١ هـ، مركز القطاع الثالث.

(٢) يراجع في ذلك كتاب: مفهوم العمل الخيري في القرآن الكريم والحديث الشريف، د/ محمد أزهري، ط. مركز قراءات البحوث ودراسات الشباب بجدة، ١٤٣٨هـ؛ وكتاب: العمل الخيري مع غير المسلمين: دراسة فقهية تأصيلية، د/ حسن وهدان، ط. دار النفائس، ط ١/ ٢٠١٣م؛ وكتاب: العمل الخيري في الإسلام، د/ حمدان المزروعي، ط. دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط. ٢٠٠١؛ وكتاب: التطوع ثقافته وتنظيمه، د / صالح التويجري، ط١/ ٢٠١٣، دار مملكة نجد للنشر والتوزيع.

(٣) وقد تواصل الباحث مع مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، من خلال مسجد عائشة الراجحي بمكة المكرمة، كنموذج للمؤسسات الخيرية؛ للوقوف علىٰ النشاطات التي تقوم بها في إطار =

❁ ويهدف البحث إلى:

١-التأكيد علىٰ أصالة العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري.

٢-بيان المرتكزات التي يعتمدها العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري.

٣- الوقوف علىٰ ما تميز به العمل الخيري من خصائص في هذا الميدان تبرز جدارته وأحقيته بالقيام بهذا الدور.

٤- تقديم بعض المقترحات التي من شأنها تفعيل دور العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري، خاصة في ظل معطيات التطور المصاحب لزمننا المعاصر.

وينتظم البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، بكل منهما ثلاثة مطالب، وخاتمة بها النتائج والتوصيات، وذيل بقائمة بأهم المراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة: وبها التعريف بأبرز ما في عنوان البحث، وأهميته، وأهدافه، وخطته.

التمهيد: وبه نبذة عن أصالة العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري.

المبحث الأول: الدور الوقائي للعمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري (غلق منافذ الانحراف الفكري).

= حماية الفكر من الانحراف، وما تقدمه من برامج توعوية وغيرها في مجال بناء العقل والتفكير الصحيح، جاء ذلك ضمن زيارات ولقاءات مباشرة مع مدير ومسؤولي المسجد، فضلا عن الوقوف علىٰ جهود العديد من المؤسسات من خلال المصادر والمؤتمرات المختلفة.

المطلب الأول: دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الجهل.

المطلب الثاني: دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الفقر.

المطلب الثالث: دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الظلم.

المبحث الثاني: الدور العلاجي للعمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري.

المطلب الأول: كشف حقيقة الانحراف الفكري وأغراضه.

المطلب الثاني: رد الشبهات والمطاعن التي يروجها أصحاب الانحراف الفكري.

المطلب الثالث: توفير المحاضن العلمية والتربوية المناسبة لإصلاح المتأثرين بالانحراف الفكري (إعادة التأهيل).

وبعد، فالله أسأل أن يبارك في هذا العمل، وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يغفر لنا الزلات.. إنه – سبحانه – مجيب الدعوات. وصل اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

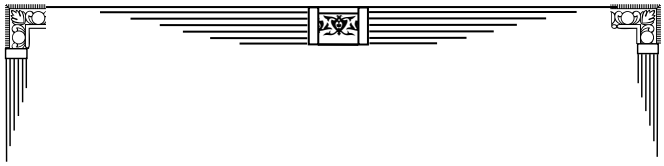

تمهيد

لم يعد العمل الخيري مجرد حركة استجداء لتقديم شربة ماء، ولقمة غذاء، وخيط كساء، وقرص دواء، ولم يعد مجرد كتابٍ يؤلف، أو مراجع تصنف، أو معلومات توظف، بل إنه تخطىٰ هذه المراحل ليصبح غطاءً إنسانياً ينضم تحته ملايين البشر، يتعارفون ويتفاهمون ويتقاربون، مع اختلاف لغاتهم وبيئاتهم وثقافاتهم وتوجهاتهم.. أصبح رمزاً حضارياً يؤسس للمبادئ، ويغرس القيم، ويرقىٰ بالأخلاق.. أصبح موئلا تأرِزُ إليه الآلام يخففها، والآمال يحققها. ولم تعد أعين الضعفاء والمعوزين وحدها التي تتطلع إليه ليجبر كسرها ويقضي حاجتها، بل تنظر إليه اليوم الشعوب والحكومات علىٰ أنه عصب التنمية، ومرتكز التقدم الاقتصادي، وشارة الرقي الحضاري.. تحولت النظرة إليه من مجرد مقياس لبر القلوب وصدق المشاعر، إلىٰ مقياس تقاس به الدول صعوداً وهبوطاً، تقدماً وتأخراً.

وينطلق العمل الخيري لدىٰ الإنسان من مجموعة من البواعث والمحفزات، التي تدفعه نحو التفاعل معه والسعي لأجله، منها: **الباعث الذاتي**، وتمثله النزعة الإنسانية لدىٰ الإنسان بإرادة الخير ومعاونة المحتاجين ونصرة الضعفاء؛ ومنها: **الباعث النفسي**، حيث يستشعر الإنسان في العمل الخيري تحقيق ذاته، ورضاه عن نفسه، وثقته في شخصيته، بما يكتسبه من خبرات ومهارات، وما يحققه من إنجاز

وإبداع؛ وهناك **الباعث الاجتماعي**، وهو: (إحساس المواطن بواجبه تجاه مجتمعه، فالمواطن لا يعيش في جزيرة منفصلة عن الآخرين، وإنما يعيش في منظومة اجتماعية متكاملة، يحتاجه الناس كما يحتاجهم....)[1].

وأهم هذه البواعث للعمل الخيري: **(الباعث الديني**، الذي ينمي إحساس الفرد بالواجب تجاه دينه، وتجاه كل من يحيطون به داخل المجتمع، من أفراد يحتاجون للمساعدة والعون)[2]. ولا شك من فعالية هذا الباعث، بل إنه الأول والأكثر تأثيراً في مسيرة العمل الخيري اليوم؛ حيث يستشعر الإنسان قيمته ومكانته، وأهمية العمل الخيري، من تعاليم دينه وتوجيهات خالقه.

والإسلام في ذلك قد تضافرت نصوصه، كتاباً وسنةً، تقدم الخير وفعله علىٰ أنه رسالة المسلم في هذه الحياة، يكسب بها الفلاح والفوز في دنياه وأخراه، ويجعل من فعل الخير وبذله سبباً في رضاء ربه، ومفتاحاً للنجاة من الكروب والشدائد والأهوال، وتتعاظم قيمة المسلم لدىٰ مجتمعه بما يقدمه من خير، وما يبذله من نفع لإخوانه، وفي ذلك يقول الله – تعالىٰ -: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧] ، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٥].

(١) العمل الجماعي التطوعي، عبد الله الخطيب، ص٢٤٣-٢٤٤، ط. الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات – القاهرة، ٢٠١٠.

(٢) العمل التطوعي بين الواقع والمأمول، د/ منال عباس، ص٢٣، دار المعرفة – الجامعة الإسكندرية.

ويقول الرسول – ﷺ –: «من نفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر علي معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه »[1]. «وجاء علىٰ رأس أهداف العمل التطوعي الدعوية: التصدي للأفكار والمبادئ الضالة والمنحرفة..، بينما جاء من أهدافه التربوية: المشاركة في معالجة السلوك المنحرف..، وجاء من أهدافه الاجتماعية: تحقيق الأمن الشامل في المجتمع – الاجتماعي والثقافي والاقتصادي_»[2].

وأبرز ما يعصف بالأمن الاجتماعي، آفات الفقر والجهل والظلم، والتي لم يكن هناك أروع ولا أبدع من الإسلام في مواجهتها ومقاومتها؛ حيث بين حقائقها وأضرارها، وما لها من سلبيات علىٰ الفرد والمجتمع، وقدم سبل التخلص منها في منهجية وواقعية، شهد لها المسلم وغير المسلم، وتاريخ المسلمين يشهد كيف استعانت الأمم بالمسلمين في تخلصها من الفقر والجهل والظلم.

والعمل الخيري اليوم يقدم دوراً رائداً في تحقيق الأمن الاجتماعي، والوقاية من الانحراف الفكري، بما يقدمه من عوامل الاستنارة العقلية والفكرية، وما يبذله من جهود في مواجهة العوز والفقر، وما يغرسه في الفرد والمجتمع من قيم العدل والمساواة والإنصاف. ولقد تعاظم دور العمل الخيري فكريـًا، وبرز نشاطه في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، حتىٰ إن جميع مؤسساته وهيئاته

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب/ فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن والذكر، ح ٢٦٩٩.

(٢) التطوع: ثقافته وتنظيمه، د/ صالح التويجري، ص ٥٨ ، ٨٦ بتصرف، ط ١ / ٢٠١٨، دار مملكة نجد للنشر والتوزيع.

ولجانه وجمعياته جعلت من رؤيتها وأهدافها تحقيق الأمن الفكري ومواجهة الانحرافات الفكرية في المجتمع، بل وهناك العديد من المؤسسات والجمعيات ما تسمىٰ بدلالة الحماية الفكرية، وتوفير الرعاية التربوية والتوعوية، كمكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة المكرمة، والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، والحفاظ علىٰ السنة، وهناك من اعتمد في برامجه الأساسية تحقيق الأمن الفكري، ونشر الوسطية والاعتدال، كمجمع إمام الدعوة بمكة المكرمة، وغيره.

وإذا ما تميز العمل الخيري بالعديد من الخصائص في ربوع الأرض، فلا شك أنه في مكة المكرمة يكتسب خصائص ذاتية بشرف المكان وخصائصه؛ كونه ينبع من مهبط الوحي، ويقصد برسالته جميع شعوب العالم علىٰ مدار العام، من حجاج بيت الله وزواره؛ الأمر الذي يجعل الفرصة سانحة للقائمين عليه للتواصل مع أهل الأرض قاطبة؛ ليكون العمل الخيري في مكة مصدر اهتداء واقتداء، وإشعاع فكر وحضارة، ورسالة سلام وتآلف.

المبحث الأول

الدور الوقائي للعمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري غلق منافذ الانحراف الفكري

يتعاظم الدور الوقائي أهمية؛ كونه خطوة استباقية، لتقليل الأخطار وتلافي المعوقات والآفات، وتوفير الجهد والوقت والمال. وأبرز ما فيه: دلالته علىٰ الرؤية المستقبلية الراشدة لأصحابه، وعلو همتهم، وهذا ما يفعله الدور الوقائي للعمل الخيري.

المطلب الأول

دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الجهل

تتنوع الآفات التي تعترض طريق التنمية والتقدم، ولا شك أن أخطرها وأضرها الجهل، وما عانت أمة في تاريخها من شيء أكثر من معاناتها الجهل؛ فالجهل يتلف بذور التقدم، ويجفف منابع الإبداع، ويبعثر جهود المصلحين. وبيئة الجهل أكثر البيئات تهيئة لضرب الهويات، وتغلغل الفساد والانحرافات. والجهل قرين الجريمة والعنف، وصِنْوُ السلبية واللا مبالاة، به تكفر النعم، وتستجلب النقم، وما تقدمت أمة وشعب إلا إذا ما عرف للعلم حقه بين أفراده، وللمعرفة سلطانها بين مؤسساته.

وأصبح العلم اليوم مقياس التخلف والتقدم؛ ولذا اتجهت الأمم الناهضة في بث الوعي لدىٰ أبنائها ومؤسساتها بأهمية العلم ومكانة المعرفة، وما لهما من دور في تحقيق التنمية الشاملة. وإذا ما كرست الدول جميع طاقاتها لخدمة العلم والتعلم، ومحاربة الجهل والتخلف، فإن العمل الخيري يأتي علىٰ رأس هذه الطاقات؛ إيمانـًا من الدول والحكومات بما له من دور فاعل ومؤثر في النهضة التعليمية والتنمية المعرفية لدىٰ الأفراد والجماعات.

والأمة الإسلامية لها الريادة في هذا المضمار، خاصة وأن التوجه للنهضة التعليمية والمعرفية، ومحاربة الجهل والتخلف، لم يكن مجرد حاجة إنسانية، أو متطلبًا اجتماعيًا، أو حاجة اقتصادية وسياسية يقدرها الأفراد والقادة، بل إن هذا التوجه غرسه الإسلام في نفس المسلم قبل أن تتكون الأمة أو تنشأ دولة، وجاء النداء بالعلم والتعلم، ورفض الجهل والتخلف، وحْيًا من الله - عز وجل-، وتنزل الآيات الأولىٰ علىٰ رسول الله - ﷺ - لتؤكد هذا المعنىٰ، وترسخ في نفس المسلم أن أول مفاتيح بناء الأمم ونهضة الشعوب هو العلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:١-٥]. (فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهذه أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه علي ابتداء خلق الإنسان من علق، وأن من كرمه – تعالىٰ - أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم...)[1].

والمتأمل في تاريخ الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم السلف الصالح، يجد أنهم تحملوا رسالة محاربة الجهل، وبث العلم ونشر المعرفة في آفاق وربوع الأرض، بنزعة الخير المتأصلة في نفوسهم، ونبتة العطاء المثمرة بتوجيهات ربهم وتوجيهات نبيهم - ﷺ -. وقد سجل التاريخ تميز المسلمين في بذلهم العلم والمعرفة، لا لنفع أمتهم فحسب، بل لنفع الإنسانية كلها؛ فقدموا العلم والمعرفة للبشر، حتىٰ وإن خالفوهم في الدين. ومما سجل في ذلك، موضحًا ما للعمل الخيري من سلطانٍ في بذل العلم ونشر المعرفة ومحاربة الجهل، تلكم الرسالة التي أرسل بها "جورج الثاني" - ملك إنجلترا والنرويج

(١) تفسير الإمام ابن كثير، ص٥٢٨، المجلد الرابع، ط. المكتب الثقافي - القاهرة.

والسويد – إلىٰ هشام الثالث – خليفة المسلمين علىٰ بلاد الأندلس – وجاء فيها: « قد سمعت عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل؛ لتكون بداية حسنة لاقتفاء أثركم لنشر العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة. وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دوبانت» علىٰ رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لنتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف، وتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وفي حماية الحاشية الكريمة....). وقد رد عليه خليفة المسلمين هشام الثالث قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيه سيد المرسلين.. وبعد.... اطلعت علىٰ التماسكم، فوافقت علىٰ طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نعلمكم أنه سوف ينفق علىٰ هذه البعثة من بيت مال المسلمين..»[1]. فهذه الرسالة تكشف ما كانت عليه أوربا من جهالة وظلمة، في الوقت التي كانت ديار المسلمين قبلة للمعرفة والاستنارة. وتاريخ المسلمين حافل بما قدموه للعالم كله من إسهام علمي وحضاري، لا ينكره إلا جاحد أو مكابر. واللافت في رد هشام الثالث أنه سينفق علىٰ هذه البعثة التعليمية من بيت مال المسلمين، وهو المورد الأساسي والأول من موارد الدولة المسلمة، تموله الزكوات والصدقات، ونفقات البر وحبوس الأوقاف، وغيرها من جهات ومناشط العمل الخيري لأفراد ومؤسسات الدولة المسلمة، وكانت بيوت مال المسلمين هي نقطة انطلاق الأمة في جميع مناشط التنمية بأنواعها.

(١) الموقع الإلكتروني: القطاع الثالث، ص ٣٧: www. al-moharer. net& Muslim.welfareHouse Trust.&http//forum.skalmanmu

❁ ارتباط الجهل بالانحراف الفكري:

إن استقامة الفكر واستنارة العقل تتطلب سلامة المدخلات المعرفية للعقل، ورشد العقول يلزمه العلم الصحيح، وانضباط إدارة التفكير لدىٰ الإنسان، وهذا لا يتأتىٰ بالجهل والعماوة، «فالمعطيات الفكرية والمدخلات العلمية بمثابة الأرض التي تنبت فيها بذور العقل، فإن كانت صالحة مهيأة؛ خرجت البذرة صالحة خالية من العلل، وعلىٰ قدر فساد الأرض يأتي الخلل في النبتة والثمار»[(١)].

إن النبي - ﷺ - قد بين الصلة الوثيقة بين الجهل والضلال، ورتب الأخير علىٰ الأول، حيث قال - ﷺ -: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتىٰ إذا لم يبق عالمـاً؛ اتخذ الناس رؤوسـاً جهالا؛ فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا »[(٢)]. فالجهل مفتاح الانحراف والضلال، والعلم مفتاح الاستقامة والهداية.

ويتخذ الانحراف الفكري في فهم الدين صورتان: (الأولىٰ: أخذ الدين من غير مصادره المعتمدة الصحيحة[(٣)]، وهذا يتفرع عن الجهل بتلك المصادر التي يؤخذ منها الدين، وقد اتسعت هذه الصورة بتطور وسائل الاتصال والإعلام؛ مما أعطىٰ الفرصة لمصادر لا علاقة لها بالدين أن تزاحم مصادر الدين المعتمدة،

---

(١) ضوابط التفكير العلمي ودورها في بناء الداعية، ص ٥٢، بحث للمؤلف بحولية كلية التربية - جامعة كفر الشيخ، ٢٠١٦م.

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري، كتاب العلم، ح ١٠١، صحيح مسلم، كتاب العلم، ح ٢٦٧٣.

(٣) لتفصيل ذلك ينظر: الثقافة الإسلامية، المستوىٰ الرابع، المبحث الأول من الفصل الثاني، إعداد اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٦هـ.

وأدخل أصحابها علىٰ الناس الكفر باسم الإيمان، والضلال باسم الهداية؛ فكان من قدم العقل علىٰ النقل، ومن اعتمد النقول غير الصحيحة، ومن اعتمد التقليد المجرد من الدليل، ومن اعتمد رؤىٰ ومنامات، ومن قدم مصلحته وهواه، إلىٰ غير ذلك من صور لا عنوان لها إلا الجهل.

(الثانية: الانحراف بالمصادر المعتمدة فهماً واستدلالاً[1]، وتأتي هذه الصورة نتيجة الجهل بقيمة هذه المصادر وفقه التعامل معها، فكان من اعتمد التأويل الفاسد لنصوص القرآن والسنة، ومن رأىٰ إعادة فهم النص الشرعي؛ لظنه عدم مناسبته تطورات العصر ومتطلباته، ومن احتج بالخلاف الفقهي في رد دلالات النصوص، ومن رد السنة بحجة وجود أحاديث ضعيفة، متجاهلاً جهود العلماء في بيان الصحيح من غيره، ودقتهم في ذلك.

❁ مخاطر الانحراف الفكري المتولد عن الجهل ودور العمل الخيري في مواجهتها:

١- الابتداع في الدين:

إن من أهم أسباب الابتداع في الدين هو الانحراف في فهم النصوص الدينية، (وما انحرفت الخوارج والمرجئة والغلاة، قديماً وحديثاً، ودعاة التحلل ورِقَّةِ الديانة، إلا لما انحرفت في فهم النصوص)[2].

ولما كان الباعث الديني هو الأساس للعمل الخيري؛ فإن ذلك يفرض علىٰ أصحابه تحري مصادر الفكر الصحيح، والمعارف الحقة، والمعلومات الصحيحة، فيما يقدمونه للناس؛ خشية الله، ويقدر أصحابه خطورة تقديم الأفكار

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.

المغلوطة والنصوص الباطلة علىٰ الفرد والمجتمع[1]. ومن الضروري تعريف الناس بتلك المؤسسات الخيرية، ومن يقدمون لهم العلم والمعرفة من خلالها؛ حتىٰ تزداد ثقة الناس في المؤسسة الخيرية، ويفيد في ذلك تعاون المؤسسات الخيرية فيما بينها برسم رؤية عامة متكاملة لهيئات ومؤسسات كل بلد ومجتمع، تتكامل فيها الأدوار، وتوزن فيها الأعمال، وترتب فيها الأولويات.

٢-تغيير الانتماءات والولاءات:

إن مرتكزات العلم الصحيح والأصول الشرعية الثابتة حجر الأساس في الحفاظ علىٰ هوية الإنسان وثقافته وولائه لمجتمعه وأمته، والتشكيك في تلك المرتكزات والأصول، والقدح فيها؛ يعود علىٰ الفرد بالهزة النفسية والفكرية، ويضعه تحت طائلة الضلال والتيه، ويسهل عندئذ تغيير هويته وانتمائه وولائه. ونسمع اليوم عمن يخرب وطنه، ويدمر مجتمعه، ويوالي أعداء أمته، ويتشدق بأقوال ونصوص، ويتبنىٰ أفكاراً يزعم أنها من الدين، والدين منها براء.

ويتميز العمل الخيري في التصدي لخطر تغيير الولاءات والانتماءات بثقة الناس فيه، فباعثه الخير وهدفه الخير، والحَيْدَةُ التي يلتزمها تجعله بعيداً عن شبهات الانحياز لتيار فكري أو سياسي، أو عصبية أو مذهبية؛ ولذا فهو الأجدر بأن يمسك بزمام الفكر والتوجيه، الذي تقوىٰ به الانتماءات والولاءات، وتحصن به الهويات والثقافات، خاصة بين فئات الشباب.

(١) وقد وقف الباحث علىٰ مئات من المحاضرات والدروس والندوات في مسجد عائشة الراجحي، ناقشت قضايا متعددة، من خلال أمهات الكتب الصحيحة، التي تمثل تراث الأمة الصحيح.

٣- افتقاد الرمز والقدوة:

إن من نتائج الانحراف الفكري، الناتج عن الجهل؛ القدح في رموز الأمة، وتشويه قامات الاقتداء فيها، وذلك يأتىٰ لخلط الأفهام، وعدم قابلية أصحاب الانحراف النصح والاسترشاد من رموز الأمة، وقد أشار النبي - ﷺ - إلىٰ تغير معنىٰ الأسوة والقدوة حال ضياع العلم بفقد العلماء: «اتخذ الناس رؤوسا جهالا...»[(١)]. وكان من أهم ما ارتكز عليه أعداء الإسلام في ضرب المجتمع المسلم، هو تغيير المعنىٰ الحقيقي للقدوة والرمز؛ لعلمهم ما للقدوة الحسنة من دور فاعل في التوعية والإرشاد، وحماية الفكر والثقافة، وصون الفرد والمجتمع.

وأول ما يقوم به العمل الخيري هو وضع القدوة الصالحة أمام الناس، وبمجرد انخراط صاحبه فيه يقع في نفوس الناس صلاحه ومثاليته؛ لطبيعة الخير الذي يقدمه، والعطاء الذي يبذله، وباعث التجرد والإخلاص الذي يتحرك به، ولذا فإن الفرصة أمام العمل الخيري (فرديًا أو جماعيًا) عظيمة لقيادة المجتمعات بما يتحلىٰ به أصحابه من صبر وحلم، وحكمة وتجرد، وهمة ومبادرة.. فتتجسد هذه الأخلاق أمام أعين الناس – خاصة وأنهم يرون ذلك مع المشكلات التي تعترض طريق العمل الخيري -.

والأمر في معرفة ما يقدمه العمل الخيري في تحصين المجتمع المسلم ضد الجهل لا يحتاج إلىٰ كثير استدلال واستشهاد؛ فهو واضح وضوح الشمس في كبد النهار، ويكفي نظرة إلىٰ أعداد المساجد[(٢)] في العالم الإسلامي، التي جلها أنشأها

---

(١) سبق تخريجه، ص ٨.

(٢) وقد تواصل الباحث مع مسؤولي مسجد عائشة الراجحي، وهو من الأعمال الخيرية بمكة المكرمة، كنموذج في صورة مباشرة، ووقف علىٰ النشاط العلمي في المسجد، وانتهىٰ من سجل =

العمل الخيري، تقدم رسالة العلم والمعرفة، وتحارب الجهل والتخلف.. يكفي نظرة إلىٰ أعداد دور التحفيظ الخيرية، والمدارس والجامعات والهيئات العلمية، والمؤسسات الفكرية، التي أنشاها المحسنون المتطوعون، من أفراد أو جماعات، أوقفوا أموالاً عليها.. يكفي نظرة إلىٰ أعداد القنوات والفضائيات، والبرامج والمؤتمرات والندوات، التي تحمل رسالة النور للعالم.. يكفي نظرة إلىٰ أعداد المواقع الإلكترونية التي تقدم العلم النافع للإنسانية كلها.

(لقد أوجد الإسلام، من خلال تشريعات (القطاع الخيري) بالمفهوم الواسع للخيرية في مجتمعاته، آليات ووسائل قفزت بالأمة الإسلامية حتىٰ أصبحت (واقعـًا بحّقٍّ) خير أمة أخرجت للناس، حيث بناء المساجد، وما ينبثق منها من المدارس وحلق العلم والدراسة و المدارسة والأبحاث، وفريضة الزكاة، وما ينتج عنها من تكافل اجتماعي... والأوقاف.. وبتلك الآليات استطاع الإسلام أن يجعل القطاع الخيري يتعدىٰ دور (حالات الطوارئ)، من الاهتمام بالفقراء والمساكين والمشردين أو المعدومين – وهو دور مهم دون شك – إلىٰ دور التنمية، والاهتمام بكل شرائح المجتمع، فقرائه وأغنيائه، صغاره وكباره، صحيحه وسقيمه، عامته ومثقفيه، علمائه وحكامه؛ ليصل بيسر وهدوء إلىٰ كل مكوناته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية، ويسد النقص،

=

النشاط العلمي إلىٰ أنه قد تم تنفيذ ما يقرب من ٤٣٠ محاضرة ودرس وكلمة دعوية للجنسين، رجالاً ونساءً، في شتىٰ مجالات المعرفة، خاصة الشرعية والتربوية، في الفترة من المحرم ١٤٣٩هـ – ٥ شعبان ١٤٣٩هـ، بمعدل لقاءين علميين يوميـًا، من خيرة علماء التوجيه والتوعية، وسجل من المستفيدين عشرات الآلاف، فضلاً عن تسجيل بعضها وبثه علىٰ بعض القنوات والمواقع، فضلا عن وجود مكتبة ضخمة تقدم خدماتها المعرفية والعلمية – مقابلة شخصية مع الشيخ شجاع المطرفي – مدير المسجد –، الجمعة الأولىٰ من شعبان ١٤٣٩هـ.

ويعالج مظاهر الانحراف، ويسد مواطن الخلل)[1]. والعمل الخيري - اليوم - إذ يقدم الدور التنموي الفعال علىٰ مستوىٰ التعلم والمعرفة، بما يملكه من وسائل وأدوات، ويكتسبه من خصائص ومميزات، إنما يسهم في تعبئة الطاقات البشرية والمادية وتوجيهها، وتحويلها لعمل اجتماعي يسهم في إزالة التخلف، وتوفير أسباب التقدم والرفاهية للمجتمع، بالأسلوب الأفضل أداءً والأكثر نفعـًا، وتحويل الطاقات الخاملة إلىٰ طاقات فاعلة ومنتجة»[2].

❁ مميزات العمل الخيري في قيامه بتحصين المجتمع ضد الجهل:

اكتسب العمل الخيري من بواعثه المتنوعة جملة من المزايا؛ ما جعله متفرداً عن غيره من الأعمال، ومنها ما يتعلق بجانب تحصين المجتمع ضد الجهل، ومنه ما يأتي:

❁ أولا: الواقعية:

العمل الخيري ليس برنامجـًا انتخابيـًا لشخص يطمح في رئاسة، يقيمه علىٰ الأماني والأحلام لجمع الأصوات، وليس رؤية حزب سياسي يتطلع لهزيمة غريمه في انتخابات، ولا خطة ترسمها حكومة من الحكومات، تغلفها بالوعود ومعسول الكلمات، بل إنه نبض حياة الناس، يرسمه واقعهم، وتخط سطوره معاناتهم، ويحركه آمالهم وآلامهم، قوامه الصدق، وأساسه الإخلاص لله - عز

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، باختصار، ٢٩-٤٠ د/ محمد عبد الله السلومي، ط ١/ ٢٠١٠، سلسلة دراسات اجتماعية - الكتاب الثالث.

(٢) التطوع والمتطوعون في الوطن العربي، موسىٰ شتوي وآخرون، ص٢١، ط ٢٠٠٥، دار نوبار للطباعة.

وجل -. إن حركة الفرد في العمل الخيري تتبع تفاعلاً مع مُعْوِزٍ ومحتاج، وتحرك مؤسسة خيرية في كارثة أو ملمة رصداً لواقع الناس وشعوراً بآلامهم، وإذا كان العمل في القطاع الأول (العام أو الحكومي) والقطاع الثاني (الخاص) يتحرك ليأخذ، فإن العمل في القطاع الثالث (الخيري) يتحرك ليبذل ويعطي بلا مقابل، وتحتم الخيرية فيه ضرورة استقراء الواقع جيداً؛ حتىٰ لا يعطي من لا يستحق، أو يبذل لمستغن، فتضيع أموال المتبرعين وجهود المتطوعين هباءً فيما لا طائل من ورائه.

❁ ثانيا: المبادرة:

وتتفرع المبادرة في العمل الخيري عن الواقعية، فبمجرد رصد الواقع والوقوف علىٰ الحاجة يأتي استباق العمل الخيري؛ لأنه شعور يتحرك مباشرة دون انتظار إذن من جهة أو حكومة، أو مراجعة ميزانية وخطة، ودون انتظار لحساب مكسب أو خسارة. وقد جاء في مشروع الإعلان العالمي المتعلق بحقوق ومسؤوليات الأفراد والجماعات في العمل الخيري والإنساني، والمنعقد بباريس ٢٠٠٣، بالمادة الأولىٰ: (يُعنىٰ بالعمل الإنساني والخيري التطوعي أية نشاطات للمساعدة والنجدة والتضامن والحماية والتنمية، لجماعات بشرية أو أفراد..)[١]. وجاء بالمادة الثانية عشرة: (ولا يجوز منع أو إعاقة أي فرد يرغب في المشاركة في العمل التطوعي، بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو البلاد، أو أي وضع آخر، للعاملين في

(١) القطاع الخيري ودعاوىٰ الإرهاب، د/ محمد بن عبد الله السلومي، ص ٥٩٢، سلسلة مجلة البيان، ط/ ١.

المؤسسات الخيرية والإنسانية..)[1]. وبناء عليه، تشير النجدة المشار إليها بالإعلان إلىٰ معنىٰ المبادرة والمسارعة في العمل الخيري، خاصة في صورته الإغاثية، وتمتعه بالحرية من التعقيدات والمعوقات المتنوعة؛ الأمر الذي يعود عليه بالسرعة في الإنجاز والفاعلية في التأثير.

إن دافعية الخير والباعث الديني لدىٰ القائمين علىٰ العمل الخيري، يفعلان روح المبادرة والإبداع في التعامل مع الحاجات والمتطلبات؛ ولذا فأول ما ترىٰ من هيئات إغاثية في الحروب والكوارث وغيرها هي هيئات العمل الخيري، وقبل أن تفكر حكومة أو مسؤول في إنشاء مدرسة أو جامعة نجد العمل الخيري يقوم برسالته التعليمية في هذه الأماكن، تطوعـًا من أفراد أو مؤسسات، بل كثيراً ما نجد مؤسسة خيرية وصلت لأناس لا تعرف حكوماتهم عنهم شيئا. والمبادرة في العمل الخيري تصب في تحقيق الأمن الفكري من زاوية سرعة التفاعل مع الأخطار والحاجات قبل استفحال ضررها وخطرها، فرصد العمل الخيري للمشكلة والحاجة من الميدان، وقرار التفاعل لا يحتاج إلىٰ اجتماعات ولجان، بل إنه ببساطة إحساس قلب يصحبه عطاء بحب.

❁ ثالثا: الكفاءة:

إن اعتماد الدول اليوم في ميزانياتها وتنميتها علىٰ العمل الخيري، يبرهن علىٰ ما وصل إليه هذا القطاع من مكانة وإبداع، ويعود الفضل في ذلك إلىٰ أن القائمين عليه - بباعث التطوع - يفرض عليهم العمل فيما يفهمون، والإتقان فيما يمارسون، كل يعمل فيما تخصص وفهم، فلا يعرف العمل الخيري من مشكلات

(١) المرجع السابق، ص ٥٩٦.

العمل[1] ما يعاني منه العمل الحكومي العام من تكدس عمالة، وسوء إعداد وتأهيل لبعض موظفيه. وتشهد نجاحات العديد من مؤسسات العمل الخيري في مختلف بلدان العالم علىٰ الكفاءة والإتقان، حتىٰ غدت - في العديد من الدول - أساس التنمية وعصب التقدم؛ مما جعلها علىٰ رأس المؤسسات في الدول المتقدمة اقتصاديـًا، وجعلها مطمعـًا عند بعض الدول الأخرىٰ؛ فوقعت تحت سلطاتها؛ فغيرت من سياسات عملها المستقلة، وجاء ذلك علىٰ حساب كفاءة هذه المؤسسات وفاعليتها.

ولقد تطورت مؤسسات العمل الخيري اليوم، فأخذ الكثير منها بأساليب التطور والإبداع في هذا المجال، فعقدت الدورات المختلفة في ممارسة وقيادة ومهارات العمل الخيري، وأصبح التطور لرؤية هذه المؤسسات أمراً لازمـًا.

❁ اتساع مجال العمل الخيري:

إن واقعية العمل الخيري وارتباطه بالمجتمع، يفرض عليه اتساع دائرة نشاطه لتشمل جميع حاجات المجتمع، «ومجال التطوع هو بمثابة ميدان واسع يشمل كافة جوانب الحياة، فنجدها في خدمة المجتمع والقطاع الصحي، والتعليمي، والثقافي، والكوارث، وذوي الاحتياجات الخاصة،....وغيرها من المجالات العديدة التي يشعر بها كل متطوع أنه يلبي مطلبـًا إنسانيـًا ووطنيـًا يقوم به دون مقابل، وذلك في تقديم العون والمساعدة في أي قطاع عند حاجة الآخرين

(١) وهذا لا يعني خلو العمل الخيري من مشكلات، بل إن هناك معوقات ومشكلات يعاني منها، ولكن ليست بحجم ما يوجد في الأعمال الأخرىٰ.

إليه»[1]. والقرآن الكريم يفتح باب المبادرة في استباق الخيرات علىٰ العموم، ويفسح المجال واسعـًا أمام المسلم لاكتساب مرضاة الله في أبواب الخير، قال – تعالىٰ –: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨]. وهذا «يتضمن الحث علىٰ المبادرة والاستعجال إلىٰ جميع الطاعات بالعموم»[2]. ويكفىٰ شاهداً علىٰ اتساع مجالات العمل الخيري وتنوعه وشموليته مجالات حياة الإنسان (رجالاً ونساء) الاجتماعية والصحية والتعليمية والتربوية وغيرها، استعراض بعض مؤسساته في مكة المكرمة، والتي تضم عشرات من لجان وجمعيات وهيئات ومراكز للعمل الخيري في شتىٰ المجالات، ومنها[3]: الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ١٢٨٢ه، جمعية أم القرىٰ الخيرية النسائية ١٢٩٥ه، جمعية الأطفال المعوقين ١٤١٩ه، جمعية البر ١٢٧١ه، وقف البركة ١٤١٤ه، المستودع الخيري بمكة ١٤١٧ه، الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب علىٰ الزواج ١٤١٠ه، الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمكة ١٤١٧ه، لجنة إصلاح ذات البين ١٤٢٢ه، مؤسسة مكة المكرمة الخيرية ١٤٢٢ه، جمعية مراكز الأحياء ١٤٢٥ه، جمعية زمزم للخدمات الصحية التطوعية ١٤٢٥ه، مؤسسة مجمع إمام الدعوة الخيرية ١٤١٢ه، مركز التكافل الاجتماعي الخيري لغسيل الكلىٰ ١٤١٨ه، مؤسسة عناية للإنجاز ١٤٢٢ه، مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي١٤١٠ه، مؤسسة صالح

(١) العمل التطوعي بين الواقع والمأمول، ص ١٢٠.

(٢) تفسير الإمام القرطبي الجامع لأحكام القران، ص ١١٢، المجلد الأول، ص٢، ط. دار خلدون – الإسكندرية، ط ٥/ ١٩٩٦.

(٣) العمل الخيري في مكة المكرمة في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، د / أمال رمضان صديق، ص ٣٥، ط. كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسة تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ.

بن عبد العزيز الراجحي ١٤١٧ه، مبرة العمودي الخيرية ١٤١٠ه، لجنة رعاية السجناء المفرج عنهم وأسرهم (تراحم) ١٤٢٢ه. هذه بعض النماذج من مؤسسات ومراكز العمل الخيري في مدينة واحدة - مكة المكرمة، قِبْلة العالم الإسلامي -، ويلاحظ مدىٰ التنوع في الخدمات التي تقدمها هذه المؤسسات والمراكز، والواضح من أسمائها، ولن تفي صفحات هذا البحث لمجرد رصد أسماء المؤسسات الخيرية ومراكز العمل الخيري علىٰ مستوي العالم الإسلامي، ناهيك عن رصدها علىٰ الصعيد العالمي. ويكفي ما أشير إليه في المقدمة من عقد ٧٨ مؤتمراً خاصاً بالعمل الخيري في دول الخليج فقط، منذ عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠٨، وكان للمملكة العربية السعودية قَدَمُ السبق في ذلك، سواء في المؤتمرات أو الإسهامات، وتنوعت موضوعات المؤتمرات، وكان من بينها: التنمية، الإعلام، العلاقات الدولية والعمل الخيري، مشكلات العمل الخيري - التعليم، وغيرها من موضوعات استوعبت مناشط حياة الإنسان[1].

(١) لتفصيل ذلك ينظر: مؤتمرات وندوات العمل الخيري بدول مجلس التعاون الخليجي، ٢٠٠٠/ ٢٠٠٨، د. أحمد عبادة العربي، ص ٥٣ وما بعدها، ط. المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، ١٤٣٠ هـ.

المطلب الثاني

دور العمل الخيري
في تحصين المجتمع ضد الفقر

إن العنوان الأبرز للعمل الخيري هو مواجهة الفقر، والحد من أخطاره، ولا يعرف الكثير من الناس العمل الخيري إلا في صورته المباشرة، مما يحتاجه الناس في الصورة المادية العينية، ولا شك في حيوية هذا الدور للعمل الخيري، وترصد الجهود علىٰ مستوىٰ العالم كله تلبي حاجات الإنسان المباشرة من الطعام والماء والدواء، وتخصص العديد من صناديق التنمية ومنظمات العمل المدني والاجتماعي، وكذا المنظمات الدولية، لأداء هذا الدور، خاصة في مواطن الحروب والنزاعات والكوارث، وتقوم هذه المنظمات والصناديق - غالبًا - بهذا الدور بالاعتبار الإنساني البحت، ويتعاظم هذا الدور لدىٰ المجتمع المسلم، ويتميز بفرضيته، فلا يترك لمجرد شعور الفرد بحاجة الآخر، ولا يترك لسماع شكوىٰ المُعْوِزِ والمحتاج، بل إن الإسلام أوجب هذا الدور بفرض الزكاة في المال، وجعل من باب الصدقات والتكافل والتراحم لحمة اجتماعية تجعل من المجتمع المسلم جسداً واحداً، ويكفي أن نقرأ قول النبي - ﷺ -: «ما آمن بي

من بات شبعان وجاره جائع إلىٰ جنبه وهو يعلم به»[1]. وقيام العمل الخيري في هذا الإطار يسد العديد من ثغرات الجريمة والانحراف، ويغلق أبواب العداوة والبغضاء في قلوب الفقراء للأغنياء، ويقارب بين الطبقات، ويرفع من كرامة الإنسان.

والملاحظ في العصر الحاضر علىٰ مؤسسات العمل الخيري محاربتها الفقر بصورة استباقية، وهو ما يسمىٰ بالدور الوقائي، وهو ما يعني وضع الآليات والرؤىٰ المستقبلية، وتنفيذ المشروعات التي من شأنها غلق منافذ الفقر في المجتمع، وهذا ما يقوم به العمل الخيري اليوم، بحمله رؤية الاستثمار والتنمية، وتوفير فرص العمل، والإسهام في عملية الإنتاج المباشر.

لقد تغير مفهوم العمل الخيري في مؤسساته اليوم من نمط توزيع العطاء علىٰ المستهلكين، إلىٰ مشاركة المستهلكين في صنع العطاء، وتحولت سياسات الكثير من المؤسسات الخيرية من صورة الموزع للأموال إلىٰ إدارة رؤوس الأموال: بإنشاء مصانع، وتوفير الصناعات الصغيرة وتمويلها، وتيسير القروض الحسنة لأصحاب العَوَزِ؛ لاستثمارها في العمل والإنتاج.

إن البَطَالَةَ اليوم هي الشبح المخيف للدول والحكومات، وهي الأساس في الفقر والجريمة، وتقاس الدول في قوتها الاقتصادية اليوم أو ضعفها بنسب البطالة فيها؛ ولذا فان قيام مؤسسات العمل الخيري بفتح سوق العمل أمام شرائح المجتمع، إنما يضع لبنة في تحصينه ضد الفقر، ويسهم بفاعليه في تقدم الدول والشعوب.

---

(١) رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وتتنوع المناشط التي يقوم بها العمل الخيري في محاربة الفقر[1]، بين الإطعام والسقاية والإغاثة الطبية وتوفير المأوىٰ والكساء، وباب الكفالات للأيتام والأرامل والمرضىٰ وطلاب العلم، ومع هذا التنوع يظل الدور الوقائي بتوفير المهن، وتذليل الاكتساب الحِرَفِيِّ، وتيسير الفرص لعمل المشروعات، أهم الأبواب في تحصين المجتمع ضد الفقر.

❁ مخاطر الفقر ودور العمل الخيري في مواجهتها:

تتعدىٰ مخاطر الفقر علىٰ الإنسان لتشمل جسده وروحه وعقله، عقيدته وفكره، عبادته وأخلاقه، وتتعدىٰ من الفرد إلىٰ المجموع، يدفع ضريبتها المجتمع بكل أطيافه وفئاته، من أمنه واستقراره، ومن سيادته واستقلاله، ومن آمال لأبنائه وطموحاتهم، ويكفي الفقر خطورة ما أشار إليه القرآن الكريم من تسبب الفقر في قتل فطرة الرحمة بالولد، حيث قال – تعالىٰ –: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١].

❁ خطر الفقر على العقيدة:

لا أخصب من بيئة الفقر لوساوس الشيطان، والتي تشكك الفقير في حكمة الله وعدالته، وتدبيره أمر خلقه، خاصة إذا ما نظر الفقير ليبصر الفوارق الطبقية الهائلة في المجتمع، المترفون والأثرياء بين الكادحين والفقراء، وأول آثار ذلك

(١) يراجع تفصيل ذلك لإحدىٰ المؤسسات الخيرية، وهي مؤسسة بلاد الحرمين الخيرية ١٤١٢ هـ، العمل الخيري المؤسسي: دراسة وصفية ميدانية علىٰ مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية، د/ عبد الله المطوع، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٢ وما بعدها.

يأتي علىٰ حساب اعتقاد المرء بربه، وتزداد الطامة إذا ما صاحب ذلك جهل بالدين، وعقل يجهل حقيقة الفقر وأسبابه وأنواعه.

وارتباط الكفر بالفقر ارتباط وثيق، وفي الحديث قرن النبي - ﷺ - في استعاذته بين الفقر والكفر فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر »[1]. والعمل الخيري، بصورته المباشرة في إغاثة الفقراء والمكروبين بالإطعام والكساء والدواء ونحوه، وبصورته المعاصرة بتوفير فرص العمل، وبصورته في التوعية الفكرية - ببيان حقيقة الفقر وأسبابه، والتفرقة بين فقر التضحية والفقر الناتج عن سوء التوزيع وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وما يؤسسه العمل الخيري في فكر الإنسان من العدالة الإلهية وحكمة تدبير الأرزاق، وبيان نظرة الإسلام للمال والاقتصاد، وما يتم به ذلك من لقاءات ومنشورات ومكتبات وتوعية بمختلف وسائلها - إنما يقدم حصانة للفكر الإنساني حتىٰ لا يشتط وينحرف.

❁ خطر الفقر على الأخلاق والسلوك:

في الحديث الشريف قال النبي - ﷺ -: «إن الرجل إذا غَرِمَ (استدان) حدث فكذب، ووعد فأخلف»[2]. وهذا أبلغ إشارة إلىٰ أثر الفقر علىٰ السلوك والأخلاق، وكثيراً ما ترتبط الجريمة في معدلاتها ببيئة الفقر والعَوَزِ، وكما يقال صوت المعدة أقوىٰ من صوت الضمير، فالإنسان له متطلباته وحاجاته التي يسعىٰ لتحصيلها، فإن عجز عنها عملاً وسعياً سعىٰ إليها انحرافاً وبغياً.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، ح ٥٠ ، ٩٠؛ والحاكم في المستدرك، ح ٩٢٧؛ والنسائي في السنن الكبرىٰ، ح ١٢٧٠؛ وابن خزيمه في صحيحه، ٧٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض والحجر والتفليس، باب من استعاذ من الدين، ح ٨٨٢.

والعمل الخيري، بما يقدمه من أبواب الخير وتوزيع الزكوات والصدقات، يؤسس في جنبات المجتمع معاني التراحم والتكافل، ويرسخ معاني المؤاخاة والمساواة، عندما يتكاتف الغني مع الفقير، والقوي مع الضعيف، وتعلو روح الإيثار علىٰ الأنانية، والتواد علىٰ الكراهية.

❁ خطر الفقر على العقل والفكر:

لا يخفىٰ علىٰ ذي بال ما للفقر من خطر علىٰ العقل والفكر، فالفقر همٌّ مُشغِلٌ لصاحبه، يضيق علىٰ صاحبه مساحات التفكير والتعقل، فينشغل بما يسد جوعته، ويستر عورته، ولا ينشغل بقضايا ولا أحداث، ويتقوقع علىٰ نفسه، وينعزل عن مجتمعه وأمته. والإنسان حتىٰ ينشط عقله، ويزدان فكره؛ لا بد له من زاد معرفي وفكري، وهذا يتطلب مالاً، فإذا خُيِّرَ الفقير بين زاد عقله وبطنه، فلن يتردد في تلبية بطنه، ومن هنا فإن إرهاق الدعاة ورجال الفكر ورواد الثقافة بلقمة العيش لهو من باب ضرب العقول والأفكار، و وأد لطموح المجتمع ومستقبله. والعمل الخيري، بما يقدمه من البذل المادي والعيني، وما يوفره من محاضن علمية لأبناء الأمة، وما يوفره من منح دراسية، وكراسي علمية، ومكتبات وكتب مجانية، إنما يسهم في الحفاظ علىٰ الوعي والإدراك، ويسهم في إدارة عجلة التعقل للأمام، وتوفيرُ الصناعات وفرص العمل للعاطلين فيه حماية مباشرة لعقولهم من الجمود والتخلف، حتىٰ إن العلّامة ابن خلدون قد عقد فصلاً في مقدمته بعنوان: (الصنائع تكسب صاحبها عقلاً، وخصوصاً الكتابة والحساب)[1]. والإسهامات

(١) مقدمة بن خلدون، للعلّامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي، ص ٣٠٠، ط. دار بن خلدون – الإسكندرية.

في هذا الإطار كثيرة، ويكفي الوقوف علىٰ إسهامات بعض المؤسسات الخيرية في ذلك.

❁ خطر الفقر على استقرار المجتمع:

يرتبط المال والفقر ارتباطًا وثيقًا بعناصر المجتمع، وبقيمه الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. والفقر - بما ينتج عنه من طبقية - يغرس في نفس الفقير كراهية المجتمع، والثورة علىٰ قيمه، وتتلاشىٰ لديه الحماسة للدفاع عن وطن يرىٰ أنه تخلىٰ عنه، ويضعف الانتماء لدىٰ الفقير؛ فلا يبالي بقيم، ولا يلتزم بمبادئ، ويكون لقمة سائغة في يد أعداء الوطن.

إن مجتمع الفقر لا يعرف سيادة ولا استقلالاً، ولا يملك قراراً، بل إنه يعرف حياة الخضوع والاستكانة. ومن هنا، فإن العمل الخيري إذ يسهم في محاربة الفقر بالوسائل المختلفة؛ إنما يحفظ بذلك الهويات، ويحمي وطنية أفراده، ويعزز انتماءاتهم لدينهم وأوطانهم. والمؤاخاة التي أعلنها النبي - ﷺ - في مجتمع المدينة، بين المهاجرين والأنصار، كان من ثمراتها التقارب الاقتصادي، ونزع الطبقية المتولدة بين أناس يملكون ويستقرون، وآخرين مطاردين لا يملكون أي شيء، وهي صورة يتميز العمل الخيري بالقيام بها؛ لأنه لا يعرف حدوداً جغرافية، بل إنه يتفاعل بالخيرية التي يحملها للبشرية كلها.

❁ دور العمل الخيري الإسلامي في غلق منافذ التنصير باستغلال المنصرين لكوارث وأزمات المجتمع المسلم:

إن طبيعة العمل الإغاثي تقتضي أن يقدم للإنسان - صاحب الاستغاثة - ما يفقده من أمن غذائي أو دوائي أو وقائي، ونحوه مما يحتاجه الإنسان حال الكارثة

والفاجعة، والعمل الإغاثي يرسم بذلك صورة من الخيرية والتجرد التي أسس عليها، لكن أن يتحول الدور الإغاثي مساومة علىٰ المعتقدات والانتماءات، وتغيير الأفكار والهويات لمصلحة القائمين به؛ فعندئذ يفقد العمل الإغاثي مصداقيته وتجرده، ويحيله إلىٰ أسلوب من أساليب الاستعمار المغرض المتستر، المستغل عوز المحتاجين وبؤس البائسين، وهذا ما يفعله التنصير بمؤسساته في العديد من بلدان العالم الإسلامي.

(إن التنصير عن طريق الكوارث والإغاثة والأزمات والحروب من الأبواب المهمة والخطيرة، التي تسللت إليها المنظمات التنصيرية وبقوة؛ لنشر النصرانية، حيث لا نكاد نجد كارثة إنسانية أو حروبـًا إلا وجدت المنظمات النصرانية تنقَضُّ علىٰ الشعوب الضعيفة؛ لتمارس الإغاثة من جهة، وتمديد التنصير من جهة أخرىٰ...)[1]؛ الأمر الذي يكشف خلو الرؤية المجردة لدىٰ هذه المؤسسات التنصيرية، وإسقاط البعد الإنساني من رسالتها، وتحوُّل النظرة عندهم إلىٰ نظرة افتراسية، مستغلة ضعف المنكوب، وحاجة المفجوع؛ لتغير لديه المعتقدات والأفكار والهوية، بما يتناسب مع مصالح المُنَصِّرينَ وأهدافهم.

والاهتمام لدىٰ المنظمات التنصيرية بمجال الإغاثة والأزمات والكوارث يأتي لأسباب؛ أهمها:

١-احتياج تلك الشعوب المنكوبة لمد يد العون، وتقبلها لأي شيء؛ وهذا يسهل أمر التنصير.

(١) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية، د/ عبد العزيز الفهد، ص ١٠٩ باختصار، ط. دار القاسم – الرياض، ١/ ٢٠٠٥.

٢-كثرة المرض والمنكوبين تعطي الفرصة بحفظ المساعدة المقدمة لهم، ويسهل ذلك قبول الأفكار والمعتقدات المفروضة عليهم.

٣-الفوضىٰ التي تسببها الكوارث، وغياب الرقابة والمتابعة؛ يسهل أمر التنصير وحركة أتباعه.

٤-معظم الشعوب والمناطق المنكوبة والأزمات تقع في دول إسلامية، وذلك بنسبة ٧٠٪، ويعتبر ذلك صيداً ثميناً لهذه المنظمات لنشر معتقداتها)[١]، (ويعتبر تغيير الدين أو التنصير من الأنشطة الملازمة لأي عمل إغاثي في العالم الثالث عامة، والدول الفقيرة علىٰ وجه الخصوص)[٢]، وهذا الأمر موثق بشهادات من المنصرين أنفسهم، ممن يعملون في هذه المجالات، وكذا الإحصائيات التي تصدر في هذا الشأن)[٣].

إن التنصير قد جعل علىٰ رأس أهدافه (هدم الإسلام في قلوب المسلمين.... وإخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاحتلال الصليبي)[٤]، ووضع تحت هذين الهدفين مجموعة من الأهداف الجزئية لتنظيم خطة العمل لتنفيذها، واعتمد - في سبيل ذلك - العديد من الوسائل والأساليب المتنوعة والمختلفة، (شملت كل نواحي التأثير في الإنسان؛ مما يجعل التنصير أكبر معوق لانتشار الإسلام)[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩ بتصرف.

(٢) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية، د/ عبد العزيز الفهد، ص ١١٠.

(٣) ويمكن مراجعة تفاصيل ذلك في كتاب: التنصير الطبي الخفي، الباب الرابع منه.

(٤) مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، د/ أحمد السايح، ص ٦٨، مركز الكتاب للنشر - القاهرة.

(٥) المرجع السابق، ص ٧٠.

ومن هذه الوسائل: المدارس التبشيرية (التنصيرية)، والإرساليات التعليمية، واستخدام المهن، كالطب وغيره، واستخدام الأعمال الاجتماعية، والجمعيات التنصيرية، والإذاعات والقنوات، والمواقع الإلكترونية، وبناء الكنائس، وغيرها. وكان من أبرز ما استخدموه في ذلك مجال الإغاثة، (فبعثات الإغاثة من الوسائل المباشرة البارزة في التنصير؛ حيث يهب الجميع، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، يحملون معهم المؤن والملابس والخيام، وغيرها، ويقدمونها علىٰ أنها نعمة من عيسىٰ ابن مريم - عليهما السلام -، سواء كان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي.....)[1]. (وقد تخطت ميزانيات المنصرين في هذا المجال الثلاث مئة وتسعين مليار (٣٩٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دولار سنويـًا، ولو حصرت ميزانيات الهيئات الإغاثية الإسلامية العاملة في الساحة لما وصلت إلىٰ عشرين مليار (٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دولار سنويـًا)[2]. وقد جرد المنصرون الطب من رسالته الإنسانية في مجال الإغاثة الطبية لمتضرري الكوارث والنوازل في بلدان العالم الإسلامي؛ فقدموا الخدمة الطبية مُغلَّفَة بالدعوة للنصرانية، تارة مباشرة وأخرىٰ غير مباشرة، وبدا ذلك واضحا اليوم في مساومات اللاجئين الفارين من نيران الحرب في سوريا والعراق وأفغانستان وبورما، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، أو تعيش فيها الأقليات المسلمة تحت الاضطهاد والظلم. (وتعمل بعثات التطبيب، التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية

(١) التنصير: المفهوم.. الوسائل.. المواجهة، د/ علي النملة، ص ١٠٩،١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٠ بتصرف.

والصحية، علىٰ خدمة النصرانية والتنصير)[1]. وأصبح (من الحقائق البديهية أن المنصرين يبحثون عن الدول التي تعاني أزمات اقتصادية خانقة، ومشكلات اجتماعية، وتدهور في مستوىٰ معيشتها، وتدني مستوىٰ الدخول فيها، فتسارع الإرساليات بالذهاب، ومد يد العون إليها، وإظهار روح التعاون والمساعدة. وتغتنم الإرساليات التنصيرية مآسي الدول التي تدور الحرب علىٰ أرضها؛ فتبادر إلىٰ استغلال نتائج هذه الحرب المأساوية والمدمرة؛ من ترمل النساء وتشرد الأطفال، باستغلالهم بالشراء، وتسفيرهم إلىٰ جهات مشبوهة، أو إيجاد المأوىٰ والسكن لهم، وتقديم المعونات، من خيام وطعام وأدوية، وتعويضات مادية، ثم يقيم فيهم ناعق يدعو إلىٰ السيد المسيح وتعاليمه عن الرحمة والتسامح، وهذا أمر مشاهد للعيان في أغلب الدول التي ابتليت بالحروب، وتتواتر الأخبار يوميا عن مثل هذه التصرفات، كما يحدث في جنوب السودان، وأوغندا، وغينيا، وأنجولا، والكونغو، ورواندا، والنيجر، علاوة علىٰ أفغانستان والشيشان ويوغوسلافيا (سابقا)، وأخيراً العراق)[2]، وكذا سوريا والصومال، وغيرها من بلدان تتعرض لكوارث الحروب والمجاعات والأوبئة ونحوها.

ومن هنا بات التنصير أخطر الوسائل علىٰ المجتمعات المسلمة، بما يسلبه من مكونات الأمن الفكري والاجتماعي، ومن سلب المعتقدات وتغيرها، وإضعاف الانتماءات وتحويلها، إذ إن أهم مقومات الأمن الفكري في المجتمع المسلم المعتقد الصحيح، الذي يضبط السلوك والتعاملات، والانتماء الصحيح

(١) المرجع السابق، ص ١٠٠، ويراجع لتفصيل ذلك كتاب: التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية، د/ عبد العزيز الفهد، ط. دار القاسم – الرياض، ١/ ٢٠٠٥.

(٢) الاستشراق والتنصير: رؤية موضوعية، ص ٢٩٢.

للوطن والأمة، الذي يكتشف به المسلم العدو من الصديق، ويقيم علىٰ أساسه الولاء والبراء.

وما يعيننا بالدرجة الأولىٰ هو دور العمل الخيري في مجال الإغاثة، بسد الثغرات التي ينفذ منها المبشّرون للمجتمعات المنكوبة والمتضررة، (إن ما يقوم به التبشير النصراني في إفريقيا والمجتمعات المسلمة المختلفة، من بناء المستشفيات الخيرية، والمدارس، وغيرها مما يقوم للإنسان، هو عمل خيري في الدرجة الأولىٰ؛ لأن الإنسان في مثل هذه المجتمعات في حاجة إلىٰ من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم، والخبز، والعلاج، فاذا ما أراد المسلمون المواجهة العلمية؛ فعليهم أن يعملوا مثلما يعمل المبشرون، ويزيدوا عليهم)[1]. (وإذا كان للتبشير مؤتمرات دولية، ومعاهد علمية، وجمعيات تبشيرية، فلماذا لا تكون للمسلمين مؤتمرات للدعوة والمواجهة؟)[2]. ولا يخفىٰ ما للعمل الخيري من تفرد في تحقيق الأمن الفكري، بتقديم العمل الإغاثي؛ وذلك لتميزه في أهدافه ومنطلقاته، وخلوه من التنظيمات واللوائح التي تحكم العمل الحكومي، والتي – غالبـًا – ما تؤخر العمل، وتفوت الفرصة لإغاثة المنكوبين. ولذا؛ لا بد من الإكثار من (المؤسسات والمنظمات الإسلامية الدينية والطبية والتعليمية، ودعمها، والإنفاق عليها بسخاء؛ لأنها من أهم الوسائل التي تربي الشباب، وتحمي أفكارهم وطاقاتهم... ودعم هذه المؤسسات خارجيـًا وتنظيمها هو أكبر دعاية ودعم للإسلام والمسلمين، خصوصا في أوقات الكوارث والنوازل والزلازل،

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٥.

وغيرها)[1]. (ولا بد من الانطلاق، وبقوة، في مجالات الإغاثة والكوارث والأزمات التي تصيب بلاد المسلمين، وعدم الانتظار، فهذا أمر مشروع للتضييق علىٰ المنظمات النصرانية، وعدم ترك المجال لها لكي تذل المسلمين)[2].

وقد وعىٰ العلماء والمفكرون المسلمون لمخططات التنصير والاستعمار، وخبروا حقيقتها وأهدافها ووسائلها، وهب الكثير منهم، أفراداً ومؤسسات، وكذا هيئات وحكومات، لمقاومة التنصير، خاصة في البلدان التي ينشط فيها، وركزوا علىٰ تحقيق الوعي الذاتي بالإسلام وحقائقه، والوعي بالتنصير وأباطيله، وبادلوا الوسيلة بالوسيلة، والأسلوب بالأسلوب، وجاء ذلك عملاً بالعديد من التوصيات التي جاءت في كتابات المتخصصين في مجال الغزو الفكري والتنصير، وغيرهم. ومن هنا (يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير (التنصير) يملك إمكانات هائلة: مادية وبشرية، فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها الإمكانات المادية، والطاقات البشرية)[3].

وإذا كانت الوسائل التنصيرية المتنوعة تحتاج في مواجهتها إلىٰ تخطيط وعمل دؤوب متكامل بين الهيئات والمؤسسات المعنية بتلك المواجهة، فإن التنصير عن طريق الأعمال الإغاثية في الكوارث والأزمات يحتاج إلىٰ تخطيط مستقبلي، ورؤية خاصة؛ لأن الكارثة أو الأزمة تقع دون سابق إنذار، ولا تعطي فرصة لتمهيد، أو وقتـًا لتفكير، بل إنها تحتاج إلىٰ رؤية استباقية واضحة، معلومة عناصرها، وجهات تنفيذها وتمويلها، ودراسة ما يحتمل من عوائقها وآثارها، كل

(١) التنصير الطبي الخفي، د/ عبد العزيز الفهد، ص ١٤٩-١٩٥.

(٢) المرجع السابق بتصرف، ص ٢٠٧.

(٣) مواجهة الغزو الفكري، ص ٢٣٧.

ذلك يحتاج أن يوضع في رؤية واضحة لدىٰ مؤسسات العمل الخيري، ولدىٰ حكومات دول العالم الإسلامي، وكذا عند الأثرياء وأهل الإغاثة، كل في موطنه وبلده؛ حتىٰ تتكامل الرؤىٰ، وتعرف الأدوار، فإذا حلت الكارثة صار العمل في إطار آلي ميسور واضح المعالم.

ويجب أن نعلم طبيعة الأدوار التي تضطلع بها المكونات الاجتماعية من أفراد ومؤسسات وهيئات وحكومات، وكذا واجب العلماء والمفكرين والدعاة، وأن يتفهم كلٌّ طبيعة المشاركة الواجبة عليه: فكرية، دعوية، مادية، عينية، علمية، طبية، وغيرها من أدوار. (وقد نشطت داخل الوطن العربي حركة إنشاء الجمعيات الخيرية.... والتي قامت كرد فعل واضح في مواجهة حركة التنصير.. وقدمت – وما زالت تقدم – خدمات اجتماعية وطبية وتعليمية جليلة....)[1]. ولا بد من التكامل والتعاون بين هذه الجمعيات والمؤسسات الخيرية لفاعلية إنجازها، وتحقيق رسالتها، (فالتنسيق مطلب جوهري وملح بين الهيئات، فالغرض هو الوصول إلىٰ المنكوبين، والهدف الأسمىٰ من هذا كله تحقيق حمل الأمانة التي أراد الله – تعالىٰ – لهذا الإنسان أن يحملها)[2].

ومن المنظمات والهيئات الإسلامية الخيرية، التي تقدم دوراً بارزاً في مجال الإغاثة ودعم المتضررين من الكوارث، هيئة الإغاثة الإسلامية، (وهي هيئة منبثقة

(١) الاستشراق والتنصير: رؤية موضوعية، د/ محمد عبد الرحيم الزيني، ص ٤٢٣، مكتبة الضامري – مسقط، ١/ ٢٠١٠.

(٢) التنصير: المفهوم.. الوسائل.. المواجهة، د/ علي النملة، ص ١٩٥، مطبعة بيسان – لبنان، ط ٥ / ٢٠١٠.

عن رابطة العالم الإسلامي، وقد أنشئت عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م)[١]، وتهدف إلىٰ مساعدة اللاجئين والمنكوبين الذين تصيبهم الكوارث والمجاعات في مختلف أنحاء العالم، وتقديم الإغاثة للمتضررين منهم، كما تهدف إلىٰ الإسهام في تنمية المجتمعات الإسلامية في الجوانب الحضارية: (دعوية، تعليمية، صحية، اجتماعية)، وغيرها من الجوانب[٢]، (وتشمل خدمات الهيئة أكثر من ٨٠ بلداً من البلدان الإسلامية، أو الأخرىٰ التي بها أقليات مسلمة، وتضمن خدماتها إقامة المستشفيات والعيادات المتقدمة، والمدارس والكليات المتخصصة، ومراكز الرعاية الاجتماعية، والمراكز المهنية، والملاجئ، وغيرها)[٣].

والهيئة إذ تقدم هذا الدور، فإنها تعمل علىٰ بناء الفكر السديد، وتوعية العقل بالدين الحنيف، وتقدم البناء النفسي والدعم المعنوي الذي يعزز شخصية المُعْوِزِ والمحتاج، فضلاً عن تقديم الدعم المادي حتىٰ يتكامل البناء فكريـًا ومعنويـًا وماديـًا، وهذا البناء المتكامل أهم اللبنات التي تواجه غزو الأفكار وتغيير المعتقدات، والذي يعتمد عليه التنصير.

وما هيئة الإغاثة الإسلامية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة مكة الخيرية، وغيرها، إلا نموذج للعمل الخيري في مقاومة التنصير، واستباقية الدور الإغاثي لهذه الهيئات والمؤسسات الخيرية يغلق الباب أمام استغلال المنصرين الكوارث والأزمات في بلدان العالم الإسلامي للتنصير، الأمر الذي يمثل حجر الزاوية في تحقيق الأمن الفكري.

(١) مملكة الإنسانية وإغاثة الشعوب الإسلامية، ص ١٤١، دار القمم للإعلام، ١٤٣١ هـ.

(٢) موقع هيئة الإغاثة الإسلامية: www.egatha.org

(٣) مملكة الإنسانية، ص ١٤١.

المطلب الثالث

دور العمل الخيري
في تحصين المجتمع ضد الظلم

إن إحساس الفرد بالظلم، وانتفاء العدالة من المجتمع؛ مؤذن بضياع القيم والمبادئ، مُذْهِبٌ لمعاني الاستقرار والطمأنينة، ويجعل المجتمع علىٰ حافة الانفجار، والمظلوم الذي يستشعر تخلي المساندة والدعم عنه لن يتردد في أن يتخلىٰ عن مجتمعه مع أول فرصة تسمح له، فلن يصون انتماء، ولن يستشعر وطنية، ولن يقيم اعتباراً لواجب وطني أو لتعليم ديني.

والظلم قلب لموازين العدالة، ومحو لمقاييس المساواة بين الناس، وأكثر ما يؤلم الإنسان حال الظلم فقده كرامته، وإحساسه بالغل والقيد، والمظلوم يعيش درجة من التيه والحيرة بين ما يسمع ويقرأ في نصوص دينه، وقوانين مجتمعه، وتشريعات دولته، والتي يراها آية في الإنصاف، بينما يراها في واقعه الحياتي جوفاء لا قيمة لها؛ فيتشكك في مرجعياته، ويثور علىٰ أعرافه وعادات مجتمعه، ويزدري تشريعات دولته، وهذا بداية الطريق للسلوك الإجرامي، الذي يندفع لممارسته تحت وطأة الظلم. والمظلوم يعيش لونـًا من الانكسار النفسي، والتيه العقلي؛ وهذا الأمر يجعل منه لقمة سائغة لأعداء الوطن والمجتمع، بالتقرب إليه ودعمه بأي صورة، ومن هنا فالظلم يعطي فرصة لتكالب الأعداء علىٰ الإنسان المظلوم، وكثيراً ما نسمع ونرىٰ عن شباب وفتية ينقمون علىٰ مجتمعهم، وأبناء وطنهم،

ويخربون مقدرات بلدهم؛ بسبب ظلم وقع عليهم، ولم يجدوا معه دعماً أو مساندة.

ولخطورة الظلم وعواقبه؛ جعل العمل الخيري من أهدافه: نصرة الإسلام والمسلمين؛ إذ إن (ترك المسلم أخاه يتعرض لأنواع الفتن، دون أن يقف معه؛ فيه ضرر كبير علىٰ الجميع، ولذا نجد أن أُخوَّة الدين تفرض علىٰ كل فرد من المسلمين ألا يتخلىٰ عن أخيه المسلم.. قال رسول الله - ﷺ -: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه،.. »[1])[2].

إن صور الاستعمار والاحتلال للشعوب، وانفراد بعض الدول الكبرىٰ بجملة من الحقوق والسياسات التي تصب في خدمتها، بينما تحرم منها الدول الفقيرة، وإملاءات الهيمنة والسيطرة من القوي علىٰ الضعيف، وقضايا التمييز العنصري والديني، وغيرها من عناوين كبرىٰ للظلم في العالم، ومروراً بممارسات القمع للحريات، واضطهاد أصحاب الرأي والفكر، وتقسيم المجتمع إلىٰ فئات وطوائف، ووصولا إلىٰ ظلم كل مسؤول عن عمل لعماله، ورب أسرة لأسرته، وصور الظلم الفردية،كل ذلك يُحدِث لدىٰ الفرد والمجتمع تراكمات من الغضب والحَنَقِ، الذي يجعله قنبلة لا يعرف درجة التدمير فيها إلا الله.

والعمل الخيري أول عناصر المجتمع إدراكاً لهذه المخاطر الناتجة عن الظلم، وإذا ما تعددت الأدوار التي يقوم بها العمل الخيري «فإن صيانة الكرامة البشرية، والدفاع عن المظلومين، - ويسمي في الغرب الدفاع عن حقوق الإنسان

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، ح ٢٣١٠، ومسلم ح ٢٥٨٠.

(٢) العمل الخيري في الإسلام، د/ حمدان المزروعي، ص ٤٦، ط ١/ ٢٠٠١، دار إشبيليا.

- من أخص أوجه العمل الخيري اليوم»[1]. وما أكثر منظمات حقوق الإنسان في العالم، التي تسعي جاهدة لنصرة قضايا الشعوب والأفراد المظلومين، وانتشرت الهيئات الحقوقية في جميع دول العالم، حتىٰ إنهم أسرع من يتواجد في بؤر الصراعات والحروب، وأكثر الجهات علماً بقضايا الظلم العالمي؛ بما يملكونه من قواعد بيانات، وجمع الإحصاءات، والعمل الميداني المكثف علىٰ خطوط النار، وفي السجون، ونحوها.

وعلي الصعيد الداخلي تنتشر لجان إصلاح ذات البَيْنِ[2] ضمن نشاطات العمل الخيري، وما من بلد أو حي أو مجتمع إلا ونجد صورة من صور فض النزاعات والخصومات تحت مسمىٰ لجنة أو هيئة أو مركز ونحوه، وقد عظم القرآن الكريم الإصلاح بين الناس، ورتب عليه عظيم الأجر؛ فقال الله – تعالىٰ -: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

هذا فضلاً عما يقوم به العمل الخيري في إطاره المؤسسي بتنظيم الدورات، والمؤتمرات، ونشر الكتب والموضوعات[3]، التي تؤسس في الناس ثقافة العدالة والاعتدال، ومحاربة الظلم وصوره.

---

(١) العمل التطوعي في ميزان الإسلام، د/ أحمد الجمل بتصرف، ط. دار السلام، ط١، ٢٠٠٩.

(٢) مثل: لجنة إصلاح ذات البين بمكة المكرمة ١٤٢٢ هـ، ولها دورها البارز في دعم المظلومين وأصحاب الحقوق، والإصلاح بين الناس، خاصة في قضايا القتل وإزهاق الأرواح.

(٣) ويكفي متابعة جهود مؤسسة الحرمين الخيرية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ للوقوف علىٰ ما يؤيد ذلك.

والعمل الخيري إذ يقوم بتلك الأدوار، إنما يقدم الاتزان النفسي للمظلوم، والذي يستشعر النصرة من الغير والدعم من الآخرين، فضلا عن الدعم المادي والعيني والتعليمي والسياسي وغيره، والذي يبقي علىٰ معاني الأمل والتفاؤل، ويبعد صورة الإحباط واليأس عن الإنسان؛ الأمر الذي يبقي علىٰ مسار الفكر في إطار الانضباط، ويحدد دائرة الظلم الواقع علىٰ المظلوم في دائرتها الحقيقية، ولا تتفرع إلىٰ الوطن والمجتمع والدين والأمة.

المبحث الثاني

الدور العلاجي للعمل الخيري
في مواجهة الانحراف الفكري – إعادة التأهيل -:

إن الدور العلاجي هو الجناح الآخر – مع الدور الوقائي- للعمل الخيري للوصول إلىٰ تحقيق الأمن الفكري في مجتمع ما، (والعمل الخيري يحمي الفرد والمجتمع من جميع الآفات والجرائم والانحرافات، ويؤمن له الضروريات التي تحفظ كرامته، وتعينه علىٰ نوائب الدهر)[1]، وتوفير هذه الحماية هو حجر الزاوية في تحقيق الأمن الفكري. ولم يكن مستغرباً أن تضع الجمعيات الخيرية في أول بنود لوائحها ونظمها ما يهتم ببناء الإنسان ككل، فكراً وجسداً وروحاً ومجتمعاً. وقد نصت المادة الثانية من تلك اللوائح علىٰ أنه (تهدف الجمعية الخيرية إلىٰ تقديم الخدمات الاجتماعية نقداً أو عيناً، والخدمات التعليمية أو الثقافية أو الصحية مما له علاقة بالخدمات الإنسانية، دون أن يكون هدفها الحصول علىٰ الربح المادي)[2].

ويقصد بالدور العلاجي هنا: توجه العمل الخيري بالعلاج للفئات والشرائح التي تعاني بالفعل من الانحراف الفكري.

---

(١) لوائح ونظم الجمعيات الخيرية – رؤية مهنية في ضوء المتغيرات الحالية لإدارة الجمعيات الخيرية، د/ إبراهيم السيل، ص ١١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣.

المطلب الأول

كشف حقيقة الانحراف الفكري وأغراضه

إن الانحراف الفكري اليوم تتعدد مترادفاته، ويدخل فيه التطرف والإرهاب والغلو، ونحوها، ويقصد به هنا: خروج الفكر لدىٰ الإنسان عن حد الالتزام بالقواعد الدينية، وكذا التقاليد والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة في مجتمعه. وقد يستغل الفهم الخاطئ لمقررات الدين والجهل بأصوله في تغذية الانحراف الفكري، وهذا يفسر جنوح العديد من الشباب وصغار السن نحو دوائر الانحراف الفكري، مرددين نصوصاً من الشرع وتعاليم من الدين، لا يعلمون حقيقتها ولا يفهمونها إلا من خلال أصحاب (أيدلوجيات) موجهة.

وأخطر ما في الانحراف الفكري، الذي عليه بعض أبناء المجتمع اليوم، جهلهم عن الداء الذي تأصل فيهم، بل إن كثيراً منهم ينظر إلىٰ ما هو عليه أنه عين الاستقامة، وأعلىٰ درجات الصواب، خاصة وأن أصحاب هذا الفكر يشفعونه ببعض المحصنات من نقده وكشف زيفه، بأساليب التضليل والمكر والخداع، التي تنطلي علىٰ البسطاء وصغار السن.

و مما وسع دائرة التأثير للانحراف الفكري اليوم مزاحمة العديد من تيارات الزيغ والهوىٰ، وفرق الضلال والغواية، مؤسسات الاعتدال والوسطية في تربية الأبناء، فما عاد سلطان التربية بيد الأسرة والمسجد والمدرسة فقط، بل زاحم

ذلك الكثير من القنوات والمواقع والثقافات الوافدة، التي لم تعد هناك حواجز تمنع فاسدها أو ترد خطرها.

وحتىٰ يدرك الحاملون لجرثومة الانحراف الفكري ما هم عليه؛ لا بد من إدراك معنىٰ الاستقامة والاتزان الفكري، ولا بد من التعرف علىٰ حدود الوسطية والاعتدال في الفكر، وهذا مشروع ضخم لا تستطيع مؤسسة القيام به وحدها، بل لا بد من تكامل المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية، ويسهم بفاعلية في ذلك كله العمل الخيري، بما لديه من شراكة مع جميع هذه المؤسسات.

❁ مخاطر الانحراف الفكري ودور العمل الخيري في مواجهتها:

إن أخطر ما في الانحراف الفكري أنه منطلق انحراف السلوك، ومحرك الجريمة بصورها، ويقع الشخص المنحرف فكريـًا أداة لتنفيذ توجيهات أرباب الانحراف، يزينون له الحق باطلاً والباطل حقـًا، فتراه يقتل باسم الجهاد، ويخرب باسم التغيير، ويكفر ويفسق باسم الدعوة.

فالانحراف الفكري يعتمد اليوم علىٰ غسيل العقول، واستغلال جهالة المرء بدينه، أو حالته النفسية وظروفه الصعبة، ويدخل متسللاً للشباب تارة بالإغراء، وتارة بالإطراء، وأول ما يخسر المجتمع في ذلك عقول هؤلاء المغرر بهم، وطاقاتهم؛ الأمر الذي يرفع كلفة إعادة بناء هذه العقول، وشحن هذه الطاقات والقوىٰ، فضلا عن إحالة هؤلاء لعناصر تخريب للمجتمع، ويفقد المجتمع بسببهم أمنه واستقراره. وغالبـًا لا يتفهم هؤلاء المنحرفون فكريـًا حقيقة ما هم عليه، ولا يدركون أغراض الجهات الممولة لهم، والموجهة لأفكارهم، إلا بعد فوات الأوان؛ لأنهم يعيشون صورة مشوهة لمعتقدهم ومجتمعهم وعاداتهم

وأعرافهم، ويقفون معها موقف الكراهية والعداء، ويسلكون معها مسلك العنف والإلغاء.

والمجتمع في علاجه للمنحرفين فكريـًا من أبنائه لا بد أن يتفهم حقيقة المشكلة وحجمها، ويقدر بواعثها ومخاطرها، ويقف علىٰ أسبابها.. لا بد أن يميز بين الرأس والذيول، بين القيادات والتابعين، لا بد من أن يتفهم المؤثرات الخارجية، والمغذيات الداخلية؛ حتىٰ لا يجمع بين من غرر بهم ومن يديرون تيار الانحراف في سلة واحدة.. لا بد في علاج المجتمع من تفهم حاجات المنحرفين فكريـًا وسلوكيـًا ونفسيـًا وماديـًا، ولا بد من تحديد المسؤوليات بين مؤسساته، وترتيب أولويات العلاج لهؤلاء.

والعمل الخيري، من بين مؤسسات المجتمع، أكثر قدرة وتفرداً في التعامل مع المنحرفين فكريـًا؛ لما يتميز به من رسالة الخير التي يحملها ويعرفها عنه الجميع. والتجرد من المصلحة المادية ونحوها للعمل الخيري – خاصة أمام المعالجين من الانحراف الفكري –، يرفع ثقتهم فيه، وتزيد من تقبلهم لدوره، خلافـًا لدور حكومي أو ربحي، كما أن معايشة العمل الخيري لهؤلاء المنحرفين يجعله أكثر قدرة علىٰ تشخيص علتهم بالوقوف علىٰ دوافعهم وحاجتهم، مما يرتب أولويات البدء بالعلاج وصوره. وتصدي العمل الخيري لهذا الأمر يزيد من طمأنينة المنحرفين من أبناء المجتمع، خلافا لقطاعات أخرىٰ تنظر إليهم بعين الازدراء والاتهام، لا بعين الشفقة والعلاج. ويتنوع الدور الذي يقوم به العمل الخيري في إطار علاج المنحرفين فكريـًا من أبناء المجتمع، وفي ميدان كشف حقيقة الانحراف الفكري وصوره وأشكاله، وأهداف المروجين له، ومخاطره وآثاره علىٰ الفرد والمجتمع، يعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات، ويطبع

الكتب والمؤلفات، ويدير حوارات، ويقيم نشاطات، سلاحه فيها العقل المستنير، وضوابط التفكير السليم، والحجة الدامغة، والبرهان الواضح، وطريقه الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، دافعه الخير، وبغيته الهداية. وقد نظمت العديد من اللقاءات والمحاضرات في العديد من مؤسسات العمل الخيري، وقد وقف الباحث في نموذج واحد علىٰ أكثر من ثلاثين لقاء ومحاضرة بمسجد عائشة الراجحي بمكة المكرمة، من أول عام ١٤٢٩ - أول شعبان من نفس العام، كلها دارت حول كشف حقيقة الانحراف الفكري وأغراضه وصوره ومخاطره، وكان من بين عناوين هذه المحاضرات: فتياتنا والتحصين الفكري: الأهمية والآلية[١]، تعزيز رسالة الأسرة في حماية الأبناء من الانحرافات الفكرية والأفكار الضالة[٢]، خطر الغلو في الدين[٣]، تربية النبي - ﷺ - لفكر الشباب وتحصينهم[٤]، والانحرافات الفكرية[٥]. فضلا عما تقوم به هذه المؤسسة الخيرية في مجال بناء العقل والفكر بصحيح الدين، في شتىٰ مجالات العلم الشرعي، فضلا عن تسجيل هذه اللقاءات وبثها علىٰ الموقع الخاص بالمسجد؛ ليعم النفع، وتتسع دائرة الخير. والأمر يتضاعف نفعه عند متابعة المواقع والفضائيات، ونحوها، والذي للعمل الخيري فيها بصمته في نشر الفكر الصحيح ومواجهة الانحراف الفكري.

(١) درس د/ إيمان مغربي ١/ ٨/ ١٤٣٩.

(٢) ندوة للدكتور عبد الرحمن بن عبد الرحيم القرشي ٣٠/ ١/ ١٤٣٩.

(٣) محاضرة للشيخ محمد بن سعود العمري ٢٢/ ٦/ ١٤٣٩.

(٤) محاضرة للشيخ محمد بن سليم الصبحي ١٠/ ٥/ ١٤٣٩.

(٥) محاضرة د/ عبد الرحمن القرشي ٢٤ / ١ / ١٤٣٩، وقد حصل الباحث من إدارة المسجد علىٰ قائمة بجميع المحاضرات واللقاءات والندوات التي نظمت منذ نشأة المسجد.

المطلب الثاني

رد الشبهات والمطاعن
التي يروجها أصحاب الانحراف الفكري

من أهم الأبواب التي ينفذ من خلالها مروجو الأفكار المنحرفة لعقول أبنائنا وبناتنا: إثارة الشبهات والمطاعن حول الدين في مصادره وأصوله، في مقرراته وتشريعاته وتاريخه، وحول رموزه وعلمائه. وباب إطلاق الشبهات وبث المطاعن هو أبرز الأبواب لدىٰ الحركة الاستشراقية المعادية للإسلام، وأساس يعتمد عليه المنصرون في تنصير المسلمين - خاصة في البلدان التي تعاني الجهل والفقر والمرض -.

إن التصدي للشبهات والمطاعن التي يثيرها أصحاب العداء والانحراف ليس ترفًا فكريًا، بل هو من صميم الحفاظ علىٰ عقول شبابنا، والحماية لهوية الأجيال، والحفاظ علىٰ المجتمع والوطن بالحفاظ علىٰ ولاءات وانتماءات أفراده. والقطاع الثالث – مؤسسات العمل الخيري – المرتبط بدستور الدولة وهوية الأمة معا، كفيل بتقوية الأفكار الرئيسة للدولة، ومحاصرة الأفكار الوافدة والثقافات الجانبية، وهو المؤهل لاستيعاب تلك الطاقات وحصرها داخل الوحدة الوطنية القائمة علىٰ الدين..كما تتأكد أهمية مؤسسات القطاع الثالث

لاحتواء هؤلاء – المنحرفين فكريـًا من أبناء الوطن – وغيرهم من الخروج علىٰ ثوابت الأمة ووحدة الدولة)[1].

ولا شك أن الغزو الفكري أشد خطراً وضرراً من الغزو العسكري؛ فالفكري يسري في العقول سريان السرطان في الجسد بلا يقظة له أو تنبه، خلافا للغزو العسكري، والذي يعرف ميدانه وسلاحه، والطرف المعادي فيه. وأيقن أصحاب الغزو الفكري أنه لن تتحقق لهم أمنياتهم من السيطرة علىٰ المجتمعات المسلمة، وضرب الهويات لدىٰ أبناء هذه المجتمعات، إلا بفك رابطة الدين، وإضعاف صلة الإنسان بمعتقده؛ حتىٰ يصير بلا مرجعية تصحح له الرؤية والسلوكات، وتكشف له حقيقة الاتجاهات والتيارات، وكان لِبَاب الشبهات والمطاعن نصيب الأسد للوصول إلىٰ مبتغىٰ أصحاب الغزو الفكري.

وكان الاستشراق[2] وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولاً سلبيـًا في المجتمع الإسلامي في العصر الحديث، وكان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة، ثم يتبعهم الكتاب و (المفكرون) الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبية»[3]. والاستشراق – باعتباره أهم أجنحة الغزو الفكري – إذ يقدم مخزونـًا هائلاً من الشبهات والمطاعن فيما يتعلق بالإسلام والمجتمع المسلم بشموليته، إلا أن أخطر ما قام به أن أعد أبواقا من أبناء المجتمع المسلم تردد شبهاته وتنشر مطاعنه، وتبث سمومه، فكان هؤلاء أخطر

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) يخرج بذلك كتابات وشهادات الإنصاف لبعض المستشرقين.

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د/ علي جريشة، د/ محمد شريف الزيبق، ص ٢٤ بتصرف، ط. دار الاعتصام.

علىٰ المجتمع المسلم من المستشرقين أنفسهم، وتزعم هؤلاء تنفيذ مخططات التطرف الفكري، والانحراف الاجتماعي، والتي تملىٰ عليهم من جهات خارجية معلوم توجهاتها.. وعلىٰ سبيل المثال: فقد صدر تقرير عن مؤسسة (راند) الأمريكية عام ٢٠٠٧، عنوانه: (بناء شبكات مسلمة معتدلة)، أوصىٰ الولايات المتحدة الأمريكية بصناعة شبكة من التيار العلماني والليبرالي والعصري، ودعمها، ممن تنطبق عليهم شروط الاعتدال الإسلامي بالمفهوم الأمريكي للاعتدال، وجاء عن نفس المؤسسة عام ٢٠٠٥ تقرير بعنوان (الإسلام المدني الديمقراطي)، يقوم علىٰ تصنيف المسلمين إلىٰ فئات فكرية وسياسية، وقد طرح التقرير مد جسور التعاون والدعم للمسلمين الحداثيين والعلمانيين، كما أوصىٰ بدفع الصحفيين لحرب أفكار التيارات الإسلامية »[1].

وكان لمثل هذه السياسات والمؤسسات الفكرية في تغذية تيارات الانحراف الفكري دورٌ هامٌّ داخل الأوساط الإسلامية، وما الإرهاب والغلو والتطرف وغيرها من عناوين الانحراف الفكري إلا نتيجة طبيعية لهذه المؤسسات والسياسات، خاصة وأن وراءها آلة إعلامية ضخمة، ودعمـًا ماديـًا هائلاً.

❁ وهنا تتأكد جملة من الملاحظات:

١-الانحراف الفكري لم يكن وليد اليوم، بل يضرب في جذور التاريخ، ويمثل صورة من صراع الحق والباطل.

٢- الانحراف الفكري نبتة غريبة عن الإسلام، إلا أن بعض المسلمين تفاعلوا معه جهلاً، وصاروا من عناصر التغذية له.

(١) القطاع الثالث، ص ١٢٤.

٣- الانحراف الفكري الموجود لدىٰ بعض أبناء المجتمع المسلم، ترعاه أياد خارجية بقوة ودعم متنوع.

٤- التلاعب بالمصطلحات، وبث الشبهات والفتن كان من أساليب مُصدِّري الانحراف الفكري لمجتمعنا المسلم.

٥- الانحراف الفكري القائم يمثل تحدياً هو أخطر التحديات التي تواجه ثوابت الدين ومقرراته، وتهدد الأمن الفكري والاجتماعي، وتعرض الوحدة الوطنية إلىٰ التلاشي داخل الوطن الواحد، خاصة وأن تقبل الفرد المسلم الشكوك والشبهات حول دينه ومعتقده وتاريخه وهويته ووطنه يفقده التحمس لقضايا بلده، وأصول دينه، وروابط مجتمعه؛ ليتحول ولاؤه للمصلحة الشخصية.

والعمل الخيري هو أخص القطاعات في التصدي لمواجهة الانحراف الفكري في زاوية رد الشبهات والمطاعن علىٰ الدين والأمة والوطن والمجتمع. وتميُّزُ العمل الخيري في ذلك تنبع من حيدته في المرجعية والبناء؛ فهو لا ينتمي لتيار سياسي، أو اتجاه فكري، أو جماعة وطائفة؛ إنما انتماؤه للخير، وولاؤه لمصلحة المجتمع والأمة، وأساسه مقررات الدين الحنيف؛ وبذلك يعلو علىٰ التخريب والطائفية والانتماءات الضيقة، ويستشعر المستهدفون بالإصلاح من الانحراف الثقة فيه، فضلاً عن أن استبيان العمل الخيري لواقع المجتمع، وخطورة الشبهات والمطاعن، وحقيقتها وآثارها وحجمها ومصدرها ونحوه، أعمق وأدق من أي استبيان تقوم به قطاعات ربحية وحكومية؛ وما ذلك إلا لقربه من الناس.

ومما يميز القطاع الخيري في هذا الإطار - أيضا - الاتزان في معالجة هذه القضية، خاصة أنه لا يخضع لجملة الضغوط التي تتعرض لها الحكومات

والقطاع الربحي، واللذان يحركهما - غالبًا - اتجاهات سياسية أو اقتصادية، فمثلا: بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ألصق الغرب شبهة التطرف بالإسلام، وتنامت مصطلحات العنف الإسلامي، (الإسلام فوبيا) ونحوها-؛ فلجأت بعض الحكومات الإسلامية لتغيير المناهج والمقررات الإسلامية بضغوط عليها، وقد تصور البعض أن هذه المقررات والمناهج هي مُصدِّرةُ التطرف وراعية الإرهاب، لكن عندما تصدىٰ العمل الخيري - عن طريق مراكز الحوار الوطنية، أو الرعاية البحثية - لقضايا الأمة، ضمن لقاءات وندوات ومؤتمرات، أو بما يبثه في الإعلام والمواقع، كانت لديه الفرصة أوسع لاستجلاء الأمور علىٰ حقيقتها، فعالج مصطلحات التشوه الفكري، كالغلو والتطرف والإرهاب ونحوها، معالجات هادئة، وجمعت الحوارات العديد من الاتجاهات الداخلية والخارجية، وقاد العمل الخيري - ضمن المنظمات الحقوقية وغيرها - تصحيح المفاهيم ورد المزاعم والأباطيل «والحوار بطابعه الشعبي – غير الحكومي – هو المرشح الحقيقي للحوار مع جماعات التطرف والإرهاب، وكذلك مع الحركات الفكرية والسياسية المنحرفة، التي لا تمثل هوية الأمة والهويات الوطنية؛ وذلك بحكم استقلاليته عن الحكومة، التي هي في موقع الخصم كما يظنون»[1].

وفي ظل تشوه الكثير من الحقائق عن الإسلام، خاصة في عين الغرب، وفي ظل إيمان بعض من قادة الغرب وحكوماته بسياسات عدائية نحو العالم الإسلامي، وفي ظل بعض الشكوك الموجودة حول بعض حكومات والجهات الرسمية داخل المجتمعات المسلمة؛ فإن المرشح للحوار الثقافي والديني

(١) القطاع الثالث، ص ٨٥.

والحضاري الدولي هو مؤسسات القطاع الثالث – الخيري- ومنظماتها وشبكاتها من الطرفين– العالم الإسلامي وغيره –؛ لأنها تمثل الدول والأمم والشعوب أكثر من تمثيلها للحكومات»[1].

❁ مرتكزات العمل الخيري في تصديه للشبهات:

والعمل الخيري في بنائه الفكري الراشد لأبناء المجتمع، وتصديه للشبهات التي تثير الفتن والاضطرابات، إنما يعتمد سياسة تقوم علىٰ مرتكزات، أهمها:

١-اختيار الكفاءات:

إن حس التطوع، والخوف من الله - عز وجل -، يفرضان علىٰ القائمين بالعمل الخيري تحري ما يوفر الجهد والمال، ويحقق الإنجاز والتأثير. ولا يعرف العمل الخيري مجرد التمثيل الدبلوماسي في موائد حوارية أو لقاءات دولية، بل يعرف الفاعلية والواقعية، واختيار الكفاءات الفكرية الواعية، والتي يقدمها ويدعمها العمل الخيري في تفنيد المزاعم ورد الشبهات عن الإسلام والمسلمين، وهذا أمر يشهد له الواقع فيما يطبع وينشر، وفيما ينظم من مؤتمرات وندوات ولقاءات حول هذا الموضوع، وفيما يعرض ويبث علىٰ قنوات وفضائيات، أو يرصد علىٰ مواقع وروابط.

٢-مراعاة الأولويات:

في عصر تتهاوىٰ فيه الحجب والأستار عن الثقافات والأفكار، برز ما نستطيع تسميته (بحرب المصطلحات)، والتي تبنىٰ فيها أصحاب الغزو الفكري مجموعة

(١) المرجع السابق، ص ٨٩.

من المصطلحات التي توجه لِلَمْزِ الدين ومقرراته، أو الحكومات والأنظمة، أو لِلَمْزِ بعض التيارات والاتجاهات المناوئة. وتحمل هذه المصطلحات العديد من المعاني التي يوجهها أصحابها لخدمة سياستهم ومصالحهم، فمصطلحات مثل: (الديمقراطية)، (حقوق الإنسان)، (البيئة النظيفة)، (السوق الحر)، (الحداثة)، (حقوق الطفل)، (العنف الأسري)، (حرية الأديان)، (حقوق المرأة)، (الجندر)، (الثقافة الجنسية)، (التجديد)، (التطرف/ الإرهاب)، (التشدد)، (الحرية)، وغيرها مما امتلأت به مؤتمرات المؤسسات الغربية الفكرية، وندواتهم، اتخذت معبراً لفرض سياسات، وذريعة للتدخل في شؤون دول وحكومات، وتغيير اتجاهات وثقافات، ويفسرها أصحابها حسب مصالحهم فقط.

إن حرب المصطلحات التي تثير الشكوك في الثوابت، وتتهم الأصول بالشبهات، وتزلزل روابط الفرد بمجتمعه، تكشف عن تطور الوسائل الاستعمارية الجديدة، «وتعطي لمحة عن ألاعيب الاستعمار بالمصطلحات، واستهداف العالم العربي والإسلامي بشكل خاص، والعالم الثالث بشكل عام. ولهذه المصطلحات قوة تنفيذية تدفعها وتقذف بها إلىٰ ملاعب الطرف الآخر، الذي يكاد يخلو من اللاعبين؛ حيث لا توجد مؤسسات للقطاع الثالث علىٰ مستوىٰ المرحلة التاريخية الجديدة»[1].

إن مصطلحات كـ (التجديد، والحرية، والديمقراطية، والعلمانية، والعولمة، والحداثة، وحقوق المرأة، ونحوها) فسرها الغرب بتشبع فكري أفرزته ظروف الحياة عنده، وتصور ديني خاص به خلع قداسته بنفسه عنه، وتبعاً لهذه الظروف في الفكر الديني والاجتماعي وضع تصوراً خاصاً يراعي هذه الظروف في تفسير

(١) القطاع الثالث، ص ١٢٨ بتصرف.

تلك المصطلحات، وعقد لتوسيع هذه التصورات العديد من المؤتمرات، وعقد اتفاقيات لفرض هذه المصطلحات علىٰ الأمم والشعوب، دون مراعاة للاختلافات الجوهرية بين ثقافات هذه الشعوب وثقافته، وبين جوهر الدين عندها وعندهم، وبين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها هذه الشعوب والغرب.

فقد لبس التجديد عند الغرب ثوب التبرم لكل قديم، والتخلي عن كل تراث، وتفسير النصوص الدينية أو استحداث غيرها بقوانين وضعية؛ لفقد الثقة في التراث عندهم عن الوفاء بحقوق الناس مع تطور الزمن، وتشوه صورة الحماة لتلك النصوص بالممارسات والسلوكيات الخاطئة والمشينة، تحت مسمىٰ (رجال الدين)، وعندما ينقل المصطلح للبيئة الإسلامية يتجاهلون الفوارق الواسعة بين ما هم عليه وما المجتمع المسلم عليه. و لم يعرف الإسلام الجمود، وما حارب العلم، بل علىٰ العكس من ذلك، جاءت رسالته لتعليم الناس الخير، وأول آياتها مفتاح العلم «اقرأ»، ولم يكن هناك ثمة صراع بين العقل والنقل، بل هو الوفاق والوئام والتناغم، ولم يعرف مصطلح (رجال الدين)، بل هم (علماء الدين)، فلا كهنوت، ولا تسلط علىٰ الخلق باسم الرب. ولم يقف الإسلام جامداً أمام واقع الإنسان المتغير، بل إنه راعىٰ ذلك في مراحل تاريخ المسلمين، لكنه راعىٰ الثوابت والأصول، وبيَّن ما يجوز التجديد فيه من فروع وأحوال. والخطورة تكمن عندما يقدم المصطلح بالتصور الغربي لأبناء المسلمين ممن يجهلون حقيقة المصطلح في دينهم؛ فتثار الشبهات والشكوك حول ثوابت الدين وأصوله ومقدساته، بفعل الجهالة والعماوة عن حقائق الدين. ومصطلح (حقوق المرأة) – مثلا – من المصلحات التي كثيراً ما يعوِّل عليه مروجو الشبهات حول الإسلام، فيتهمون الإسلام بظلم المرأة واضطهادها، ومصادرة حريتها ورأيها، ومنعها من حقوق كالعمل والتعليم والخروج.... وتُؤلَّفُ الكتب، وتُعقد

المؤتمرات التي تُخلط فيها الأوراق بين تصور الإسلام وغيره، متجاهلة حقائق الإسلام في تكريم المرأة في جميع أدوار حياتها، وما تميزت به في الإسلام من حقوق لم تكن في الغرب نفسه، ومثلا: قد عاشت خديجة - رضي الله عنها - وماتت وهي بنت خويلد، مع أن زوجها رسول الله - ﷺ -، بينما في الغرب تتسمىٰ باسم زوجها بمجرد زواجها. ومع تبدل المفاهيم والمصطلحات أصبح التبرج والسفور جمالاً، والاختلاط والتعري حرية، بينما أصبح الاحتشام جموداً، والعفاف أفولاً. وبالضغوط علىٰ الحكومات والأنظمة تلبي حكومات بعض الدول الإسلامية بعض رغبات مؤتمرات الانحراف الفكري والقيمي، وعندئذ يظل العمل الخيري الأجدر بتصحيح الأخطاء وتفنيد الشبهات ورد المطاعن؛ ليبقىٰ مسار الفكر في رشده واعتداله.

« والديمقراطية أصبحت صنماً خارج المرجعية والمعاني المحلية، وتحول المصطلح إلىٰ إشارة غامضة تمنح تجربة الحرية لكل شخص، في كل دور من المستهلك إلىٰ المواطن، وهي كبقية الرموز تصبح مدخلاً للمفاهيم الضمنية، يجري تلقينها لمواطني الدول النامية من خلال نشرات الأخبار والبرامج التلفزيونية»[1]. ويدخل في مسار واحد مع حرب المصطلحات الشبهات التي تطعن في مصادر الإسلام وأصوله، ورموزه وعلمائه وتاريخه وأمجاده، والمطلع علىٰ كتابات الانحراف الفكري الموجه للإسلام يجد أن شبهات مثل: بشرية القرآن، وانتشار الإسلام بحد السيف، وتعدد زوجات الرسول، و الطعن في رجال السنة، وغيرها، من اللوازم التي دأبت ألسنة وأقلام السوء علىٰ تسجيلها في كتبهم ولقاءاتهم بصورة متكررة، هذا فضلا عن الشبهات التي تحملها مصطلحات

(١) القوة من النوع الثالث: محاولة الغرب استعمار القرية العالمية، د/ هشام الناظر، ترجمة: خالد باطرفي، ص ١٢٥ بتصرف، ط. مؤسسة المدينة / جدة، ١٤٢٣هـ.

توجهها جماعات وفئات لها أيدلوجياتها الخاصة داخل المجتمع المسلم، كقضايا الجهاد، والتكفير، والحاكمية، والخلافة، وغيرها من قضايا يتسبب عدم التفاعل معها بحكمة ووضوح في استقطاب فئات من الشباب المسلم، يتشربون الأفهام الخاطئة حولها، ويتحولون بذلك إلىٰ أدوات انتقام من المجتمع، بل ويتوجهون - أحيانـًا - بالأذىٰ إلىٰ أهليهم وعشيرتهم. والأمر بهذا الحد من الخطورة يفرض يقظة من المجتمع، حكومة ومؤسسات وأفراداً، ويتوجب علىٰ قيادات الأوساط الفكرية التصدي لذلك، وتبصير الناس بالحقائق حول هذه القضايا علىٰ جميع المستويات: أسرية وتعليمية، دعوية وإعلامية، تربوية وتوعوية..

وجهود العمل الخيري - الفردي والجماعي والمؤسسي- في هذا المجال موسعة، بين تبني الكراسي العلمية والبحثية، وطبع مؤلفات وكتب، وقنوات وبرامج، ونشر، وتدريس ومحاضرات ولقاءات ومؤتمرات، ونحوه مما لا يتسع المقام لعرضه. ويكفي مراجعة أقسام الاستشراق، والدعوة والثقافة والتاريخ في بعض جامعات الدول الإسلامية، الممولة بالعمل الخيري، كالأوقاف والحبوس، لنرىٰ حجم ما أنجز من كم معرفي وبحثي في هذا الإطار.

والعمل الخيري إذ يقوم بهذا الدور، إنما يقدم دوراً وقائيـًا لشبابنا وفتياتنا ممن لم تصبهم لوثة الانحراف الفكري جراء هذه الشبهات والأباطيل؛ لأنه يقدم حقائق الإسلام، ويكشف أباطيل خصومه، ويقدم الدور العلاجي لمن تبلبلت عنده الأفكار، واختلطت عليه المصطلحات والمفاهيم؛ فيصحح الفهم، ويعيد الرشد، وفي الوقت ذاته يقدم رؤية دعوية لغير المسلمين للتعرف علىٰ الإسلام من خلال رؤية ناقدة، ومقارنة بين ما يتهم الإسلام به وحقائقه التي عليها.

والعمل الخيري بذلك إنما يعيد الاتزان والوسطية في تناول الفكر والتعامل معه علىٰ الصعيد العالمي، فهو في نزعته وهدفه لا يبغي إلا الخير لإسعاد البشرية، وأفضل ما يقدم لتحقيق ذلك الانضباط الفكري، والإنصاف في الحكم، وهو ما نراه جلياً في تراث علماء الإسلام، ممن تصدوا لهذه الشبهات بحَيْدَةٍ ومنهجية وتجرد.

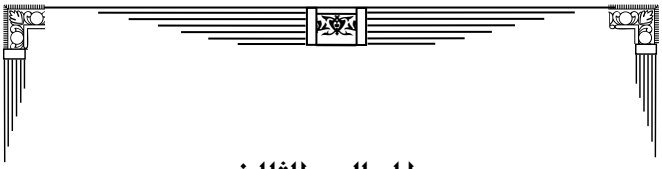

المطلب الثالث

توفير المحاضن العلمية والتربوية المناسبة لإصلاح المتأثرين بالانحراف (إعادة التأهيل)

إن إنشاء المحاضن التعليمية والتربوية الراشدة فكرة تصب في الحفاظ علىٰ هوية الأمة بالدرجة الأولىٰ، والحفاظ علىٰ انتماء أفرادها لمعتقدهم ومجتمعهم. وأول ما يستوقفنا في بدء الدعوة الإسلامية لبناء الأمة المسلمة اعتمادها في المقام الأول علىٰ التعليم والتربية، فتنزل (اقرأ) أول آية، وينشئ النبي - ﷺ - محضناً تعليمياً تربوياً في أول الأمر في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ وذلك لبناء طليعة الأمة المسلمة. ومن الممكن أن نعتمد ذلك بداية تاريخ العمل الخيري في توفير ما يسمىٰ اليوم بالمحاضن العلمية والتربوية للبناء والإصلاح. وينطلق العمل الخيري في الإسلام بعدها ليغذي رافد التعليم والتربية للبناء، في دور وقائي للمجتمع المسلم من الانحراف الفكري، يحمي عقلية المسلم، ويرسم ملامح الإصلاح والرشد، ويعلم ويربي في زوايا العمل الخيري كله، ما بين زكاة ووقف وصدقة، وتطوع ببذل علم، وكفالة طلاب علم، وتوفير المصادر العلمية التي تضمن بناء عقل المسلم، خاصة الدعاة، بعيداً عن الانحراف والشَّطَطِ. ويكفي أن نقف علىٰ إحصائية واحدة من مؤسسات العمل الخيري؛ لنرىٰ مدىٰ الدور الذي يقوم به هذا القطاع في توفير المحاضن العلمية والتربوية – خاصة للدعاة إلىٰ الله –

، فمؤسسة (العون المباشر)، والتي كان يترأسها د/ عبد الرحمن السميط (رحمه الله)، جاءت حصيلة المشروعات التي نفذتها في إفريقيا حتىٰ أواخر ٢٠٠٢م كالآتي: بناء ١٢٠٠ مسجد، دفع رواتب ٣٢٨٨ داعية ومعلماً شهرياً، توزيع ٥١ مليون نسخة من المصحف الشريف، طبع وتوزيع ٦٠٥ ملايين نسخة من الكتيبات الإسلامية بلغات إفريقية مختلفة، بناء وتشغيل ١٠٢ مركز إسلامي متكامل، عقد ١٤٥٠ دورة للمعلمين وأئمة المساجد، ودفع رسوم الدراسة لما يزيد عن ٩٥ ألف طالب مسلم فقير، تقديم ٢٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا في الدول الغربية في تخصصات الطب والهندسة والتكنولوجيا.... خلافاً لحصيلة الغذاء والماء والدواء والكساء، وتشغيل الأيدي العاملة، وغيرها[1].. وما زال العطاء مستمراً للعديد والعديد من جمعيات ومؤسسات الخير في ربوع العالم. وهذا غيض من فيض قام به العمل الخيري علىٰ مدىٰ تاريخ أمتنا المجيد، في إطار توفير المحاضن العلمية لأبناء الأمة؛ إيماناً - من القائمين بذلك - بأهمية هذا العمل للحفاظ علىٰ عقل الأمة والعمل علىٰ نهضتها، وحصانتها من براثن الجهل والتخلف. ولقد صاحب العمل الخيري التطور الإعلامي والتقني في العصر الحديث، واستمر ذلك في تقديم المحاضن العلمية والتربوية في الفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعي، وكل أدوات التواصل في العصر الحديث، لتتسع

(١) العمل التطوعي: خطوات عملية للنهوض بالأمة، د/ صالح الهطالي، ص ٨٩ باختصار، ط ١ / ٢٠١٥ م، مكتبة الضامري - سلطنة عمان. وكانت جمعية العون المباشر تسمىٰ بـ «لجنة مسلمي أفريقيا »، وكانت اهتماماتها بإفريقيا؛ بعد أن أكدت دراسات ميدانية للجنة أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة؛ وبالتالي فغالبيتهم – وخاصة أطفالهم في المدارس - عرضة لخطر التنصير.

دائرة المحاضن لتشمل القطاع الأوسع من المستهدفين، وتوفير الوقت والجهد، وتزيد من الفاعلية والأثر الإيجابي. ويفيد في معرفة ذلك الوقوف علىٰ مواقع هذه المؤسسات والجمعيات علىٰ الإنترنت؛ لمعرفة ما تقدمه من جهود كبيرة في توفير مصادر التعلم والمعرفة، ومحاضن التربية والسلوك والوقاية من الانحراف [(١)].

ولا يقف العمل الخيري بتوفير هذه المحاضن متطلعاً لدور وقائي في الحفاظ علىٰ عقلية الشباب وهويتهم، بل كان من واقعيته اتخاذ - الكثير من مؤسساته - التدابير العلاجية المناسبة لمن أصابته لوثة الانحراف الفكري من أبناء الأمة، وهي كما يأتي:

❁ التدابير العلاجية للعمل الخيري في علاج المتأثرين بالانحراف الفكري:

- **النظرة الإيجابية:**

تختلف وجهات نظر المؤسسات العلمية الرسمية وغيرها بالنسبة للمنحرفين فكرياً من أبناء المجتمع، فبينما تفضل أغلب الحكومات الدور الأمني، «والحل الأمني مطلوب، لكنه بمفرده ليس هو الحل المنتظر »[(٢)]، وبينما ترىٰ جهات في القطاع الخاص عزلهم عن المجتمع وعدم تقبلهم، وهذا - أيضا - علىٰ المدىٰ البعيد والقريب ليس علاجاً ناجحاً، يقف العمل الخيري متوازناً في النظرة لهؤلاء المنحرفين؛ فنظرته إيجابية تقدر الأمور بقدرها، وخيريته تبعث علىٰ التفاؤل في العمل مع هؤلاء لإصلاحهم، فالعمل الخيري يقدر بواعث هؤلاء

(١) كنموذج، ويفيد في ذلك كتاب: مواقع الجمعيات الخيرية الخليجية علىٰ الإنترنت، د/ أحمد عبادة العربي، ط١ / ١٤٣٠هـ، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد).

(٢) القطاع الثالث، ص ١٢٢.

علىٰ الانحراف، وينظر إليهم بأنهم أبناء المجتمع، كما علق أحد الكتاب قائلاً: «هؤلاء الإرهابيون هم في الأخير أبناؤنا، تربوا في منازلنا، ونموا وترعرعوا بين ظهرانينا، وتعلموا في مدارسنا...)[1]. ويقدر العمل الخيري الحلول التي تقدمها الجهات الأخرىٰ، وهو يعمل ليتكامل معها، ويستثمر هؤلاء المنحرفين بعد إعادة تأهيلهم، يقدر الحل الأمني في تقويض الأضرار، ووقف الأثر السلبي لهؤلاء، ويقدر حذر بعض الجهات منهم وتجنبهم؛ لتجنب المخاطر، لكن - في نفس الوقت - ينظر لهؤلاء بعين المرضىٰ الذي يحتاجون لعلاج، وليس الموتىٰ الذين يحتاجون إلىٰ دفن، خاصة وأن هؤلاء لا يعيشون وحدهم، بل وراءهم الكثير من الأسر والأبناء؛ الأمر الذي لا بد من وضعه في الاعتبار. والنظرة الإيجابية التي يحملها العمل الخيري في إصلاح هؤلاء انتظار الثواب من الله، وإخلاص العمل له، فلا ينتظر من ورائهم صيتاً وشهرة، ولا جُعلاً وأجرة.

٢- تمييز التشخيص:

العمل الخيري في تشخيصه لمرضىٰ الانحراف الفكري لا يضع الكل في سلة واحدة، فالعاملون من المؤسسات الخيرية في هذا الأمر يقدمون دراسات وبيانات عن تلك الفئة قبل التعامل معها، ويفرقون بين القيادات والتابعين، بين من يحملون رؤية وبين من غرر بهم، يفرقون بين من عندهم أجندات خارجية و من يحركهم الداخل، يفرقون بين العامل الزمني للمتأثرين بالانحراف، يميزون بين مصادر الانحراف وصوره وتأثيره، والعمل الخيري في تمييزه بين ذلك كله يملك من أهل الخبرة والحكمة من يحققون نجاحات في ذلك، ويملك من الصبر

(١) القطاع الثالث، ص ١٢٢.

والتروي الكثير لاستيعاب أصحابه أن الانحراف الفكري أعمق وأخطر وأصعب علاجاً من غيره.

٣- تحديد أولويات العلاج وشموله:

من أين البدء؟ أهم سؤال في محاورة وعلاج أصحاب الانحراف الفكري، ونقطة الانطلاق معهم تفرض دراسة حالاتهم وظروفها، والسماع لهم جيداً؛ لتحديد ما إذا كان الأنسب تصحيح مفاهيم مغلوطة، أو بناء مصطلحات غائبة عن أذهانهم، أو تعرية الجهات التي ترعىٰ الانحراف، أو التفكير في تغيير بيئة الشخص، أو بيان الأخطار والأضرار التي تسبب فيها الانحراف الفكري لإيقاظ الضمير.. يحسن البدء بنقطة أو بأكثر في سياق واحد. ويتفرد العمل الخيري باتساع نظرة الرعاية لهؤلاء في علاجهم من الانحراف، وفي الوقت الذي تمتد يده إليهم بالمناصحة والإفهام والتبصرة، تمتد الرعاية لأسر هؤلاء؛ تأكيداً علىٰ نزعة الخير وإخلاص الوجهة، وتأكيداً علىٰ الفصل بين صاحب الانحراف ومن لا ذنب لهم ممن حوله. وهناك جمعيات متخصصة في ذلك، مثل: جمعية «تراحم» بمكة المكرمة، وهي لجنة رعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم، وقد أنشئت عام ١٤٢٢هـ، وتقوم بواجب الرعاية الفكرية وغيرها للسجناء، وكذا لأسرهم، ومعلوم بأن أحوج ما يكون للرعاية الفكرية من السجناء هم سجناء الانحراف الفكري.

٤- اختيار الكفاءات وتحديد المسؤوليات في العلاج:

لا يقف الأمر عند وضع رؤية في التعامل مع أصحاب الانحراف الفكري، بل يهتم العمل الخيري في تنفيذ تلك الرؤية، ويبدأ بتخير الكفاءات من رجال الحوار والمناصحة والحكمة والعلم، وضمن مشاورات يرسمون العمل ويحددون

المسؤوليات، وينظمون اللقاءات، ويطبعون المطويات والمنشورات، ويتعرفون علىٰ المشكلات لدىٰ هؤلاء، ويسهمون في حلها لإعادة بنائهم أفراداً صالحين في مجتمعهم. ووقف الباحث علىٰ الاستعانة ببعض أساتذة القسم بالكلية لهذا الأمر، خاصة بعد استغاثة بعض أولياء الأمور من وجود ملامح الانحراف الفكري لدىٰ أبنائهم.

٥- السعي في تقبل المجتمع للتائبين من أهل الانحراف الفكري:

ومن أهم الأدوار والتدابير التي يقوم بها العمل الخيري إعادة تأهيل هؤلاء للتواصل الاجتماعي مرة أخرىٰ، بعد شفائهم من علتهم، وإن أصعب ما يواجه به التائب من الجرم بعد استشفائه وتوبته نظرة الازدراء التي يستشعرها من المجتمع، وتظهر في عدم قبول تشغيله، وتجنب التعامل معه، فضلاً عما قد يسمع ويرىٰ من معاني الاحتقار والازدراء.

والخطورة في النظرة السلبية من المجتمع للشخص التائب من الانحراف أنها قد تعيده إليه، وتفقده الثقة والقدرة علىٰ إعادة بناء ذاته من جديد. ومن هنا فإن من التدابير المحورية في إعادة تأهيل المنحرفين فكريـًا السعيُ في تقبل المجتمع لهم كتائبين صالحين، ومرضىٰ تعافوا من علتهم.

إن سعي مؤسسات العمل الخيري لتشغيل هؤلاء، وإيجاد فرص العمل لهم، لهو من أهم الخطوات في إعادة التأهيل، واستثمار هذه الطاقات في المجتمع، خاصة وأنه يمكن الاستفادة من تجاربهم ليكونوا في أماكنهم دعاة للاستقامة والإصلاح ومواجهة الانحراف.

إن من أهم مراتب العلاج للمنحرفين اطّلاعهم علىٰ تجارب شخصية لأمثالهم ممن تابوا واستقاموا، و استثمار ذلك في توجيه الشباب عمومـًا خطوةٌ وقائيةٌ لأبناء المجتمع من الانحراف. وإن أغلىٰ ما يقدم للتائبين من الجريمة والانحراف فرصة عمل تعيد لهم ثقتهم بأنفسهم، وتكفيهم شر الجريمة والانحراف، وتعينهم علىٰ حوائجهم وذويهم، وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: « قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقة فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ سارق. فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة علىٰ زانية. فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ زانية، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ غني. فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ سارق وعلىٰ زانية وعلىٰ غني. فأتي فقيل له: أما صدقتك علىٰ سارق فلعله أن يستعف عن سرقته. وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها. وأما الغني، فلعله يعتبر؛ فينفق مما أعطاه الله »[1]. فتوفير الاكتفاء الذاتي، وسد حاجات أهل المعصية والانحراف؛ يسد طرق الانحراف أمامهم، خاصة إذا كان انحرافهم لِعَوَزٍ وحاجة، وفرصة العمل للتائب من الانحراف خير علاج ووقاية.

والعمل الخيري إذ يقدم هذا المسعىٰ، إنما يتابع ويراقب ويرصد ويسجل؛ حتىٰ يضمن عدم تسرب خيوط الانحراف للتائبين مرة أخرىٰ، ولذا فيفضل بقاء هؤلاء تحت المتابعة والرعاية الفكرية فترة؛ حتىٰ نتأكد من خلوهم من جرثومة الانحراف الفكري تمامـًا.. والله المستعان.

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ١٣٥٥، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، ١٠٢٢.

ونؤكد علىٰ ضرورة التمييز بين درجات التأثر بالانحراف بين القادة والمنظرين، ومن غرر بهم والتابعين، «إن من أكبر وسائل محاصرة هذا الانحراف وجود تلك المؤسسات غير الحكومية، بدراساتها وأبحاثها، وحرية حواراتها، ولجان مناصحتها؛ فهي المؤهلة المرشحة لذلك، من خلال مؤسسات القطاع الثالث (الخيري)؛ لأنها غير محسوبة علىٰ الجانب السياسي للحكومات. كما أن هؤلاء ليسوا سواء؛ فمنهم المؤمن بالقناعات الفكرية والنظريات السياسية المستوردة، والمُنَظِّرُ لها، كما أن منهم المتأثر والمخدوع والمغرر بهم، والحوار مطلوب مع هؤلاء وأولئك؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال٤٢] »[1] ، وبذا يكون العلاج أنفع وأنجع - بمشيئة الله.

(١) القطاع الثالث، ١٢٦ بتصرف.

الخاتمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

إن العمل الخيري يتفرد من بين مؤسسات المجتمع بتقديم دور متميز في نهضة المجتمعات، وصناعة الحضارات، وتقديم القدرات التنموية المتنوعة، وأهمها: التنمية الروحية والنفسية والأخلاقية والفكرية، ويقدم العمل الخيري هذا الدور البنّاء خلال دورين مهمين: أحدهما وقائي، وهو ما يقدمه من خطوات استباقية لسد منافذ الانحراف الفكري علىٰ الإنسان، وأخص المنافذ التي تعطي الفرصة لذلك هي: الجهل والفقر والظلم، ووجود المؤسسات الخيرية، التي ترعي الإنسان، خاصة في أماكن تواجد هذه الآفات؛ يعد حصنًا وحماية تقلل من فرص تواجد الانحراف الفكري؛ والآخر علاجي، حيث يسهم العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري، ببيان حقيقته، وكشف زيفه وشبهاته، وإعادة إصلاح وتأهيل المتأثرين به. ويملك العمل الخيري، علىٰ مستوىٰ العالم اليوم، فرصة التقارب بين الثقافات واللغات والأعراف، وغيره مما يختلف فيه الإنسان، وهو الأجدر بقيادة العالم بما يملكه من قدرة علىٰ القيادة ووحدة الصف، وبما يملكه من قاعدة شعبية واسعة، وهو بذلك يمثل رسالة سلام عالمية، خاصة إذا اكتسب الاستقلال الكامل عن السياسات والحكومات والتيارات والاتجاهات المتنوعة في المجتمع. والعمل الخيري متنوع في مجالاته، شامل في صوره، عام في فوائده؛ وهذا يعطي الفرصة لجميع البشر للمساهمة فيه. وحتىٰ يتسنىٰ تفعيل العمل الخيري؛ ينبغي نشر ثقافته بين الناس، فلا يترك لمجرد انطباعات شخصية، أو

انفعالات وقتية، بل يتخذ صورة الواجب الذي يمثل جزءاً أصيلاً في بنيوية الفكر لدىٰ الإنسان.

ومن التوصيات التي تفعل دور العمل الخيري المعاصر في مواجهة الانحراف الفكري ما يأتي:

١-تدريس مقررات عن العمل الخيري في المراحل التعليمية المختلفة، تناسب كل مرحلة، وترسخ بتطبيقات عملية لدىٰ الطلاب، بتخصيص يوم تطوع في الشهر لخدمة مدرستهم وجامعتهم، وتنظيم زيارات لمؤسسات العمل الخيري الناجحة في مجتمعهم، وإدراج العمل الخيري ضمن مناشط المسابقات والمنافسات المختلفة.

٢-تخصيص وحدات للفكر والحوار في مؤسسات العمل الخيري، تختص برصد الانحراف الفكري وصوره وتأثيره، وتعالج المتأثرين به من أبناء المجتمع.

٣-تخصيص يوم من العام للتطوع في كل بلد وقطر؛ لنشر ثقافة العمل الخيري لدىٰ أبناء هذا البلد، ويتم عرض إبداعات كل بلد في الاحتفاء بهذا اليوم علىٰ بقية الأقطار، ولْتُمنح جائزة عالمية لأفضل بلد في اليوم العالمي للتطوع، ومن الممكن تعميمه علىٰ مستوىٰ مؤسسات كل بلد، وتعطىٰ الجائزة في يوم احتفال البلد بيوم التطوع فيه.

٤-تخصيص مقررات علمية عن ضوابط التفكير العلمي في الإسلام، ودورها في بناء الفرد والمجتمع، وتدرس في المجالات الوظيفية والتعليمية المختلفة، بما يتناسب مع كل مجال ومرحلة؛ فهذا فيه وقاية من الانحراف الفكري بما يتعلمه الشخص من ضوابط التفكير وأنواعه[1].

(١) وللباحث كتاب (ضوابط التفكير العلمي ودورها في بناء الداعية)، يعد أنموذجاً في مجال الدعوة.

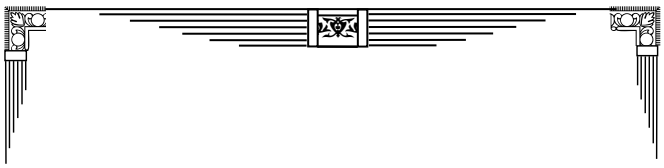

أهم المراجع

١) الاستشراق والتنصير: رؤية موضوعية، د/ محمد الزيني، ط. الضامري للنشر – مسقط، ط. ١/ ٢٠١٠ م.

٢) التطوع: ثقافته وتنظيمه، د/ صالح التويجري – ط١/ ١٤٣٤هـ – دار مملكة نجد للنشر والتوزيع.

٣) التطوع والمتطوعون في العالم العربي – موسىٰ شتوي وآخرون، ط. ٢٠٠٥، دار نوبار للطباعة.

٤) تفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط. المكتب الثقافي – القاهرة.

٥) التنصير الطبي الخفي في البلاد الإسلامية، د/ عبد العزيز الفهد، دار القاسم – الرياض، ط١/ ٢٠٠٥).

٦) التنصير: المفهوم.. الوسائل.. المواجهة، د/ علي النملة، ط / بيسان – لبنان، ٢٠١٠./٥

٧) ثقافة العمل الخيري، د / عبد الكريم بكار، ط. ١/ ٢٠١٢، دار السلام.

٨) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط ٥/ ١٩٩٦ – دار ابن خلدون – الإسكندرية.

٩) صحيح الإمام البخاري.

١٠) صحيح الإمام مسلم.

١١) العمل التطوعي بين الواقع والمأمول، د/ منال عباس، ط. دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.

١٢) العمل التطوعي: خطوات عالمية للنهوض بالأمة، د/ صالح الهطالي، ط١/ ٢٠١٥، مكتبة الضامري - سلطنة عمان. ١٣) العمل التطوعي في ميزان الإسلام، د/ أحمد الجمل، ط١/ ٢٠٠٩م – دار السلام.

١٤) العمل الجماعي التطوعي، عبد الله الخطيب، ط. ٢٠١٠، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

١٥) العمل الخيري في مكة المكرمة في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، د/ آمال رمضان صديق، ط. ١٤٣٦هـ/ كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسة تاريخ مكة المكرمة.

١٦) العمل الخيري المؤسسي: دراسة وصفية ميدانية علىٰ مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية، د/ عبد الله المطوع، ط ٢٠٠٨م – جامعة الإمام محمد بن سعود.

١٧) القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، د/ محمد عبد الله السلومي، ط١/ ٢٠١٠، سلسلة دراسات اجتماعية – الكتاب الثالث.

١٨) القطاع الخيري ودعاوىٰ الإرهاب، د/ محمد السلومي، ط١/ مجلة البيان.

١٩) القوة من النوع الثالث: محاولة الغرب استعمار القرية العالمية، د/ هشام الناظر، ترجمة: خالد باطرفي، ط. ١٤٢٣هـ، مؤسسة المدينة - جدة.

٢٠) لوائح ونظم الجمعيات الخيرية: رؤية مهنية في ضوء المتغيرات الحالية لإدارة الجمعيات الخيرية، إبراهيم السبيل، ط. جامعة أم القرىٰ.

٢١) مؤتمرات وندوات العمل الخيري بدول مجلس التعاون الخليجي ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨، د/ أحمد عبادة العربي، ط. ١٤٣٠هـ، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد).

٢٢) مفهوم العمل الخيري في القرآن الكريم والحديث الشريف، د/ محمد أزهري، ط. ١٤٣٨هـ، مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة.

٢٣) مقدمة ابن خلدون، العلّامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي، ط. دار ابن خلدون – الإسكندرية.

٢٤) مملكة الإنسانية واغاثة الشعوب الإسلامية، ط/ وزارة الثقافة والإعلام بالسعودية، ط / ١/ ٢٠١٠.

٢٥) مواجهة الغزو الفكري، د/ أحمد السايح، مركز الكتاب للنشر – القاهرة.

٢٦) مواقع الجمعيات الخيرية علىٰ الإنترنت، د/ أحمد عبادة العربي، ط١/ ١٤٣٠هـ، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد).

أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد الفكري والتربوي

دراسة فكرية تربوية مقاصدية

الأستاذ الدكتور
عثمان محمد غريب

الملخص باللغة العربية

العمل الخيري قديم بقدم الإنسان، وحثت عليه جميع الكتب السماوية، واستمر إلىٰ يومنا هذا، وسيستمر باستمرار بقاء الإنسان، وأضحىٰ عِلمًا بذاته يدرس في الجامعات ويخصص له مؤتمرات وندوات، ويُكتبُ فيه كتبٌ وبحوثٌ.

وهذا البحث المسمىٰ (أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي-دراسة فكرية تربوية مقاصدية) كتب لبيان أثر العمل الخيري في الإصلاح الفكري والتربوي لأفراد المجتمع، واقتضىٰ البحث تقسيمه إلىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين:

خُصِّصَ التمهيدُ للتعريف بمصطلحات العنوان.

وخُصِّصَ المبحثُ الأول للكلام عن حكم إسداء الإحسان إلىٰ الفاسد، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: في حكم الإحسان إلىٰ الفاسد المسلم.

والمطلب الثاني: في حكم الإحسان إلىٰ الفاسد غير المسلم.

وَخُصِّصَ المبحثُ الثاني للكلام عن أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري.

والمطلب الثاني: في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد التربوي.

وَخُصِّصَت الخاتمةُ لأهمِّ ما توصل إليه البحثُ من نتائج وتوصيات.

كلمات دالة: العمل الخيري، أثر العمل الخيري، الإحسان، الإصلاح التربوي، الإصلاح الفكري.

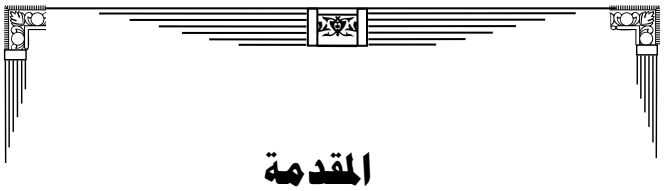

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فحري بموضوع مهم كالعمل الخيري أن تعقد له المؤتمرات والندوات، وتحظىٰ باهتمام الجامعات والمؤسسات والباحثين لما له من أثر بالغ في شتىٰ جوانب الحياة من تحقيق لإنسانية الإنسان، وتحصيل للتنمية العلمية والفكرية والمعرفية والاقتصادية والأخلاقية.

وقد رادت جامعة أم القرىٰ -وهى الرائدة- وأرادت عقد مؤتمر علمى مخصص للعمل الخيري، وبيان مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، ولأهمية المؤتمر ارتأيت أن أدرس جانبا من جوانب العمل الخيري فوقع اختياري علىٰ الجانب المقاصدي منه مبينا أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي ودراسته دراسة فكرية تربوية مقاصدية.

اقتضىٰ البحث أن أقسمه إلىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين:

خصصت التمهيد للتعريف بمصطلحات العنوان.

أما المبحث الأول: فقد خصصته للكلام عن حكم إسداء الخير والإحسان إلىٰ الفاسد.

وقسمته إلىٰ مطلبين:

المطلب الأول: في بيان حكم إسداء الخير، والإحسان إلىٰ الفاسد المسلم.

والمطلب الثاني: في بيان حكم إسداء الخير والإحسان إلىٰ الفاسد غير المسلم.

أما المبحث الثاني: فقد خصصته للكلام عن أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي

وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري.

والمطلب الثاني: في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد التربوي.

وذكرت أثناءَ البحث جمُلةً مِنَ القواعد والضوابط الفقهية والأصولية وَدَوْرَهَا في الإصلاحِ الفكريِّ والتربويِّ للمجتمع.

وخصصت الخاتمة لأهمِّ ما أتوصل إليه من نتائج وتوصيات.

سبحانك اللهم ربنا رب العزة عما يصفون، والحمد لله رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

تمهيد
للتعريف بمصطلحات العنوان

❁ أولا : تعريف العمل الخيري :

إن العمل الخيري قديم بقدم الإنسان حيث أبونا آدم وأمنا حواء، وحثت عليه جميع الكتب السماوية، واستمر إلىٰ يومنا هذا. وسيستمر باستمرار بقاء الإنسان، بيدَ أن هذا المصطلح بهذا التركيب لم يرد علىٰ ألسنة علمائنا السابقين، وإن كان مضمونه موجودا متداولا.

إن مصطلح العمل الخيري من حيث الأصلُ وضع لكل أنواع الطاعات والبر والإحسان والمعروف وضروب التكافل والتراحم، بيدَ أن هذا المصطلح حالُه حالُ بعضِ المصطلحات الأخرىٰ قد اعتراه تخصيص في الاستعمال بالمعروف التطوعي الذي يقوم به الإنسان لمساعدة الآخرين.

❁ واختلف الباحثون في تعريف مصطلح العمل الخيري :

فمنهم من عرَّفه تعريفا شخصيا، وجعل مداره علىٰ عمل الفرد، ومنهم من عرَّفه تعريفا جمعيا مؤسسيا مدارهُ علىٰ الجماعة والمؤسسة، ومنهم من أطلقه من غير تقييد.

ونحن لا نريد هنا أن نطيل البحث بذكر تعريفاتهم جميعا، بل نكتفي بإيراد نماذج منها، ثم نذكر التعريف الذي نراه أرجح وأدق.

النموذج الأول: العمل الخيري هو: عمل إنساني خيري غير ربحي، يتطوع به عن طريق المؤسسات والمنظمات الخيرية التطوعية لتنظيمها، ولها أهداف اجتماعية واقتصادية وسياسية وإنتاجية، خارجة عن نطاق العمل الحكومي والعمل الخاص، ويحتضن الأعمال الإلزامية والاختيارية وعمل القطاعين[1].

النموذج الثاني: العمل الخيري هو: هو كل مال أو جهد أو وقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من آلامهم.[2]

وبالمقارنة بين هذين النموذجين من التعاريف يظهر لنا ما يأتي:

أ- إن التعريف الأول قيّد العمل الخيري بكونه مؤسَّسيا، بينما الثاني أطلق ولم يقيِّد، ومعلوم أن الإطلاق هنا أرجح وأدق.

ب- إنَّ التعريفَ الأول قيَّدَ العملَ الخيري بكونه تطوعيا، غير ربحي، بينما التعريف الثاني أطلق فيدخل فيه الخير الواجب والمندوب، ويدخل فيه الربحي وغير الربحي، ومعلوم أن المتبادر في استعمال الناس اليومَ لمصطلح العمل

---

(١) جمعيات العمل الخيري التطوعي في الضفة الغربية-تقدير اقتصادي إسلامي-، حمزة جمال سليم إسماعيل، رسالة ماجستير غير منشور-قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠١٢م:٤٥.

(٢) ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ د.عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٣م:ص ١٢.

الخيري هو ما كان تطوعيا غير واجبٍ، وغيرَ ربحي، فالتعريف الثاني في هذا الجانب أدق.

ت- يرِدُ علىٰ التعريف الثاني بأنه قد خصَّ العمل الخيري بما يُقدَّم للنَّاس فقط، وبهذا يَخرُج ما يُبذَل لخدمة الحيوانات أو البيئة من تعريف العمل الخيري، مع أن العمل الخيري يقوم به الإنسان خدمة لبني الإنسان أو لبقية الكائنات المشاركة له في هذا الوجود.

ث- ثم إن التعريفين لم يتطرقا إلىٰ البعد الأخروي في العمل الخيري المقترن بالجانب الإصلاحي تربويًّا وفكريًّا.

وهذا ما نريد التركيز عليه في هذا البحث.

لذلك نرىٰ تعريف العمل الخيري من منظور إسلامي بأنه: بذل مالٍ، أو جهدٍ عضليٍّ أو فكريٍّ، أو وقتٍّ، لمن يحتاجه، إنسانا كان أو غير إنسان، من غير مَنٍّ ولا انتظارٍ في مقابل ذلك لنفعٍ دنيويٍّ سواء كان ماديًّا أو معنويًّا علىٰ ألَّا يكون عونًا علىٰ معصية وإثم.

❁ نتائج التعريف:

العمل الخيري حسب هذا التعريف قد يكون فرديًّا، وقد يكون جماعيا ومؤسسيا.

وقد يكون مشاركة بالمال، أو بالجهد العضلي، أو بالجهد الفكري كالخبرة والتجربة والإرشاد، أو بالوقت، وأعظمها وأفضلها ما جمع بينها جميعا، وكلما زاد الجمع بين أكثر من نوع كان أفضل.

ويظهر من التعريف شمولية العمل الخيري للمسلم وغير المسلم.

ويظهر كذلك شموليته للإنسان والحيوان والطير والبيئة.

ويشترط في العمل الخيري في الإسلام ألَّا يمنَّ الباذل، ولا يرجو في مقابل ما قدَّمهُ نفعًا دنيويا ماديا كان أو معنويا كطلب الثناء والشهرة وغيرها.

ويشترط كذلك ألَّا يكون ذلك العمل الخيري المبذول عونا للمبذول له أو لغيره علىٰ المعصية والإثم والعدوان.

❁ ثانيًا: تعريف الإصلاح:

الإصلاح مصدرٌ، تقول: أصلح يصلح إصلاحا، والإصلاح: نَقِيضُ الإفساد، وأَصْلَح الشيءَ بَعْدَ فَسَادِهِ: أَقامه.(١)

والمادة مشتقة من الصلاح، وهو أعم من أن يكون في ذاتٍ، أو رأي، أو عمل.

وقوبل في القرآن تارة بالفساد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وتارة بالسّيّئة،كما في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢].

فالإصلاح علىٰ هذا هو: إزالة ما في الشيء من الفساد والسوء.

(١) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ:٢/ ٥١٧.

❁ ثالثًا: تعريف الفاسد:

الفاسد لغة: نقيض الصالح، والمفسدة خلاف المصلحة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١]،

وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قال الراغب: "الفَسَادُ: خروجُ الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فَسَدَ فَسَادًا وفُسُودًا، وأَفْسَدَهُ غيره".(١)

والفساد في الاصطلاح القرآني: كل خروج عن طريق الاستقامة، فكريا كان كالكفر والشرك والنفاق والابتداع في الدين، أو تربويا متعلقا بالجانب الأخلاقي كالسرقة والظلم والزنىٰ وشرب الخمر وقطع الرحم والتطفيف في المكيال والميزان وغيرها.

قال تعالىٰ عن الكفر والصد عن سبيل الله، والفساد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠] وقال تعالىٰ عن النفاق والمنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٢ هـ: ٦٣٦.

قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[البقرة: ١١ – ١٢]

وكل معصية وذنب وإثمٍ خروجٌ عن طريق الاستقامة وفسادٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، وقال عز وجلَّ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]

والفساد الذي نروم الكلام عنه هو الفساد الفكري المتعلق بالكفر والشرك والنفاق والابتداع، وكذلك الفساد التربوي المتعلق بالجانب الأخلاقي.

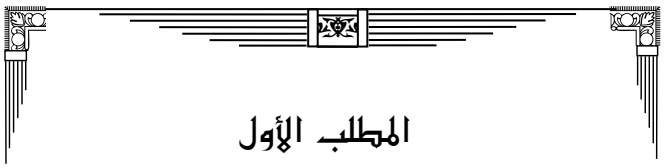

المطلب الأول

في بيان حكم إسداء الخير والإحسان إلى الفاسد المسلم

لا ريب أن العمل الخيري من جملة الخيرات وباب من أبواب الإحسان، وقد حث عليه القرآن والسنة كثيرا.

وقد تواترت النصوص القرآنية والنبوية في الحث علىٰ إسداء الخير والإحسان إلىٰ المسلم ولو كان فاسدا، وضبط جوازه بضابط دقيق.

والضابط في جواز ذلك -كما بَيَّـنَهُ الشرع الحنيف- ألَّا يكون ما تقدمه للفاسد من خير عَونا له أو لغيره علىٰ الفساد والمعصية، بل يرجىٰ أن يكون مدعاة لإصلاح فساده وسببا لتوبته عن ذنبه وأوبته إلىٰ الحق.

قال تعالىٰ في اشتراط ذلك: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

أما النصوص في الحث علىٰ إسداء الخير والإحسان إلىٰ المسلم ولو كان فاسدا فكثيرة نورد بعضا منها:

وهى إما نصوص عامة في الحث علىٰ إسداء المعروف والإحسان إلىٰ الغير، وقد وردت في ذلك مئات النصوص، وهي معلومة لا داعي لسردها.

وإما نصوص خاصة صريحة في المسيئين والعاصين:

- منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٢]

وقد نزلت هذه الآية في قضية اتهام الحصان الرزان أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضى الله عنها في عرضها، وكان مسطح أحد الذين جاؤوا بالإفك، فبرأ الله سيدتنا عائشة رضى الله عنها، فقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق علىٰ مسطح لقرابته منه-: والله لا أنفق علىٰ مسطح شيئا أبدا، بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]قال أبو بكر: " بلىٰ والله إني لأحب أن يغفر الله لى، فرجع إلىٰ مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدا ".(١)

- ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤]

ففى هاتين الآيتين لا يكتفى القرآن بالحث علىٰ العفو عن المسىء، بل يتجاوزه إلىٰ الإحسان إليه، ويجعل من ذلك سببا لنيل محبة الله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ومعلوم أن إسداء المعروف والإحسان إليه من جملة العمل الخيري الذي نروم الكلام عنه هنا.

(١) صحيح البخاري – كتاب الأيمان والنذور- باب اليمين فيما لا يملك – حديث:٦٣١٢.

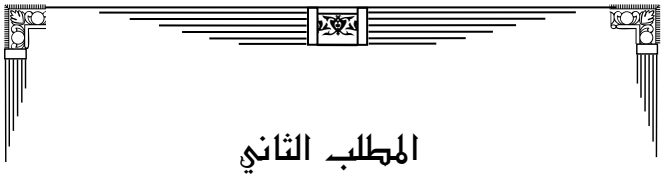

المطلب الثاني

في بيان حكم إسداء الخير والإحسان إلى الفاسد غير المسلم

من المعلوم أن المبادئ والأسس الأخلاقية التى وضعها الإسلام هو أرقىٰ من كل ما توصل أو يتوصل إليه البشرية.

ومن هنا فإن إسداء الخير للغير ولو كان ذلك الغير مخالفا في الدين من بدهيات ديننا الحنيف، وقد حث الإسلام علىٰ تقديم البر والإحسان والمعروف إلىٰ جميع الناس مسلمين وغير مسلمين بشرط ألا يكون محاربا متربصا بالمسلمين الدوائر، وقد أكّد علىٰ ذلك القرآن الكريمُ والسنة النبويةُ في نصوص كثيرة، نكتفي بإيراد نماذج منها:

١- **دليل البر بالمسالمين من غير المسلمين:** الثابت بقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

والبِرُّ: هو حُسْنُ الْمُعَامَلَةِ وَالإِكْرَامُ.[1]

قال ابن عاشور: (وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ جَوَازُ مُعَامَلَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْإِحْسَانِ، وَجَوَازُ الاحتفاء بأعيانهم)[2].

٢- **دليل العدل الإحسان:** ثبت في القرآن الكريم أن الله –عز وجل– أمرنا جميعا بالعدل والإحسان، كما ورد في هذه الآيات الكريمات:

- ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ومعلوم أن هناك فرقا بين مفهومي العدل والإحسان، فالعدل هو أن تعطيه حقه الواجب عليك ولا تظلمه، أما الإحسان فهو أن تعطيه ما ليس حقه، أو تعطيه حقه وزيادة، فإعطاؤه حقه عدل، والزيادة إحسان.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ: ٢٨/ ١٥٣

(٢) المصدر نفسه.

ونقل عن الجنيد أنه سئل: من أحسن الخلق؟ فقال: من جعل دينه سببًا وطريقًا للانبساط إلىٰ الخلق في الارتفاق منهم.(١)

وثبت أيضا أن الله –عز وجل– خصَّ غير المسلمين في بعض الآيات بالإحسان إليهم، ومن ذلك كلامه عن القاسية قلوبهم من اليهود الذين نقضوا الميثاق، وحرفوا الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به، ولا يزال النبي ﷺ يطلع علىٰ خائنة منهم، ومع ذلك كله أمر المولىٰ نبيه وصفيه بأن يعفو عنهم، وليس هذا فقط، بل أمره بالصفح عنهم، وهو أمر زائد علىٰ العفو، ثم حثه علىٰ الإحسان إليهم، وذلك عن طريق لفت النظر إلىٰ وسيلة الحصول علىٰ محبة الله – تبارك وتعالىٰ، اقرأ معي هذه الآية الكريمة الرائعة ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة:١٣].

وبنظرة عجلىٰ علىٰ هذه الآية الكريمة يجلو لنا ما يأتي:

أولا: إن اليهود نقضوا ميثاق الله الذي واثقهم به، والآية تتحدث عن بنىٰ إسرائيل: أو عن بنىٰ النضير الذين هموا بقتل رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حين أتاهم يستعين بهم فىٰ دية العامريين– كما قال الطبري رحمه الله.

(١) حقائق التفسير، محمد بن الحسين بن محمد أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م:١/ ٣٧٣.

ثانيا: إن الله تعالىٰ عاقبهم علىٰ فعلهم الشنيع هذا بأن لعنهم وطردهم من رحمته.

ثالثا: جعل الله قلوبهم قاسية.

رابعا: اليهود حرفوا كلمات الله عن مواضعها.

خامسا: وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ.

سادسا: وَلا يزالُ النبي ﷺ يَطَّلِعُ عَلىٰ خائِنَةٍ مِنْهُمْ إلا قَلِيلا مِنْهُمْ، فَأَطْلَعَهُ اللهُ ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ عَلَىٰ مَا قَدْ هَمُّوا بِهِ، ثُمَّ أخبرهم بأن آخِرَهُمْ عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَوَّلِهِمْ فِي الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، لِئَلَّا يَكْبُرَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ.

والنتيجة المدهشة: إنَّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ مع كل هذه الآثام البشرية والعقوبات الإلهية يأمر الحبيب ﷺ بجملة أمور:

الأمر الأول: أن يعفو عنهم.

الأمر الثاني: العفو وحده لا يكفي، بل ينبغي أن يصفح عنهم بألا يترك أثرَ هذا الذنب يعمل في قلبه، بل يأتي بالصفح حتىٰ لا ينشغل قلب المؤمن بشيء قد عفا عنه.

الأمر الثالث: العفو والصفح ليسا بكافيين، بل يجب أن يبحث المؤمن عن أسباب نيل مرتبة الإحسان بأن يحسن، ليس فقط إلىٰ المحسن، بل إلىٰ المسيء، ويقابل إساءتهم بالإحسان، وبذلك ينال محبة الله تعالىٰ ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾.

وأخبرنا المولىٰ –عز وجل–عن طريق الاستفهام الإنكاري بأسلوب النفي والاستثناء الدال علىٰ الحصر والقصر أن جزاء الإحسان لن يكون سوىٰ الإحسان قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠]، وهذه الجملة ولو أنها خبرية لفظا بيد أنها إنشائية طلبية معنىٰ تأمرنا بألا نقابل الإحسان إلا بالإحسان.

٣- **دليل الرحمة**: ثبت بالدليل القطعي أن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولفظة «العالمين عامة» شاملة لما سوىٰ الله تعالىٰ، وإسداء الإحسان إليهم، وإطعام جائعهم، وإغاثة ملهوفهم، وإعانتهم علىٰ نوائب الحق داخلة ضمن هذه الرحمة.

٤- **ومن المنصوص عليه في القرآن الكريم** أن الله تعالىٰ أباح للمؤمن أن يتزوج المحصنة من الذين أوتوا الكتاب كما نص عليه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[المائدة: ٥].

ومن المعلوم أن الله منَّ علىٰ عباده بأن جعل لهم نسبا وصهرا، ومنَّ عليهم مرة أخرىٰ بأن جعل بين الزوجين مودة ورحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان:٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فهل يعقل أن يجعل الله بين الزوجين مودة ورحمة، ثم ينهىٰ الزوج أن يحسن إلىٰ زوجه الكتابية، أو أن يسدي إليها معروفا ورحمة وبرًّا!

٥- **صلة القرابة والرحم من الأخلاق الحميدة** التي أكد عليها القرآن كثيرا حتىٰ لو كانوا مشركين، وتتأكد الصلة في حق الوالدين كما قال تعالىٰ عن كيفية معاملة الأبوين المشركين ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤ – ١٥].

ونقرأ في هاتين الآيتين الجليلتين أن الله تعالىٰ أمر المسلم أن يشكر لله، ويشكر للوالدين، ويأمره كذلك بمصاحبتهما بالمعروف، وإن كانا مشركين يأمرانه بالشرك، يصاحبهما بالمعروف دون أن يطيعهما في شركهما ومعصيتهما لله تعالىٰ أو يشكرهما عليها.

وفي البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: «نعم» قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالىٰ فيها: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (١).

وفي رواية الطبراني(٢) «راغبة وراهبة»

وذكر ابن حجر عن جمهور العلماء في تفسير كلمة راغبة وراهبة "أَن الْمَعْنَىٰ أَنَّهَا قَدِمَتْ طَالِبَةً فِي بِرِّ ابْنَتِهَا لَهَا خَائِفَةً مِنْ رَدِّهَا إِيَّاهَا خَائِبَةً(٣).

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الأدب باب صلة الوالد المشرك – حديث:٥٦٤١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني – باب الألف – ما أسندت أسماء بنت أبي بكر – ما روىٰ عروة بن الزبير – حديث: ٢٠٠٨٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، =

٦- ذكر القرآن الكريم أن نبي الله يوسف عليه السلام لما رأىٰ أهل مصر في خطر، يستقبلون سنوات عجاف قدَّم لهم خطة لإنقاذ مصر وأهلها واستوزر قائلا: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]

نقل القرطبي عن بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أن فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُبِيحُ لِلرَّجُلِ الْفَاضِلِ أَنْ يَعْمَلَ لِلرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَالسُّلْطَانِ الْكَافِرِ، بِشَرْطِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ فِي فِعْلٍ لَا يُعَارِضُهُ فِيهِ، فَيُصْلِحُ مِنْهُ مَا شَاءَ(١).

٧- **فرق النبي ﷺ بين الموالاة وصلة الرحم**، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، دعا رسول الله ﷺ قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببَلَالِها**»(٢)

= إشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ،:٥/ ٢٣٤.

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م:٩/ ٢١٥.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان-باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ - حديث:٣٢٩.

وفي رواية البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ جهارا غير سر يقول: « **إن آل أبي – قال عمرو**: في كتاب محمد بن جعفر بياض – **ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين** »[(١)]

٨- جواز تبادل الهدايا بين المسلم وغيره.

فقد ورد: أن رسول الله أهدىٰ إلىٰ أبي سفيان تمر عجوة حين كان بمكة محاربًا، واستهداه أدمًا)[(٢)]

وقبل النبي ﷺ هَدِيةَ الْمُقَوْقَسِ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَكَانَ عَظِيمَ الْقِبْطِ يُرْوَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، أَكْرَمَ حَاطِبًا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَكَتَبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ، وَإِنْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ مَارِيَةَ الَّتِي وَلَدَتْ إِبْرَاهِيمَ، وَبَغْلَةً وَأَشْيَاءَ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَقَبِلَهَا.[(٣)]

وأهدىٰ النجاشي للنبي ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا)[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الأدب– باب تبل الرحم ببلالها – حديث:٥٦٥١

(٢) ذكر ذلك شمس الأئمة السرخسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م: ١٠/ ١٥٦ وابن زنجويه، في الأموال، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م: ص:٥٨٩.

(٣) الأموال لابن زنجويه: ص٥٨٩.

(٤) صحيح كما في مختصر الشمائل المحمدية، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، (المتوفىٰ:

=

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أن أباه أهدىٰ حلة لِأَخٍ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مُشْرِكٍ[1].

ونقلت الموسوعة الفقهية الكويتية[2] اتَّفاقَ الأَئِمَّة الأَرْبَعَةِ عَلَىٰ صِحَّةِ الصَّدَقَةِ أَوِ الْهِبَةِ لِلْحَرْبِيِّ؛ لأَنَّهُ ثَبَتَ فِي السِّيرَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَىٰ إِلَىٰ أَبِي سُفْيَانَ تَمْرَ عَجْوَةٍ، حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ مُحَارِبًا، وَاسْتَهْدَاهُ أَدَمًا، وَبَعَثَ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ إِلَىٰ أَهْل مَكَّةَ حِينَ قَحَطُوا لِتُوَزَّعَ بَيْنَ فُقَرَائِهِمْ وَمَسَاكِينهم.

وروىٰ الترمذي أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه»[3].

٩- **روىٰ الإمام مسلم** عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلىٰ أهلها، فإن لهم ذمة ورحما**» أو قال «**ذمة وصهرا، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها**» قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة،

= ٢٧٩هـ)، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن:ص٥١

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ص٧١، بَابُ صِلَةِ ذِي الرَّحِمِ الْمُشْرِكِ والهديّة. قال الألباني:(صحيح): كما في صحيح الأدب المفرد ص٥٥.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت: ٧/ ١١٢.

(٣) سنن الترمذي، الذبائح- أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في حق الجوار- حديث:١٩١٥.

وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها[1].

٨- **جواز التصدق من غير الزكاة** علىٰ غير المسلم من المسالمين غير المحاربين، دلّ علىٰ ذلك إطلاق الآيات والأحاديث الآمرة بالتصدق، وقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مقدمه إلىٰ أرض الشام بقوم مجذمين من النصارىٰ فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرىٰ عليهم القوت.[2]

❁ ضابط في القول بإباحة مساعدة الفاسد:

ينبغي أن يقيد القول بجواز تقديم المساعدة والعمل الخيري للفاسد فكريا أو تربويا بضابطين يضبطهما:

الضابط الأول: ألا يكونَ العملُ الخيريُّ المقدَّمُ له عونًا له أو لغيره علىٰ الفساد والمعصية ونشرِها.

فعلىٰ سبيل المثال: لا يعان الفاسد فكريا علىٰ نشر فكره وكتبه ومقالاته التي تثير الشبهات والشكوك في الدين.

وكذلك لا يعان شارب الخمر علىٰ شراء الخمر ولا السارق علىٰ السرقة.

ولا يعان الحربي علىٰ حربه ضد المسلمين.

---

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم- باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر - حديث:٤٧٢١.

(٢) فتوح البلدان، أحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البَلَاذُري دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م:ص١٣١، وخطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م:٦/ ١٥٦.

الضابط الثاني: أن تكون مصلحة إسداء الإحسان إلىٰ الفاسد أرجح من مفسدة فساده، وإلا فلو تساوت المصلحة والمفسدة، أو ترجحت المفسدة علىٰ المصلحة فحينئذ يحرم الإحسان ولا يجوز.

وثمة قواعد فقهية تحكَّم في هذا الباب، وهي:

قاعدة: "دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَىٰ مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ.

يَعْنِي أَنَّ الأَمْرَ إِذَا دَارَ بَيْنَ دَرْءِ مَفْسَدَةٍ وَجَلْبِ مَصْلَحَةٍ، كَانَ دَرْءُ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَىٰ مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَإِذَا دَارَ الأَمْرُ أَيْضًا بَيْنَ دَرْءِ إِحْدَىٰ مَفْسَدَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا أَكْثَرَ فَسَادًا مِنَ الأُخْرَىٰ، فَدَرْءُ الْعُلْيَا مِنْهُمَا أَوْلَىٰ مِنْ دَرْءِ غَيْرِهَا.

وقاعدة: "إِذَا تَعَارَضَ مَفْسَدَتَانِ رُوعِيَ أَعْظَمُهُمَا ضَرَرًا بِارْتِكَابِ أَخَفِّهِمَا".

وقاعدة: "الضَّرَرُ الأَشَدُّ يُزَالُ بِالْأَخَفِّ"[1]

(١) الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م:٧٦، وشرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧مـ: ٤/ ٤٤٨.

المبحث الثاني

أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد الفكري والتربوي

❁ المطلب الأول : في بيان أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد الفكري

❁ المطلب الثاني : في بيان أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد التربوي

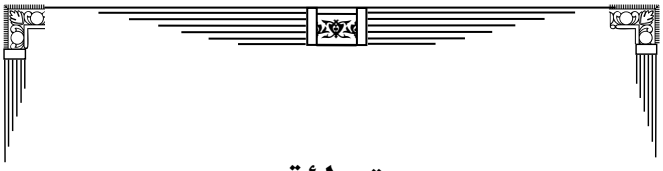

توطئة

تحديد الأهداف من أولىٰ أولويات تقديم العمل الخيري، سواء كان ذلك علىٰ الحساب الشخصي أو الجمعي والمؤسسي، ومن غير تحديد الأهداف والأغراض لا سيما للعمل المؤسسي لا يمكن الوصول إلىٰ النجاح، وكلما كانت الأهدف واضحة كان الطريق إلىٰ نجاح المؤسسة أقصر، ومع الأسف الشديد فإن كثيرا من المؤسسات الخيرية تضع لنفسها إما أهدافا ثانوية جزئية قريبة، أو أهدافا مثالية عامة بعيدة جدا، يصعب تحقيقها بتلكم الإمكانيات المتوفرة.

فنرىٰ مؤسسات لإغاثة المنكوبين ومساعدة الأيتام والأرامل وذوي الحاجة والفاقة، وأكثر تلكم المؤسسات لم تضع لنفسها أهدافا سوىٰ سد الحاجة بتقديم الإغاثة المادية والمساعدات المالية، أمّا الأهداف المترتبة علىٰ كل ذلك من الإصلاح الفكري والتربوي فقلة من المؤسسات جعلتها ضمن خطتها.

فالصدقات المالية مثلا من أهم وسائل القضاء علىٰ الفقر، وهي كذلك من أهم وسائل القضاء علىٰ الإلحاد والكفر والشرك ورد الشبهات، وكذلك بانسبة للقضاء علىٰ المشاكل والمعاصي الاجتماعية من خلاف أسري إلىٰ الزنا والسرقة ونبذ الحقد والكراهية، ونشر روح المحبة والتعاون والألفة.

هذا ما نروم بحثه والتركيز عليه في هذا المبحث –إن شاء الله تعالىٰ.

المطلب الأول

في بيان أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد الفكري

معلوم أن الإصلاح للمجتمع واجبٌ علىٰ كل قادر عليه.

وقد يكون الإصلاح بالوعظ والإرشاد، وقد يكون بإسداء المعروف والخير أو بإعطاء المال.

وما من شيء يسل سخيمة الصدر عن المحسن، ويردم هوة العداوة ضده، ويؤلف القلوب عليه ويزرع المودة له أعظم من الإحسان إلىٰ الخلق ومقابلة إساءتهم بالإنعام والتفضل والبر، وقديما قال أجدادنا: الإنسان أسير الإحسان.

وليس كل المذنبين والعاصين علىٰ درجة واحدة، فمنهم من دفعته طبيعته السيئة إلىٰ ارتكاب الذنوب والسيئات وَجُبِلَ عليها وأضحت المعصية دينه وديدنه، ومنهم من ألجأته الضرورة والحاجة إلىٰ الخطيئة والرذيلة.

وهذا النوع الأخير أقرب إلىٰ الصلاح من الأول وإن لم يكن إصلاح الأول مستحيلا.

فكم من سارق سرق لحاجة، وكم من زانية زنت لِفاقة.!

فلذلك لو قام المسلمون بإسداء الخير والإحسان إليهم لكان ذلك مدعاة لتوبتهم وإصلاحهم.

والإنسان ابن بيئته، وغالب الظن في أكثر هؤلاء أنهم -بَدَلَ أنْ يُلعَنُوا علىٰ المنابر ويهجروا في الأسواق- لو هُيِّئَتْ لهم بيئةٌ صالحةٌ تحتضنهم، وبُنِيَ لهم بيتٌ يُؤويهم، وَوُظِّفُوا في عملٍ صالحٍ يكفيهم لما عادوا إلىٰ ما نهوا عنه.

بل تُلفي بين هؤلاء من يحب الله ورسولَهُ ﷺ.

فقد روىٰ البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رجلا علىٰ عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتىٰ به؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله**».(١)

قال ابن حجر: " لَا تَنَافِيَ بَيْنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَثُبُوتِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْمُرْتَكِبِ لِأَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ وَأَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ لَا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ"(٢)

وقل ذلك في بعض مدمني المخدرات من الذين انخدعوا بالصحبة السيئة، وتأثروا بهم سلبيا، وتورطوا وما كان يدور بخلدهم ذلكم المآل البائس والمصير المنكود.

فهم بحاجة إلىٰ اليد الحانية لتخرجهم من ذلكم المستنقع الآسن والمستقذر الآجن.

---

(١)صحيح البخاري - كتاب الحدود- باب ما يكره من لعن شارب الخمر - حديث: ٦٤١٠.

(٢) فتح الباري: ١٢/ ٧٨.

وهنا يبرز دور مؤسسات العمل الخيري في وضع برامج وخطط تربوية لإنقاذ هؤلاء المساكين والمحاويج.

علاوةً علىٰ ذلك فإن الإحسان من شأنه أن يحول العدو اللدود إلىٰ صديق ودود، والخصم اللدد إلىٰ خل وفي، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وانظر إلىٰ التعبير القرآني البليغ في هذه الآية الجليلية حيث صدَّر الجواب بـ (إذا) التي هي لِلْمُفَاجَأَةِ، وَهِيَ –كما قال ابن عاشور– كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ ظُهُورِ أَثَرِ الدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِي انْقِلابِ الْعَدُوِّ صَدِيقًا.

وَعَدَلَ عَنْ ذِكْرَ الْعَدُوِّ مُعَرَّفًا بِلامِ الْجِنْسِ إِلَىٰ ذِكْرِهِ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ لِيَتَأَتَّىٰ تَنْكِيرُ عَدَاوَةٍ لِلنَّوْعِيَّةِ، وَهُوَ أَصْلُ التَّنْكِيرِ فَيَصْدُقُ بِالْعَدَاوَةِ الْقَوِيَّةِ وَدُونِهَا.

كَمَا أَنَّ ظَرْفَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَصْدُقُ بِالْبَيْنِ الْقَرِيبِ وَالْبَيْنِ الْبَعِيدِ، أَعْنِي مُلَازِمَةَ الْعَدَاوَةِ أَوْ طَرُوَّهَا.

وَهَذَا تَرْكِيبٌ مِنْ أَعْلَىٰ طَرَفِ الْبَلاغَةِ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ أَحْوَالَ الْعَدَاوَاتِ فَيُعْلَمُ أَنَّ الإِحْسَانَ نَاجِعٌ فِي اقْتِلاعِ عَدَاوَةِ الْمُحْسَنِ إِلَيْهِ لِلْمُحْسِنِ عَلَىٰ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِ الْعَدَاوَةِ قُوَّةً وَضَعْفًا، وَتَمَكُّنًا وَبُعْدًا، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الإِحْسَانُ لِلْعَدُوِّ قَوِيًّا بِقَدْرِ تَمَكُّنِ عَدَاوَتِهِ لِيَكُونَ أَنْجَعَ فِي اقْتِلَاعِهَا، وَمِنَ الْأَقْوَالِ الْمَشْهُورَةِ: النُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا.

وَالتَّشْبِيهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ، تَشْبِيهٌ فِي زَوَالِ الْعَدَاوَةِ وَمُخَالَطَةِ شَوَائِبِ الْمَحَبَّةِ، فَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ الْمُصَافَاةُ وَالْمُقَارَبَةُ وَهُوَ مَعْنًىٰ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ،

أَيْ مَقُولٌ عَلَىٰ جِنْسِهِ بِالتَّشْكِيكِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ تَأَثُّرِ النَّفْسِ بِالْإِحْسَانِ وَتَفَاوُتِ قُوَّةِ الْعَدَاوَةِ قَبْلَ الْإِحْسَانِ، وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ الْمُشَبَّهِ بِهِ؛ إِذْ مِنَ النَّادِرِ أَنْ يَصِيرَ الْعَدُوُّ وَلِيًّا حَمِيمًا، فَإِنْ صَارَهُ فَهُوَ لِعَوَارِضَ غَيْرِ دَاخِلَةٍ تَحْتَ مَعْنَىٰ الْإِسْرَاعِ الَّذِي آذَنَتْ بِهِ (إِذَا) الْفُجَائِيَّةُ. وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَبَين النبي ﷺ فِي الدِّينِ، فَالْمَعْنَىٰ: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ لِكُفْرِهِ.(١)

والآية إنما جاءت في سياق الكلام عن أعداء الرسول ﷺ من الكفار المشركين، فإذا كان للإحسان إلىٰ المسيء الكافر مثل هذا التأثير فكيف بالمسيء المسلم.!!

روىٰ الشيخان في صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ سارق فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة علىٰ زانية، فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ زانية؟ لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي غنى، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علىٰ غنى، فقال: اللهم لك الحمد، علىٰ سارق وعلىٰ زانية وعلىٰ غنى، فأتي فقيل له: أما صدقتك علىٰ سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغنى فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله**».(٢)

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ: ٢٤/ ٢٩٣- ٢٩٤.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الزكاة- باب إذا تصدق علىٰ غني وهو لا يعلم - حديث:١٣٦٦، و =

وفي رواية أحمد والنسائي والبيهقي التصريح بقبول الصدقة[1].

ولم يذكر النبى ﷺ في هذا الحديث في حق هؤلاء أنهم كانوا مشركين أو كفرة، بل اكتفىٰ بذكر كون الأولىٰ زانية، والثاني سارقا، والثالث غنيا.

وفي هذا دليل علىٰ جواز التصدق علىٰ الزانية والسارق لعلهما يتوبان.

قال ابن بطال في شرح الحديث: " وأما الصدقة علىٰ السارق والزانية، فإن العلماء متفقون أنهما إن كانا فقيرين فهما ممن تجوز له الزكاة». [2].

قال القاضى عياض:" أما السارق والزانية فإن كانا محتاجين فلا خلاف فىٰ جوازها". [3]

وجاء في منار القارئ "أن الصدقة كانت عندهِم لا تعطىٰ إلاّ لأهل الخير والصلاح، أما في شريعتنا فإنّها تعطىٰ للفقير صالحًا أو فاسقًا، وفي الحديث إشارة

= صحيح مسلم – كتاب الزكاة– باب ثبوت أجر المتصدق – حديث:١٧٦٠.

(١) السنن الصغرىٰ للنسائي– كتاب الزكاة– باب إذا أعطاها غنيا وهو لا يشعر – حديث:٢٤٨٨ – السنن الكبرىٰ للبيهقي – كتاب الجنائز– جماع أبواب صدقة التطوع. – باب صدقة النافلة علىٰ المشرك، حديث:٧٣٨٠–مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم– مسند أبي هريرة رضي الله عنه– حديث:٨٠٩٧.

(٢) شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال،أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبى تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م: ٣/ ٤٢٣.

(٣) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِىٰ عِيَاض، المحقق: الدكتور يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م:٣/ ٥٤٨.

إلىٰ استحباب الصدقة علىٰ الفاسق إذا كانت تؤدّي إلىٰ إعفافه عن جريمته، وإصلاح حاله".[1]

وذكر ابن هبيرة الذهلي في حكمة وضع الصدقة في يد السارق واستعفافه بعد ذلك عن السرقة جملة أمور:

أولا: إنه يحفظ السارقَ من مال الغير أن يأخذه فلا يقع في إثم السرقة بعد ذلك.

ثانيا: أنه يحفظ مال الغير من السارق، فيأمن الناس علىٰ أموالهم.

ثالثا: إنه يحفظ جوارح السارق وأطرافه من القطع.

رابعا: إنه يعرِّفُه أن في عباد الله تعالىٰ مَن يتصدق، ليلًا سرًا علىٰ من لا يعرفه، فيكون بمظنة أن لا يشكره عليه، ولا يدري من أي يد وصل إليه الشيء، ولا يرىٰ وجهه ويعرفه، فيثنىٰ عليه فيكون ذلك داعية إلىٰ عظة نافعة للآخذ، وصدقة عليه بما يغنيه عن أن يسرق مال غيره، وصدقة علىٰ صاحب الشيء الذي كان يعرضه السرق لولا استغناء السارق بالصدقة عنه، فتنوعت أنواعًا، وتوجهت وجوهًا؛ حيث كان الإخلاص مراده، وتفويضه إلىٰ الله تعالىٰ في ظاهر الحال، وحمده لله سبحانه علىٰ ذلك.[2]

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق،١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م:٣/ ٢١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيىٰ بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيبانيّ، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ:٧/ ٢٥٣.

❁ **أما حكمة وضع الصدقة في يد الزانية فمنها:**

أولا: إنه لما تصدق عليها أعفها عن مواقعة الحرام التي لم تكن تواقع الفاحشة فيه إلا بأجر يأتيها معها.

ثانيا: إن يحفظها من حد الزنىٰ.

ثالثا: إنه يحفظ معها الزاني، فإن الزنىٰ لا يتصور إلا من اثنين، فكان ذلك بالغًا في الفضيلة لإعفاف الزانية والزاني بها.

رابعا: إنه يحفظ المجتمع من إشاعة الفاحشة.

خامسا: إنه يساعدها علىٰ التوبة والإنابة.

وبالنسبة للغني؛ فإن كان شحيحا فإن التصدق عليه قد يعالج داء الشح في صدره ويجعله يتشجع ويعتبر وينكسف ويستحيي من نفسه، ويعتبر بالمنفِقِ عليه فيصلح من نفسه ويقتدىٰ به فينفق مما أعطاه الله عز وجل، وإن لم يكن شحيحًا فإنه يحثه علىٰ الجود والكرم والتصدق والإنفاق أكثر.[1]

ويدخل في هذا أيضا مساعدة الطلاب ماديا ومعنويا وتحمل نفقات دراستهم، وفي هذا إصلاح لمن فسد وإرشاد لمن شرد..

(١) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الدكتور موسىٰ شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولىٰ-دار الشروق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م:٤/ ٣٦١.

المطلب الثاني

في بيان أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد التربوي

مما لا ريب فيه أن الإلحاد قد يكون ردَّ فعلٍ سلبيٍ للتصرفات غير الأخلاقية التي يُبديها بعضُ المسلمين من كذبٍ وسرقة ونهب وخداع وفسادٍ وتخوضٍ في المال العام وغيرها، فيرىٰ بعينيه هذا الفسادَ المستشري في المجتمع فيخاله بسبب الدين فيرتد المسلم ضعيف الإيمان أو يُلحد، ويمتنعُ الكافرُ من الدخول في الإسلام.

ولو أقام المسلمون علاقات طيبة بأفراد المجتمع، وَبَدَلَ أنْ يسرقوا ويغشوا ويكذبوا مدُّوا يدَ العون والمساعدة إلىٰ المحتاجين والمنكوبين والضعفاء والمساكين لأثَّر ذلك في قلوب غير المسلمين تأثيرا بالغا وتغيرت بذلك نظرتهم السيئة للدين الإسلامي الحنيف وذويه، وربما دفعهم مثل هذا التعامل الطيب إلىٰ دخول الإسلام والدفاع عنه.

ومما لا مرية فيه ولا ارتياب أن تقديم العون والمساعدة إلىٰ الغير من أقرب الطرق إلىٰ قلوبهم، ومن أهم وسائل تحبيب الخير إليهم.

ويكون ذلك الإحسان إمَّا من الصدقات والأعطيات العامة، وإما من سهم المؤلفة قلوبُهم مِن أسهم الزكوات، وإما من الوقفيات.

وكان رسول الله ﷺ يسلك هذا السبيل في حياته الدعوية المباركة، فقد روىٰ الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ « **إني أعطي قريشا أتألفهم، لأنهم حديث عهد بجاهلية** »[1]

وروىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن ابن شهاب، قال: " غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطىٰ رسول الله ﷺ يومئذ صفوان ابن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة " ثم ذكر عن صفون أنه قال: " والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتىٰ إنه لأحب الناس إلي "[2]

وفي صحيح ابن حبان أن رجلا أتىٰ النبي ﷺ علىٰ راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشىٰ، يا رسول الله، أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلىٰ رجل جانبه، أراه عمر، فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت له:

---

(١) صحيح البخاري – كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم – حديث:٢٩٩٤.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الفضائل– باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط – حديث:٤٣٧٨.

يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرا معلوما من حائط بني فلان إلىٰ أجل كذا وكذا؟ فقال: **" لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلىٰ أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان "**، قلت: نعم، فبايعني ﷺ، فأطلقت همياني، فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلىٰ أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل وقال: « **اعجل عليهم وأغثهم بها**».(١)

هذا وإن لسهم المؤلفة قلوبُهم مع الوقفيات الخاصة الأثر البالغ في الإصلاح، لذا أرىٰ تخصيص كل منهما بالكلام وبيان أثره علىٰ الإصلاح:

❁ أولا: أثر سهم المؤلفة قلوبهم على الإصلاح:

إن الإسلام جعل تأليف القلوب من أولىٰ أولوياته في التعامل الحسن مع المخالفين، ويتجلىٰ ذلك في تحديد سهم من أسهم الزكاة الثمانية وتخصيصه بتأليف القلوب.

فقد ذكر القرآن أصناف من تقسم عليهم الصدقات وحددها بثمانية وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[التوبة:٦٠].

الفقراء، والمساكين، والعاملون علىٰ جمع الصدقات وتوزيعها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، و الغارمون، وفي سبيل الله، وابن السبيل.

---

(١) صحيح ابن حبان – كتاب البر والإحسان– ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه – حديث:٢٨٧.

هنا نريد أن نتكلم في عجالة عن سهم المؤلفة قلوبهم من جانبين،

الجانب الأول: في بيان المقصود بالمؤلفة قلوبهم.

والجانب الثاني: في بيان بقاء سهمهم:

❁ الجانب الأول في بيان المقصود بالمؤلفة قلوبهم:

اختلف الفقهاء في المراد من المؤلفة قلوبهم إلىٰ أربعة أقوال:

القول الأول: هم كُفَّارٌ يُعْطَوْنَ من الصدقات تَرْغِيبًا لَهُمْ فِي الإِسْلاَمِ لأَجْل أَنْ يُعِينُوا الْمُسْلِمِينَ، فعلىٰ هذا لاَ تُعْطَىٰ الزَّكَاةُ لِمَنْ أَسْلَمَ فِعْلًا، وهذا قَوْلٌ لِلْمَالِكِيَّةِ اختاره ابن أبي حبيب.[1] وروي هذا عن قتادة والزهري.[2]

القول الثاني: هم مسلمون حصرا حديثو عهد بالإسلام يعطَون من الزكاة ليتمكن الإيمان من قلوبهم. وروي هذا عن ابن عباس، وبه قال جمهور الشافعية وبعض المالكية.[1]

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، بيروت، دار الفكر، ٢/ ٢١٧، وحاشية العدوي علىٰ شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم العدوي، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ١/ ٥٠٩، والذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، المحقق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٤م: ٣/ ١٤٦، والتاج والإكليل لمختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم المواق المالكي، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م:٣/ ٢٣١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ١٤/ ٣١٤.

القول الثالث: هم مسلمون يُعْطَونَ لا لتأليف قلوبهم، بل لتأليف قلوبِ غيرهم فِيَنْكَفُّوا بِانْكِفَافِهِمْ وَيُسْلِموا بِإِسْلَامِهِمْ، ومثلهم عُظَمَاءُ مِنْ مُلُوكِ الْكُفَّارِ أَسْلَمُوا فَيُعْطَوْنَ لِيَتَأَلَّفُوا أَتْبَاعَهُمْ لِأَن الْجِهَاد يكون تَارَة بِالنِّسْيَانِ وَتَارَةً بِالْبَيَانِ وَتَارَةً بِالْإِحْسَانِ يُفْعَلُ مَعَ كُلِّ صِنْفٍ مَا يَلِيقُ بِهِ. قول للمالكية(٢).

القول الرابع: هم كفار ومسلمون يعطون تطييبا لقلوبهم، وبه قال الحنفية والحنابلة.(٣).

والراجح هو القول الرابع لأن القاعدة الأصولية تقول: «"تَعْلِيقَ الْحُكْمِ بِالْمُشْتَقِّ يُؤْذِنُ بِعِلِّيَّةِ مَبْدَأِ الِاشْتِقَاقِ».(٤)

فبما أن إعطاء الصدقة قد علق بتأليف القلب وهو مشتق، فإن تأليف القلب حينئذ هو العلة، ولفظ "المؤلفة قلوبهم" عامٌّ، والأصلُ في العام أن يبقىٰ علىٰ عمومه حتىٰ يرد ما يخصصه، ولم يرد هنا أي دليل علىٰ التخصيص فيثبت العموم

=

(١) شرح مختصر خليل: ٢/ ٢١٧، وحاشية العدوي:١/ ٥٠٩، والذخيرة للقرافي:٣/ ١٤٦، ووالتاج والإكليل للمواق المالكي:٣/ ٢٣١، والوسيط في المذهب، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المحقق: أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر، القاهرة، دار السلام،ط١، ١٤١٧هـ:٤/ ٥٥٩.

(٢) الذخيرة للقرافي: ٣/ ١٤٦.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني ت ٥٨٧هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢/ ٤٥، و المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) مكتبة القاهرة: ٦/ ٤٧٦-٤٧٧.

(٤) غمز عيون البصائر، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الحموي الحنفي ت ١٠٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م:٢/ ٢٠٢.

ويدخل فيه الكفار والمسلمون ممن يَحتاجون إلىٰ التأليف أو يُحتَاج إليهم في ذلك.

ويقوي هذا الاستنباط أنه قد ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَىٰ الْمُؤَلَّفَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ.

ففي صحيح مسلم عن ابن شهاب، قال: "غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطىٰ رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة" قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب، أن صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتىٰ إنه لأحب الناس إلي»[1]

وفي صحيح مسلم –أيضا– أن رسول الله ﷺ أعطىٰ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل.[2]

❁ الجانب الثاني: بقاء سهم المؤلفة قلوبهم اليوم:

اختلف الفقهاء في بقاء هذا السهم اليوم، وهل يعطىٰ اليوم أحدٌ علىٰ التألف علىٰ الإسلام من الصدقة؟ إلىٰ أقوال:

(١) صحيح مسلم – كتاب الفضائل– باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط.

(٢) صحيح مسلم–كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم.

القول الأول: قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها، وفي سبيل الله، أو لعامل عليها، وهو قول الحسن وسفيان الثوري، وأهل الكوفة، وَأَخَذَ بِهِ مَالِكٌ وأَبُو حَنِيفَةَ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالِ الشَّافِعِيِّ وحكاية عن أحمد(١)، وبه يقول إسحاق، وحكاه الكاساني عن عامة أهل العلم واختاره.(٢)

وحجة هؤلاء هي أن اللهَ تَعَالَىٰ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَقَمَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ التَّأْلِيفِ، ورووا في ذلك أَنَّ عيينة بن حصن جَاءَ يَلْتَمِسُ مِنْ عُمَرَ مَالًا، فَلَمْ يُعْطِهِ، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].(٣)

القول الثاني: "المؤلفة قلوبهم"، في كل زمان، وحقهم في الصدقات ثابت غير منسوخ، فمن كان اليوم علىٰ مثل حال المؤلفة في زمن رسول الله ﷺ ورأىٰ الإمام أن يتألفهم علىٰ الإسلام، فأعطاهم جاز ذلك "، وروي هذا عن أبي جعفر، وهو الصحيح عند جمهور المالكية، وهو قول الشافعي، وإليه ذهب الحنابلة.(٤)

---

(١) سنن الترمذي:٢/ ٤٧، وأحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢/ ٥٣٠، والمغني لابن قدامة: ٦/ ٤٧٥.

(٢) بدائع الصنائع، الكاساني: ٢/ ٤٥.

(٣) تفسير الطبري:١٤/ ٣١٥.

(٤) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق ضياء الدين الجندي المالكي، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م:٢/ ٣٤٨.

تفسير الطبري: ١٤/ ٣١٦، والمغني لابن قدامة:٦/ ٤٧٦-٤٧٧، وأحكام القرآن، أبو عبد الله =

قال ابن قدامة: "وَلَنَا، عَلَىٰ جَوَازِ الدَّفْعِ إلَيْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ، وَهِيَ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[1].

والراجح هو القول الأخير القائل ببقاء هذا السهم لأهله ممن يحتاج إلىٰ تأليف قلبه أو نحتاج إليه في ذلك، إعمالا للقاعدة الأصولية التي تنص علىٰ أن تعليق الحكم بالمشتق مؤذن بعلية ما منه الاشتقاق.

ثم إن ما قام به سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه من منع المؤلفة قلوبهم من هذا السهم دليلٌ علىٰ صحة قولنا هذا؛ لأنه لم يعطل الآية الواردة في هذا الشأن[2]، ولم يحرم فعلا قام به سيدُه ومعلمُه وأسوتُه الحسنة ﷺ، بل بحكمته البالغة، وعقله الراسخ، ونظره إلىٰ مقاصد الشريعة والغاية المتوخاة من هذا الحكم؛ رأىٰ أنه لا يجوز أن يوضع النص في غير موضعه، وأن تطبيق الآية الكريمة يكون في موطن يضعف فيه دولة الإسلام، فتحتاج إلىٰ من يدعمها ولا يقف بوجهها، فيعطىٰ هذا ومَن مثله مِن سهام الزكاة تقوية لدولة الإسلام، واتقاء لشرهم، وتأليفا لقلوبهم، أما ودولة الإسلام في قوة ومنعة وعزة فلا حاجة إلىٰ

= محمد بن إدريس الشافعي، جمع: أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م:١/ ١٦٤، والمغني لابن قدامة: ٦/ ٤٧٦-٤٧٧.

(١) المغني لابن قدامة:٦/ ٤٧٥.

(٢) أي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٦٠].

التأليف، لأن علة الإعطاء هي التأليف لحاجتنا إليهم، فإذا انتفت علة الحكم انتفىٰ حكمها معها.

وهذا ما بيَّنه لبعض شيوخ البدو أمثال عيينة بن حصن والأقرع بن حابس عندما جاؤوا إلىٰ عمر رضي الله عنه ليشهد لهما في أرض أقطعها إياهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكتب ذلك لهما في كتاب، فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أغنىٰ الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما، لا يرعىٰ الله عليكما إن رعيتما.

فمذهب عمر رضي الله عنه فيه: أن سهم المؤلفة قلوبهم كان مقصورا علىٰ الحال التي كان عليها أهل الإسلام من قلة العدد وكثرة عدد الكفار[1].

هنا لم يلغ الفاروق رضي الله عنه سهم المؤلفة قلوبهم، لكنه رأىٰ أنهم لا يستحقون السهم، هذا بعد أن أصبح الإسلام قويا، فالكلام ليس في المبدأ – النص- فالمبدأ قائم إلىٰ قيام الساعة، ولا في تخريج المناط فالمناط، جلي في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ لأنَّ تعليقَ الحكمِ بالمشتق-كما لا يخفىٰ- مؤذِنٌ بِعلية مبدأ الاشتقاق، ولكن الاجتهاد في تنقيح المناط وتحقيقه، أو بعبارة أخرىٰ: الاجتهاد في محل تطبيق النص، فإذا ضعفت شوكة الإسلام مرة ثانية أعطي من السهم نفسه من نحتاج إلىٰ تأليف قلبه.

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م:٣/ ١٦١.

ومن الممكن أن يكون سهم المؤلفة قلوبهم قد وضعه الشارع لا لأجل أن الإسلام ضعيف يحتاج إلىٰ من يقف معه، بل لاستمالة قلوب الناس، وإيصال الدين إلىٰ قلوبهم، أو دفع شرهم، وهذا مما يحتاجه المسلمون في كل زمان، سواء كان الإسلام ضعيفا أو قوِيًّا.

ونحن في هذا القرن- قرن التقدم التكنلوجي والرقي المادي علىٰ حساب البشرية- نرىٰ الدول الكبيرة والمتطورة مع جبروتها وقوتها تبذل قصارىٰ جهدها لاستمالة قلوب الناس والهيمنة علىٰ الرأي العام الدولي، وتنفق في سبيل ذلك أموالا طائلة.

فلذلك ربما يكون من الممكن أن يدفع الدولة الإسلامية من هذا السهم لدول أخرىٰ حتىٰ تقف معها في قضيتها، وتستخدم حق الفيتو ضد كل من يروم النيل منها أو هضم حقوقها.

والخلاصة مما سبق أن سهم المؤلفة قلوبهم باق غير منسوخ، ويعطىٰ للكافر والمسلم بغية تأليف قلوبهم وتوبتهم واندماجهم في المجتمع المسلم.

❁ ثانيا: أثر الوقف الخيري على الإصلاح:

كان -ولا يزال- للوقف الخيري أثرُهُ التربوي والفكري البالغ علىٰ الناس بسبب ما كان يقدم إليهم من مساعدات مادية وفكرية.

ومن الجوانب المشرفة التي حظي بها الوقف الخيري إنشاء المدارس والمكتبات الوقفية، فقد بادر المسلمون إلىٰ إنشاء مكتبات وقفية تجمع عصارة أفكار العلماء في الفنون والاختصاصات المختلفة بغية إفادة الناس وتربيتهم وتوعيتهم.

لذلك ينبغي وضع خطة منهجية لاستثمار الوقف الخيري في الجانب الفكري بإنشاء جامعات ومكتبات ومراكز بحثية علمية، يسدىٰ فيها مساعدات للمسلمين وغيرهم بغية تحصين شباب الأمة من الزيغ الفكري، والتأثير علىٰ غير المسلمين فكريا.

هذا وإن الأجيال السالفة من أمتنا لم يغفلوا عن تأثير المدارس والمكتبات في تحصين الأمة فكريا، فلذلك أَوْلَوا هذا الجانب عناية واهتماما ووقفوا عليه وقفيات عظيمة.

وكم من مدرسة أنشئت ووقف عليها من أموال الوقف للدفاع عن عقيدة الأمة ورد الشبهات، والمدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي –وزير الملك ألب أرسلان وابنه ملكشاه– في القرن الخامس خير شاهد علىٰ ما قلنا، حيث أنشأها نظام الملك في بغداد عام ٤٥٨هـ، ووقف عليها الأوقاف الواسعة، واختار لها الأكفاء من الأساتذة، أنشاها للدفاع عن عقيدة أهل السنة ومواجهة المذهب الشيعي الذي كان يمثله العبيديون بمصر حيث أنشؤوا الجامع الأزهر عام ٣٥٩هـ، وجعلوا منه مؤسسة تعليمية تعنىٰ بنشر مذهبهم.

ثم توسع نظام الملك في إنشاء المدارس في بلخ ونيسابور وهراة وأصبهان والبصرة ومرو، وآمل طبرستان والموصل.[1]

ومن أمثلتها كذلك المدرسة المستنصرية التي أسسها المستنصر بالله العباسي

(١) الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، د.سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ص٤٥-٤٦.

سنة ٦٣١هـ، ووقف عليها وقفا جليلا من مال وعقار.

يقول الذهبي عن وقفية المستنصرية: " رَأَيْت نُسخة كتاب وَقفَها فِي خمسة كراريس، والوَقف عليها عدّة رباع وحوانيتُ ببغداد، وعدّة قرىٰ كبار وصغار ما قيمته تسعمائة ألف دينار فيما يُخال إليّ، ولا أعلمُ وقْفًا فِي الدُّنيا يقاربُ وقفها أصلا سوىٰ أوقاف جامع دمشق، وقد يكون وقفُها أوسع."

ثم قال: " فالمرتزقةُ من أوقاف هذه المدرسة عَلَىٰ ما بلغني نحو من خمسمائة نفس، المدرّسون فمَنْ دونَهم، وبلغني أنَّ تِبْنَ الوقف يكفي الجماعة ويبقىٰ مُغلُّ هذه القرىٰ مَعَ كَرْي الرِّباع فضلة، فكذا فليَكُن البِرُّ وإلا فلا.

وحدَّثني الثّقة أنّ ارتفاع وقفِها بلغَ فِي بعضِ السّنين وجاء نيِّفًا وسبعين ألف مثقال ذهب"[1].

والوقفيات الجامعية اليومَ منتشرة عالميا، وقد استغلت الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية وغيرها العوائد الوقفية والمنح والهبات المقدمة من أفراد وجمعيات ومؤسسات اجتماعية وشركات وجهات حكومية.

ويجري إنفاق هذه الموارد الإضافية عادة علىٰ دعم برامج بحثية وتمويل كراسي الأستاذية وتأمين تقاعد أعضاء هيئة التدريس، وتقديم المنح الدراسية

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م: ٤٦/ ٧-٨.

للطلاب وتأهيل مرافق الجامعة من مكتبات ومختبرات وأجهزة وتوسيع منشآتها كالمساحات الخضراء والأبنية وصيانتها.

ويتفاوت التمويل الوقفي من حيث حجمه من بلد إلىٰ آخر ومن جامعة إلىٰ أخرىٰ، وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية مركز الصدارة في تمويل التعليم العالي عن طريق الأوقاف، فقد بلغ حجم وقفيات جامعة هارفارد (Harvard University» مثلا 9.63 مليار دولار في السنة المالية ٢٠٠٨م، فيما بلغت قيمة وقفيات جامعة كامبردج (University of Cambridge) في بريطانيا نحو 268 مليار دولار، وجامعة أكسفورد (The University of Oxford) نحو 765 مليار دولار، والمعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجيا (Swiss Federal Institute of Technology) مليار واحد.(١)

والذي نريد إبرازه هنا في تلكم الوقفيات هو البعد الإصلاحي في التأثير علىٰ الناس، فينبغي أن يخصص المسلمون بعض الوقفيات للجانب الإصلاحي للفاسدين تربويا أو فكريا، بإنشاء مكتبات وجامعات ومدارس ومراكز فكرية وتربوية، لأن إنقاذ الإنسان من وهدة المعصية أو الكفر أولىٰ من إنقاذه من الجوع والعري، والفساد الديني أولىٰ بالإصلاح من الفساد الدنيوي، والإحسان إلىٰ الناس بغية إخراجهم من ظلمات الضلالة إلىٰ نور الإيمان أجدر وأحرىٰ من أي إحسان.

(١) الوقفيات الجامعية :دور المجتمع في حمل مسؤولية التعليم العالي في البلدان العربية إعداد أ. د. عدنان ألمين: ٦٩-٧٠.

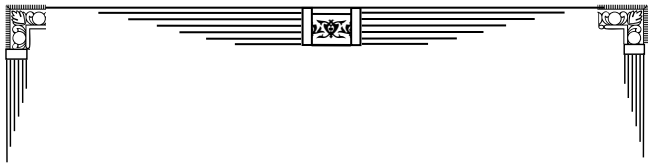

الخاتمة

❁ أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

أولا: إن العمل الخيري قديم بقدم الإنسان، وحثت عليه جميع الكتب السماوية، واستمر إلىٰ يومنا هذا وسيستمر باستمرار بقاء الإنسان، بيدَ أن هذا المصطلح بهذا التركيب لم يرد علىٰ ألسنة علمائنا السابقين وإن كان مضمونه موجودا متداولا.

ثانيا: إن مصطلح العمل الخيري من حيث الأصلُ وضع لكل أنواع الطاعات والبر والإحسان والمعروف وضروب التكافل والتراحم، بيدَ أن هذا المصطلح حالُه حالُ بعضِ المصطلحات الأخرىٰ قد اعتراه تخصيص في الاستعمال بالمعروف التطوعي الذي يقوم به الإنسان لمساعدة الآخرين.

ثالثا: العمل الخيري من منظور إسلامي هو بذل مالٍ، أو جهدٍ عضلي أو فكري، أو وقت، لمن يحتاجه، إنسانا كان أو غير إنسان، من غير مَنٍّ ولا انتظارٍ في مقابل ذلك لنفعٍ دنيوي سواء كان ماديًا أو معنويًا علىٰ ألَّا يكون عونًا علىٰ معصية وإثم.

رابعا: تواترت النصوص القرآنية والنبوية علىٰ الحث علىٰ إسداء الخير الإحسان إلىٰ الفاسد مسلما كان أو غيره.

خامسا: ينبغي أن يقيد القول بجواز تقديم المساعدة والعمل الخيري للفاسد فكريا أو تربويا بضابطين يضبطهما:

الضابط الأول: ألا يكونَ العملُ الخيريُّ المقدَّمُ له عونًا له أو لغيره علىٰ الفساد والمعصية ونشرِها.

الضابط الثاني: أن تكون مصلحة إسداء الإحسان إلىٰ الفاسد أرجح من مفسدة فساده، وإلا فلو تساوت المصلحة والمفسدة، أو ترجحت المفسدة علىٰ المصلحة فحينئذ يحرم الإحسان ولا يجوز.

سادسا: إن تقديم العون والمساعدة إلىٰ الغير من أقرب الطرق إلىٰ قلوبهم، ومن أهم وسائل تحبيب الخير إليهم، ويكون ذلك الإحسان إمَّا من الصدقات والأعطيات العامة، وإما من سهم المؤلفة قلوبُهم مِن أسهم الزكوات، وإما من الوقفيات.

سابعا: من الجوانب المشرفة التي حظي بها الوقف الخيري إنشاء المدارس والمكتبات الوقفية، فقد بادر المسلمون إلىٰ إنشاء مكتبات وقفية تجمع عصارة أفكار العلماء في الفنون والاختصاصات المختلفة بغية إفادة الناس وتربيتهم وتوعيتهم.

ثامنا: ينبغي وضع خطة منهجية لاستثمار الوقف الخيري في الجانب الفكري بإنشاء جامعات ومكتبات ومراكز بحثية علمية، يسدىٰ فيها مساعدات للمسلمين وغيرهم بغية تحصين شباب الأمة من الزيغ الفكري، والتأثير علىٰ غير المسلمين فكريا.

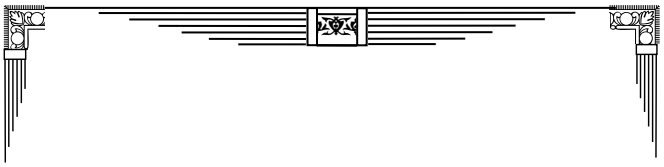

المصادر

١) أحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت٢٠٣هـ، جمع: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـ، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي ت ٥٤٣هـ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤) الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفىٰ: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيىٰ بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفىٰ: ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد

المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٦) إكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، القاضى عياض بن موسىٰ بن عياض اليحصبى السبتى، أبو الفضل (المتوفىٰ: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَىٰ إسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٧) الأموال، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفىٰ: ٢٥١هـ) تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني ت ٥٨٧هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩) التاج والإكليل لمختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم المواق المالكي ت ٨٩٧هـ، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٤م.

١٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفىٰ: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٢) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق

بن موسىٰ، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفىٰ: ٧٧٦هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٣) ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ د.عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٣م.

١٤) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت ٣١٠هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٧) جمعيات العمل الخيري التطوعي في الضفة الغربية-تقدير اقتصادي إسلامي-، حمزة جمال سليم إسماعيل، رسالة ماجستير غير منشور-قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠١٢م.

١٨) حاشية العدوي علىٰ شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن علي بن

أحمد بن مكرم العدوي ت ١١٨٩هـ، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩) حقائق التفسير (تفسير السلمي)، محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفىٰ: ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٠) خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (المتوفىٰ: ١٣٧٢هـ)، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢١) الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت ٦٨٤هـ)، المحقق: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٢) سنن الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي ت ٢٧٩هـ، المحقق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

٢٣) السنن الكبرىٰ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٤) شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفىٰ: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧مـ.

٢٥) شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك (المتوفىٰ: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر:

مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٢٦) شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله ت ١١٠١هـ، بيروت، دار الفكر.

٢٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٨) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفىٰ: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٢٩) غمز عيون البصائر، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد مكي الحموي الحنفي ت ١٠٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الدكتور موسىٰ شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولىٰ-دار الشروق، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٣٢) فتوح البلدان، أحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البَلاذُري (المتوفىٰ: ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م.

٣٣) لسان العرب،محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٣٤) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفىٰ: ٤٨٣هـ» دراسة وتحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٥) المجتبىٰ من السنن (السنن الصغرىٰ) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٦) مختصر الشمائل المحمدية، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، (المتوفىٰ: ٢٧٩هـ)، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن.

٣٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٣٨) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفىٰ: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٤٠) المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) مكتبة القاهرة.

٤١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٢ هـ.

٤٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عنى بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٤٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت.

٤٤) الوسيط في المذهب، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ، المحقق: أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر، القاهرة، دار السلام،ط١، ١٤١٧هـ.

٤٥) الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، د.سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٦) الوقفيات الجامعية :دور المجتمع في حمل مسؤولية التعليم العالي في البلدان العربية إعداد أ. د. عدنان الأمين.

العمل الخيري وأثره
في الإصلاح الثقافي والفكري

إعداد:

وفاء محمد عبد الله العيسىٰ

الملخص

يهدف هذا البحث إلىٰ تقديم خلفية نظرية حول الإصلاح الفكري والثقافي عبر العمل الخيري، وقد تضمنت الورقة بيانَ مفهوم العمل الخيري، ومفهوم الفِكْر، ودور القيم الإسلامية في الإصلاح الفكري والثقافي، وفي المبحث الأول بيان أثر صناعة التغيير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري، من خلال عرض أبرز مجالات هذا التأثير، وأبرز المؤسسات الخيرية التي انتظم بها التغيير المجتمعي من خلال فرعين رئيسين، الفرع الأول: أبرز مجالات التأثير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري في العصر الحديث، ومؤسساتها، سواء في المجال الثقافي والدعوي، مع ذكر أربعة أمثلة في مجال القرآن الكريم، ومجال العلوم الشرعية والفكرية والثقافية، وفي رصد تجربة الأوقاف في النمو الفكري والثقافي ودعم المشاريع التنموية ودور المؤسسات الرائدة، وبيان أثر المجال التعليمي في النمو الفكري، وذكر مثالين لمؤسسات دعمت هذا المجال سواء خيرية أو بشراكة مجتمعية أو وقفية، ثم بيان المحور الطبي في الدور الفكري والتوعوي، بذكر مثالين لأبرز الجمعيات التي مارست العمل الخيري الطِّبي ودعمت ذلك بالتغيير الثقافي، وآخرها العمل الإغاثي والذي هو أولىٰ مبادرات العمل الخيري وذكر أبرز مثال لهذه المنظمات، والهيئات.

وفي الفرع الثاني: ذكر أبرز المؤسسات والجهات الخيرية التي ساهمت في التأثير الفكري والثقافي عن طريق التغيير المجتمعي، سواء كانت منظمات أو جمعيات غير حكومية، أم كانت مؤسسات حكومية.

وفي المبحث الثاني: جهود أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة في الإصلاح الفكري والثقافي، وذلك بذكر مبررات قيام المركز، ومنطلقاته لدراسات المرأة الفكرية، ومنهجه، وفي الفرع الرابع بيان الإنجازات التي قدَّمها مركز باحثات، من خلال مسار البحث العلمي، والدراسات النظرية والميدانية، وخدمات الباحثين، ووحدة المعلومات، ومكتبة المركز، ونشر وإصدار الكتب والمطبوعات، وإقامة البرامج التأهيلية والتدريبية، وإنشاء كرسي أبحاث ودراسات المرأة، وإقامة المؤتمرات والملتقيات والمشاركة في المحافل الدولية والمحلية، وتقديم خدمة الاستشارات، وطرح برامج العضوية، ودعم المسار الإعلامي بعدد من البرامج والباقات وتدشين القنوات في وسائل التواصل الاجتماعي واستخدام التقنية في نشر المعرفة.

والله تعالىٰ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

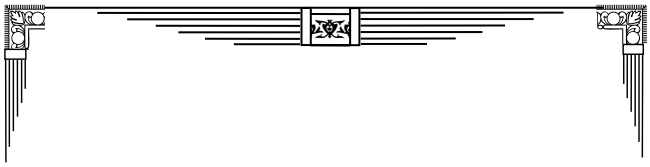

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ؛ شكَّل العمل الخيري محورًا مهمًّا في تغيير المنظومة الثقافية وساهم بشكل فاعل في التغيير المجتمعي عبر عدة نواحٍ مفصليَّة، ويعدُّ الجانب الفكري من أبرز الجوانب المؤثرة في المجتمع، وبناء الكتلة العلمية، والرقي بالمستويات الأخرىٰ كالاقتصاد، والصحة، والتعليم. ومن خلال استقراء التاريخ، ودراسة عدة ملامح حضارية ومجتمعية فيه، فإن للعمل الخيري الفكري دورًا هامًّا في صقل الحضارات، وإنتاجيتها، وثباتها علىٰ قيمها، ومبادئها، ومن خلال هذه الورقة فإني أعرض ملمحًا في أثر العمل الخيري في عصر العولمة وتأثيراته الفكرية والثقافية، وأسندها ببيان تجربة أوقاف مركز باحثات في الإصلاح الثقافي والفكري فيما يتعلق بقضايا الأسرة عموما والمرأة علىٰ نحو أخص.

وتأتي المشاركة في هذا المؤتمر المبارك محاولة لإبراز جزء بسيط لأثر العمل الخيري في الإصلاح الفكري والثقافي من خلال البحث وَفْقَ المحور الأول: العمل الخيري ودروه في الإصلاح المجتمعي. وقد انتظمت هذه الورقة في تمهيد، ومبحثين.

التمهيد: ويشمل: مفهوم العمل الخيري، والفكر، والثقافة، والقيم الإسلامية وأثرها في الإصلاح الفكري والثقافي، وفي:

المبحث الأول: صناعة التغيير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري في فرعين:

الفرع الأول: أبرز مجالات التأثير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري في العصر الحديث، ومؤسساتها، كالتالي:

أولًا: المجال الثقافي والدعوي، ثانيًا: المجال التعليمي، ثالثًا: المجال الطبي،

رابعًا: المجال الإغاثي.

الفرع الثاني: أبرز المؤسسات والجهات الخيرية التي ساهمت في التأثير الفكري والثقافي عن طريق التغيير المجتمعي:

أولًا: المؤسسات غير الحكومية، ثانيًا: المؤسسات الحكومية:

المبحث الثاني: جهود أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة في الإصلاح الفكري والثقافي:

الفرع الأول: مبررات وجود مركز باحثات، والفرع الثاني: منطلقات مركز باحثات لدراسات المرأة الفكرية:

الفرع الثالث: المنهج الذي يسعىٰ مركز باحثات من خلاله لتحقيقه أهدافه، والفرع الرابع: الإنجازات التي قدمها مركز باحثات من أجل خدمة قضايا المرأة والأسرة:

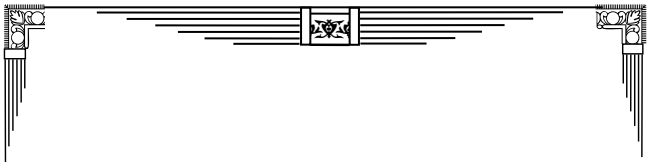

تمهيد

يعد العمل الخيري مفصلًا مهمًّا في عجلة الإصلاح الفكري والثقافي في عصر التغيرات العالمية، ولا بد قبل بيان هذا الأثر من توضيح المقصود بالجانب الفكري، والجانب الثقافي، والعمل الخيري المتعلق بهما من خلال ما يلي:

❁ أولًا: مفهوم العمل الخيري:

يعتبر العمل الخيري الوسيلة المثلىٰ لرفع العَوَز عن الجهات المحتاجة، ولعل المتبادر للذهن هو الحاجة المادية ودفع الفقر، بينما يمكن توسيع دائرة هذا المفهوم ليشمل الحاجة الفكرية، وإزالة الجهل المعرفي، وانتشال العقول من غياهب ظلمة الضياع الروحي وغيرها.

ولعلَّ أقرب التعريفات وَفْقَ المفهوم الواسع هو تعريفه بأنه: النشاط أو الهبة التي تعود بالفائدة علىٰ الناس[1].

❁ ثانيًا: مفهوم الفكر، والثقافة:

عرَّف ابن منظور في لسان العرب الفكر بقوله: والفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، وقال الجوهري: التفكر: التأمل[1].

(١) يمكن الاستزادة من ورقة عمل: خديجة عرفة، العمل الخيري، خلفية نظرية حول المفهوم، ص٧.

والفكر في المفهوم الاصطلاحي: "هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق علىٰ المعقولات نفسها، فإذا أطلق علىٰ فعل النفس؛ دلَّ علىٰ حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق علىٰ المعقولات؛ دلَّ علىٰ المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[٢].

والإسلام دعا إلىٰ الفكر والتفكر للوصول إلىٰ ماهية الحياة والكون والغاية من الوجود، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم وقررته السنة النبوية، وسار علىٰ نهجه العلماء الربانيون.

ومن خلال استقراء جملة من البحوث حول الفكر المعاصر نجد أن الفكر: هو الحقائق المعرفية التي توصل إليها الباحثون في المجالات الإنسانية بهدف الحصول علىٰ كم معرفي في المجتمع والحياة.

❁ ثالثًا: دور القيم الإسلامية في الإصلاح الفكري والثقافي:

"يملك الإسلام الإجابات الصحيحة عن أسئلة الغرب الكثيرة وأزماته المتعددة، الإسلام ليس طالب إحسان من الغرب، لكنه مانحٌ رئيسٌ لكثير من القيم وأساليب الحياة"[٣]، ومع تنامي هذه الفكرة وواقعيتها عبر انتشار الإسلام في أصقاع الأرض وانحسار القوىٰ العسكرية مقابل النفوذ الفكري والثقافي، فإن الفرصة بدت سانحة أمام المسلمين في نشر الثقافة الإسلامية والقيم النبيلة النابعة

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (١١/ ٢١١) حرف الفاء، مادة فكر.

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (٢/ ١٥٦)، دار الكتاب اللبناني-بيروت-١٩٨٢م.

(٣) مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ص ٢٩٨.

من هذا الدين المبارك، ولهذا فإن المشروع الإسلامي للإصلاح الفكري والثقافي هو طوق النجاة لفشل المناهج الفكرية الآخرىٰ في انتشال الشعوب من ضياعها.

فالخوف الغربي من الإسلام ليس لسطوته، ولا لجبروته ولكن لأن "المسلمين يمثلون مشروعًا وتحديًا روحيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا لا يستسلم ولا يفكر في الاستسلام للحتمية الليبرالية، كما لم يستسلم للجبرية الشيوعية من قبل، وعنده ثقة وتماسك وشخصية رافضة للذوبان، وعنده أمل وتعويض وفهم آخر للحياة الإنسانية"[1].

وقد جاءت القيم الإسلامية منعشة للروح، ومحفِّزة للتفاؤل والنصر، ومُعزِّزة للرؤية الإيجابية للكون والحياة، ولهذا فإنها تمثل قوة صاعدة في وجه التحديات، "فلا تقتصر مؤشرات الرؤية الإيجابية في مستقبل القطاع الخيري الإسلامي علىٰ المؤسسات والجمعيات والتمويل المالي المنظم، فنشر العلم والمعرفة والتعليم عن بعدٍ عن طريق وسائل الثقافة الحديثة تمنح وسائل غير تقليدية لكل عمليات الموارد المالية للمؤسسات والجمعيات"[2]. كما أن امتلاك الإسلام رصيدًا ثريًّا من السماحة، والإنسانية والعدل، ساهم في تسارع النمو السكاني، وتأثيره المجتمعي، ويشهد لذلك كثيرٌ من المفكِّرين الغربيين، وتدل عليها الإحصاءات بشكل واضح.

وجميع برامج العمل الخيري تنمو في ظل الأمن الروحي، والسلام الديني والقرب من الله، ولهذا تسعىٰ جميع الجمعيات والمنظمات الخيرية الإسلامية

(١) محمد الأحمري، ملامح المستقبل ص ٩.

(٢) محمد السلومي، القطاع الثالث والفرص السانحة، دراسة اجتماعية، ص ٢٥٥.

إلىٰ مخاطبة الروح أولًا، وتهدئة تلك الأمواج الضائعة، وبناء جسر من الود والتآخي والرحمة والسلام وهي قيم الإسلام التي دعا إليه.

ولأن هذا الدين دعا إلىٰ العلم والتطور فإن العمل الخيري لم يقتصر علىٰ أساليبه التقليدية، بل طوَّر مناهجه ووسائله للوصول إلىٰ الغاية ذاتها، ويمكن استحضار فكرة الكراسي البحثية الأكاديمية ودورها في العمل الخيري(١).

لقد أدت قيم العطاء الإسلامي وأخلاقياته إلىٰ تفوق القطاع الخيري الإسلامي عن غيرها في جوانبَ كثيرةٍ حتىٰ في نظر الأنموذج الغربي؛ إذ "أشار الباحث جونثان بنثال إلىٰ أن المنظمات الإسلامية لا تتمتع فقط بالانتشار الواسع في وسط الناس، ولكنها طورت برامجَ دوليةً مدعومة بشكل عالمي يشكِّل بديلًا يضاهي الغرب اليهودي"(٢).

(١) بلغت الكراسي العلمية في الجامعات السعودية ١٩٣ كرسيًّا علميًّا تركز علىٰ جوانب التنمية في المملكة العلمية والتطبيقية والطبية والاقتصادية والاجتماعية والشرعية، ينظر: http://www.alriyadh.com/799133 جريدة الرياض: الأحد ٢٤ صفر ١٤٣٤ هـ - ٦ ينابر ٢٠١٣م - العدد ١٦٢٦٧.

(٢) ينظر: محمد السلومي، القطاع الثالث والفرص السانحة، دراسة اجتماعية، ص ٢٦٢-٢٦٣.

المبحث الأول

صناعة التغيير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري:

شكَّل العمل الخيري دورًا هامًّا في تغيير المجتمعات منذ نشأة البشرية، وعمَّقت الأديان هذه الأهمية من خلال النصوص الشرعية، وقد كان للإسلام الدور الأهمُّ في ترسيخ هذا المبدأ، وكان للعمل الخيري أثره الملموس في بناء المجتمع، وتكاتف الشعوب، وموازنة الاقتصاد، وغيرها.

وقد كان للنَّقلة الثقافيَّة والسياسية والفكرية، والثورة التقنية بشكل عام مع نهاية التسعينيات الميلادية = الأثرُ في عولمة القيم والانفتاح الأخلاقي والثقافي، وانتهجت المؤسسات مسارًا جديدًا في التغيير الثقافي والفكري، وقد أسهم العمل الخيري بصورة فاعلة في تجسير القيم النبيلة بين الأجيال، وثبات المبادئ الدينية، والعلوم الفكرية الأصيلة، والرقي بالوعي الأخلاقي والعلمي واستفاد بشكل فاعل من طوفان العولمة، سواءٌ من جهة تنوع الآليات أو الفئات المستفيدة أو مجالات نفوذه خاصة مع تآكل سيادات الدول، والانضمام للقانون الدولي العام، ومَأسسة العمل الخيري، والتحول للبرامج الوقفية، أو الاضطلاع بدور تجاريٍّ موازٍ للعمل الخيري لإيقاف هيمنة الشركات الرأسمالية، وتفعيل الدور الاجتماعي، وما إلىٰ ذلك، ويمكن بيان أبرز مجالات هذا التأثير، وأبرز المؤسسات الخيرية التي انتظم بها التغيير المجتمعي من خلال فرعين رئيسين:

○ الفرع الأول: أبرز مجالات التأثير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري في العصر الحديث، ومؤسساتها:

يمكن إبراز أهم المجالات التي كان لها تأثير فكري وثقافي في المجتمع من خلال العمل الخيري، كما يلي:

أولًا: المجال الثقافي والدعوي:

كان للعمل الخيري مشاركة في المجال الدعوي وبيان صورة الإسلام الحقيقية، ورفع الجهل، مما أسهم بشكل كبير في النمو الفكري والثقافي، وقد برزت عدة منظمات ومؤسسات خيرية، سواء كانت بتنظيم حكومي أو شعبي، منها علىٰ سبيل المثال:

❁ المثال الأول: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم:

كانت الجمعيات الخيرية ولا زالت منبرًا للوعي الثقافي والدعوي وهي المنطلق الأول لكثير من الدعاة، وقد بدأت بحلقات في المساجد ثم اتخذت الصفة المؤسسية تحت سقف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عام ١٤١٤ه، ثم أسس المجلس الأعلىٰ للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن عام ١٤١٥ه[(١)]، وقد كانت أول جمعية خيرية في المملكة العربية السعودية في مكة المكرمة عام ١٣٨٢ه، ثم تلتها جمعية المدينة عام ١٣٨٣ه وتوالت الجمعيات تباعًا، وقد بلغ عدد الجمعيات ١٣ جمعية في مناطق المملكة، وافتتح

(١) ينظر: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ومسيرتها المباركة - إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الأمانة العامة للمجلس الأعلىٰ للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - ١٤١٩هـ ص ١٦ - ١٧.

أول فرع نسائي عام ١٤٠١ه في الرياض، بلغ عدد الدارسات فيه لعام واحد فقط ١٤١٨ه (٢٧٨٠٠) دارسة، يدرسهن (١١٥٠) معلمة، وعدد المدارس (١٢٩) مدرسة، كما يقوم أكثر من ٦٠٠ حافظ من الطلبة المتقنين المجودين في الجمعيات بإمامة المصلين في صلاة التراويح كل عام في الداخل والخارج، كما نظمت الجمعيات عشرات الحلقات والدورات في السجون، وكُرِّم عدد من السجناء بتخفيف مدة سجنهم، وقد تم إنشاء حلق داخل سجون النساء، وتنفيذ عشرات الدورات للمعلمين والمعلمات، الذين يدرسون المواد الشرعية، وللموظفين والموظفات في القطاعات المختلفة، ونظمت الجمعيات برامج لمحو الأمية بتعليم القرآن، وأقامت عددًا كبيرًا من الدورات لربات البيوت، كما تم تنفيذ عدد كبير من المناسبات والمسابقات في مجال حفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه[(١)]، وقد بلغ عدد الطلاب الذين اجتازوا اختبار الأجزاء في جمعية الرياض للعام ١٤٣٦ هـ (٢١٤٧٥) طالبًا وطالبة، فيما بلغ عددهم ١٤٣٨ (٣٠١٢٤) طالبًا وطالبة، علمًا أن الجمعية تضم أكثر من ١٤٠ ألف طالب وطالبة.

❁ المثال الثاني: رابطة العالم الإسلامي[(٢)]:

أنشئت الرابطة بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة عام ١٣٨١ هـ. وتمثل الرابطة في كل من: هيئة الأمم المتحدة بصفة عضو مراقب بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين المنظمات الدولية غير

(١) ينظر: بدر البدر، تقرير: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وجهودها في المملكة العربية السعودية، ص ١٤ وما بعدها.

(٢) موقع رابطة العالم الإسلامي: http://www.themwl.org/web/

الحكومية ذات الوضع الاستشاري. وتعد الرابطة منظمة إسلامية عالمية جامعة، تُعنىٰ بإيضاح حقيقة الدعوة الإسلامية، ومد جسور التعاون الإسلامي والإنساني مع الجميع.

وقد شاركت الرابطة في إبراز الإسلام وقيمه ومعانيه، وشاركت في مجالات دعوية وعلمية، ولعل أبرزها: المجمع الفقهي الإسلامي، وهو هيئة علمية إسلامية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، مكونة من مجموعة مختارة من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها تقوم بدراسة ما يستجد من قضايا في العالم مما يحتاج إلىٰ نظر من العلماء، سواء كان ذلك داخل البلدان الإسلامية، أو في البلدان غير الإسلامية التي تعيش فيها أقليات مسلمة، من إجابات شرعية علىٰ النوازل والقضايا الجديدة، ولعل آخر المؤتمرات الثقافية والفكرية: مؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة عام ١٤٣٨هـ، وقد أسست الرابطة مركزًا للحرب الفكرية لنبذ التطرف.

كما تقوم الرابطة عبر برنامج "رعاية" بدعم الدعوة، وبناء المساجد، والمراكز الإسلامية، كما أن هيئات الرابطة تُعنىٰ بالكتاب والسنة، ونشرهما، وبيان العلوم الشرعية، وإصدار البيانات العلمية، وبيان الاتجاهات الفكرية، وإصدار المجلات العلمية والفكرية مثل مجلة الرابطة باللغتين العربية والإنجليزية، وصحيفة معاد، وغيرها.

❁ المثال الثالث: الأوقاف الخيرية: وقف مؤسسة السبيعي الخيرية أنموذجًا[1]:

هي مؤسسة خيرية مانحة وداعمة، تُعنىٰ بدعم أعمال البر وبناء الفرد والمجتمع وتطوير العمل الخيري، وتحقيق التنمية المستدامة من خلال بيئة مؤسسية محفِّزة وفريق مؤهل، ولها من المشاريع والبرامج في المجال الفكري: برنامج وافد بالشراكة مع الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، وهو برنامج إستراتيجي لطلاب المنح لإعدادهم للدور القيادي في بلادهم من خلال الدورات التدريبية التي اكتسبوها من كرسي مؤسسة محمد وعبد الله السبيعي الخيرية لتأهيل طلاب المنح، وقد أقام البرنامج ٨١ دورة تدريبة اشتملت علىٰ ٣٥ مهارة، استفادة منها ٢٢٣١ طالبًا من طلاب جامعة المدينة المنورة، كما تم تنظيم ندوة "نحو إستراتيجية مستقبلية لتدريب طلاب المنح".

وفي مجال البناء الفكري للمرأة أقامت برنامج أصالة بالشراكة مع مؤسسة إثراء المعرفة، والذي يسعىٰ إلىٰ التأصيل والمعاصرة لقضايا المرأة علىٰ ضوء الكتاب والسنة، والتمييز بين الحق والباطل وتعريف المتدربة بمكانة العقل وحاجة الإنسان للوحي، وقد استفاد من المشروع أكثر من ٤٠٠ من المعيدات والمحاضِرات، واشتمل البرنامج علىٰ ٩ مجالات تهم المرأة وقضاياها.

وفي الجانب الشبابي أقامت المؤسسة مشروعًا لتكوين فريق شبابي يُمارس نشر القيم المجتمعية الإيجابية إعلاميًّا بطُرقٍ مبتكرة وإبداعية، تطوعية في مناطق المملكة المختلفة، وقد أقام المشروع دورة تدريبية وورش عمل تأهيلية للفريق

(١) موقع مؤسسة محمد وعبد الله ابراهيم السبيعي الخيرية: https://sf.org.sa/

المشارك، كما تم إعداد (٥) مشاريع تطوعية في (٥) مناطق بالمملكة، وإنشاء أندية شبابية مبتكرة في لجان التنمية.

وفي المجال القيادي أقام برنامج ساعد عدة دورات تدريبية للمساهمة في تأهيل (٣٠) عاملة في لجان التنمية بمهارات تجعلها قادرة علىٰ التعامل مع المجتمع، وغيرها من المشاريع الرائدة والفريدة.

❁ المثال الرابع: مؤسسة الملك فيصل الخيرية[١]:

هي مؤسسة خيرية ذات أبعاد عالمية تأسست في العام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، وقد اتخذت المؤسسة نهجًا لها رؤية الملك فيصل الذي كان يطمح إلىٰ تقدم الأجيال مع الحفاظ علىٰ التقاليد، مع الاستفادة القصوىٰ من طاقاتهم وقدراتهم، وقد أطلقت المؤسسة عدة برامج منها: جائزة الملك فيصل الخيرية العالمية، والتي أنشأتها المؤسسة منذ ٤٠ عامًا لتُمنح كلَّ عامٍ تكريمًا للعلماء من جميع أنحاء العالم في خمسة مجالات أساسية؛ هي: "خدمة الإسلام"، "الدراسات الإسلامية"، "اللغة العربية والأدب"، "الطب"، "العلوم"، وقد مُنحت لنحو (٢٥٨) فائزًا من (٤٥) دولة.

كما أنشأت المؤسسة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: وهو أحد المراكز الخاصة القليلة التي تعمل علىٰ إجراء الأبحاث وتعزيزها، ونشر المعرفة في المواضيع الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة، ويقوم المركز بدعم البحوث، وتوفير خدمات للباحثين، وقد استفاد من برنامج الباحث أكثر من ٣٠٠ باحث من ٥٥ دولة، وقد جاءت العلوم السياسية والشرعية والفقه علىٰ رأس

(١) موقع مؤسسة الملك فيصل الخيرية: http://www.kff.com/ar/

قائمة البحوث. كما تضم مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إحدىٰ أكبر قواعد البيانات في العالم العربي أكثر من ١،٢٠٠،٠٠٠ موضوع لقواعد البيانات وفهرسة المراجع الببليوغرافية.

وقد دعمت المؤسسة عدة برامج ثقافية ودعوية منها: إنشاء مراكز بحثية ودعم البحوث، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية، ودعم منظمات خيرية وإنسانية، ومنح المؤسسات التعليمية والبرامج العلمية، وغيرها.

ثانيًا: المجال التعليمي:

انتهجت كثير من مؤسسات العمل الخيري التعددية في مجال خدمة المجتمع، وقد كان للنصيب التعليمي من العمل الخيري حصة الأسد، وشاركت عدد من الجمعيات الخيرية في دفع عجلة التعليم وتوفير المنح الدراسية للمحتاجين، ويمكن إبراز هذا الجانب في مثالين:

❁ المثال الأول: مؤسسة حسن عباس الشربتلي[1]:

هي مؤسسة غير ربحية في المملكة العربية السعودية تشارك في الأعمال الخيرية والصحية والثقافية والاجتماعية أسست عام ١٤٠٦ه وفّرت عددًا من المنح الدراسية للمعوزين من خارج المملكة، وقد دعمت بعض الكليات الأكاديمية مثل دعمها كلية دار الحكمة بجدة، كما وفرت دورات تدريبية للغة

(١) موقع مؤسسة حسن شربتلي، يراجع الرابط:

.http://www.hasfound.org/ar/programs

الإنجليزية. كما تقوم المؤسسة ببناء ودعم المؤسسات العلمية والثقافية من حيث إنشاء المباني العلمية والأدبية والثقافية وتجهيزها بالكامل لكي تكون منارة علمية تنير طريق روادها من طلبة العلم والباحثين والمثقفين.

وقد كانت مشاركتها في المجال الفكري والثقافي دعمها لبعض الجهات مثل: مكتبة حسن عباس شربتلي الرقمية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وجامعة الفيصل في الرياض، وكليات الأمير مقرن بالمدينة، وجامعة عفت في جُدَّة، وإنشاء برج السيد حسن عباس شربتلي التعليمي في كلية دار الحكمة في جدة، وغيرها، ومنح (٥) طلاب منح دراسية.

❁ المثال الثاني: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، والوقفية[١]:

تُعد مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية من أكبر المؤسسات المانحة بالمملكة حيث تعمل علىٰ دعم المؤسسات غير الربحية، وتعمل علىٰ دعم القطاع التعليمي، والاجتماعي، والصحي، والإعلامي، والدعوي، وقد تأسست المؤسسة عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ثم بدأ العمل بالتطور والنمو وتم استيعاب مجموعة من أصحاب الخبرة والكفاءة وفي عام ١٤٢١ه تحولت المنظومة الخيرية إلىٰ مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، وقد تم تنفيذ ودعم العديد من البرامج والنشاطات، ودعم أصحاب الأفكار الإبداعية عن طريق المنح (مبادرات)، ومن إنجازاتها برنامج عطاءات العلم، ومؤسسة مناهج العالمية.

---

(١) موقع مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، يراجع الرابط:

https://www.asrhc.com/?page_id=118

وأما مؤسسة سليمان الراجحي الوقفية فتشمل في رعايتها دور التحفيظ، وحلقات الحديث، والدورات العلمية، والتعليم النسوي، ويُعد جامع الراجحي من أكبر منارات الدعم العلمي والفكري والثقافي في البلاد.

❁ المثال الثالث: مؤسسة العنود الخيرية[1]:

مؤسسة الأميرة العنود بنت عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود الخيرية، مؤسسة سعودية خيرية خاصة، أسست عام ١٤٢٠هـ، تسعىٰ إلىٰ (التكامل) في العمل الخيري، وتُعنىٰ المؤسسة -منذ خطواتها الأولىٰ- بمجالات متعددة في أوجه الخير، ولها من البرامج الثقافية والفكرية: إنشاء كرسيٍّ الأميرة العنود، وبرامج طباعة الكتب، وبرامج مكاتب الدعوة، وبرامج الدورات العلمية. كما اهتمت المؤسسة منذ نشأتها بالقرآن الكريم، وخصصت برامج لتعليمه مثل: مراكز العنود النسائية لتعليم القرآن الكريم، ودعم الحلقات، والمسابقات والجوائز الخاصة بحفظ كتاب الله. ويُعد مركز العنود الحضاري منارًا علميًّا؛ إذ يقوم بتفعيل دور المسجد باعتباره مركزَ إشعاعٍ روحيٍّ وعلميٍّ، ومكانًا للعبادة والتعلُّم والتعليم، وذلك من خلال: خطب الجمعة المترجمة للغة الإنجليزية ولغة الصُّمِّ، والدروس الأسبوعية، وإقامة الندوات، والدورات الشرعية في المتون العلمية، وبرنامج "المسلمون الجدد"، ودعم ورعاية قناة بيغام الفضائية باللغة الأردية في تفسير القرآن الكريم، وتنفيذ برنامج الديوانية الثقافية السنوي للسفراء والسلك الدبلوماسي والأطباء والخبراء من زوار المملكة. كما اعتنت بالشباب

(١) موقع مؤسسة العنود الخيرية، يراجع الرابط:

http://www.alanood.org.sa/Ar/Pages/home.aspx

في مركز وارف لتأهيل وتنمية الشباب وتعزيز مشاركتهم في البرامج الخيرية والتطوعية، وتضم المؤسسة مركز تدريب خيري معتمد، يُعنىٰ بالتدريب والتنمية الذاتية والمجتمعية، كما تمت طباعة الآلاف من الكتب ووزعت علىٰ العديد من المساجد والمراكز الإسلامية، وعلىٰ طلاب العلم.

ثالثًا: المجال الطبي:

كان للعمل الخيري السَّبْقُ في المساهمة في دعم الطب والرقي الثقافي والفكري ونشر الدعوة من خلال تقديم البرامج الطبية والمساعدات الإنسانية الصحية في كافة أنحاء العالم، وقد أُنشئت عدة جمعيات طبية وَفق هذا النهج؛ منها:

❁ المثال الأول: مؤسسة البصر الخيرية العالمية[1]:

تأسست مؤسسة البصر الخيرية العالمية في مدينة الخبر في المملكة العربية السعودية، عام ١٣٠٩[2]- ١٩٨٩م، وهي مؤسسة غير حكومية وغير ربحية مسجلة في العديد من الدول في قارتي آسيا وأفريقيا تعمل علىٰ مكافحة أمراض العمىٰ، عبر برنامج شامل ومتكامل يقوم علىٰ ثلاثة محاور: تسيير حملات علاجية متنقلة ومتخصصة في طب العيون (المخيمات الطبية)، وإنشاء المستشفيات التخصصية الدائمة، والمعاهد الفنية لتدريب القوىٰ العاملة في مجال

(١) موقع مؤسسة البصر الخيرية ، يراجع الرابط:
http://www.al-basar.com/site/activities

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ١٤٠٩.

طب العيون، وترافق هذه الخدمات برامج ثقافية دعوية، وقد تم معاينة وعلاج ٤.٤٤٠.١٢٠ مليون شخص.

❁ المثال الثاني: جمعية الرحمة الطبية[١]:

تأسست الجمعية عام ١٤٢٥هـ في مدينة الدمام بالمملكة العربية السعودية، وتُعد مؤسسةً رائدةً في القطاع الخيريِّ الصِّحِّيِّ علىٰ المستوىٰ الوطني والإقليمي، وتقدم الخدمات الصحية والتوعوية لجميع شرائح المجتمع والتواصل مع العاملين في المجال الصحي، من خلال العمل المؤسسي الذي تقوم عليه كفاءات صحية وإدارية، مع التوظيف الأمثل لجميع التقنيات المتاحة، وتفعيل الشراكات البناءة مع مختلف قطاعات المجتمع.

وقد أطلقَتْ عددًا من البرامج الصحية منها لرفع المستوىٰ الصحي والجهل عند المحتاجين، وتقدم خدماتها التثقيفية والصحية والوقائية، وإدراكًا من الجمعية للصلة الوثيقة بين التزام المجتمع بتعاليم الشريعة الإسلامية وبين تمتعه بمستوىٰ مقبول من الصحة العامة انطلاقًا من أن حفظ النفس هو أول مقاصد الشريعة = لهذا توجه الجمعية قدرًا من برامجها لتبصير أفراد المجتمع بهذه الصلة، وتعريفهم بالأمراض والعلل التي ترتبط بسلوك الفرد وأخلاقه ونمط حياته، وقد بلغت المبالغ الموزعة ٢،٠٥٠،٦٩١ ريال، وعدد المستفيدين ١٥٠٦ مستفيد في عام ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(١) موقع جمعية الرحمة الرسمي، يراجع الرابط:
http://www.rahmah.org/aboutus/11

رابعًا: المجال الإغاثي:

تعتبر الإغاثة الإنسانية أولىٰ مبادرات العمل الخيري، ولهذا فإن جميع الحكومات علىٰ اختلاف أديانها وتوجهاتها الفكرية تدعم البرامج الإغاثية في المجتمعات الفقيرة أو المصابة بالكوارث الطبيعية أو الناشئة عن الحروب.

ويمكن بيان أبرز المنظمات والمؤسسات في هذا المجال:

❁ الهيئة العالمية للإغاثة والرعاية والتنمية[1]:

تعدُّ الهيئة العالمية عضوًا في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لمنظمة الأمم المتحدة وتنبثق من رابطة العالم الإسلامي الآنفة الذكر، وقد تأسست عام ١٣٩٨-١٩٧٩م في مكة المكرمة بأمر سامٍ، وهي منظمة دولية واسعة الانتشار، تعمل في مجال الإغاثة والتنمية، وتشارك في عضوية أكثر من ١٧ مجلسًا، ومنظمة، ومبادرة، ومنتدًىٰ، واتحادًا، ومكتبًا، وشبكة، ولجنة، علىٰ المستويين الدولي والإقليمي، وتقدم برامج إغاثية واجتماعية ومبادرات عاجلة، كما تقدم برامج للقرآن الكريم، وتدعم الدورات التربوية وتساهم في تنمية المجتمع، ومن منطلق ترسيخ الروابط والتكافل بين الفرد والمجتمع وتجسيد معاني التواد والتراحم والتعاطف، وسعت الهيئة مُمَثَّلَةً بمكاتبها المنتشرة في أنحاء المملكة إلىٰ تقديم الدعم والمساعدة للمحتاجين داخل المملكة وخارجها.

وبناءً عليه أُنشِئت بالأمانة العامة للهيئة إدارةٌ خاصة باسم (إدارة تنمية المجتمع) للعناية ببعض شرائح المجتمع: الأرامل والأيتام، والعجزة وذوي

(١) موقع الهيئة الرسمي، يراجع الرابط: http://www.egatha.org/portal/

الاحتياجات الخاصة والمعاقين والمرضىٰ، والأسر المحتاجة وأسر السجناء والمطلقات، والأسر المتضررة من الكوارث والنكبات، والأسر المنتجة والمدمنين وكبار السن والأحداث، ورعاية الطلاب والطالبات الفقراء، وقد عزَّز هذا التوجه رغبة بعض رجال الأعمال والمحسنين في المشاركة بالعمل الخيري.

وعلىٰ سبيل المثال فإن الهيئة أنشأت ٦ أوقاف تنموية آخرها دُشِّنَ عام ١٤٣٦ه، ولها من الإصدرات مجلة ينابيع الخير، والإغاثة، والمرشد لمشاريع الخير وعدد من الكتيبات التعريفية، وقد تم إجراء عدد من عمليات العيون قاربت (٢٠٠٠) عملية في مُخيَّم مستشفىٰ هدبور فقط، ودعم إقليم بلوشستان بقرابة ١٠آلاف سلة غذائية لإغاثة المنكوبين عام ١٤٣٥ه، وتدشين برنامج ماكينة الخياطة لعدد (٥٠٠٠) في منطقة جلجت في ذات العام، وغيرها من البرامج الإغاثية والتوعوية للمنكوبين، والمحتاجين.

○ الفرع الثاني: أبرز المؤسسات والجهات الخيرية التي ساهمت في التأثير الفكري والثقافي عن طريق التغيير المجتمعي:

يمكن بيان أبرز المؤسسات والمنظمات والجهات الخيرية الإسلامية من خلال استقراء الإنجازات والمسيرة التاريخية لعدد ممن كان لها تأثير ملموس في زيادة الوعي الفكري، والنهوض الثقافي في المجتمعات:

أولًا: المؤسسات غير الحكومية:

وقد سبق بيان الدور الرائد لرابطة العالم الإسلامي وهيئاتها، ومكاتبها، وبيان أبرز برامجها، وغيرها مما ذكر، ونذكر في هذا المحور مثالين آخرين:

❁ المثال الأول: جمعية العون المباشر[1]:

تأسست الجمعية عام ١٤٠١-١٩٨١م في الكويت برئاسة الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط: تحت مسمىٰ "لجنة مسلمي أفريقيا"، وتقدم عدة برامج تتنوع بين الإغاثية، والتعليمية، والبرامج التنموية، والتدريبية، والتوعوية، والبرامج الصحية، والإنشائية، والبرامج الوقفية، وغيرها.

ويمكن الإشادة بجهود جمعية العون المباشر والتي فاقت تطلعات الجمعية منذ انطلاقتها فقد تجاوز المستفيدون منها الملايين، وتنوعت ثمرات عطائهم من انتشال الشعوب من ظلمات الجهل والكفر إلىٰ الدخول في الإسلام والرقي المجتمعي وتقديم العون للنهوض بالبِنَىٰ التَّحتية للدول، وهذا ما جعل لها صدًىٰ إعلاميًّا قويًّا، واكتسبت بذلك حصانة دبلوماسية في عدد من الدول.

(١) موقع جمعية العون المباشر: https://direct-aid.org/donate/ar/

ولعل أبرز جوانب الارتقاء الفكري في الجانب التعليمي إنشاء وتسيير أربع جامعات شاملة للعديد من التخصصات الأكاديمية، وتقديم المنح التعليمية للخارج؛ إذ حصل كثير من مستفيديها علىٰ الدراسات العليا، وعلىٰ سبيل المثال فإن أبرز المنجزات الإعلامية التوعوية: إنشاء أربع محطات إذاعية في أفريقيا، وتم تشغيل ٢٤٩٦ برنامجًا إذاعيًّا في ١٩ دولة، ولهذا حازت علىٰ العديد من الأوسمة والجوائز في خدمة المجتمع لعدد من المجالات منها المجالان الفكري والثقافي.

❁ المثال الثاني: جمعية الرحمة العالمية[1]:

حرصًا من جمعية "الإصلاح الاجتماعي" الكويتية علىٰ القيام بدور خيري وإغاثي، فأسست لجنة "العالم الإسلامي" عام ١٩٨٢م، لتبدأ من هذه اللحظة مدُّ أول جسور الخير من الكويت إلىٰ شتَّىٰ أصقاع الأرض. ثم شكَّلت الجمعية لجنتها الخيرية الثانية لإغاثة المسلمين في "أفغانستان" تحت مسمىٰ "الدعوة الإسلامية" عام ١٩٨٦م، ثم سعت لدعم القضية الفلسطينية في لبنان تحت مسمىٰ لجنة: "لجنة المناصرة الخيرية"، ثم تبعتها لجنة "البوسنة والهرسك".

ثم انطلقت تحت مسمىٰ جديد له دلالته، وهو "الرحمة العالمية"، لتُعبِّر عن حمل تلك المؤسسة المباركة لرسالة رحمة تسري، ليس في جسد الأمة المسلمة فقط، بل في جسد الإنسانية بأسرها.

---

(١) موقع جمعية الرحمة العالمية: https://www.khaironline.net/default.aspx

وقد انتظمت برامج هذه الرحمة في سلسلة من الباقات مثل بناء المساجد والمراكز الدعوية، والتنموية ودعم الأسر المنتجة، وتقديم الخدمات الصحية والبرامج التوعوية، وإنشاء الأوقاف وكفالة الأسر والأيتام، والعناية بالكتاب والسنة وتعليمهما للفئات المستفيدة، كما تقدم المنح التعليمية لطلاب العلم. وفي عام ١٤٣٩-٢٠١٨ الحالي شملت مساعدات الرحمة العالمية في الأردن للشعب السوري المنكوب أكثر من ٦١٨ أسرة، وشمل مشروع إفطار الصائم أكثر من ٤ ملايين و٧٥٠ ألف مستفيد، وذلك علىٰ مستوىٰ مناطق عملها بقطاعاتها في ٤٤ دولة في آسيا وأفريقيا والقطاعين العربي والأوروبي. وقد سيَّرت قافلة من المساعدات الإغاثية إلىٰ اللاجئين السوريين في لبنان والتي حملت رقم (٣٥٣) وسارت علىٰ مدار ثلاثة أيام، استفاد منها أكثر من ١٥٠٠ أسرة سورية. والقافلة (٣٥١) في الأردن لمعونة ١٢٠٠ أسرة، وقد استفادت أكثر من ٨٣ ألف أسرة من الغوطة الشرقية في سوريا من المساعدات والإغاثات، كما أقامت الرحمة العالمية بجمعية الإصلاح الاجتماعي في مملكة كمبوديا حفلًا لتخريج الدفعة الثانية من طلاب مركز التدريب التعليمي (ETC) وبحضور مسؤول من وزارة التربية والتعليم الكمبودية وذلك بشهادة معتمدة من الوزارة.

ثانيًا: المؤسسات الحكومية:

المثال الأول: الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية[1]:

جاء تأسيس الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية للإغاثة والتنمية والتعاون العربي والإسلامي عام ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م لتكون مؤسسة وطنية لعمل الخير، تسعىٰ لتحريك الفعاليات الخيرية التطوعية في الداخل والخارج، تقدم مشروعاتٍ وبرامجَ للمحتاجين، وتُعمق مفاهيم العدالة والتكافؤ علىٰ المستويات الوطنية والعربية والإسلامية والدولية، وتؤكد معانيَ الانتماء والنماء، وتهتم بالعمل التطوعي والخدمة العامة.

وتقدم الهيئة المعونات العينية بالإضافة للتوعية ونشر القيم والمبادئ الاجتماعية السامية، كما تقوم بدعم التعليم من خلال طباعة الكتب الدراسية لبعض الدول المحتاجة مثل البوسنة، وتقديم الدعم النفسي والمجتمعي، وإقامة الدورات التدريبية، وقد قدمت المساعدات المقدمة للاجئين السوريين والأسر الأردنية العفيفة خلال عام ١٤٣٩-٢١٠٨ بلغت الطرود الإغاثية والإنسانية (٤٤.٥٨٥) طردًا، وقامت الهيئة بتوزيع الدفعة الثانية من المساعدات في بنغلادش لصالح مسلمي الروهينغا، وذلك من خلال وفد مشترك من الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ومجمع النقابات المهنية وبلغ عدد المستفدين (٢١.٠٠٠) مستفيد، وتم افتتاح مدرسة الحكمة وتبلغ مساحة المدرسة الاجمالية ١٠٠٠ متر مربع وبسعة ٧٥٠ طالب بتمويل من مجمع النقابات المهنية والإغاثة الإسلامية عبر العالم. وغيرها من المساعدات التعليمية والإغاثية.

---

(١) الموقع الرسمي للهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية:
http://www.jhco.org.jo/default.aspx

❁ المثال الثاني: المؤسسة الخيرية الملكية في البحرين[1]:

تأسست عام ١٤٢٨-٢٠٠٧م وتقوم بأعمال الخير والبر والإحسان، والنهوض بدور إنساني واجتماعي واقتصادي يعود بالنفع علىٰ المواطنين، من كفالة الأرامل والأيتام ورعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة، وتقديم المساعدات الاجتماعية والصحية والتعليمية، والمساهمة في تخفيف الأعباء المعيشية عن الأسر المحتاجة، والمساهمة في إنشاء وتنمية المشاريع الاجتماعية والخيرية غير الربحية كدور الأيتام، ورعاية الطفولة والمعاقين، ومراكز المسنين، ورياض الأطفال، وتأهيل الأسر المحتاجة، ومراكز التأهيل الصحي، والمساهمة في أعمال التنمية المستدامة كدعم برنامج إنشاء المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتخصيص الأراضي للمشاريع الاجتماعية والخيرية، والتنسيق مع الأجهزة الحكومية المكلفة بتنفيذ برامج ومشاريع في هذا المجال. كما أنشأت المؤسسة مركزًا للتأهيل والتدريب المهني، والذي يمنح فرص العمل للمتخرجين منه، كما يقوم بدور تعليمي ومهني وثقافي فكري.

وجميع ما سبق من المنظمات والجمعيات، والهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية تسعىٰ لصناعة الوعي الثقافي والفكري من خلال سلسة من الوسائل منها إقامة المؤتمرات والفعاليات والملتقيات، وطباعة الكتب والإصدارات الورقية، والملفات الإلكترونية، والدورات التدريبية، والبرامج الموسمية، وغيرها.

---

(١) الموقع الرسمي للمؤسسة: https://www.rco.gov.bh/ar

المبحث الثاني

جهود أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة في الإصلاح الفكري والثقافي

يُعتبر العمل الخيري في المجال الفكري من المجالات التي واكبت الانفتاح الثقافي والفكري كما سبق، ولهذا فإن عرض تجربة أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة في الإصلاح الفكري والثقافي والمهتم بقضايا المرأة والأسرة من الأهمية بمكان؛ حيث إنَّ هذه الجهود جاءت متسارعة ومتوافقة مع المد العولميِّ، بل تزامنت مع الاحتياجات الواقعية في مجالي الفكر والثقافة، ويمكن بيان هذه الجهود من خلال أربعة فروع رئيسة كما يلي:

❍ الفرع الأول: مبررات وجود مركز باحثات:

إن المتأمل للساحة اليوم يجد أنها تَشهَد تغيرات اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، نتيجة للعديد من العوامل والأسباب، التي من خلالها تتم محاولة فرض جملة من التغيرات الفكرية، والسلوكية، والأخلاقية، علىٰ مجتمعنا. ومع اشتداد وتيرة هذه التغيرات، فإن قضية المرأة تقع كأهم مظهر من مظاهر هذه التغيرات. وإن النجاح في إحداث أي زعزعة في هذه القضية، فذلك يعني مباشرةً إخلالًا بالتركيبة الاجتماعية وخصائصها وقيمها الإسلامية، التي اتَّسم بها مجتمعنا خلال تاريخه الماضي.

وبالتالي فإن التعامل مع قضايا المرأة، بشكل موضوعي وعلمي مؤسسي، يعد من المجالات الضرورية الملحة والمهمة، في وقتنا الحالي. ويؤكد تلك الحاجة الملحة عدم وجود مشاريع متخصصة، تُسهم في دعم موقف المرأة، أمام الأخطار الفكرية والثقافية التي تواجهها، إضافةً إلىٰ أهمية معرفة واقع المرأة بشكل علمي، ورصد أهم متغيراته وانعكاساته عليها، وبالتالي استشراف مستقبلها؛ بغرض إبراز الأولويات التي من شأنها تحسين وضع المرأة في مجتمعاتنا انطلاقًا من بحوث ودراسات علمية ترتكز علىٰ الوحيين الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولأن نصيب المرأة من جهود المشاريع المباركة في المجتمع ظل محدودًا لفترة طويلة، في حين أن الفرصة كانت مواتية جدًّا لأن تتركَّز بعض تلك الجهود للتصدي لقضايا المرأة، ومحاولة استباق الأحداث، أو علىٰ الأقل استدراكها.

ونظرًا لخلوِّ الساحة من المشاريع المتخصصة في مجال الفكر، والتوثيق لقضايا المرأة = نشأت فكرة إقامة مركز متخصص يُعنىٰ بهذه القضايا، وتُنشأ من أجلها البحوثُ والدراسات، في مختلف المجالات، وبشتىٰ الوسائل المناسبة. وقد جاء مركز باحثات لدراسات المرأة ليسهم بكل فاعلية -بإذن الله- في التوجيه الإيجابي لقضايا المرأة.

ويُصنَّف المركز علىٰ أنه مؤسسة أهلية غير ربحية، تأسست في منتصف عام ١٤٢٧هـ، وتم افتتاحه بمدينة الرياض، في المملكة العربية السعودية، باسم (مركز باحثات لدراسات المرأة).

ويسهم من خلال أعماله في إعداد البحوث، والدراسات، والاستشارات، في قضايا المرأة الفكرية، والثقافية، والعلمية.

ويُعد أول المراكز المتخصصة، حيث إنه لا يوجد في الوقت الراهن، مراكز متخصصة في قضايا المرأة الدولية، والفكرية، والثقافية، ومعظم مشاريع المرأة السابقة والحالية تركز علىٰ البعد الدعوي والاجتماعي بالدرجة الأولىٰ[1].

❁ سياسات مركز باحثات:

١. المركز مؤسسة مستقلة، يعمل وَفْقَ أساليب العمل المؤسسي، ويبتعد عن الفردية.

٢. يلتزم المركز بحصر أنشطته وبحوثه في القضايا الفكرية والثقافية للمرأة.

٣. يُعنىٰ المركز بقضايا المرأة عمومًا، والمرأة المحلية خصوصًا.

٤. يلتزم المركز في أنشطته بالضوابط الشرعية.

٥. يَعتمد المركز الموضوعية، ويبتعد عن الابتذال، والمهاترات، والمساس بالشخصيات الاعتبارية، أو الذاتية.

٦. يهتم المركز بالمنجَزات العلمية النسائية، المتفقة مع تخصصه وأهدافه؛ تشجيعًا للمرأة لتأخذ دورها الطبيعي في معالجة قضاياها.

٧. يتعاون المركز مع الجهات البحثية، والمؤسسات، ذات الصلة بموضوع المرأة.

٨. يلتزم المركز تُجاه موظفيه بالعمل علىٰ تطوير أدائهم، والسعي بشكل مستمر لرفع مستوىٰ الرضىٰ الوظيفي، وتحفيزهم علىٰ العمل، والمبادرات

(١) نشرة تعريفية صادرة عن مركز باحثات لدراسات المرأة، ينظر موقع باحثات
/http://bahethat.com

الإيجابية.

❁ الفئات المستهدفة:

١. صنّاع القرار.

٢. الباحثون والمهتمون بقضايا المرأة.

٣. مراكز البحوث والدراسات.

٤. المرأة في مجتمعنا.

٥. المؤسسات والجمعيات الحكومية والأهلية المعنية بقضية المرأة.

٦. التواصل والتخاطب مع مراكز البحوث والدراسات الأخرىٰ، والمؤسسات والجمعيات الحكومية والأهلية المعنية بهذه القضايا.

❍ الفرع الثاني: منطلقات مركز باحثات لدراسات المرأة الفكرية:

ينطلق مركز باحثات لدراسات المرأة في عمله من شمولية الدين الإسلامي، والعمل علىٰ تطبيق شرع الله عز وجل من أجل تحسين وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية، انطلاقًا من بحوث ودراسات علمية، ترتكز علىٰ الوحيين، الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وتنطلق من منهج أهل السنة والجماعة، وكان ذلك من خلال تَبَنِّي رؤية تقوم علىٰ "الريادة العلمية في قضايا المرأة".

❍ الفرع الثالث: المنهج الذي يسعى مركز باحثات من خلاله لتحقيق أهدافه:

رسالة المركز تسعىٰ إلىٰ تحقيق التأصيل والمواكبة الواقعية لقضايا المرأة المسلمة المعاصرة والمستقبلية، والسعي إلىٰ الرِّيادة العلمية والثقافية لقضايا

المرأة ذات الأبعاد المحلية والإقليمية والعالمية، والمساهمة في التوجيه الإيجابي لمسارها، وذلك من خلال تقديم الأبحاث، والدراسات، والاستشارات لأصحاب القرار، وذوي الاهتمام، والنساء عامة.

وذلك عن طريق تحقيق الأهداف التالية[1]:

١. أن يكون المركز مرجعية علمية توظف لصالح دعم موقف ونشاطات المرأة.

٢. إيجاد قاعدة بيانات شاملة عن المرأة.

٣. دعم البحث العلمي في مجال المرأة والأسرة.

٤. استشراف مستقبل المرأة ودورها التنموي.

٥. صناعة رأي عام إيجابي تجاه قضايا المرأة.

٦. رعاية الشخصيات النسائية الفاعلة والناشطة في المجتمع، من الناحيتين الفكرية والعلمية.

٧. البحث في الحلول المناسبة لمشاكل المرأة.

❍ الفرع الرابع: الإنجازات التي قدمها مركز باحثات من أجل خدمة قضايا المرأة والأسرة:

يعمل مركز باحثات لدراسات المرأة علىٰ عدة مسارات مختلفة، تخدم قضايا المرأة، ويسعىٰ في هذه المسارات بما يُحقق وحدة تكاملية، ولحمة إسلامية؛

(١) نشرة تعريفية صادرة عن مركز باحثات لدراسات المرأة.

تسعىٰ للحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية؛ وتجلية كل ما يشوب قضايا المرأة، من فكر مستورد يتعارض وتعاليم وأحكام الإسلام، وقد كانت هذه المسارات، بمثابة خارطة الطريق لإنجازات، مركز باحثات لدراسات المرأة، وتطلعاته المستقبلية وهي علىٰ النحو الآتي:

❁ أولًا: مسار البحث العلمي في قضايا المرأة:

يقوم هذا المسار بعدة خدمات من إعداد البحوث والدراسات، وطباعة الكتب، والبحوث، وتقديم الدراسات النظرية والميدانية، وكذلك الإحصاءات، وتقديم خدمات للباحثين، وتنقسم هذه الخدمات في هذا المسار لعدة أقسام:

(١) قسم الدراسات النظرية والميدانية: ومن خدماته:

كان للمركز دورٌ في المشاركة بما يختص بقضايا المرأة بدراسات ميدانية، فكان محطَّ ثقةِ الباحثين والباحثات، وبعض الجهات الحكومية كالمجلس البلدي وبعض الجامعات السعودية، وأهم الدراسات هي:

- إصدار وثيقة عالمية لحقوق المرأة وواجباتها في الإسلام.
- عمل دراسة ميدانية عن "واقع المرأة العاملة في المحلات التجارية".
- "واقع النساء العاملات في المحلات التجارية بمدينة الرياض".. دراسة ميدانية.
- "أثر الإعلام علىٰ قضايا المرأة ".. دراسة استطلاعية/ إعداد مركز باحثات.
- "احتساب المرأة في الأوساط النسائية".. دراسة استطلاعية/ إعداد

مركز باحثات.

- "معوقات تقاضي المرأة في المملكة". دراسة ميدانية/ د. محمد بن سعيد +مركز باحثات.
- "الجدوىٰ التسويقية لإنشاء شركة لتوظيف المرأة عن بعد"/ مركز مراس للاستشارات.
- مدىٰ وعي المرأة السعودية بحقوقها".. دراسة استطلاعية/ إعداد مركز باحثات.
- "واقع المرأة في القطاع الصحي بالمنطقة الشرقية".. دراسة ميدانية/ مركز مراس للاستشارات، إشراف مركز باحثات.
- "واقع العاملات في البسطات في أسواق الرياض".. دراسة ميدانية/ مركز باحثات.
- "واقع المرأة في كل من الرياض، وجدة، وحائل ".. دراسة ميدانية/ إعداد مركز باحثات ١٤٣٥هـ (أربع مجلدات).
- إجراء دراسة ميدانية عن "واقع واحتياجات المرأة في المنطقة الشرقية" ثمان مجلدات.
- **المشاركة بأوراق العمل في الملتقيات والمؤتمرات، ومنها:**

١. المشاركة بورقة عمل في مشروع الرائدة الأسرية المقام لأكاديميات وطالبات جامعة الملك خالد وكليات أبها وخميس مشيط.

٢. المشاركة بورقة عمل في مؤتمر "تحديات ما بعد الربيع" بليبيا.

٣. المشاركة بورقة عمل "إلىٰ أي مدىٰ تؤثر الإعلانات علىٰ سلوكيات المرأة العربية" لملتقىٰ الدوحة بقطر.

٤. المشاركة بورقة عمل لبرنامج "الزواج المبكر والاتفاقيات الدولية"، لبرنامج بوح بنات، بقناة المجد الفضائية.

٥. المشاركة بورقة عمل "الاحتساب في المؤتمرات الدولية" بتركيا.

٦. إعداد ورقة عمل بعنوان" القيم الاجتماعية الليبرالية؛ قيم الأمم المتحدة أنموذجا" بماليزيا.

٧. دراسة إعالة المرأة لعائلتها (الأرامل والمطلقات الفقيرات/ دراسة مسحية).

٨. دراسة مشكلة المسترجلات.

٩. الغزو الفكري للفتيات/ دراسة فكرية تأصيلية.

١٠. دراسة فتيات الملاجئ من الأيتام واللقطاء وواقعهن فيها/ دراسة مسحية.

١١. دراسة الأيام العالمية للمرأة/ دراسة تأصيلية شرعية.

١٢. دراسات استشرافية (ماذا لو): إعطاء صورة متوقعة عن مستقبل المرأة السعودية.

١٣. دراسة ميدانية عن وضع المرأة المسلمة في بعض دول العالم.

١٤. دراسة ميدانية (المرأة في الإعلانات التجارية).

١٥. طرح مسابقات بحوث ودراسات تعالج بعض مشكلات المرأة، مثل:

عمل المرأة، مشكلات الاختلاط، مشكلات الابتزاز.. إلخ.

(٢) خدمات الباحثين ومن خدماته:

- تقديم خدمة علمية يقدمها المركز لكل من لديه استشارات حول القضايا العلمية والبحثية، المتعلقة بقضايا المرأة، كالبحوث الجامعية، وأطروحات الماجستير، والدكتوراه، حيث يقترح عناوين لبعض الموضوعات، ومراجعة الخطط البحثية، وتوفير المراجع والمعلومات.
- تسجيل موضوعات ماجستير ودكتوراه لطالبات الدراسات العليا:

فقد ساهم المركز في تسجيل أكثر من ٥٠ رسالة علمية في قضايا المرأة الثقافية، والتربوية، والعقدية، والدعوية، والفقهية، لطالبات الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرىٰ، وجامعة الملك سعود، وغيرها من الجامعات.

- تحكيم بعض الاستبانات والرسائل العلمية حول المرأة.

(٣) وحدة المعلومات:

ويحوي أكثر من (٨،٠٠٠) ثمانية آلاف كتاب ورقي، و(١٠،٠٠٠) ملف وكتاب إلكتروني متعلق بالمرأة، كما يقوم بحصر وجمع المواقع الإلكترونية المعنية بقضايا المرأة، وقد جمع أكثر من (٣٠) ثلاثين وثيقة واتفاقية دولية متعلقة بالمرأة.

وتعمل هذه الوحدة علىٰ توفير فهارس عدد من المكتبات والمراكز البحثية والرسائل الجامعية، ويسعىٰ المركز إلىٰ الانضمام إلىٰ مشروع (التسجيلة)، وهو

مشروع جبار قامت به مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، مع مكتبة الإسكندرية[1].

(٤) مكتبة المركز:

وهي مكتبة متخصصة في قضايا المرأة، تفيد الباحثين والباحثات، وذوي الاهتمام بمثل هذه القضايا، وتقدم هذه المكتبة خدمات علمية وبحثية متخصصة في قضايا المرأة، تجد فيها المرأة البيئة المناسبة للبحث العلمي، الآمنة بيئيًّا وعلميًّا.

ويهدف مركز باحثات من إنشاء هذه المكتبة لتحقيق جملة من الأهداف العلمية، ومن أهمها:

- إقامة مرجع علمي للباحثين والمهتمين بقضايا المرأة الفكرية والثقافية.
- جمع وحفظ مختلف مصادر المعلومات المختصة بقضايا المرأة الفكرية والثقافية.
- تقديم الخدمات والمساندة وتهيئة البيئة المناسبة للباحثين والباحثات في قضايا المرأة.
- متابعة المستجدات العلمية في قضايا المرأة الفكرية والثقافية، وغيرها من القضايا.
- التعاون والتنسيق مع المكتبات البحثية والمتخصصة في قضايا المرأة،

(١) إدارة مركز باحثات لدراسات المرأة، لمحة في الإنجازات.

الحكومية منها والتجارية[1].

ولكي يحقق المركز تلك الأهداف من المكتبة، عمل الآتي:

١. تشييد المكتبة وفق معايير تتناسب وطبيعة العمل، بمساحة تقدر بحوالي (١٦٠) م٢.

٢. تزويد المكتبة بأكثر من (٨٠٠٠) ثمانية آلاف كتاب عن المرأة.

٣. تكشيف أكثر من (١٦،٠٠٠) ستة عشر ألف مقال عن المرأة.

٤. توفير الأجهزة الحاسوبية لاتصال بالإنترنت، والشبكة الداخلية للمركز.

٥. تهيئة الموقع لإقامة ورش عمل وملتقيات ودورات تدريبية.

٦. جمع أكثر من (٤٢٦،٠٠٠) مادة علمية، وهي علىٰ النحو التالي:

أ. (٤٠٠،٠٠٠) مادة إعلامية عن طريق برنامج الرصد الإعلامي الإلكتروني الخاص بالمركز.

ب. تكشيف المجلات النسائية؛ حيث تم تكشيف أكثر من (١٦،٠٠٠) ستة عشر ألف مقال.

ج. (١٠،٠٠٠) ملف وكتاب إلكتروني.

(١) مركز باحثات لدراسات المرأة، المكتبة المتخصصة لمركز باحثات (دراسة مشروع)،١٤٣٠هـ.

❁ ثانيًا: الاصدارات والمطبوعات:

قام المركز بطباعة وتوزيع مجموعة من الكتب، المعنية بقضايا المرأة، وكذلك مجموعة من الأشرطة، والأقراص المدمجة، المرئية والصوتية، من إصدار المركز، وهي علىٰ النحو الآتي:

- **إصدارات المركز من الكتب:**

١. وثيقة حقوق المرأة وواجباتها الإسلام/ د. إبراهيم بن ناصر الناصر.

٢. الاختلاط في التعليم النشأة والآثار/ أ. إبراهيم بن عبد الله الأزرق.

٣. قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية/ د. فؤاد عبد الكريم آل عبد الكريم.

٤. عولمة المرأة المسلمة.. الآليات وطرق المواجهة/ أ. إكرام بنت كمال المصري.

٥. عولمة قوانين الأحوال الشخصية في مصر/ اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل.

٦. عولمة قوانين الأحوال الشخصية في اليمن/ أ. أنور قاسم الخضري.

٧. عولمة قوانين الأحوال الشخصية في البحرين/ د. عادل بن حسن الحمد.

٨. موسوعة أحاديث المرأة في الكتب الستة/ د. عادل بن حسن الحمد.

٩. عمل المرأة في الفقه الإسلامي/ د. هيلة بنت إبراهيم التويجري.

١٠. مقاومة التغيير في المجتمع السعودي/ د. عبد الله بن ناصر السدحان.

١١. الترويح الناعم.. مجموعة بحوث ميدانية/ د. عبد الله بن ناصر السدحان.

١٢. الإجراءات القضائية في المشكلات الزوجية/ د. حمد بن عبد العزيز الخضيري.

١٣. الإجراءات القضائية في المشكلات المالية/ د. حمد بن عبد العزيز الخضيري.

١٤. أوراق عمل مؤتمر "اتفاقيات المرأة الدولية وأثرها علىٰ العالم الإسلامي/ إعداد مركز باحثات.

١٥. أوراق عمل ندوة "الابتزاز.. المفهوم - الأسباب- العلاج" / إعداد مركز باحثات.

١٦. أوراق عمل "ملتقىٰ المرأة السعودية.. ما لها وما عليها" / إعداد مركز باحثات.

١٧. الآثار الثقافية للاتفاقيات الدولية في مجال الأحوال الشخصية/ معاذ بن عبد الله الربعي.

١٨. الانفتاح الثقافي للفتاة ومسؤولية الأسرة/ ابتسام مبيريك السلمي.

١٩. الثابت والمتغير من أحكام الأسرة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية/ د. يمينة بو سعادي.

٢٠. اتفاقية القضاء علىٰ جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) دراسة نقدية/ د. محمد الطرايرة.

٢١. قضايا المساواة بين المرأة والرجل دراسة نقدية/ أمل بنت عثمان السنيدي.

٢٢. الحريم العلماني الليبرالي.. مقالات وقراءات فكرية/ ملاك بنت إبراهيم الجهني.

٢٣. الانفتاح الثقافي للفتاة ومسؤولية الأسرة/ أ. ابتسام بنت مبيريك السلمي.

٢٤. مفهوم الصحة الإنجابية في المواثيق الدولية – دراسة نقدية في ضوء الإسلام/ أ. مرام زاهد.

٢٥. المؤثرات الثقافية علىٰ المرأة السعودية المعاصرة – دراسة ميدانية لطالبات المرحلة الجامعية في محافظة الطائف / أ. فايزة المالكي.

٢٦. التمكين الاجتماعي والاقتصادي للمرأة السعودية ودورها في التنمية من منظور التربية الإسلامية/ د. ريم الباني.

٢٧. مفهوم النسوية – دراسة نقدية في ضوء الإسلام/ أ. أمل بنت ناصر الخريف.

٢٨. معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة/ د. نهىٰ بنت عدنان القاطرجي.

٢٩. تعزيز الهوية الأنثوية في مواجهة ظاهرة البويات – قصص واقعية وتجارب، وحلول، وحقائق علمية/ د. منال بنت عبد الله زاهد، د. هانم بنت مصطفي محمد، د. أنوار بنت حماد الرشيدي.

٣٠. المرأة في الفكر الشيعي – دراسة عقدية نقدية/ أ. سهىٰ بنت عبد العزيز العيسىٰ.

٣١. أوقاف النساء في بلاد الشام وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي/ أ. شيخة بنت محمد الدوسري.

٣٢. مفهوم الجندر وآثاره علىٰ المجتمعات الإسلامية– دراسة نقدية تحليلية في ضوء الثقافة الإسلامية/ أ. أمل بنت عائض الرحيلي.

٣٣. الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية/ أ. إبراهيم بن تيجان إبراهيم جكيتي.

٣٤. نظرات في المساواة بين الجنسين/ أ. فهد بن محمد الغفيلي.

٣٥. النسوية في ضوء منهج النقد الإسلامي/ د. وضحىٰ بنت مسفر القحطاني.

٣٦. قضية تحرير المرأة في الغرب–أصولها الفلسفية وآثارها علىٰ العالم الإسلامي/ د. إيمان بنت محمد بن عايض العسيري.

٣٧. التأويل النسوي المعاصر في قضايا المرأة الشرعية– دراسة نقدية/ أ. سامية بنت مضحي العنزي.

٣٨. قضايا المرأة في الفكر الليبرالي العربي المعاصر–دراسة نقدية/ د. مضاوي بنت سليمان البسام.

٣٩. المرأة المسلمة حرية تنقلها ومسكنها بين الشريعة الإسلامية واتفاقية سيداو الدولية/ د. ساجدة عتيلي.

٤٠. رؤية الرحالة الأوربيين لأوضاع الحرم السلطاني المغولي في الهند إبان

القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي/ د. صاحب عالم الأعظمي الندوي.

٤١. أحكام حماية المرأة من الإيذاء- دراسة تأصيلية مقارنة/ د. محمد بن بالقاسم بن عبد الله البكري.

٤٢. العقيدة والقيم السلوكية دراسة نظرية تطبيقية علىٰ طالبات المرحلة الثانوية في المملكة/ أ. منيرة الدويش.

٤٣. الأحاديث الواردة في مراعاة مشاعر المرأة جمعًا ودراسة/ أ. شروق الخميس.

٤٤. المنصرات في دول الخليج دراسة عقدية/ أ. سلوىٰ الحمدان.

- **الأقراص المدمجة (المقروءة والمرئية والصوتية):**

١. "المرأة والعمل" إنتاج مقروء.
٢. "المرأة والإعلام" إنتاج مقروء.
٣. "المرأة والابتعاث" إنتاج مقروء.
٤. "العولمة الاجتماعية" مرئي.. قناة المجد/ ساعة حوار ١٤٢٧هـ.
٥. "حقوق المرأة" صوتي.. إذاعة القرآن الكريم/ الرياض ١٤٢٩هـ.
٦. "المرأة والمؤتمرات الدولية" مرئي.. قناة المجد/ ساعة حوار ١٤٣١هـ.
٧. "عمل المرأة.. رؤية واقعية" صوتي، إذاعة القرآن الكريم/ الدمام ١٤٣٢هـ.
٨. "مخاطر دولية تهدد الأسرة" مقروء +صوتي ١٤٣٢هـ.
٩. "المشاركة السياسية للمرأة" مقروء ١٤٣٣هـ.

❁ ثالثًا: البرامج التأهيلية والتدريبية:

إقامة برامج تأهيلية متخصصة في مجالات مختلفة، متعلقة بقضايا المرأة؛ موادها علمية محكمة، ومعززة بمنهجيات مؤصلة؛ لخدمة المرأة في قضاياها المختلفة، ومن هذه البرامج:

١. أيكة: ناد للقراءة مدته يوم واحد، نُفذ ٢٠ مرة، استفادت منه أكثر من ٨٠٠ قارئة.

٢. آلائك: ناد للقراءة للفتيات (١٥-٢٥)، استفادت منه ٥٢ مشتركة.

٣. صناعة الوعي: برنامج توعوي مختص بقضايا المرأة، وموجه للقيادات في الجهات النسائية، مدته أسبوعان/ نُفذ ٢٠ مرة في ٧ محافظات.

٤. برمجيات العقيل: سلسلة شاملة تخدم طالبات الدراسات العليا والباحثات في البحوث العلمية، وذلك من خلال محاضرات في المنهجيات العلمية، يقدمها أ. د. سعود العقيل.

٥. اللقاءات الثقافية: لقاءات شهرية ثقافية فكرية، مع أكاديميين مختصين للحديث عن إحدىٰ الموضوعات ذات العلاقة بالمرأة والأسرة.

٦. حياة: برنامج تأهيل متخصصات في قضايا المرأة، وهو برنامج تعليمي، وتدريبي رائد، يسعىٰ إلىٰ إكساب المرأة البحث، وطرق التفكير الصحيحة، كما يسعىٰ إلىٰ تزويدها بالوعي والفهم اللازمين لإدراك متغيرات الساحة الفكرية، المتعلقة بقضايا المرأة، عبر إعداد عالي المستوىٰ يتم من خلال مستويات تعليمية أربعة تتدرج في دقتها، وتعمقها، بالطريقة التي تضمن للدارسة وصولها إلىٰ مستوىٰ عالٍ من التفكير، ومن التدريب علىٰ الصعيدين: الأكاديمي، والشخصي،

ويقوم علىٰ البرنامج نخبة من المتخصصين، من كلا الجنسين، الذين تم انتقاؤهم بعناية، تتناسب مع حجم البرنامج وأهدافه، مدته سنتان، نُفذ أربع مرات، واستفادت منه ١٠٠ دارسة.

❁ رابعًا: كرسي دراسات المرأة:

وهو عبارة عن برنامج يتم من خلاله طرح العديد من البحوث والدراسات الجامعية في قضايا المرأة، وقد قدم مركز باحثات لدراسات المرأة من خلال اللجان العاملة عبر سبعة اجتماعات، تصورًا متكاملًا حول كرسيٍّ دراسات المرأة في جامعة الملك سعود[1].

❁ خامسًا: البرامج التدريبية وورش العمل والمحاضرات:

حرص المركز علىٰ التوعية المجتمعية، فيما يتعلق بقضايا وشؤون المرأة، وتَبَنَّىٰ المركز العديد من الأنشطة، وأقام أكثر من ٢٤ ورشة عمل، وحلقات نقاشية، ومن أهمها:

١. حقوق المرأة العاملة في الأنظمة السعودية.

٢. حقوق المرأة لدىٰ الجهات العدلية.

٣. دور الجهات النسائية في رفع الوعي بحقوق وواجبات المرأة السعودية.

٤. قضايا المرأة السعودية، بين طرح الإعلام والواقع -الصحافة أنموذجًا-

٥. كيفية مواجهة الشبهات المعاصرة حول قضايا المرأة المسلمة.

(١) مركز باحثات لدراسات المرأة، التقرير السنوي لمركز باحثات لدراسات المرأة، لعام١٤٣١هـ.

٦. الحماية من الابتزاز، بعنوان: (أطلال الحب) في جامعة الملك سلمان بمنطقة الخرج، لطالبات الجامعة.

٧. حلقة نقاشية عن: "اقتراح مشاريع نسائية بنَّاءة".

٨. حلقة نقاشية عن: "المرأة والإعلام".

٩. حلقة نقاشية عن: "المرأة والعمل".

١٠. إقامة برنامج في كيفية إعداد البحث الميداني+الشرعي.

١١. إقامة برنامج كيفية إعداد استبانة، مقدمة للباحثات، ومنسوبات قسم البحث العلمي بالمركز.

١٢. إقامة برنامج حول الحماية القانونية للمرأة.

١٣. إقامة المئات من المحاضرات المتعلقة بقضايا المرأة، في المؤسسات النسائية والصالونات الثقافية؛ داخل وخارج المملكة.

❁ سادسًا: مسار المؤتمرات الملتقيات والمحافل الدولية والمحلية:

عمد مركز باحثات لإقامة مؤتمرات وملتقيات أو المشاركة فيها ومن هذه الملتقيات:

١. إقامة مؤتمر "اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية، وأثرها علىٰ العالم الإسلامي" في البحرين ١٤٣١هـ.

٢. إقامة ندوة "الابتزاز.. المفهوم. الأسباب. العلاج"، بالتعاون مع قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض ١٤٣٢هـ، (بحضور قارب ٦.٠٠٠ طالبة، وعضوات هيئة تدريس).

٣. إقامة ملتقىٰ "المرأة السعودية.. ما لها وما عليها" في الرياض ١٤٣٣هـ، (بحضور قارب ٣٥٠٠ امرأة ورجل، علىٰ مدىٰ يومين).

٤. إقامة "الملتقىٰ التأسيسي لرابطة المنظمات النسائية الإسلامية العالمية" في تركيا ١٤٣٤هـ، حضرته ٧٧ منظمة، من ٢٧ دولة إسلامية، وغير إسلامية.

٥. إقامة ملتقىٰ "المرأة السعودية.. ما لها وما عليها" الملتقىٰ الثاني المرأة العاملة.. حقوق وواجبات، في الرياض ١٤٣٥هـ، (بحضور تجاوز ٣٥٠٠ امرأة ورجل، علىٰ مدىٰ يومين).

❁ سابعًا: إقامة الملتقيات والندوات الثقافية والعلمية حول قضايا المرأة داخل المركز، ومنها:

١. ملتقىٰ "ماذا تريد المؤتمرات الدولية من المرأة؟".

٢. ملتقىٰ "واقع المرأة السعودية".

٣. ملتقىٰ "التغيرات والنوازل الجديدة في قضية المرأة، وكيفية التعامل معها".

٤. ملتقىٰ "قضايا التمريض والممرضات".

٥. ملتقىٰ "المرأة والاحتساب".

٦. ملتقىٰ "التقارير الدولية عن المرأة السعودية".

٧. ملتقىٰ "حماية المرأة من سلبيات العولمة الاجتماعية".

٨. ملتقىٰ "صناعة الوعي بقضايا المرأة الثقافية".

❁ ثامنًا: الاستشارات المتعلقة بكل ما يخص قضايا المرأة:

يقدم المركز استشارات متخصصة، علىٰ أيدي متخصصين ومتخصصات في قضايا المرأة الفكرية، ويقدم هذه الخدمات للمهتمين والمهتمات، محليًّا ودوليًّا؛ ليسعد بعقد شراكات علمية وعملية مختلفة، تهدف إلىٰ تعزيز ودعم جودة هذه المسارات، عبر وسائل حديثة تخدم مجالات المرأة الفكرية، ومن ذلك:

١. تأسيس خط استشارات دولي ومحلي.

٢. تقديم خدمات استشارية، لمراكز تأهيلية تخدم قضايا المرأة.

❁ تاسعًا: العلاقات العامة:

ويعمل هذا المسار علىٰ تفعيل العلاقات، من خلال برامج متعددة، منها علىٰ سبيل المثال:

١. الشراكات: فللمركز عدة شراكات مع جهات حكومية، وخاصة، وأهلية، تسعىٰ إلىٰ تقديم الخدمات المجتمعية، في مجال اهتمام المركز وتخصصه.

٢. العضوية: منح المركز العديد من الشخصيات النخبوية النسائية، عضوية المركز، إيمانًا منه بمبدأ إتاحة الفرصة، للمساهمة في مجالات التوعية الفكرية، وقد انضمت إلىٰ برنامج العضوية مجموعة من المهتمات بقضايا المرأة من داخل المملكة وخارجها.

٣. التطوع: فتح المركز المجال للتطوع في مواضيع وقضايا المرأة، وكذلك التطوع عبر مختلف مساراته، إيمانا منه بمبدأ المواكبة في المساهمة بمجالات التوعية الفكرية، وقد انضمت إليه مجموعة من المتطوعات، المهتمات بقضايا

المرأة، يتجاوز عددهن (١٠٠٠) متطوعة.

❁ عاشرًا: مسار الإعلام:

١. الموقع الإلكتروني: وهو موقع علىٰ الإنترنت، يُعرِّف بأنشطة المركز، ويتيح التواصل بينه وبين المفيدين والمستفيدين؛ إتمامًا لدوره ورسالته للنهوض بالقضايا الفكرية للمرأة السعودية.

ويعمل مركز باحثات حاليًا علىٰ إتمام مشروع الموقع، من خلال تغذية الروابط بالمواد العلمية المناسبة، وتقديم الأفكار الرشيدة في مختلف قضايا المرأة الفكرية، وعدد زوار المركز تجاوز، ولله الحمد، (٧،٠٠٠،٠٠٠) زائرة. ويتميز الموقع بثرائه في مجال تخصصه، ويحتوي علىٰ جملة من النوافذ والروابط المتعلقة بطبيعة المركز.

والموقع الإلكتروني يمثل للمركز أهمية كبيرة، ويظهر هذا من خلال الأمور التالية:

- أنه يمثل الواجهة التعريفية للمركز، ومن خلاله يتعرف المهتمون عليه.
- التواصل بين الباحثين والمستفيدين من خدمات المركز أينما كانوا، وفي شتىٰ أنحاء العالم.
- المرجعية العلمية للقضايا الفكرية للمرأة السعودية خصوصًا، والمرأة في العالم عمومًا.

٢. باقة صوتها: وهي خدمة مجانية عبر برنامج (الواتساب)؛ لنشر الثقافة الحقوقية الخاصة بالمرأة، والتعريف بأهم قضاياها، وتصحيح الأخطاء التي تثار حولها علىٰ مستوىٰ العالم، عبر رسائل مختارة، بإشراف علمي، عن طريق لجان

متخصصة في قضايا المرأة، وقد تم إرسال أكثر ١٢٠٠ رسالة علىٰ مدىٰ سنتين، لأكثر من ١٠.٠٠٠ مستهدفة من دول العالم.

٣. برنامج وارفة: هو برنامج مجلة تلفزيونية متخصصة في مجال المرأة، يعرض علىٰ قناة المجد الفضائية، ناقش عددًا من قضايا المرأة الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والتربوية، والاقتصادية؛ بأساليبَ متنوعةٍ وجاذبة، وعرض جديد يتسم بالموضوعية والإيجابية.

ومن البرامج الإعلامية التي يسعىٰ المركز لإعدادها:

- برنامج تلفزيوني: عبارة عن مجموعة من المشاهد، والصور، واللقطات، التي توضع في قالب محدد، يعالج جميع جوانب الفكرة، أو الهدف المطلوب، في مدة زمنية محددة وبأساليب متنوعة، يعتمد علىٰ الإبداع في العرض، وحسن اختيار المحتوىٰ.

- أطروحات فكرية: برنامج حواري، تطرح فيه الدراسات والمؤتمرات، المتعلقة بقضايا المرأة الفكرية.

- برنامج أسري توعوي: يتضمن فقرات، متعلقة بمراحل الأسرة، كل فقرة تهتم بجانب وقائي تربوي، يُقدَّمُ في قوالبَ مختلفةٍ.

٤. إعداد ملاحق صحفية، ترصد أهم الفعاليات والمناسبات النسوية، مع بيان الموقف الشرعي منها.

٥. تنظيم حملات إعلامية توعوية؛ مواكبة للأحداث.

❁ الحادي عشر: مسار التطبيقات والإعلام الجديد:

المركز له مواكبة لوسائل التواصل الحديثة؛ فقد سعىٰ أن يقدم خدماته للمهتمين، والمهتمات من خلال برامج التواصل؛ للاستفادة من مواده المطروحة، بشكل ميسر، عبر البرامج التالية: (فيس بك/facebook، تويتر/twitter، تلجرام/telegram، يوتيوب/youtube، إنستغرام/ Instagram، سناب شات/Snapchat). وعلىٰ سبيل المثال، فقد افتتح المركز قناة اليوتيوب، الخاصة به، بتاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠١١؛ لتكون مرجعًا علميًا لكل مهتم بقضايا وشؤون المرأة، وبلغت مقاطع القناة منذ نشأتها ١١١ مقطعًا، شاهدها أكثر من ١٢٥،٠٠٠ مشاهد.

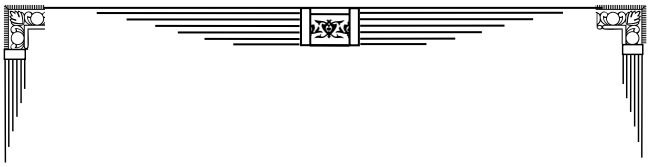

فهرس المراجع والمصادر

١. الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، مراد هوفمان، نسخة منشورة.

٢. التقرير السنوي لمركز باحثات لدراسات المرأة، لعام١٤٣١هـ.

٣. جريدة الرياض: الأحد ٢٤ صفر ١٤٣٤ هـ - ٦ ينابر ٢٠١٣م - العدد ١٦٢٦٧.

٤. الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ومسيرتها المباركة - إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الأمانة العامة للمجلس الأعلىٰ للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - ١٤١٩هـ.

٥. الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وجهودها في المملكة العربية السعودية، بدر البدر، نسخة إلكترونية منشورة.

٦. العمل الخيري، خلفية نظرية حول المفهوم، خديجة عرفة، نسخة إلكترونية، ورقة عمل.

٧. القطاع الثالث والفرص السانحة، دراسة اجتماعية، محمد السلومي، دراسة اجتماعية منشورة، توزيع العبيكان.

٨. لسان العرب؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ الطبعة الأولىٰ؛ دار صاد - بيروت.

٩. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني-بيروت-١٩٨٢م.

١٠. المكتبة المتخصصة لمركز باحثات (دراسة مشروع)،١٤٣٠هـ.

١١. ملامح المستقبل، محمد الأحمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٦ه.

١٢. نشرة تعريفية عن إدارة مركز باحثات لدراسات المرأة، لمحة في الإنجازات.

المواقع الإلكترونية:

١. الموقع الرسمي للهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية:

http://www.jhco.org.jo/default.aspx

٢. الموقع الرسمي لمؤسسة الخيرية الملكية في البحرين:

https://www.rco.gov.bh/ar

٣. موقع باحثات http://bahethat.com/

٤. موقع جمعية الرحمة العالمية:

https://www.khaironline.net/default.aspx

٥. موقع جمعية العون المباشر:

https://direct-aid.org/donate/ar/

٦. موقع رابطة العالم الإسلامي:

http://www.themwl.org/web /

٧. موقع مؤسسة البصر الخيرية، يراجع الرابط:

http://www.al-basar.com/site/activities

٨. موقع مؤسسة العنود الخيرية، يراجع الرابط:

http://www.alanood.org.sa/Ar/Pages/home.aspx

٩. موقع مؤسسة الملك فيصل الخيرية:

http://www.kff.com/ar/

١٠. موقع مؤسسة حسن شربتلي، يراجع الرابط:

.http://www.hasfound.org/ar/programs

١١. موقع مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، يراجع الرابط:

https://www.asrhc.com/?page_id=118

١٢. موقع مؤسسة محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي الخيرية:

/https://sf.org.sa

١٣. موقع هيئة الإغاثة والرعاية والتنمية، يراجع الرابط:

/http://www.egatha.org/portal

العمل الخيري وأثره في مكافحة الفساد الفكري

دراسة تأصيلية تطبيقية

إعداد

الدكتور: يوسف فاوزي

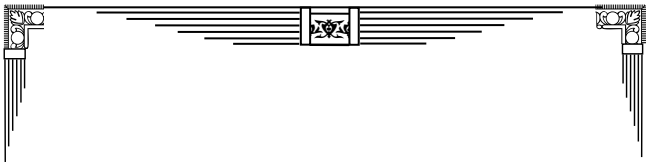

ملخص البحث

يسلط هذا البحث الضوء علىٰ قضية الفساد الفكري المشوه للعقيدة الإسلامية الصافية، والضامنة لنقاء فكري إسلامي يرتكز علىٰ سمة الوسطية والاعتدال، وهو فساد له آثاره السلبية في الفرد والمجتمع، وهو أداة هدم للأمة من داخلها.

وعليه يقدم البحث تشخيصا لهذا الفساد، تأصيلا لمفهومه ومشروعية مكافحته في الشريعة الغراء، وببيان أسباب ظهوره في الأمة وصوره في القديم والحديث، مع إبراز دور العمل الخيري في الوقاية منه ابتداء ثم معالجته ثانيا.

كما يقترح صاحب البحث خطوات عملية تطبيقية تلمس جوانب رئيسة في حياتنا اليومية المعاصرة، ببيان مدىٰ إسهامها في مكافحة هذا الفساد عن طريق عمل خيري تطوعي يتوخىٰ مرضاة الله سبحانه، وإنقاد عقول المسلمين لا سيما الشباب منهم من هذه الآفات الفكرية السقيمة.

ومما يتميز به هذا البحث تقديم رؤية تصورية لمدىٰ إسهام وسائل التواصل الاجتماعي في مواجهة الفساد الفكري، واتخاذها أعمالا خيرية مبنية علىٰ المبادرات التطوعية الهادفة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من فضل الله علىٰ عباده أن عدد لهم أبواب الخير، ورغبهم في طرقها، ورتب سبحانه علىٰ ذلك الجزاء الأوفىٰ في الدارين، وجعل هذا الخير في كل مجالات حياة الأمة، ومن هذه الميادين حفظ عقيدة الإسلام والذود عنها، ودرء كل ما يشينها من الأفكار الدخيلة الفاسدة.

ورغبة مني في بيان هذا الأمر، وقع اختياري علىٰ موضوع " **العمل الخيري وأثره في مكافحة الفساد الفكري دراسة تأصيلية تطبيقية**".

❁ دوافع اختيار الموضوع:

-ارتباطه بعلم العقيدة أس دين المسلم وأول دعوة الأنبياء والرسل.

-الرغبة في لفت انتباه الباحثين والدارسين إلىٰ أهمية تحصين فكر المسلمين من الفساد عن طريق العمل الخيري.

-كثرة انتشار الأفكار الفاسدة ونتائجها الوخيمة علىٰ الفرد والمجتمع.

❁ منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة علىٰ المنهج الاستقرائي للمادة العلمية من النصوص الشرعية قصد التأصيل لمكافحة الفساد في شريعتنا الغراء، ثم المنهج

التحليلي للنصوص لبيان أثر الفساد الفكري في الأمة، وتوظيف هذه المادة العلمية في المجال التطبيقي المعاصر.

❁ الدراسات السابقة:

بعد إجرائي لبحث حول الدراسات السابقة تبين لي شح الدراسة في هذا الباب، فكل الدراسات منصبة حول العمل الخيري في جانبه المادي، لكن يستفاد من هذه الدراسات في الجانب التأصيلي الشرعي للعمل الخيري بصفة عامة.

❁ القيمة المضافة في هذه الدراسة:

تتميز هذه الدراسة بكونها تسلط الضوء علىٰ قضية إدماج العمل الخيري في مكافحة الفساد الفكري، وهو المجال غير الملموس، واقتراح وسائل أضحت لصيقة بحياتنا اليومية وهي وسائل التواصل الاجتماعي، وإلىٰ أي مدىٰ يمكن لهذه الوسائل أن تحقق الأمن الفكري لهذه الأمة.

❁ خطة الدراسة:

انتظمت هذه الدراسة بتوفيق الله سبحانه في مقدمة، ومبحث تمهيدي، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

فأما المقدمة: فكانت لبيان دوافع اختيار الموضوع ومنهج دراسته، والدراسات السابقة فيه، والقيمة المضافة فيه، الخطة الموضوعة له، وهي التي نحن الآن بصددها.

وأما المبحث التمهيدي: فكان للتعريف بمصطلحات الدراسة وهي: العمل الخيري، المكافحة، الفساد الفكري.

وأما المبحث الأول: ففيه التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد، وفيه مطلبان:

الأول للتأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من القرآن الكريم، و**الثاني**: للتأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من السنة النبوية.

وأما المبحث الثاني: فلبيان أثر الفساد الفكري في الأمة الإسلامية بين الماضي والحاضر، وفيه مطلبان:

الأول :لبيان نشأة الفساد الفكري في العهد الأول،

والثاني: لبيان الفساد الفكري في العصر الحاضر.

وأما المبحث الثالث: فكان لبيان أثر العمل الخيري في مكافحة الفساد الفكري المعاصر، وفيه مطلبان:

الأول: لبيان أثر العمل الخيري في الوقاية من الفساد الفكري، **والثاني:** في بيان أثره في المعالجة منه.

وأما الخاتمة: فكانت لأهم النتائج المتوصل إليها مع التوصيات.

ثم ذيلت الموضوع بفهرس للمصادر والمراجع المعتمدة في تحرير مادته العلمية.

هذا ما وفقني الله لجمعه ووضعه، فإن يكن صوابا فبتوفيق من الله، وإن يكن غير ذلك فمني ومن الشيطان، والله الموفق لا رب سواه.

د. ، كلية الشريعة، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.

المبحث التمهيدي

وفيه التعريف بمصطلحات البحث

يجدر بنا قبل الدخول في صلب البحث التعريف بمصطلحاته المقيمة لقضاياه وأفكاره، وهي: العمل الخيري، المكافحة، الفساد الفكري.

❁ المطلب الأول: التعريف بمصطلح العمل الخَيري:

أ) <u>تعريف العمل لغة واصطلاحا:</u>

- **<u>العمل في اللغة</u>**: قال ابن فارس العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل[(١)].

والعامل مفرد العمال وهم السعاة الَّذين يَأْخُذُونَ الصدقات من أربابها، قَالَ الله تَعَالَىٰ فِي آيَة الصَّدقَات: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠] ، واستعمل فلان إذا ولي عملا من أعمال السلطان. ويقال: أعمل فلان ذهنه في كذا وكذا إذا دبره بفهمه. وعمل فلان العمل يعمله عملا فهو عامل[(٢)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٤/ ١٤٥).

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م (٢/ ٢٥٥).

وتقول العرب فلان ابن عمل إذا كان قويًا عليه[١]، ويقال للذين يعملون بأيديهم في طين وبناء ونحوه: العملة[٢]، ورجل عمل بكسر الميم، أي مطبوع علىٰ العمل. ورجلٌ عَمولٌ. واليَعْمَلَةُ الناقة النجيبة المطبوعة علىٰ العمل[٣].

وكل هذه التعاريف تدور حول معنىٰ الفعل المعمول الدال علىٰ الحركة والنشاط حسيا كان أو معنويا.

- **تعريف العمل اصطلاحا**: أما من الناحية الاصطلاحية فإن العمل يطلق ويراد به المهنة والفعل[٤]، والعمل لا يقال إلا فيما كان عن فكر وروية[٥].

وجاء تعريف العمل في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنه ممارسة نشاط والقيام بجهد للوصول إلىٰ نتيجة معينة[٦].

---

(١) أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (١/ ٦٧٨).

(٢) نفسه (١/ ٦٧٩).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م (٥/ ١٧٧٥).

(٤) ينظر: الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت. (ص:٦١٦).

(٥) نفسه (ص:٦١٦).

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٢/ ١٥٥٤).

وعليه يمكن لنا القول بأن العمل هو مجهود ونشاط فكري وجسدي للوصول إلىٰ هدف مادي أو معنوي.

ب) **تعريف الخيري لغة واصطلاحا:**

- **تعريف الخيري لغة:** من الخير وهو ضد الشر، قال ابن فارس الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير: خلاف الشر لأن كل أحد يميل إليه ويعطف علىٰ صاحبه، والخيرة: الخيار، والخير: الكرم، والاستخارة أن تسأل خير الأمرين لك[(١)].

والخيري الفائقة فِي الْخَيْر[(٢)]، ويقال للخزامىٰ خيري البر لأنه أذكىٰ نبات البادية ريحا[(٣)].

- **تعريف الخيري اصطلاحا**: يقصد بالخيري كل ما يهدف إلىٰ عمل الخير بدون مقابل مادي[(٤)].

- **تعريف العمل الخيري باعتباره لقبا**: أما المقصود بالعمل الخيري باعتباره لقبا، فإننا لن نجد في القواميس والمعاجم اللغوية تعريفا له، فهو مصطلح سائر

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٢).

(٢) إكمال الأعلام بتثليث الكلام، لمحمد بن عبد الله الجياني، (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرىٰ – مكة المكرمة – المملكة السعودية الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م (١/ ١١).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية بيروت (١/ ١٨٥).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧١٢).

علىٰ ألسنة المعاصرين، لكن ثمة بعض الباحثين رام تعريف هذا المصطلح بما يراه كفيلا ببيان ماهيته، فمما ورد في تعريفه:

أنه (عمل يشترك فيه جماعة من الناس لتحقيق مصلحة عامة، وأغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية، بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو اغاثي، بطرق الرعاية أو المعاونة ماديا أو معنويا داخل الدولة وخارجها من غير قصد الربح لمؤسسيها، سواء سمي إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أو هيئة أو منظمة خاصة أو عامة)[1].

ويلاحظ علىٰ هذا التعريف طول عبارته، والمحمود في التعاريف الاختزال بدل الإطالة، وإن كان قد أحاط بجوانب العمل الاجتماعي وأهدافه.

ومن التعاريف الموجزة الجامعة (كل مال أو جهد أو وقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم)[2].

وعليه فالعمل الخيري هو عمل تطوعي غير ربحي يهدف إلىٰ إيقاع الخير وتحقيق إسعاد الناس، غير أنه يلاحظ علىٰ التعريفين أعلاه عدم تقييد مقصد هذا العمل، فهل هو مجرد إيقاع للخير؟ أم هو عمل إنساني محض كما نسمعه كثيرا في لغة الإعلام المعاصر؟

(١) ينظر: المعجم الإسلامي للجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، أشرف طه أبو الدهب، دار الشروق، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٢م، (ص:٥٢٨).

(٢) ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط.١، ٢٠١٢م، (ص:١٢).

إن أي عمل ينطلق من منظور شريعتنا الغراء يكون مقصده الأول والأخير وجه الله سبحانه، وهو مقصد كفيل بضمان نجاح العمل وبركته، فضلا عن النوال في الآخرة، وهذا يجعلنا نضيف قيدا مهما علىٰ التعريفين وهو (ابتغاء وجه الله تعالىٰ).

ومن المصطلحات المرادفة للعمل الخيري:

العمل التطوعي، العمل الإغاثي، العمل التنموي، العمل التكافلي، العمل الإنساني، القطاع الثالث، القطاع غير الربحي، القطاع المعفي من الضرائب[1].

❁ المطلب الثاني: تعريف مصطلح المكافحة:

أ) <u>تعريف المكافحة لغة:</u>

أما المكافحة فهي من كفح، قال الزمخشري (كافحه: لاقاه مواجهة عن مفاجأة، ولقيته كفاحًا، وكافحوهم في الحرب: ضاربوهم تلقاء الوجوه)[2].

فالمكافحة بمعنىٰ المواجهة والمنافحة والمضاربة، وهدا المعنىٰ اللغوي ينسجم كثيرا مع المعنىٰ الاصطلاحي.

---

(١) ينظر: العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، محمد إبراهيم عليان، رسالة ماجستير، قسم اقتصاديات التنمية، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م (ص:٥٠).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١٤١).

ب) **تعريف المكافحة اصطلاحا**:

لن نجد تعريفا للمكافحة في اصطلاح أهل المذاهب الفكرية، وإذا أردنا صياغة تعريف له؛ فإن الانطلاق سيكون من التعريف اللغوي الذي يدور حول معنىٰ المجابهة والمنافحة، ليكون المعنىٰ في الاصطلاح هو مواجهة ما يمس جناب الشريعة أصولا وفروعا، وإذا أردنا مزيدا من التدقيق والحصر في دائرة ما هو فكري، فإن معنىٰ المكافحة هنا هو: مواجهة الأفكار الفاسدة المناقضة للعقيدة السليمة.

❁ المطلب الثالث: تعريف مصطلح الفساد الفكري:

أ) **تعريف كلمة الفساد لغة**: الفساد من فسد يفسد فسادا وهو نقيض الصلاح، والمفسدة ضد المصلحة[1]، قال سبحانه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

ب) **تعريف كلمة الفساد اصطلاحا**: أما من حيث الاصطلاح فيراد بالفساد في بابه الفكري والعقدي (ما يناقض أصول الفكر السليم والعقيدة الصحيحة)، فكل ما يؤدي إلىٰ عكسهما ويؤثر سلبا في الفرد والمجتمع فهو داخل في مسمىٰ الفساد هنا.

(١) ينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦ه)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، (ص:٢٣٩).

❁ المطلب الرابع: تعريف مصطلح الفكري:

أ) **تعريف مصطلح الفكري لغة**: الفكر من التفكر وهو تردد القلب في الشيء، ورجل فكير كثير الفكر[1].

ب) **تعريف مصطلح الفكري اصطلاحا**: أما في الاصطلاح فالفكر أو التفكر هو (ترتيب أمور معلومة للتأدي إلىٰ مجهول)[2]، وهذه العلمية تحتاج إلىٰ إعمال العقل والنظر في الأمور والمعطيات ونتائجها.

ت) **تعريف مصطلح الفساد الفكري باعتباره لقبا:**

أما "الفساد الفكري" فاستناد إلىٰ تعريفنا السابق للمصطلحين الفساد والفكر، نخلص لتعريف جامع له فنقول: الفساد الفكري هو (كل ما يؤدي إلىٰ اعوجاج في فكر وعقيدة المسلم، ليجعل منه عامل هدم وتهديد للفرد والمجتمع).

وبعد هذا المبحث التمهيدي التعريفي بمصطلحات البحث ننتقل الآن بعون الله إلىٰ الجانب التأصيلي لمكافحة الفساد في شريعتنا الغراء.

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦).

(٢) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (المتوفىٰ: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط،١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص:١٦٨).

المبحث الأول

التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد

وفيه مطلبان

❁ **المطلب الأول :التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من القرآن الكريم**

❁ **المطلب الثاني: التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من السنة النبوية**

المبحث الأول
التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد

جاءت الشريعة الغراء بصلاح العقول، لتكون الفهوم سليمة الفكر والنظر، مسددة للقول والفعل، وعليه جعل العقل مناط التكليف، فكانت نصوص الوحيين مصححة للفكر منافحة لكل لوثة فاسدة تزحزحه عن الصراط السوي، وفيما يلى تأصيل شرعى لمكافحة الفساد الفكري من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

المطلب الأول

التأصيل الشرعي
لمكافحة الفساد من القرآن الكريم

جعل القرآن الكريم من مكافحة الفساد قضية جوهرية فيه، فسادا فكريا عقديا كان، أو سلوكيا، أو ماليا، أو غير ذلك من مظاهر الانحراف عن الجادة، قال سبحانه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦] ، قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله في تفسيره للآية (ألفاظ عامة تتضمن كل إفساد قلّ أو كثر بعد إصلاح، قل أو كثر، والقصد بالنهي هو علىٰ العموم وتخصيص شيء دون شيء في هذا تحكم إلا أن يقال علىٰ وجهة المثال... وقال بعض الناس: المراد ولا تشركوا في الأرض بعد أن أصلحها الله ببعثة الرسل وتقرير الشرائع ووضوح ملة محمد ﷺ، وقائل هذه المقالة قصد إلىٰ أكبر فساد بعد أعظم صلاح فخصه بالذكر)[1].

كما أنكر سبحانه علىٰ من تلبس بلباس الإصلاح وهو في حقيقته من المفسدين فقال سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ (٢/ ٤١٠).

﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١١-١٢]، ويستفاد من الآية الكريمة النهي عن الفساد وعن تولي الإصلاح من غير أهله لأنه من سبل الفساد.

ووصف لنا القرآن الكريم مكافحة الأنبياء للفساد في الأرض، من ذلك قول شعيب عليه السلام لقومه ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود:٨٥]، فجعل الغش في الميزان فسادا في الأرض لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل وإشاعة العداوة بينهم، قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية (بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض)[(١)].

كما رغب سبحانه في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محاربة للفساد، فقال سبحانه ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦]، يقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره للآية (والمعنىٰ فهلا كان في تلك الأمم أصحاب بقية من خير فنهوا قومهم عن الفساد لما حل بهم ما حل. وذلك إرشاد إلىٰ وجوب النهي عن المنكر)[(٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، (٩/ ٨٦).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤، (١٢/ ١٨٢).

ولذلك جعلت مهمة مكافحة الفساد مهمة الأنبياء والمرسلين، فهدىٰ نبي الله صالح عليه السلام ينهىٰ قومه عن الفساد في الأرض فيقول ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] ، وكذلك شعيب عليه السلام ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود:٨٥].

وإن أعظم مظهر من مظاهر مكافحة القرآن للفساد وأهله أن صرح ببعدهم عن محبة الله، وفي هذا ردع لمن خاف مقام ربه، وأي خسارة أفظع من فقدان محبته سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧] ، فمن فقد هذه المحبة فقد خسر الربح كله، ولم يوفق لا في دنياه ولا في أخراه، نسأل الله السلامة والعافية[1].

هذا عن مكافحة الفساد في القرآن الكريم، أما في السنة النبوية فالشواهد فيها دالة أيضا علىٰ هذا الأمر، والمطلب الموالي موضح لهذا الأمر.

(١) ينظر: الفساد والإفساد في ضوء آيات الكتاب، لعبد الرحمن جميل قصاص، المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، الرياض ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، (ص:١٨).

المطلب الثاني

التأصيل الشرعي
لمكافحة الفساد من السنة النبوية

في الوحي الثاني السنة النبوية أمر بمكافحة للفساد بشتىٰ أنواعه ومنه الفكري علىٰ وجه الخصوص[1]، ولقد سلك النبي ﷺ في هذا الباب منهجا يتسم تارة بالتحذير لبث الوازع الإيماني لدىٰ الصحابة وباستئصاله حال وجوده تارة أخرىٰ.

أ) المنهج التحذيري:

ففي المنهج الأول التحذيري، جاءت أحاديث كثيرة يحذر فيها ﷺ من الفساد، لتكون أمته علىٰ بينة منه.

فمنها تحذيره ﷺ من فساد القلب، وهو مركز الجسد وجوارحه، فعن النعمان بن بشير رضي الله هنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقىٰ المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعىٰ حول الحمىٰ، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمىٰ، ألا إن حمىٰ الله في أرضه محارمه، ألا وإن في

(١) وسنخصص الحديث بمشيئة الله عن الفساد الفكري بشيء من التفصيل في معرض الحديث عن هذا النوع من الفساد في تاريخ الأمة ضمن المطلب الأول من المبحث الثاني.

الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب »[1].

قال ابن القيم رحمه الله (فهو أي القلب ملكها، وهىٰ المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتىٰ تصدر عن قصده ونيته، وهو المسؤول عنها كلها "لأن كل راع مسؤول عن رعيته" كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولىٰ ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون)[2].

ولأن الفساد مظنة خراب البيوت وضياع الحقوق، فقد حذر عليه الصلاة والسلام منه حتىٰ ولو كان في باب الصدقة والإنفاق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا»[3]، وإنفاق المرأة من مال زوجها دون علمه أو بإسراف، فساد مفسد للعلاقة الزوجية مؤذن بزوالها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (رقم:٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (رقم: ١٥٩٩).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، (١/ ٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدق غير مفسد (رقم١٤٣٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين، والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي (رقم١٠٢٤).

وحذر ﷺ من تتبع الريبة بين الناس لما تسببه فيهم من فساد، فعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت من النبي ﷺ كلاما نفعني الله به؛ سمعته يقول- أو قال-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنك إذا اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم»، فإني لا أتبع الريبة فيهم فأفسدهم[1].

قال المناوي رحمه الله (لوقوع بعضهم في بعض، بنحو غيبة، أو لحصول تهمة لا أصل لها، أو هتك عرض ذوي الهيئات المأمور بإقالة عثراتهم، وقد يترتب علىٰ التفتيش من المفاسد ما يربو علىٰ تلك المفسدة التي يراد إزالتها، والحاصل أن الشارع ناظر إلىٰ الستر مهما أمكن والخطاب لولاة الأمور ومن في معناهم)[2].

ب) المنهج الاستئصالي:

أما المنهج الثاني، وهو الاستئصالي، فثمة شواهد تدل عليه، منها قضاؤه ﷺ في شأن الدواب المفسدة للزرع، فعن حرام بن محيصة عن أبيه (أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدت فيه، فقضىٰ رسول الله ﷺ علىٰ أهل الأرض حفظها بالنهار وعلىٰ أهل المواشي حفظها بالليل)[3].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم٢٤٨).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرىٰ، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٥٦، (١/ ٥٥٩).

(٣) رواه مالك في الموطأ (رقم:٦٠٣)، وأحمد (رقم:٢٣٦٩١)، وأبو داود، كتاب الإجارة، باب المواشي تفسد زرع قوم (رقم:٣٥٦٩)، والبيهقي في السنن (رقم:١٧٢٨٩)،وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١/ ٤٧٧).

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة علىٰ هذا المسلك النبيل في مكافحة الفساد داخل الأمة، لتكون نقية صافية من كل علة سوء هادمة لكيانها مشتتة لجماعتها.

هذا من حيث بيان التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد في القرآن والسنة، ويجدر بنا الآن التعرف علىٰ مظاهر الفساد الفكري في أمتنا قديما وحديثا، للوقوف علىٰ جذوره قبل الخوض في طرق استئصاله.

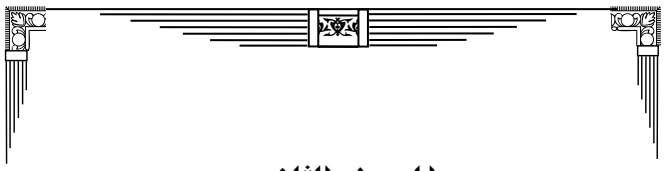

المبحث الثاني

الفساد الفكري في الأمة الإسلامية بين الماضي والحاضر، وفيه مطلبان

إن إفساد فكر بنى آدم وإخراجه من الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها سنة كونية في الخليقة، صراع بين الخير والشر قديما وحديثا، ومعرفة منشأ الأمور معين علىٰ معرفة أطوارها وأبعادها في المستقبل، وكفيل في الحذر منها، وعليه يأتي هذا المبحث لبيان الفساد الفكري في هذه الأمة في العهدين الأول والحاضر.

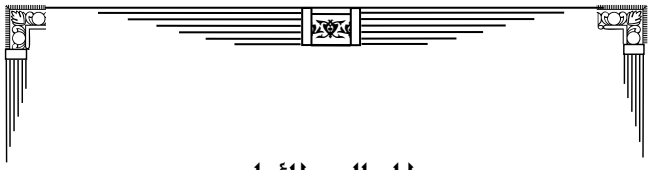

المطلب الأول

الفساد الفكري في العهد الأول

والمقصود بالعهد الأول هو عهد النبوة، ومن بعده عهد الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم عهد التابعين وأتباعهم وأتباع الأتباع، فهى القرون الأولىٰ المفضلة في هذه الأمة، وهي النموذج الأمثل في الاقتداء الفكري.

وإن القضية الأولىٰ التى لأجلها بعث المصطفىٰ ﷺ إصلاحا لفساد فكر البشرية في عصره هى قضية الشرك بالله، ولقد نزل القرآن الكريم أول ما نزل في مجتمع جاهلى فاسد الفكر، وفساد فكره كان في عقيدته بالله، وأي فساد أعظم من فساد العقيدة؟؟؟، فكانت محاربة هذا الفساد وتصحيحه قطب رحىٰ القرآن الكريم من فاتحته إلىٰ آخره، وكانت دعوته صريحة في تصحيح هدا الفكر المعوج، قال سبحانه ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام:١٩].

ومن مظاهر الفساد الفكري التى حذرت منها الشريعة في مجال العقيدة في هذه الفترة:

أ)**التشبه بالأمم الأخرىٰ في فسادهم الفكري**: فلقد جاء الإسلام بعقيدة توحيد صافية من شوائب الانحراف لدىٰ الأمم السابقة، فلقد حرص النبى ﷺ علىٰ طهارة عقيدة الصحابة من هذه الشوائب، فعن أبى واقد الليثى، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلىٰ حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبى ﷺ: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسىٰ» ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨] «والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[(١)].

ب)**ظاهرة الغلو في الأنبياء والصالحين**: وحذر النبى ﷺ أمته من رفع قدره فوق مقام العبودية لله سبحانه، فعن ابن عباس، أنه سمع عمر رضى الله عنه يقول علىٰ المنبر: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا تطروني، كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله»[(٢)]، قال ابن الجوزي رحمه الله (وقوله: " لا تطروني " الإطراء: الإفراط في المدح، والمراد به هاهنا المدح الباطل، والذين

---

(١) رواه أحمد (رقم:٢١٩٠٠)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (رقم:٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، الجامع (٤/ ٤٧٥)، ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه (رقم:٦٧٠٢)، والطبراني في المعجم (رقم:٣٢٩٠)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه علىٰ أحاديث المسند (إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين)، مسند الإمام أحمد (٣٦/ ٢٣١).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، (رقم:٣٤٤٥).

أطروا عيسىٰ ادعوا أنه ولد الله، تعالىٰ الله عن ذلك، واتخذوه إلها، ولذلك قال: « ولكن قولوا: عبد الله ورسوله »)[1].

كما حذر عليه الصلاة والسلام من الغلو في الدين عامة لما يسببه من فساد فكري عقدي، فعن ابن عباس، - قال: يحيىٰ لا يدري عوف عبد الله أو الفضل؟ - قال: قال لى رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو واقف علىٰ راحلته: «هات القط لى» فلقطت له حصيات هن حصىٰ الخذف، فوضعهن في يده، فقال: «بأمثال هؤلاء - مرتين-، وقال بيده - فأشار يحيىٰ أنه رفعها - وقال: «إياكم والغلو؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه علىٰ ما يستحق، ونحو ذلك، والنصارىٰ أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهىٰ الله عن الغلو في القرآن، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]، وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناء علىٰ أنه قد أبلغ من الحصىٰ الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من قبلنا

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (١/ ٦٥).

(٢) رواه أحمد (رقم:٣٢٤٨)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصىٰ الرمي (رقم:٣٠٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (رقم:١٣٩٠٩)، وقال الأرناؤوط رحمه الله في تعليقه علىٰ أحاديث المسند (اسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن الحصين- وهو الحنظلي اليربوعي البصري- فمن رجال مسلم)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٢٩٨).

إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارىٰ، وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم، يخاف عليه أن يكون هالكا)[1].

جـ)**التحذير من فكر الخوارج**[2]: وفكر الخوارج كان منشؤه في عصر النبوة، ثم امتد وباله علىٰ هذه الأمة إلىٰ عصرنا الحاضر، وهو فكر قائم علىٰ الغلو والتشدد في فهم الأمور وتنزيلها، وقد حذرنا عليه الصلاة والسلام من هذا الفكر الفاسد في حديث يصف لنا مظهرا من مظاهر انحرافهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (١/ ٣٢٩).

(٢) في نشأة الخوارج وفرقهم وآرائهم ينظر: أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ، (ص:٢٢٧)، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني، (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، (ص:١٣_١٥)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة (٤/ ١٤٤_١٤٥)، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط الأولىٰ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٢/ ٣٣٧).

رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلىٰ نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ رصافة فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ نضيه، - وهو قدحه -، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون علىٰ حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به، حتىٰ نظرت إليه علىٰ نعت النبي ﷺ الذي نعته)[1].

ففي هذا الحديث بيان لفساد فكر الخوارج، تطرف لحد اتهام خير البشر المعصوم ﷺ بالظلم بين رعيته!!، فكيف بغيره من الحكام!!؟؟، قال ابن الجوزي رحمه الله (وأما قول ذي الخويصرة لرسول الله ﷺ: «اعدل» فإن أصل هذا الضلال أن يرتضي الإنسان رأي نفسه، فلو أن هذا الرجل وفق لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، ولكنه وأصحابه ردوا علىٰ الرسول ﷺ فعله، وحاربوا عليا عليه السلام، يزعمون أنه أخطأ في تحكيمه، وإذا ظن الإنسان من هؤلاء أنه أتقىٰ من رسول الله ﷺ، وأعلم من علي ابن أبي طالب لم يبق معه حديث، وعلىٰ هذا كثير من العوام، يعتقدون الشيء الخطأ من العلم الذي لم

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (رقم:٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (رقم:١٤٨).

يتشاغلوا به، فلا يقدر العالم أن يردهم عنه، وسببه اقتناعهم بآرائهم وإعجابهم بها)[1].

ولقد استمر هذا الفكر في الظهور بعد عهده ﷺ، فكان في عهد التابعين حتىٰ قاتلهم الصحابة، وهو ما عناه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه بقوله (وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه)، ولهم يد في الفتنة التى عصفت بالمسلمين أيام عثمان وعلى وفي حلافة بنى أمية وبنى العباس[2]، ثم استمر في التناسل والظهور في عصور هذه الأمة إلىٰ عصرنا الحاضر.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ١١٩).

(٢) ينظر: عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، لمحمد علي الصلابي، دار البيارق، الطبعة الأولىٰ الأردن، ١٩٩٧م، (ص:١٠٩_١٢٢).

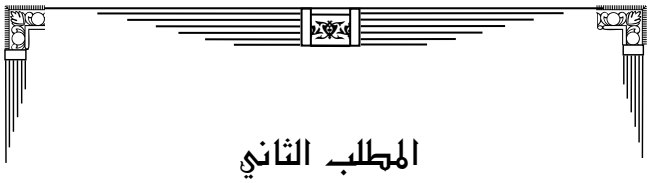

المطلب الثاني

الفساد الفكري في العصر الحاضر

أما الفساد الفكري في العصر الحاضر فصوره شتىٰ، وهي معضلة بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، وهي نزيف داخلي في جسد هذه الأمة، وجرح لما يندمل بعد، منهك لجسدها ومضعف لها أمام أعدائها، وفي مطلبنا هذا سنتكلم عن ملامح هذا الفساد في هذا العصر بحصره في ثلاثة مذاهب تولد عنها كل فساد في الفكر وهي: مذهب الخوارج ، مذهب الصوفية، ومذهب الشيعة.

أ)**مذهب الخوارج:** وهو المذهب الذي خرج من ذي الخويصرة الوارد ذكره في الحديث، وفكر الخوارج اليوم مبني علىٰ تكفير أهل القبلة بالكبائر مستحل لدمائهم، وهو مذهب قائم علىٰ الغلو البعيد عن العلم، إذ إن الخوارج الأولىٰ كانوا أعرابا لم يتفقهوا في الدين وما كان فيهم فقهاء، قال ابن حزم رحمه الله (ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعرابا قرؤا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة، ولا أصحاب أبي موسىٰ، ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبي الدرداء، ولا أصحاب سلمان، ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل

نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم)[1]، وهذا الجهل صفة لازمة لهم في القديم والحديث.

وفي زماننا هذا خرجوا علىٰ الأمة بالتكفير والتفجير، واستباحة الدماء والأموال والأعراض، بتشكيل تنظيمات مختلفة الأسماء متحدة المبادئ، كتنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) أو جماعة الهجرة، أو غيرها من المسميات.

ووجدت هذه التنظيمات المنحرفة فكريا رواجا عند شباب متحمس لدينه جاهل به، ليكون ضحيتها في ترويج شبهها، والعمل علىٰ تنزيلها عمليا بارتكاب الجرائم بترويع الآمنين وتحريب الممتلكات باسم تغيير المنكر وإنشاد الحلافة الإسلامية واسترجاع مجد الأمة.

ومما زاد الطين بلة كما يقال، تصدر الجهال في تأطير الشباب وتحميسهم للجهاد وفق المنظور التكفيري القائم علىٰ الخروج عن ولاة أمور المسلمين، وتفسير النصوص الشرعية بتفاسير بدعية بعيدة عن المنهج العلمي الأصيل، مستغلين وضع الأمة وحماسة الشباب، وكان في مناسبة الحرب الأفغانية في ثمانينيات القرن الماضي فرصة سانحة لزرع هذا الفكر في أفئدة الكثير من أبناء هذه الأمة ليعودوا بعدها إلىٰ أوطانهم بشبه فكرية مولدة للتكفير ومحرضة عليه[2]، وما زال وباله المستطير ينزف جراح الأمة إلىٰ حين بزوغ هذا الربيع العربي المشؤوم[1].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١٢١).

(٢) ينظر: القصة الكاملة لخوارج عصرنا، لإبراهيم صالح المحيميد، دار الإمام مسلم للنشر =

ويمكن إجمال ملامح فساد الفكر الخارجي في العصر الحاضر في العناصر التالية:

- تكفير حكام المسلمين والدعوة إلىٰ الروج عليهم.
- تكفير العلماء.
- تكفير المجتمعات المسلمة ووصفها بالجاهلية.
- تكفير من يعمل بأنظمة وقوانين الدولة.
- تكفير رجال الأمن والجيش واستحلال دمائهم.
- اعتبار ديار الإسلام ديار كفر ووجوب الهجرة منها.
- جواز العمليات الانتحارية وعدها جهادا في سبيل الله.

ب) **مذهب الصوفية**[٢]: ومذهب الصوفية قائم هو الآخر علىٰ الغلو في الصالحين، والدعاء والتوسل، والمبالغة في العبادة إلىٰ حد تقليد مذاهب غير =

والتوزيع، ط الأولىٰ ١٤٣٦هـ، المدينة المنورة، (ص:١٤٢).

(١) الخروج علىٰ ولي أمر المسلمين سمة بارزة للخوارج في القديم والحديث، وعليه كان ما يسمىٰ بـ"الربيع العربي" المندلع عام ٢٠١١م والباقية آثاره الدامية إلىٰ الآن، خروجا علىٰ ولاة أمور المسلمين، وسفكا لدماء الأمة، وقد استغل هذا الأمر في قنوات الإعلام البعيدة عن منهج عقيدة أهل السنة والجماعة جاعلة منه حدثا للحرية والديمقراطية المزعومة، والله المستعان.

(٢) في نشأة الصوفية وأفكارهم ينظر: الفصل لابن حزم (٤/ ١٧٠)، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣١)، تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م (ص:١٤٥_٣٤٧)، الاعتصام لإبراهيم بن موسىٰ اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي للنشر =

المسلمين في عباداتهم، وصولا إلىٰ الخوض في الذات الإلهية بالقول بوحدة الوجود وادعاء علم الغيب عند بعضهم[1].

وإن القول بوحدة الوجود جامع لكل فساد فكري مؤد إلىٰ تشويه عقيدة المسلمين تشويها تاما يفتح الباب أمام أي انحراف عقدي من التوسل بغير الله وادعاء العصمة في الأولياء والصالحين لحد الجزم بدخولهم الجنة، مما يولد لدىٰ صاحب هذا الفكر الغرور التام ولو كان علىٰ غير استقامة.

وكان هذا الانحراف سببا في فرقة الأمة بتعدد الطرق والزوايا المتناحرة بينها، حتىٰ إن بعض هذه الطرق يكفر أتباع الطرق الأخرىٰ، ويجزم بعضهم بأن مريدي الطريقة من أهل الجنة يقينا دون من سواهم[2].

ثم جعلوا من هذه الطريقة سببا في تحصيل حطام الدنيا، فكانت العبادة لغير وجه الله، وهذا فيه فساد عظيم علىٰ الناس في عبادة ربهم المبنية علىٰ أصل توحيد العبادة له سبحانه[1].

= والتوزيع، الرياض، ط الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م (١/ ١٤٩)، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة، ١٤٢٠ هـ (١/ ٢٤٩_٣٠٦).

(١) قلنا عند بعضهم لأن ليس كل الصوفية قالوا بها، فأوائل الصوفية كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وغيرهم كانوا علىٰ جناب كبير من اتباع السنة ثم توالىٰ بعدهم عنها، ينظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ١٤٩).

(٢) ينظر: الفكر الصوفي لعبد الرحمن بن عبد الخالق (ص:٣٥٥).

ويمكن إجمال ملامح فساد الفكر الصوفي في العصر الحاضر في العناصر التالية:

- الغلو في الأولياء والصالحين.
- تشييد الأضرحة والدعوة لزيارتها.
- تضليل من لم ينخرط في الطريقة.
- التوسل بغير الله.
- اعتماد الرقص في العبادة.
- الذكر بطرق غير مشروعة.
- ادعاء علم الغيب.
- استغلال الدين قصد الكسب الدنيوي.
- تزهيد الناس في اتباع السنة وتعلم التوحيد والرجوع للعلماء.

جـ) **مذهب الشيعة**[٢]: ويعد هذا المذهب من أخطر المذاهب الفكرية المعاصرة، وهو مذهب قائم علىٰ تكفير الصحابة ومن والاهم، والقول بتحريف

=

(١) ينظر: الابداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ رحمه الله، مكتبة الرشد الرياض، ط. الأولىٰ، ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م (ص:٢٨٨).

(٢) في نشأة الشيعة وأفكارهم وفرقهم ينظر: الإمامة والرد علىٰ الرافضة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة / السعودية، ط الثالثة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م (ص:٢٣٢ وما بعدها)، الفصل لابن حزم (٤/ ١٣٧)، الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت =

القرآن وعصمة أئمتهم، وهذا شبيه إلىٰ حد كبير بمذهب الخوارج وأهل التصوف القريب ذكرهما.

ولقد جر هذا المذهب الشر الكبير علىٰ هذه الأمة في زماننا هذا، حتىٰ صار وبالا مستطيرا يهدد أمن وسلامة العباد والبلاد، ولقد فاق ضررهم ضرر غيرهم من أعداء الإسلام، لما استحلوه من دماء المسلمين واستباحة أموالهم وأعراضهم وديارهم، والتاريخ شاهد علىٰ جرم الشيعة في حق هذه الأمة، وما أشبه اليوم بالأمس.

وترويجا لفكرهم الفاسد في واقعنا المعاصر استغل الشيعة الإعلام البصري المتمثل في القنوات الفضائية استغلالا ملحوظا، ولقد بلغت هذه القنوات علىٰ قمر النايلسات فقط أكثر من خمسين قناة[1]، فضلا عن المواقع الإلكترونية علىٰ شبكة الإنترنيت.

ويمكن إجمال ملامح فساد الفكر الشيعي في العصر الحاضر في العناصر التالية[2]:

- تكفير الصحابة رضوان الله عليهم.
- القول بتحريف القرآن.

=

٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي (١/ ١٦٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥)، وكتب الشيخ إحسان ألهي ظهير رحمه الله وغيرها من الدراسات المعاصرة.

(١) موقع وكالة أنباء براثا علىٰ الرابط: http://burathanews.com.

(٢) ينظر: المشروع الشيعي...كيف تحولت الحرافة إلىٰ واقع؟ عبد العزيز التركي، مجلة البيان، مجلة البيان العدد ٣٤١ محرّم ١٤٣٧هـ، أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٥م.

- اعتماد التقية (النفاق) في التعامل مع المسلمين.
- تكفير المسلمين واستباحة دمائهم.
- القول بعصمة الأئمة الاثنا عشر.
- القول بولاية الفقيه.
- القول بإخضاع بلاد المسلمين لولاية وإمامة الفقيه وهو ما يسمىٰ بمشروع "الهلال الشيعي".
- القول بزواج المتعة.
- القول بالحج لقبور الأئمة.

هذا ما يتعلق بأهم مظاهر الفساد الفكري ومصادره في العصر الحاضر، ولقد اقتصرنا علىٰ هذه المذاهب الثلاثة (الخوارج، الصوفية، الشيعة) لأنها الأشهر ذكرا والأكثر أثرا، وإلا فالساحة الفكرية عامرة بالأفكار والمذاهب الهدامة خصوصا في زمان انتشار وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي التي تسهل الانتشار السريع لكل فكر جديد.

وبعد هذه الإطلالة علىٰ الفساد الفكري في العصر الحاضر، نكون قد أنجزنا القول عن الجانب التأصيلي في هذا البحث، لننتقل الآن إلىٰ الحديث عن الجانب التطبيقي فيه، بالحديث عن أثر العمل الخيري في مكافحة هذا الفساد وذلك ضمن المبحث الثالث.

المبحث الثالث

أثر العمل الخيري في مكافحة الفساد الفكري المعاصر، وفيه مطلبان

إن للعمل الخيري الأثر الفعال في مكافحة الفساد الفكري، فهو عمل يقوم علىٰ المبادرة الحرة، القائمة علىٰ أساس القناعة الكاملة بالفكرة، وهذه القناعة تكون مولدة للعمل دافعة بصاحبها إلىٰ نشر الفكرة والدفاع عنها إلىٰ حين تحقيقها، وسنفرق في حديثنا عن هذا الأمر بين مسلكين، الأول في الوقاية والثاني في المعالجة.

وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: أثر العمل الخيري في الوقاية من الفساد الفكري

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في معالجة الفساد الفكري

المطلب الأول

أثر العمل الخيري
في الوقاية من الفساد الفكري

قديما قيل الوقاية خير من العلاج، وهى قاعدة مطردة في سبيل تفادي الوقوع في الداء ابتداء، بدل وقوعه والعناء بعد ذلك في سبيل رفعه والشفاء منه، وربما تحكم الداء فصعب البرء منه، والعمل الخيري يكون عامل وقاية وحماية للفرد والمجتمع من أي فساد فكري دخيل علىٰ الفطرة السوية، بتحصين النفس بحصانة الإيمان بالعقيدة الصحيحة والشريعة الربانية.

❁ ومن أهم الأعمال الخَيرية الواقية بإذن الله من الفساد الفكري:

أ) **<u>الجمعيات الخَيرية لتحفيظ القرآن الكريم:</u>** ويقصد بالجمعيات الخَيرية لتحفيظ القرآن الكريم كل جمعية أنشئت بهدف تدريس كتاب الله حفظا وتلاوة وتجويدا وفهما[(١)]، وهى جمعيات تقوم علىٰ الأساس التطوعى البعيد كل البعد عن الهدف الربحي المادي، مما يجعلها قائمة علىٰ أساس الدعوة إلىٰ الله

(١) ينظر: الجمعيات الخَيرية لتحفيظ القرآن الكريم وجهودها في المملكة العربية السعودية، بدر بن ناصر البدر (ص:١٧)، علىٰ الرابط: https://d1.islamhouse.com.

والتجارة معه سبحانه.

ويتجلىٰ دور هذه الجمعيات في وقاية الفرد والمجتمع من الفساد الفكري بالربط المباشر بكلام الله سبحانه وتعالىٰ القرآن الكريم، وإن هذا الاتصال المباشر كفيل بهذه الوقاية المنشودة، فضلا عن التبعات الإيجابية المرتبطة بهذه الحلقات ومن أبرزها:

- ربط النشء بالمسجد: فجل هذه الحلقات الخَيرية يكون مقرها بيت الله المسجد، وربط أبنائنا بالمسجد وقاية لهم من الاتصال بأي مذهب ضال سواء في الفكر أو السلوك، مع ارتباطهم بصلاة الجماعة العاصمة بإذن الله من سموم شياطين الإنس والجن، ولقد كان بناء المسجد أول لبنة في بناء المجتمع المسلم عند قدومه عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة.

- توفير القدوة الحسنة في معلم القرآن: فمعلم القرآن يوفر لأبنائنا في حلقات التحفيظ قدوة حسنة في حسن معتقده القائم علىٰ العقيدة الصحيحة الدافعة للفكر والوجدان مع الحلق الحسن، والنشء في هذه المرحلة يكون متأثرا لحد كبير بمعلمه، فتوفير مثل هذه النماذج صمام أمان لهم(١).

- تضمين حلقات التحفيظ دروس الوعظ والتوجيه: فتحفيظ القرآن في هذه الحلقات المباركة يكون بمعية تفسير بعض آياته، المشتملة علىٰ أصول التوحيد وعقيدة أهل السنة والجماعة، كلزوم الجماعة وطاعة ولي الأمر والرجوع للعلماء عند المدلهمات في قوله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

(١) ينظر: مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، د. علي بن إبراهيم الزهراني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط.١، ١٤١٨هـ، الخبر (ص:٦٨).

مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] ، والشعور بالمسؤولية تجاه الأمة والدين في قوله سبحانه في شأن فتية الكهف ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف:١٣-١٤]، فاستشعار الشباب لهذا البعد النبيل وقاية لهم من الانجرار وراء الأقلام والهتافات المسعورة الفاسدة(١).

ب) **مراكز الدعوة الخَيرية**: ويقصد بها المراكز الدعوية القائمة علىٰ الأساس التطوعي الرامي إلىٰ تحصين أبناء الأمة من الفساد الفكري، وذلك من خلال:

- تنظيم ندوات تحسيسية بضرر الفساد الفكري علىٰ الفرد والمجتمع: وذلك بجلب العلماء والمختصين في هذا الباب قصد ربط أبنائنا بالعلماء، وبيان فساد كل فكر منحرف، مع تكريس أصول العقيدة الصحيحة.

- تنظيم مسابقات فكرية هادفة: يقصد منها ترسيخ مبادئ العقيدة الصحيحة وتمكين النشء من الاستدلال العلمي الرصين علىٰ ضلال وشبهات الفكر الفاسد كالتكفير والغلو والتنقيص من الصحابة الكرام.

- عقد لقاءات مع التائبين من الفكر الضال: فكثير من المنخدعين بالفكر الضال تاب ولله الحمد، فتمكين هؤلاء من التواصل مع الشباب لكشف زيف هذه الأفكار الضالة، وضلال التجربة السابقة كفيل بإذن الله من وقاية أبنائنا من خوض

(١) ينظر: تعزيز الأمن الفكري في مؤسسات المجتمع المدني السعودي جمعيات تحفيظ القرآن الكريم نموذجا، د. هاشم علي الأهدل، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (ص:٢٨_٣١).

غمار نفس التجربة والغرق في مستنقعاتها[١].

- تنظيم محاضرات في المدارس التعليمية: قصد تحصين الطلاب من الفكر الضال بكل أشكاله، ومن هنا يقترح الباحث فكرة قافلة دعوية تنظم زيارات لمجموعة من المؤسسات بمعية من طلبة العلم والدعاة والعلماء لبيان أصول العقيدة الصحيحة الواقية من الفساد الفكري.

ت) **المراكز الصيفية الخيرية**: تعد فترة الصيف فترة فراغ الشباب، والفراغ إن لم يكن في إطاره الصحيح، كان مظنة للفساد الأخلاقى والفكري، ولذلك قال بعض السلف (هى نفسك إن لم تشغلها شغلتك)[٢]، ومن هنا كان جمع الشباب في مراكز مخيمات صيفية ذات برنامج هادف، يهدف لتفريغ طاقات الشباب في قالب إيجابى، بزرع قيم الفكر السليم وقاية لهم من الفكر الفاسد.

ويقصد بالمراكز الصيفية (المقرات التربوية التعليمية التى تمارس فيها مجموعة الأنشطة الهادفة والمتنوعة تحت إشراف مختص لاستثمار أوقات الفراغ خلال العطلة الصيفية بما يعود بالفائدة في أمور الدين والدنيا ويحقق الترويح الهادف)[٣]، وهذا تعريف للمراكز الصيفية بشكلها العام، ومقصدنا هنا

---

(١) من التجارب الرائدة في هذا الباب مبادرة مكتب العطاء التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالدمام المملكة العربية السعودية، ينظر نماذج أنشطة المكتب علىٰ الرابط التالي:.http//www.alyaum.com.

(٢) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولىٰ، ٢٠٠٣ م، (٧/ ١٦).

(٣) اتجاهات طلاب الجامعة نحو الأنشطة الطلابية، عاطف مصطفىٰ الأبر، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، (ص:٣٦).

ما هو خيري، باعتبار أن بعض هذه المراكز يشرف عليها جمعيات وجهات خيرية تهدف لتحقيق الوقاية لأبنائنا من الفساد الفكري في فترة العطلة الصيفية،

ويمكن تأدية هذا المقصد من خلال الأنشطة التالية:

- ممارسة الرياضة بمختلف أنواعها الهادفة.
- تنظيم ورشات علمية كالموائد المستديرة والندوات التحسيسية بضرر الفكر الفاسد.
- تنظيم حلقات لتحفيظ القرآن الكريم ربطا للشباب بالمصدر الآمن.
- تنظيم مسابقات علمية في حفظ القرآن أو السنة أو السيرة مع التركيز علىٰ ما هو تربوي قيمي.
- تنظيم زيارات للمستشفيات ودور الأيتام لتوجيه الشباب للعمل الخيري.
- تنظيم ورشات فنية كالمسرح الهادف لنشر رسالة الفكر السليم.
- عرض أشرطة فيديو توثق لضرر الفكر الفاسد علىٰ الفرد والمجتمع[1].

ث) <u>الإعلام المرئي:</u> يعد الإعلام اليوم المحرك الأساس للرأي العام، وهو بوابة التواصل مع الجماهير في شتىٰ أنحاء المعمورة، ولقد انتبه لهذا الغرب قبل الشرق، فكان الإعلام عندهم رأس الحربة في الأمور كلها، وهو المفتاح لفتح قلوب الشعوب عندهم.

كما سلك هذا الدرب أصحاب الفكر الفاسد من خوارج وشيعة وصوفية، لنشر أفكارهم في المجتمعات والشعوب، وأضحت قنواتهم سيلا جارفا عبر

(١) ينظر في هذه الأنشطة وغيرها: المراكز الصيفية والأمن الفكري، لمبروك بهي الدين رمضان، ضمن أعمال المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بالرياض (ص:١٠).

الأقمار الاصطناعية، مسخرين لهذه القنوات أموالا طائلة من تبرعات أثريائهم وأوقافهم.

ولقد ظهرت ولله الحمد قنوات صافية المشرب، نظيفة المعتقد، تسهم بشكل ملموس في بيان الحق للأمة، والأمر ما زال في حاجة إلىٰ مزيد من التوسع في العدد والتجديد المواكب للتنافس الإعلامى الهادف لجلب أكبر عدد ممكن من الجمهور والمتابعين، ولأجل هذا كله يرىٰ الباحث ضرورة مشاركة العمل الخيري المتمثل في إسهام رجال الأعمال في تأسيس القنوات الفضائية الهادفة، بل وتوقيف أوقاف علىٰ هذا الأمر، لتأمين رواتب العاملين فيها وسداد المصاريف اللازمة لسيرورة العمل في القناة، وكذا رواتب الدعاة العاملين بها إن كانوا من المتفرغين للدعوة، فالإعلام قائم علىٰ المال، يدور معه وجودا وعدما[1].

ج) **أفلام الرسوم المتحركة للأطفال (الكارتون):** للطفولة عالمها العجيب، الملىء بالبراءة والجمال، في سن الفطرة والنقاء النفسى، يكون الطفل مستعدا لقبول القيم الموجهة إليه لبناء شخصيته المستقبلية، ولقد انتبه الغرب لهذه النقطة الحساسة فابتكر ما يسمىٰ بـ"الرسوم المتحركة" أو "أفلام الكارتون" (cartoon)، وهى عبارة عن (مجموعة من الصور الساكنة ذات التتابع الحركى من خلال رسومات مستقلة تعرض وينتج عنها الإيهام بالحركة، وتعتمد عملية اختيار الشخصية وتحريكها بعد رسمها علىٰ المبدعين والمبتكرين لها، أما كلمة (cartoon) فقد اشتقت من المصطلح الإيطالى الذي يعنى: الورق المقوىٰ الذي ترسم فوقه الرسوم)[2].

---

(١) ينظر: أثر الإعلام في نشر الدعوة الإسلامية، لؤي عبد الحميد شداخ، شبكة الألوكة، علىٰ الرابط: www.alukah.net.

(٢) نماذج من القيم التي تعززها أفلام الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال من وجهة نظر التربية =

ولقد استعان النبي ﷺ بالرسم لتقريب المسائل وتقريرها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: « هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به- أو: قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[(١)].

قال المناوي رحمه الله في قوله "خط لنا" ما نصه (أي: لأجلنا تعليما وتفهيما وتقريبا لأن التمثيل يجعل المقصود من المعنىٰ كالمحسوس من المشاهد في المبنىٰ)[(٢)]، ومسألة اتخاذ الرسوم المتحركة المعاصرة وسيلة دعوية تربوية فيها نقاش فقهى بين مانع ومبيح[(٣)]، ولكن حضورها القوي في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعى اليوم وسهولة وصول الأطفال لها يجعل القول بجوازها هو الأنسب مع احترامها للضوابط الشرعية المقررة في هذا الباب.

= الإسلامية دراسة تحليلية، عائشة بنت سعيد الشهري، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ مكة المكرمة، السعودية، ١٤٣١هـ (ص:٧٩)، بواسطة: أطفال التلفزيون، لـخديجة خوجة وصالحة سنان، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ (ص:٨١).

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله (رقم:٦٤١٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (١/ ٢٥٤).

(٣) ينظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، السعودية (١/ ٣٢٣)، قرار دائرة الإفتاء، الأردن، **رقم (١٦١) (٢٧/ ٢٠١٠) علىٰ الرابط:**

.www.aliftaa.jo/Decision.aspx?DecisionId=163

ومما يزيد القلب طمأنينة بالقول المبيح لها أن هذه الوسيلة أضحت معتمدة عند أرباب الفكر الفاسد، فعلىٰ سبيل المثال فقد أطلق الشيعة قناة للأطفال شيعية المذهب وهى قناة "طه الفضائية لأطفال"[1]، وهى قناة تحمل رسائل مناقضة للعقيدة الصحيحة كالطعن في الصحابة وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن، وتسويق كليبات لأطفال يصلون علىٰ التربة الحسينية ترسيخا لعقيدة الشيعة في الثأر من أهل السنة لاتهامهم لهم بقتل الحسين رضى الله عنه، وغير ذلك من الأفكار الفاسدة.

ودور العمل الخيري في هذا الباب يتمثل في تطوع أهل الفضل والإحسان من رجال الأعمال والعلم لإطلاق قنوات فضائية تتسم بالمنهج الوسطى لأهل السنة والجماعة، لزرع أصول العقيدة الصحيحة في أفئدة وعقول أبناء المسلمين، وكذا أحكام الدين للمبتدئين كالعبادات والمعاملات والأخلاق وتعليم القرآن والسنة وأركان الإسلام عموما.

هذا من حيث الوقاية من الفساد الفكري، ويبقىٰ الباب مفتوحا علىٰ مصراعيه في اقتراح وابتكار رؤىٰ وأساليب أخرىٰ في هذا المنحىٰ، ويكون للعمل الخيري فيه البصمة البارزة فهو عمل تطوعى يدفع بصاحبه إلىٰ الابتكار والتفاني في نشر الرسالة، أما عن جانب معالجة الفساد الفكري، فللعمل الخيري أيضا الدور البارز فيه، وهذا ما سنتطرق له بإذن الله في المطلب الموالى.

(١) وغيرها من القنوات كقناة "هدهد للأطفال" وقناة "هادي للأطفال"، كلها شيعية المشرب والهدف، ينظر مقال: التشيع الناعم..قناة طه للأطفال نموذجا، لهيثم زعفان، موقع طريق الإسلام، علىٰ الرابط: http://ar.islamway.net.

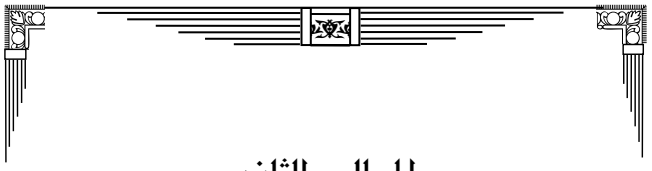

المطلب الثاني

أثر العمل الخيري في معالجة الفساد الفكري

أما إذا وقع الفساد الفكري وتحقق، فيكون العمل وقتئذ منصبا علىٰ المعالجة لإزالة الداء، والمعالجة تستلزم الدراية التامة بالداء شكلا ومضمونا، وتحقيق مناط وجوده ومدىٰ ضرره، وسبيل الخلاص منه، وهذا لا يتأتىٰ إلا للطبيب الحاذق العارف بمهنته، وهذا كلام لا جدال فيه.

ونفس الأمر يقال في الفساد الفكري، فهو مرض عضال يصيب العقول، ويفتك بالأفراد والشعوب، فتشخيصه أولا يكون من لدن العلماء المختصين، لتبدأ مرحلة العلاج.

❁ ومن أهم الأعمال الخَيرية المعالجة بإذن الله من الفساد الفكري:

أ) **المراكز الخيرية للمناصحة الفكرية**[1]: بدل النصيحة للمسلمين واجب

(١) يمكن أيضا إدراج هذا العمل ضمن أعمال الوقاية، ولكن ارتأىٰ الباحث ذكرها في أعمال المعالجة لكون المناصحة عادة ما تقدم لمن ابتلي بالمخالفة، والله أعلم، ولمزيد من التوسع حول دور هذه الجمعيات في الوقاية من الفساد الفكري ينظر أبحاث الملتقىٰ العلمي: دور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري، جامعة الأمير نايف العربية للأبحاث الأمنية، الرياض ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

شرعى، حث عليه الشارع الحكيم، فعن تميم الداري رضى الله عنه قال أن النبى ﷺ، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه، قال: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»(٢)، فبالنصيحة يصحح الخطأ ويزول العيب ويحقق الصلاح المطلوب والسلامة المنشودة للأمة، والفكر الفاسد عيب مشين في جسد الأمة، نصح المسلمين وتحذيرهم منه تحقيق لهذا المقصد النبيل وعلاج منه.

وفكرة المراكز الخيرية للمناصحة الفكرية تتجلىٰ في إنشاء مراكز لهذا الشأن قائمة علىٰ الأساس التطوعى الخَيري، يشرف عليها أهل العلم والخبراء المختصين في قضايا التطرف الفكري، بعقد لقاءات مع المتأثرين بهذه الافكار الهدامة، وتقديم النصح لهم بفتح باب الحوار معهم وتحديد الشبه المسببة لهذا الانحراف ومن تمة بيان الرأي الشرعي السديد.

ولقد برزت ولله الحمد في أمتنا الإسلامية جمعيات خيرية تهدف لتقديم النصح للمسلمين في قضايا الفساد الفكري، عن طريق ترسيخ قيم المحبة بين المسلمين ونبذ الخلاف العقيم، غير أن هذه الجمعيات ما زال ينقصها التأطير العلمى والتربوي والمنهجى لتكون مؤهلة لحجم الرسالة المنوطة بها، فضلا عن الدعم المالى الكفيل بتأمين حاجياتها للقيام برسالتها، واليوم والأمة تعاني ويلات الفساد الفكري المسعور بحاجة ماسة إلىٰ فتح الباب أم هذا الطيف من

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (رقم:٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: « الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رقم:٥٧).

المؤسسات لتوجيه طاقات الدعاة والعلماء والمتطوعين لتقديم النصح في هذا المجال[١].

ب) **قنوات الإعلام الفضائية:** سبقت الإشارة إلىٰ دور القنوات الفضائية في الوقاية من الفساد الفكري، وهى أيضا لها دورها في مرحلة العلاج ببيان زيف الشبهة الفكرية الفاسدة، فلربما كان لها الأثر في اقناع أصحابها ببطلان مذهبهم، وبشكل عام إن للإعلام أثرًا كبيرًا في تغيير سلوكيات الناس[٢].

ولثقافة الصورة حضور بارز في الساحة الفكرية متفوقة بذلك علىٰ حضور الكلمة، فجل الشعوب خصوصا العربية لا تقرأ بل تتفرج، وهناك "أمية بصرية"[٣] تفشت في الأوساط العلمية وغيرها بأمتنا، لنترك للبصر مطلق التسليم بما يرىٰ دون بحث أو تحقق أو تمحيص.

ويرىٰ الباحث أهمية الصورة الفيلمية في العمل الخيري لمعالجة الفساد الفكري، كصورة الأفلام القصيرة، وهي عبارة عن أفلام تطوعية لنخبة من الدعاة

---

(١) ينظر مقال: جمعيات خيرية لمكافحة الإرهاب، لإبراهيم عبد العزيز اليوسف، جريدة الاقتصادية، علىٰ الرابط:www.aleqt.com ، ويجدر بنا في هذا المقام الإشادة بمركز حكومي له الريادة الكبرىٰ في مجال المناصحة الفكرية لضحايا التطرف، وهو مركز الأمير نايف للمناصحة بالمملكة العربية السعودية الذي يعد أنموذجا للحوار البناء في قضايا الإرهاب، وكل الأمل معقود علىٰ أن تحدو دول العالم الإسلامي نفس التجربة، والله ولي التوفيق.

(٢) ينظر: التلفزيون وتربية الأطفال، ديفيد إنجلاند، ترجمة محمد عبد العليم مرسي، مكتبة العبيكان، ط. الأولىٰ، الرياض، ١٤٢٠هـ (ص:٥٧_٦٨).

(٣) ينظر: ثقافة الصورة ودورها في تحقيق الأمن الفكري في الدول المواكبة للتحضر، محمد صالح الإمام، ضمن أعمال المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بالرياض (ص:٧).

والباحثين والتربويين والشباب الواعين بخطورة الفكر الفاسد علىٰ عقول أبناء الأمة، يجسدون فيها مظاهر انخداع أبنائنا بالأفكار الفاسدة الهدامة، ثم زرع حس أمني يعالج هذا الخطر وربما يقيه ابتداء.

ومن الأمثلة علىٰ هذا نموذج الفيلم الصغير "الفكر الأسود"[1]، الذي يصور قصة شاب في مقتبل العمر، يتلقىٰ مكالمة مجهولة، يكلمه فيها شخص مجهول يغرر به لدخول الجنة، ويحدد معه موعدا سريا، وبعد اللقاء يُغسَل دماغ الشاب ويُجنَد للقيام بعمل إرهابى، لولا تدخل أخ هذا الشاب الذي كان علىٰ علم بالمكالمة الهاتفية وموعد أخيه، ليبلغ الأمن وليلقىٰ القبض علىٰ العناصر الإرهابية قبل وقوع العملية.

وهذه الأفلام القصيرة تسهم بشكل كبير في معالجة ظاهرة الغلو والتطرف في أوساط الشباب بتمرير أفكار الوسطية وحرمة دماء المسلمين، وطاعة ولاة الأمور.

ت) **وسائل التواصل الاجتماعى:** بالأمس القريب كان يقال لنا ونحن بالصف الابتدائى أن العالم صار قرية صغيرة، لسرعة تناقل الأخبار بين الأقطار بفضل الصحافة ووسائلها الإعلامية المقروءة والمسموعة والمكتوبة، واليوم يمكن لنا القول ودون تحفظ أن العالم تجاوز هذه الحال من قرية صغيرة إلىٰ بيت صغير في جوالاتنا ولوحاتنا الإلكترونية قبل حواسيبنا، فكل الأحداث والآراء

(١) مدة الفيلم ثلاثة دقائق، تمثيل أبناء متوسطة تبوك بنين الصف الثالث، بإشراف طاقم تربوي، ١٤٣٧هـ، منشور علىٰ اليوتيوب، علىٰ الرابط:
.https://www.youtube.com/watch?v=bexOmcIC800

والوقائع العالمية والوطنية والمحلية تصل إلىٰ الصغير قبل الكبير، ولن نقول إلىٰ القريب قبل البعيد لأن الكل صار قريبا في هذا البيت الواحد.

ويقصد بوسائل التواصل الاجتماعى (منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنيت تتيح للمشترك فيها إنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعى الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهويات)[1]، وأضحت هذه الوسائل منتديات عامة للناس، فيها تتداول كل الأفكار والرؤىٰ، لتشكل بذلك سلاحا ذا حدين في نشر الفكر صالحا كان أو فاسدا.

ويمكن استثمار هذه الوسائل في معالجة الفكر الفاسد، بنشر قيم الفكر السليم القائم علىٰ العقيدة الصحيحة، بفتح حسابات يحتسب فيها أصحبها عملا خيريا يهدف إلىٰ معالجة الفكر الفاسد، لتكون هذه الوسائل صدقة جارية لأصحابها.

ومن هذه الوسائل الأكثر استعمالا وشيوعا بين الناس في حياتنا اليومية:

تويتر (twitter):

وهو (وسيلة تواصل اجتماعي...أسس عام ٢٠٠٦م، عندما أقدمت شركة (٠bvious) الأمريكية علىٰ إجراء بحث تطويري لخدمة التدوين المصغر، ويسمح فيه للمغردين إرسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدىٰ (١٤٠) حرفا للرسالة الواحدة)[2]، ويمكن استخدام هذه الوسيلة في معالجة الفساد الفكري بطرح شبه

(١) الفيسبوك والشباب العربي، ليلىٰ جرار، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط.١، الكويت ٢٠١٢م (ص:٣٧).

(٢) وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها علىٰ الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي، بحث منشور علىٰ الانترنيت، علىٰ الرابط: www.academia.edu، (ص:٤) بتصرف.

أرباب الفكر الفاسد ومن ثمة الرد عليه بأوجز العبارات، وبشكل تطوعي خيري، وهذا يتطلب تمكنا علميا في هذا الباب من لدن أصحاب هذه الصفحات.

❁ **الفيسبوك** (facebook):

وهو عبارة عن (شبكة اجتماعية الكترونية تتيح للعديد من المشتركين عرض ملفاتهم الشخصية، ومشاركة الآخرين فيما يختارونه من نشاطات)[1]، وتمكن هذه الوسيلة من تجميع مجموعة من المشتركين ذوي الاتجاه المشترك، وكذا إضافة أصدقاء، ومن هنا يمكن تأسيس صفحات للدعاة والعلماء والمختصين في الفكر الفاسد لمعالجة الشبه الفكرية، ومناصحة المغرر بهم، كما تتيح هذه الوسيلة عرض الصور ومقاطع الفيديو وغيرها من المواد العلمية المسموعة والمرئية والمقروءة لبيان زيف الفكر الفاسد، وكل هذا من باب التطوع الخيري.

- الويكي(wiki): وهي كلمة تعني "فائق السرعة"، وهو نوع من المواقع الإلكترونية يسمح للزوار بإضافة المحتويات وتعديلها دون أية قيود في الغالب[2]، مما يشكل قاعدة بيانات مهمة، من مقالات ومواضيع، يمكن أن تسهم هذه الوسيلة التواصلية في معالجة قضايا الفساد الفكري، بجمع المواضيع ذات الصلة من حيث بيانها لضلال الأفكار المتطرفة، ومن ثم بيان زيفها وضلالها، ووضع كل هذا في صفحة خاصة، ويمكن إنشاء هذه الصفحات بطريقة تطوعية خيرية.

(١) دولة الفيسبوك، محمد علي البسيوني، ط.١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩م، (ص:١١).

(٢) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki.

❁ **الواتس آب** (whatsapp):

يعد هذا التطبيق الوسيلة التواصلية الأكثر شيوعا بين الناس اليوم، لكونه يستخدم بواسطة الهواتف الذكية المحمولة، مما يسهل عملية استعمالها والبقاء معها عن كثب، والواتس آب عبارة عن (تطبيق تراسل فوري للهواتف الذكية، ويمكن من خلالها إرسال الرسائل المكتوبة والصوتية والصور والفيديو)[1].

ويمكن لهذه الوسيلة التواصلية أن تسهم في معالجة قضايا الفساد الفكري بجعلها وسيلة تطوعية من لدن الدعاة وطلبة العلم والمختصين في قضايا الفساد الفكري، بنشر ما يتعلق بهذه القضايا من مقاطع صوتية أو فيديو للعلماء، أو توثيق آثار الفساد الفكري كالتفجيرات ونحوها عن طريق مقاطع للفيديو أو صور، أو شهادات التائبين من الفكر الفاسد، وكل هذه المواد تدفع كثيرًا من المغرر بهم إلىٰ إعادة التفكير في المنحىٰ الذي سلكوه، فضلا عن كون هذه المواد تؤدي دورا بالغا في وقاية الفرد والمجتمع من فساد الفكر الضال.

❁ **انستغرام** (instagram) :

وهو عبارة عن (تطبيق مجاني لتبادل الصور، وشبكة اجتماعية أيضا، وأطلق في أكتوبر عام ٢٠١٠م، ومستحوذ حاليا من فيسبوك، ويتيح للمستخدمين التقاط صورة وإضافة فلتر رقمي إليها ثم مشاركتها في مجموعة متنوعة من خدمات الشبكات الاجتماعية وشبكة انستغرام نفسها)[2].

---

(١) وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها علىٰ الأسرة، دراسة فقهية، دعاء كتانة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠١٥م، (ص:٣٦).

(٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، علىٰ الرابط: انستغرام https://ar.wikipedia.org/wiki/.

وهي وسيلة يمكن لها الإسهام في معالجة قضايا الفساد الفكري لكونها تطوعية، فيمكن إنشاؤها وتسخيرها بشكل خيري لبيان زيف الفساد الفكري، بوضع صورة معبرة مع التعليق عليها، فمثلا وضع صورة لمنكرات الصوفية كتهافت مجموعة من الصوفية علىٰ جسد ذبيحة لنيل بركتها من دمها، أو صورة للطم بالسيوف والسلاسل عند الشيعة، أو آثار تفجير الممتلكات العامة والمساجد كما يفعل الخوارج، ثم وضع تعليقات معبرة تبين ضلال أصحاب هذا الفكر، ثم نشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فلعل الصورة تكون أبلغ من المقال في المعالجة، ولربما استيقظ ضمير المغرر بهم.

❁ **سكايب** (Skype) :

وهو عبارة عن برنامج (يمكن مستخدميه من الاتصال صوتيا (هاتفيا) [illegible] برنامج، لكن مع تكلفة بسيطة في حال الاتصال بخطوط الهاتف الثابتة أو الجوالة)[1].

ويمكن لهذه الوسيلة أن تعالج قضايا الفساد الفكري بالحوار المباشر بالمغرر بهم، لطرح شبههم والرد عليها لبيان فسادها، وهذا لا يتأتىٰ إلا لمن كان ذا علم ودراية بضوابط وأصول المناظرة والعقيدة الصحيحة، واتخاذ هذه الوسيلة في هذا الباب يكون بطريقة تطوعية هادفة لعمل الخير دون أي مقابل مادي.

(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، علىٰ الرابط: سكايب https://ar.wikipedia.org/wiki، بتصرف.

هذه أهم الوسائل المستعملة اليوم في أوساط المجتمعات العربية، وهناك وسائل أخرىٰ ارتأىٰ الباحث عدم الاسترسال في ذكرها تجنبا للإطالة، كما أن هذه الوسائل تزداد يوما بعد يوم في ظل التنافس التواصلي بين المواقع الإلكترونية.

وخلاصة القول، فإن باب العمل الخيري باب واسع، يمكن الابتكار والتجديد فيه بحسب الحاجة والتأثير الإيجابي في المتلقي، شريطة الأخذ بالضوابط الشرعية، مع الحرص كل الحرص علىٰ صدق النية مع الله سبحانه وتعالىٰ ليكون العمل مقبولا في الدارين، وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

❁ أولا: أهم النتائج:

١) الفساد الفكري قديم الجذور والآثار في هذه الأمة، حاضر بقوة في حاضرها.

٢) العمل الخيري وسيلة ناجحة بإذن الله تعالىٰ في معالجة هذا الفساد لكونه قائمًا علىٰ أساس تطوعى دافع بأهله لتحقيق أهدافهم.

٣) استطاع أرباب الفكر الفاسد تطوير وسائلهم لنشر فكرهم في العصر الحاضر.

٤) لوسائل التواصل الاجتماعي الأثر الفعال في معالجة الفساد الفكري.

❁ ثانيا: التوصيات:

١) ضرورة عقد مؤتمرات خاصة حول أثر العمل الفكري في مجال محاربة الفساد الفكري لتعميق البحث.

٢) ضرورة التنسيق المشترك بين جمعيات المجتمع المدني لتوحيد الجهود

والرؤىٰ حول محاربة الفساد الفكري.

٣) الاهتمام بالوقف لصالح المبادرات الخيرية الرامية لمحاربة الفساد الفكري، قصد توفير الدعم الكافي.

٤) ضرورة تنظيم دورات تكوينية لصالح العاملين في العمل الخيري لضمان المستوىٰ المطلوب في معالجة قضايا الفساد الفكري.

٥) عقد شراكات بين مؤسسات المجتمع المدني والجامعات ومراكز البحث العلمى في قضايا الأمن الفكري لتوحيد الجهود والعمل المشترك البناء.

٦) توجيه النداء للأنظمة والحكومات في العالم الإسلامى لرصد ميزانيات لمؤسسات المجتمع المدني لمواجهة الفساد الفكري.

٧) توجيه النداء لرجال الأعمال لمد يد العون للعمل الخيري لمكافحة الفساد الفكري.

٨) ضرورة طرح مشروع تحفيز مبادرات المجتمع المدني في مواجهة الفساد الفكري علىٰ مستوىٰ دول العالم الإسلامى لضمان التنسيق المشترك الناجح.

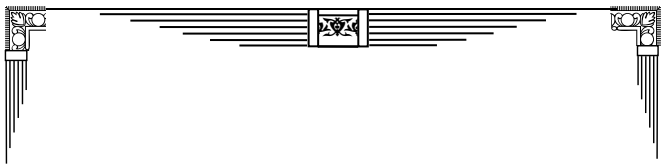

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١. الإبداع في مضار الابتداع، لعلي محفوظ رحمه الله، مكتبة الرشد، ط. الأولىٰ، ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م، الرياض.

٢. اتجاهات طلاب الجامعة نحو الأنشطة الطلابية، عاطف مصطفىٰ الأبر، المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م، الإسكندرية.

٣. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م، بيروت.

٤. أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م. بيروت.

٥. أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٦. أطفال التلفزيون، لخديجة خوجة وصالحة سنان، ط١، مكتبة

الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ، الرياض.

٧. الاعتصام لإبراهيم بن موسىٰ اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، الرياض.

٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، بيروت.

١٠. إكمال الأعلام بتثليث الكلام، لمحمد بن عبد الله الجياني، (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرىٰ - مكة المكرمة - المملكة السعودية الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١١. الإمامة والرد علىٰ الرافضة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، السعودية، ط الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولىٰ، ٢٠٠٣ م، بيروت.

١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، تونس.

١٤. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، بيروت.

١٥. تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بيروت.

١٦. التلفزيون وتربية الأطفال، ديفيد إنجلاند، ترجمة محمد عبد العليم مرسي، مكتبة العبيكان، ط. الأولىٰ، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، بيروت.

١٨. ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟، عبد الكريم بكار، دار السلام، ط.١، ٢٠١٢م، القاهرة.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، القاهرة.

٢٠. دولة الفيسبوك، محمد علي البسيوني، ط.١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ، الرياض.

٢٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م، بيروت.

٢٣. السنن الكبرىٰ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، بيروت.

٢٤. السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي (بدون سنة النشر أو رقم الطبعة).

٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، بيروت.

٢٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م، بيروت.

٢٧. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ

٢٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (دون سنة النشر ورقم الطبعة).

٢٩. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج،

لمحمد علي الصلابي، دار البيارق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م، الأردن.

٣٠. فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض، السعودية.

٣١. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني، (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، بيروت.

٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط الأولىٰ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، بيروت.

٣٣. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، الكويت.

٣٤. الفيسبوك والشباب العربي، ليلىٰ جرار، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط.١، الكويت ٢٠١٢م.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرىٰ، الطبعة الأولىٰ، ١٣٥٦هـ، القاهرة.

٣٦. القصة الكاملة لخوارج عصرنا، لإبراهيم صالح المحيميد، دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ط الأولىٰ ١٤٣٦هـ، المدينة المنورة.

٣٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٣٨. الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ ه، بيروت.

٤٠. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦ه)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، بيروت.

٤١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، ط الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، بيروت.

٤٢. المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، بيروت.

٤٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٤. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط الأولىٰ، ١٤٠٩م، الرياض.

٤٥. المعجم الإسلامي للجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، أشرف طه أبو الدهب، دار الشروق، ط.١، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٤٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية، القاهرة.

٤٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، بيروت.

٤٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، بيروت.

٤٩. معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت.

٥٠. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي (لا توجد معلومات حول الطبعة).

٥١. مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، د. علي بن إبراهيم الزهراني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط.١، ١٤١٨هـ، الخبر.

٥٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة:

د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة، ١٤٢٠ هـ، الرياض.

٥٣. الموطأ، برواية محمد بن الحسن الشيباني، مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، بيروت، (لا توجد معلومات حول سنة النشر والطبعة).

❁ الرسائل الجامعية:

١. العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، محمد إبراهيم عليان، رسالة ماجستير، قسم اقتصاديات التنمية، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م.

٢. نماذج من القيم التي تعززها أفلام الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال من وجهة نظر التربية الإسلامية دراسة تحليلية، عائشة بنت سعيد الشهري، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرىٰ مكة المكرمة، السعودية، ١٤٣١هـ.

٣. وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها علىٰ الأسرة، دراسة فقهية، دعاء كتانة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠١٥م.

❁ المجلات:

١. المشروع الشيعي...كيف تحولت الخرافة إلىٰ واقع؟ عبد العزيز التركي، مجلة البيان، العدد ٣٤١ محرّم ١٤٣٧هـ، أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٥م.

❁ المؤتمرات:

١. المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، الرياض ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، مركز الدراسات والبحوث، قسم الندوات واللقاءات العلمية، أكاديمية نايف الأمنية، الفساد والإفساد في ضوء آيات الكتاب، لعبد الرحمن جميل قصاص.

٢. الملتقىٰ العلمي لدور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري، جامعة الأمير نايف العربية للأبحاث الأمنية، الرياض ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م، الأبحاث منشورة علىٰ موقع الجامعة: https://repository.nauss.edu.sa.

٣. المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري "المفاهيم والتحديات"، ٢٢-٢٥ جمادىٰ الأولىٰ، ١٤٣٠هـ، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، تعزيز الأمن الفكري في مؤسسات المجتمع المدني السعودي جمعيات تحفيظ القرآن الكريم نموذجا، د. هاشم علي الأهدل، ثقافة الصورة ودورها في تحقيق الأمن الفكري في الدول المواكبة للتحضر، محمد صالح الإمام.

❁ المواقع الإلكترونية:

١. موقع أكاديميا، شركة، علىٰ الرابط: www.academia.edu_. وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها علىٰ الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي.

٢. جريدة الاقتصادية، علىٰ الرابط: www.aleqt.com . مقال: جمعيات خيرية لمكافحة الإرهاب، لإبراهيم عبد العزيز اليوسف.

٣. دائرة الإفتاء، الأردن، **علىٰ الرابط:**

www.aliftaa.jo/Decision.aspx?DecisionId=163.، فتوىٰ رقم (١٦١) (٢٧/ ٢٠١٠) قرار بشأن أفلام الكارتون للأطفال.

٤. موقع طريق الإسلام، علىٰ الرابط:http://ar.islamway.net . مقال: التشيع الناعم..قناة طه للأطفال نموذجا، لهيثم زعفان.

٥. مكتب العطاء التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالدمام المملكة العربية السعودية، علىٰ الرابط:.http//www.alyaum.com.

٦. شبكة الألوكة، علىٰ الرابط:.www.alukah.net، مقال: أثر الإعلام في نشر الدعوة الإسلامية، لؤي عبد الحميد شداخ.

٧. موقع دار الإسلام، علىٰ الرابط:https://d1.islamhouse.com.
مقال: الجمعيات الخَيرية لتحفيظ القرآن الكريم وجهودها في المملكة العربية السعودية، بدر بن ناصر البدر

٨. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، علىٰ الرابطhttps://ar.wikipedia.org.

٩. موقع وكالة أنباء براثا علىٰ الرابط:.http://burathanews.com.

١٠. موقع يوتيوب، علىٰ الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=bexOmcIC800
فيلم الفكر الأسود، تلاميذ متوسطة تبوك.

المحتويات

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النّفسي والتّربوي من منظور قرآني ٥
ملخص البحث ٧
المقدمة ٨
التمهيد ١٢
دلالة العمل الخيري ١٢
المبحث الأول دور العمل الخيري في الإصلاح النّفسي ١٦
المطلب الأول تزكية النفس وتطهيرها ١٧
المطلب الثاني: دور العمل الخيري في إثراء القيم الإنسانية ٣٢
المبحث الثاني: "دور العمل الخيري في الإصلاح التربوي" ٤١
المطلب الأول دور التربية الإيمانية في غرس قيم الإنفاق ٤٥
المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي ٥٨
الخاتمة ٦٧
فهرس المصادر ٦٩
العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي ٧٥
ملخص ٧٧
المقدمة ٧٩
الفصل الأول: العمل الخيري في السنة النبوية: خصائصه وأهميته ٨٢
المبحث الأول تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا ٨٤
المبحث الثاني خصائص العمل الخيري في السنة النبوية ٨٨
المبحث الثالث أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية ٩٤

الفصل الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية ١٠١
المبحث الأول مفهوم الإصلاح وأهميته..... ١٠٢
المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية....١٠٨
المبحث الثالث أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية...١١٥
الخاتمة..... ١٢٢
أولا: النتائج ١٢٢
ثانيا: التوصيات:..... ١٢٣
فهرس المصادر والمراجع..... ١٢٤
تفعيل خُلُقِ الإحسان في العمل الخيري ودَوْره في إصلاح المجتمع ١٢٧
مقـــدمة ١٢٩
الفصل الأول: مفهوم خُلُق الإحسان وضرورته في الإصلاح المجتمعي ١٣٣
الفصل الثاني: درجاتُ الإحسان، وعلاقته بالعمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي..... ١٥٣
الفصل الثالث غاية تفعيل الإحسان في العمل الخيري ومجالاته في الإصلاح الاجتماعي..... ١٧٣
الخاتمة..... ١٨٤
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية ١٨٧
ملخص البحث..... ١٨٩
المقدمة ١٩١
المبحث الأول العمل الخيري في ضوء التربية الإسلامية..... ١٩٧
مفهوم العمل الخيري:..... ١٩٧
أهمية العمل الخيري: ٢٠١
الأهداف التربوية للعمل الخيري:..... ٢٠٢
دوافع العمل الخيري: ٢٠٣
المبحث الثاني القيم من منظور التربية الإسلامية..... ٢٠٦

الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية: ٢٠٩
الدراسات السابقة: ٢١٠
التعليق علىٰ الدراسات السابقة: ٢١٨
الإطار المنهجي للبحث: ٢١٩
منهج البحث: ٢١٩
مجتمع البحث وعينته: ٢٢٠
أداة البحث: ٢٢١
الصدق البنائي (صدق الاتساق الداخلي لعبارات الأداة): ٢٢٢
السؤال الأول: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاجتماعية علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟ ٢٢٨
السؤال الثاني: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الاقتصادية علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟ ٢٣٥
السؤال الثالث: ما واقع الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الشخصية (الذاتية) علىٰ طلاب الجامعة من وجهة نظرهم؟ ٢٤٠
السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حيال الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية تعزىٰ لمتغيرات البحث: (الكلية/ المستوىٰ/ عدد مرات التطوع)؟ ٢٤٨
نتائج البحث: ٢٦٠
التوصيات: ٢٦٢
المراجع ٢٦٤
دور العمل التطوعي الخيري في مَساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني لدى طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية **٢٧٣**
الملخـــــص ٢٧٥
خلفية الدراسة ٢٧٧

أهمية الدراسة: ٢٨٨
محددات الدراسة: ٢٩٠
الطريقة والإجراءات:..... ٢٩٠
منهج الدراسة: ٢٩٠
عينة الدراسة:..... ٢٩٠
أدوات الدراسة: ٢٩٠
صدق المقياس: ٢٩١
ثبات أداة الدراسة: القيم الاجتماعية: ٢٩٢
صدق المقياس: السلوك المدني: ٢٩٣
ثبات أداة الدراسة: السلوك المدني: ٢٩٣
لتحقيق أهداف الدراسة تم اتباع الخطوات الآتية:..... ٢٩٣
إجراءات الدراسة:..... ٢٩٥
المعالجة الإحصائية: ٢٩٦
نتائج الدراسة ومناقشتها: ٢٩٦
التوصيات:..... ٣٠٥
المراجع العربية..... ٣٠٧
المراجع الأجنبية ٣١٠
العمل الخيري وأثره في النهضة العلمية والثقافية في البلاد الإسلامية ٣١١
ملخص البحث..... ٣١٣
تقـــديم ٣١٥
المبحث الأول جامعة القرويين: تجربة رائدة في العمل الخيري الديني والتعليمي في الحضارة الإسلامية ٣٢٠
المطلب الأول مبادرة خيرية نسائية تصنع تاريخ المغرب..... ٣٢١
تأسيس جامعة القرويين:..... ٣٢١
المطلب الثاني جامعة القرويين في العصر المَرِيْنِي: مشروع خيري جامعي متكامل ٣٣٣

المطلب الثالث جامعة القرويين في العصر العلوي تنظيم الأوقاف الخيرية .. ٣٤٢
المبحث الثاني الأوقاف الخيرية لجامعة القرويين وأثرها في النهضة العلمية والثقافية بالمغرب ٣٤٧
المطلب الأول: أثر القرويين في تحقيق الإشعاع الثقافي والحضاري لمدينة فاس والمغرب الأقصىٰ:..... ٣٤٧
المطلب الثاني: الأوقاف الخيرية وأثرها في النهضة العلمية والثقافية لجامعة القرويين:..... ٣٤٧
المطلب الأول أثر القرويين في تحقيق الإشعاع الثقافي والحضاري لمدينة فاس والمغرب الأقصىٰ..... ٣٤٨
المطلب الثاني الأوقاف الخيرية وأثرها في النهضة العلمية والثقافية لجامعة القرويين..... ٣٥٤
المبحث الثالث جامعة القرويين وأثرها في ترسيخ الهوية الإسلامية و تحقيق الإشعاع الحضاري للمغرب ٣٧١
المطلب الأول القرويين وترسيخ الهوية الإسلامية والشخصية الحضارية للمغرب..... ٣٧٢
المطلب الثاني جامعة القرويين وأثرها في الإشعاع والانفتاح الحضاري للمغرب .٣٧٨.
خاتمة البحث ونتائجه ٣٨٤
توصيات البحث:..... ٣٨٧
ببليوغرافيا البحث..... ٣٨٩
دور العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري.....**٣٩٣**
مقدمة ٣٩٥
تمهيد ٤٠١
المبحث الأول الدور الوقائي للعمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري غلق منافذ الانحراف الفكري ٤٠٥
المطلب الأول دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الجهل..... ٤٠٦

ارتباط الجهل بالانحراف الفكري: ٤٠٩
مخاطر الانحراف الفكري المتولد عن الجهل ودور العمل الخيري في مواجهتها: ٤١٠
مميزات العمل الخيري في قيامه بتحصين المجتمع ضد الجهل:..... ٤١٤
اتساع مجال العمل الخيري:..... ٤١٧
المطلب الثاني دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الفقر..... ٤٢٠
مخاطر الفقر ودور العمل الخيري في مواجهتها: ٤٢٢
خطر الفقر علىٰ العقيدة:..... ٤٢٢
خطر الفقر علىٰ الأخلاق والسلوك:..... ٤٢٣
خطر الفقر علىٰ العقل والفكر:..... ٤٢٤
خطر الفقر علىٰ استقرار المجتمع:..... ٤٢٥
دور العمل الخيري الإسلامي في غلق منافذ التنصير باستغلال المنصرين لكوارث وأزمات المجتمع المسلم: ٤٢٥
المطلب الثالث دور العمل الخيري في تحصين المجتمع ضد الظلم ٤٣٤
المبحث الثاني الدور العلاجي للعمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري – إعادة التأهيل –: ٤٣٨
المطلب الأول كشف حقيقة الانحراف الفكري وأغراضه..... ٤٣٩
مخاطر الانحراف الفكري ودور العمل الخيري في مواجهتها: ٤٤٠
المطلب الثاني رد الشبهات والمطاعن التي يروجها أصحاب الانحراف الفكري..٤٤٣
وهنا تتأكد جملة من الملاحظات: ٤٤٥
مرتكزات العمل الخيري في تصديه للشبهات:..... ٤٤٨
المطلب الثالث توفير المحاضن العلمية والتربوية المناسبة لإصلاح المتأثرين بالانحراف (إعادة التأهيل) ٤٥٤
التدابير العلاجية للعمل الخيري في علاج المتأثرين بالانحراف الفكري: ... ٤٥٦
الخاتمة..... ٤٦٢

أهم المراجع ٤٦٤
أثر العمل الخيري على إصلاح الفساد الفكري والتربوي ٤٦٧
دراسة فكرية تربوية مقاصدية ٤٦٧
الملخص باللغة العربية ٤٦٩
المقدمة ٤٧١
تمهيد للتعريف بمصطلحات العنوان..... ٤٧٣
المبحث الأول: تعريف العمل الخيري: ٤٧٣
واختلف الباحثون في تعريف مصطلح العمل الخيري: ٤٧٣
نتائج التعريف: ٤٧٥
ثانيًا: تعريف الإصلاح:..... ٤٧٦
ثالثًا: تعريف الفاسد: ٤٧٧
المطلب الأول في بيان حكم إسداء الخير والإحسان إلىٰ الفاسد المسلم... ٤٧٩
المطلب الثاني في بيان حكم إسداء الخير والإحسان إلىٰ الفاسد غير المسلم ٤٨١
ضابط في القول بإباحة مساعدة الفاسد: ٤٩٠
المبحث الثاني أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي ٤٩٢
توطئة..... ٤٩٣
المطلب الأول في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري ٤٩٤
أما حكمة وضع الصدقة في يد الزانية فمنها: ٥٠٠
المطلب الثاني في بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد التربوي ٥٠١
أولا: أثر سهم المرلفة قلوبهم علىٰ الإصلاح: ٥٠٣
الجانب الأول في بيان المقصود بالمؤلفة قلوبهم:..... ٥٠٤
الجانب الثاني: بقاء سهم المؤلفة قلوبهم اليوم: ٥٠٦
ثانيا: أثر الوقف الخيري علىٰ الإصلاح: ٥١٠
الخاتمة..... ٥١٤
أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:..... ٥١٤

المصادر..... ٥١٦
العمل الخيري وأثره في الإصلاح الثقافي والفكري ٥٢٣
الملخص..... ٥٢٥
مقدمة ٥٢٧
تمهيد ٥٢٩
أولًا: مفهوم العمل الخيري:..... ٥٢٩
ثانيًا: مفهوم الفكر، والثقافة:..... ٥٢٩
ثالثًا: دور القيم الإسلامية في الإصلاح الفكري والثقافي: ٥٣٠
المبحث الأول صناعة التغيير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري:.... ٥٣٣
الفرع الأول: أبرز مجالات التأثير الثقافي والفكري عبر بوابة العمل الخيري في العصر الحديث، ومؤسساتها:..... ٥٣٤
أولًا: المجال الثقافي والدعوي:..... ٥٣٤
المثال الأول: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم: ٥٣٤
المثال الثاني: رابطة العالم الإسلامي:..... ٥٣٥
المثال الثالث: الأوقاف الخيرية: وقف مؤسسة السبيعي الخيرية أنموذجًا: . ٥٣٧
المثال الرابع: مؤسسة الملك فيصل الخيرية: ٥٣٨
ثانيًا: المجال التعليمي:..... ٥٣٩
المثال الأول: مؤسسة حسن عباس الشربتلي:..... ٥٣٩
المثال الثاني: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، والوقفية:..... ٥٤٠
المثال الثالث: مؤسسة العنود الخيرية:..... ٥٤١
ثالثًا: المجال الطبي:..... ٥٤٢
المثال الأول: مؤسسة البصر الخيرية العالمية: ٥٤٢
المثال الثاني: جمعية الرحمة الطبية:..... ٥٤٣
رابعًا: المجال الإغاثي:..... ٥٤٤
الهيئة العالمية للإغاثة والرعاية والتنمية:..... ٥٤٤

الفرع الثاني: أبرز المؤسسات والجهات الخيرية التي ساهمت في التأثير الفكري والثقافي عن طريق التغيير المجتمعي: ٥٤٦
أولًا: المؤسسات غير الحكومية: ٥٤٦
المثال الأول: جمعية العون المباشر: ٥٤٦
المثال الثاني: جمعية الرحمة العالمية:..... ٥٤٧
ثانيًا: المؤسسات الحكومية:..... ٥٤٩
المثال الأول: الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية: ٥٤٩
المثال الثاني: المؤسسة الخيرية الملكية في البحرين: ٥٥٠
المبحث الثاني جهود أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة في الإصلاح الفكري والثقافي..... ٥٥١
الفرع الأول: مبررات وجود مركز باحثات: ٥٥١
الفرع الثاني: منطلقات مركز باحثات لدراسات المرأة الفكرية: ٥٥٤
الفرع الثالث: المنهج الذي يسعىٰ مركز باحثات من خلاله لتحقيق أهدافه: . ٥٥٤
الفرع الرابع: الإنجازات التي قدمها مركز باحثات من أجل خدمة قضايا المرأة والأسرة: ٥٥٥
أولًا: مسار البحث العلمي في قضايا المرأة: ٥٥٦
ثانيًا: الاصدارات والمطبوعات:..... ٥٦٢
ثالثًا: البرامج التأهيلية والتدريبية: ٥٦٧
رابعًا: كرسي دراسات المرأة:..... ٥٦٨
خامسًا: البرامج التدريبية وورش العمل والمحاضرات:..... ٥٦٨
سادسًا: مسار المؤتمرات الملتقيات والمحافل الدولية والمحلية:..... ٥٦٩
سابعًا: إقامة الملتقيات والندوات الثقافية والعلمية حول قضايا المرأة داخل المركز، ومنها: ٥٧٠
ثامنًا: الاستشارات المتعلقة بكل ما يخص قضايا المرأة: ٥٧١
تاسعًا: العلاقات العامة: ٥٧١

عاشرًا: مسار الإعلام: ٥٧٢
الحادي عشر: مسار التطبيقات والإعلام الجديد: ٥٧٤
فهرس المراجع والمصادر..... ٥٧٥
العمل الخيري وأثره في مكافحة الفساد الفكري دراسة تأصيلية تطبيقية ٥٧٩
ملخص البحث..... ٥٨١
المقدمة ٥٨٢
المبحث التمهيدي وفيه التعريف بمصطلحات البحث ٥٨٥
المطلب الأول: التعريف بمصطلح العمل الخَيري: ٥٨٥
المطلب الثاني: تعريف مصطلح المكافحة: ٥٨٩
المطلب الثالث: تعريف مصطلح الفساد الفكري: ٥٩٠
المطلب الرابع: تعريف مصطلح الفكري: ٥٩١
المبحث الأول التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد..... ٥٩٣
المطلب الأول التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من القرآن الكريم ٥٩٤
المطلب الثاني التأصيل الشرعي لمكافحة الفساد من السنة النبوية..... ٥٩٧
المبحث الثاني الفساد الفكري في الأمة الإسلامية بين الماضي والحاضر.... ٦٠١
المطلب الأول الفساد الفكري في العهد الأول..... ٦٠٢
المطلب الثاني الفساد الفكري في العصر الحاضر ٦٠٨
المبحث الثالث أثر العمل الخيري في مكافحة الفساد الفكري المعاصر..... ٦١٥
المطلب الأول أثر العمل الخيري في الوقاية من الفساد الفكري ٦١٦
المطلب الثاني أثر العمل الخيري في معالجة الفساد الفكري ٦٢٤
الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات ٦٣٣
أولا: أهم النتائج: ٦٣٣
ثانيا: التوصيات: ٦٣٣
فهرس المصادر والمراجع..... ٦٣٥

فهرس البحوث

البحث	المؤلف	الصفحة
" العمل الخيري وأثره في الإصلاح النّفسي والتّربوي من منظور قرآني"	د/ فاطمة عبد الله عبد اللطيف صالح	٥
" العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي"	للباحثة/ د. كريمة محمد سوداني	٧٥
تفعيل خُلُقِ الإحسان في العمل الخيري ودَوْره في إصلاح المجتمع	إعـداد دكتـــور/ محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي	١٢٧
الانعكاسات التربوية للعمل الخيري في تعزيز القيم الإسلامية: دراسة ميدانية علىٰ طلاب	إعداد: د. نايف يوسف حمد القاضي	١٨٧
دور العمل التطوعي الخيري في مَساق المسؤولية المجتمعية في تنمية القيم المجتمعية والسلوك المدني لدىٰ طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا لأردنية	الأستاذ الدكتور هاني حتمل عبيدات – الدكتورة/ هبة رافع عبيدات	٢٧٣
العمل الخيري وأثره في النهضة العلمية والثقافية في البلاد الإسلامية	إعداد: الدكتور أحمد الخاطب	٣١١

البحث	المؤلف	الصفحة
دور العمل الخيري في مواجهة الانحراف الفكري	إعداد/ د/ عبدالبصير بن على الحقرة	٣٩٣
أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح الفساد الفكري والتربوي دراسة فكرية تربوية مقاصدية	الأستاذ الدكتور عثمان محمد غريب	٤٦٧
العمل الخيري وأثره في الإصلاح الثقافي والفكري – أوقاف مركز باحثات لدراسات المرأة أنموذجًا –	إعداد: وفاء محمد عبد الله العيسىٰ	٥٢٣
العمل الخيري وأثره في مكافحة الفساد الفكري دراسة تأصيلية تطبيقية	إعداد: الدكتور: يوسف فاوزي	٥٧٩